

عزالفايسي

الحركات الاستقلالية
في
المغرب العربي

طبعة جديدة

مؤسسة علال الفاسي



عزالفاي

د. محمد بن عبد الله
طبعة جديدة

الحركات الاستقلالية في المغرب العربي

طبعة جديدة

مكتبة عالم الفكر
AALAM ALFIKR
V. 5 Avenue Allal Ben Abdellah
Tél. 1-72. 55. 99

مؤسسة علال الفاسي

الطبعة السادسة مصممة 2003
© جميع الحقوق محفوظة



الإهداء القانوني رقم : 2003/1745

ردمك 3-0596-0-9954

فاتحة الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ
أَيِّمَةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنَمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنَرَى
فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ » .

قرآن كريم

يرجع الفضل الأول في تأليف هذا الكتاب لتوجيه الإدارة الثقافية للجامعة
الدول العربية ، فقد قررت استكتاب أدباء العرب عدة موضوعات ترجع لتصوير
الحالة الحاضرة في العالم العربي . وبناء على ذلك طلب مني رئيسها الأستاذ
الكبير أحمد أمين بك أن أكتب للجامعة فصلا عن (الحركات الاستقلالية في
الغرب العربي) .

وقد رأيت أن موضوعا بالغ الأهمية مثل هذا لا يمكن فيه فصل واحد
تشره إحدى المجلات أو يطبع ضمن مجموعة تحتوي على فصول متنوعة ، قررت
أن أكتب خلاصة وإفيسة عن المقاومة المغربية في شتى صورها الحربية
والدبلوماسية والسياسية أعرضها على الناس ضمن كتاب خاص ، ثم استخرج
منه فصلا مختصرا يفي بالحاجة التي قصدتها الإدارة الثقافية ، وهكذا تم هذا المؤلف
الذي أقدمه اليوم للجامعة العربية وأنصارها .
وقد توخيت في هذا العمل غايات قومية عديدة . أولاها أن أعرض للقضية

العربية عموماً والمغربية خصوصاً بالأطوار التي مرت فيها حركة بلادنا،
والجبهودات التي بذلتها مؤسسون هذه الحركة ومفدوها للتعاقدون ليكون لهم في ذلك
هجرة طيبة وقدوة حسنة، وليسهل عليهم أن يجعلوا مما يبذلونه من جهد في سبيل
تحرير أمتهم وبشها امتداداً لسلسلة منسجمة الخلفات بحكمة الإفراغ يتم بمضها
بعضاً، ويكون اللاحق منها والسابق عناصر تناسق تلقائي شبيه بهذه الأنغام
الموسيقية التي يجمل منها التناسق وحدة بديمة وكلية رفيعة.

وثانيتها: أن أعرف العرب وخاصة المسؤولين منهم بما لا يزالون يجهلون من
أمانى الأمة العربية وما تبذله في سبيل تحقيقها؛ لأن ذلك سيعرفهم عن يقين باتحاد
الغاية التي يجاهدون من أجلها مع غايتنا نحن، وسيوضح لهم ضرورة تنسيق
الكفاح العربي وإن تعددت ألوانه واختافت مظاهره، وذلك من شأنه أن
يساعد على تكوين الشمول في التفكير العربي حتى لا يبقى كل إقليم من أقاليم
الأمة العربية ينظر لمصالحه الخاصة وحدها، وهي في الحقيقة جزء من صالح عام
عربي، وحينئذ يتسنى للجامعة العربية أن تسوق السبعين مليوناً من العرب
لخليفة كفاح قوى من أجل التحرر الكامل والانبعاث العظيم.

أما الثالثة: فهي إقامة الحجة أمام الرأي العام الدولي على أن شعوب المغرب
العربي لم تقبل أبداً الاحتلال الأجنبي وعلى أن القوات القاهرة والأساليب
السياسية للأكرة كلها لم تستطع أن ترضى للغلبة بالحقيقة المرة التي هي حكم
الفرنسيين والاسبانيين لبلادنا، وهذا الصراع الذي يجليه للناس هذا الكتاب
دون أن يكتم برامته وعوامل تطوره أعظم حجة على أن مشكلات المغرب العربي
ليس لها إلا حل واحد هو الحل المعقول العادل؛ غياب عهد الاستعمار، وإشراق
عصر الاستقلال العام الكامل.

ولقد بذلت جهدي في أن أكون أثناء عملية الأحداث التي مرت في هذه
الفترة من تاريخنا القوي وفي تعاليمها بعيداً عن كل تمصّب أو غرض خاص
لأنني أعتبر أن الحقيقة واضحة من نفسها، وأن محاولة تدعيمها بما لا يفتق والواقع

ليس من شأنه إلا أن يضربها ويعني عليها. وكذلك كان موقفى مع الحركات المختلفة
التي ورد لها ذكر فى كتابى ، فقد وفيت كلاً حقاً ، ونسبت لكل عامل عمله .
وسلاحظ الفارىء أن القسم للرا كشى أكبر الأقسام الثلاثة جميعاً وأغزرها
مادة . ول فى ذلك أهدار كثيرة ، منها أن ما عندى من الوثائق عن قضية
مراكش أكثر مما عندى عن القطرين الشقيقتين تونس والجزائر . ومنها أنى
أثرت أثناء شرحى لمبادئ حركاتنا التي هى فى الحقيقة مبادئ الأحزاب
الاستقلالية كلها أن أتكلم عنها باسم حزب الاستقلال الذى أمثله لأنى أملك فى
ذلك من الحق ما لا أملكه فى بقية الأحزاب الصديقة التي لا أشك فى أن زعماءها
مشاركون لى فيما أعربت عنه من أفكار . ومنها : أن بعض المسائل كالسلفية
مثلاً واتجاهاتها السياسية كان يمكن أن يكتب فى أثناء تاريخ كل حركة من
حركات الأقطار الثلاثة ، لأنها جميعاً شاهدت فى أوائل عهدها بالنهوض بهذه
الدعوة السلفية النبيلة ، ولكن كتابته فى كل قسم يصبح تكراراً لا فائدة له ،
وبما أن ازدهار هذه الدعوة فى مراكش كان موازياً تماماً للتطور الذى طرأ
على السلفية فيما بعد الحرب الكبرى — فقد كان ذلك مرجعاً للحديث عنها
فى القسم المراكشى .

والحقيقة أن الحركات المتريية — وإن تعددت أسماءها — حركة واحدة
تتشدد الحرية والوحدة والنهوض .

وإذا كان من حسن الذية شفيخ ، فإنى أعتز به من كل ما يمكن أن
يكون قد وقع فى هذا الكتاب من خطأ غير مقصود ، على أن الخطأ فضيلة
الإنسان ؛ لأنه علامة الفكر وعدوان الاعتبار ، وليس إلا الإنسان الذى يستطيع
أن يعمل من غير أخطاء .

وقبل أن أختتم هذه القائمة أشكر صديق الأستاذ أحمد المليح على مشاركته لى
فى الوقوف على طبع هذا الكتاب ، وتصحيح أغلامه المطبعية ، كما أشكر
مطبعة الرسالة على عنايتها وعظيم اهتمامها بى .

امتداد

إذا نحن بحثنا في تاريخ المغرب العربي وجدنا أن الوطنية بمعنى الدفاع عن النفس والذب عن الكيان والميل للحرية الفردية والاجتماعية صفة من أظرف الصفات التي امتاز بها المغاربة في جميع مراحل حياتهم ونجارهم التاريخية . فلم تقف أمة من الأمم ولا شعب من الشعوب في وجه الدولة الفاتحة أو العناصر الأجنبية المهاجرة كمثل ما وقفته أمة المغرب العربي في جميع عصورها . وإذا كان الفاتحون قد استطاعوا أن يغلبوا أحيانا على بعض أجزاء المغرب دون أن يمتلكوا الشواطئ أو ينفذوا لمراكش الممتنعة ، فإن وجودهم لم يكن وإن طال أمده إلا سرورا عابيا وعيورا لا يترك من خلفه أثرا ولا ذكرا .

وقد اختلطت على بعض الباحثين الغربيين بسبب ما يملك نفوسهم من توجيه استعماري بغيض مظاهر هذا الدفاع المستمر عن النفس وأعلام هذا الحب للحرية إلى حد الخلالة في الاعتداد التردى غسبها حبا في القوضى أو تطاحنا بين أجزاء البلاد ، واتخذوها دليلا على أن المغرب لا يمكن أن يكون وحدة قومية بمعنى الكلمة وعلى أنه لم يعرف الاستقلال التام في تاريخه ، وفوق هذا وذلك على أنه أقرب إلى الأمم الأوروبية الفاتحة اليوم من الأمم الشرقية العربية .

وقد كان العلامة جوتييه الفرنسي في مقدمة هؤلاء المغالين للتصبيين الذين يستعملون البحث وأساليبه ، والعلم وصوره أداة لخدمة الغايات الاستعمارية ، رغبة في تهميد الشباب المغربي من الاعتقاد في نفسه وتوجيهه وجهة الاندماج في الوحدات الأجنبية لينشد بذلك وحدة غير مغربية واستقلالاً غير وطني .

على أننا نحن المغاربة نحس من حاضرتنا وكفاحنا بما نشعرنا بأن مواطننا التي تدفعنا اليوم لمقاومة المستعمرين في غير هواة وفي غير بعض ، ليست إلا المواطن

التي كانت تملأ روح أجدادنا منذ أقدم العصور إلى اليوم . ولقد أنكر جنوبيه على المغرب العربي حتى اسمه التاريخي ، وهذا أشد ما يمكن من الفظاظات قد عرف المغرب من قبل أن يعرف الأرنج ببلاد إمازيغ أي الوطن الحر ، وعرف سكانه أسلاف البربر بالإمازيغن ، ومنعهاها الرجال الأحرار ، وهذه التسمية وحدها دليل على الروح التي كانت تملأ أسلافنا الأولين من حب للحرية والحر في وطن حر .

ولقد أطلق القدماء للصريون على هذه البلاد أمانتي أي عروس المغرب ، وصماها اليونانيون بالهيسبيريا أي المغرب ، ومن هنالك أطلق العرب والساميون قاطبة عليها اسم المغرب .

إذن فقد كانت دائما المغرب وكانت دائما بلاد الأحرار .

ولكن الأمازيغ عرفوا بعد ذلك باسم البربر ، ولقد حاول ابن خلدون أن يمثل ذلك باستعجام الكنعانيين لهم ، وحاول غيره أن يمثله باستعجام الرومانيين . وسواء صبح هذا أم لم يصبح فإنه يدل على أن كلمة البربر كانت تدل في لغة الكنعانيين والرومانيين على العبثية أو الكلام غير المفهوم بالنسبة إليهم . ومعتدنا أن هذا الإطلاق كان سابقا ، وأن وجوده هو الذي يكون الكلمة في اللغة الرومية أو الكنعانية إن صبح ما يدعيه الباحثون . وإذن فما أصل كلمة البربر ؟ ...

يروى للزورخ مومسان في كتابه تاريخ الرومان (فصل ١٧ جزء أول) أن من الأغاني الدينية القديمة في روما التي كانت تصحب رقص الكهنة على شرف مارس إله الحرب هذه الأغنية :

(Satur tu Fere Mars, Limen Sall i Sta i Berber)

ليكتف مارس الجباز . ارقصوا على السدد ، قفوا ، سيروا .

فكلمة بربر تدل على السرمة والسهرة ، وقد عرف في كتب المصر الأول أن الزورخين أطلقوها على البرابرة المقيمين على شاطئ النيل . ويقول رينان :

إن عائلة من الشعوب الناطقة بالبربرية كانت تمسك من مصر وحتى من البحر الأحمر إلى السينغال ، ومن المتوسط إلى النيجيريا . ويظهر أن البرابرة والتوارجة يمثلون الليبيين والنوميديين (الرحل) القدماء .

ومن المعروف أنه يوجد في شطب النيل واد يسمى بوادي البربر .

إذن فالإطلاق ورد على هذه العناصر ذات العائلة اللغوية الواحدة من جهة السرعة في كلامها أو إقامتها بشاطئ النيل السريع ، أو من حيث إنها كانت تمثل القبائل الرحل الذين يسرون من محل لآخر ، ومن هنالك دخلت في اللغة الرومية والسكنمانية . وأياً ما كان فهي تسمية قديمة قبل اليونان وقبل الرومان وأخرى قبل العرب الذين استعملوا هذا الاسم أيضاً قبل الفتح الإسلامي على خلاف ما يزعمه بعض المؤرخين ، فقد جاء في شعراهم القيس هذان البيتان :

على لاجب لا يهتدى بمساره إذا سابه السود النباطى جرجرا

على كل مقصوص الدنانى معاود يريد السرى بالليل من خهل بربرا

وهذا الاشتقاق اللغوي وحججه تدلنا على ما هو أعظم من ذلك ، وهو وحدة هذه العناصر التي تقيم فيما بين البحر الأحمر والمتوسط وتمتد إلى سينغال والنيجيريا . وهذه العائلة الإفريقية هي التي امتازت بحضارتها وحبا للعزلة ونضالها في سبيل العزة والكرامة .

ولقد شهدت هذه البلدان هجوماً أجنبياً واحداً ، وهجرة مشتركة من الشرق أحياناً ومن الغرب أخرى . ولكنها استطاعت في كل أوقاتها أن تحفظ بمشخصاتها الإفريقية ، وتدمج في عائلتها الناطقين واللغويين حتى تفرم ذهبيتها وأخلاقيها وعاداتها . وبذلك حفظت نبلورها القومي وكيانها السدود في وجه كل غاصب مها كانت قوته عظيمة ، واستعداداته جنسية .

ولسنا نريد أن نتكلم عن الحضارة المصرية وآثارها ، فإنها شيء لا يناقش فيه أحد ، ولكن الذي لا يعترف به المستعمرون هو الحضارة الغربية مع أنها كانت موازية لحضارة مصر ومشاركة في تكوينها . ولقد أثبت المؤرخون أن

مدينة قرطاج كانت معروفة في المغرب قبل مجيء الفينيقيين ، فهي مدينة أنشأها أسلافنا البرابرة كما أنشأوا غيرها من المدن التي تشبه في أساليب بنائها الهندسة المتوسطية ، ولقد كانت قرطاج عاصمة الملك البربري إرباس وكان يؤمها المهاجرون الفنيقيون للتجارة ، وانتشرت جالياتهم فيها وفي أطرافها حتى أصبحت فينيقية سنة ٨١٠ ، وهذه الجالية التي امتزجت بالبرابرة وتفرقت هي التي كوت الدولة القرطاجية التي لم تكن دولة فاتحة ، وإنما كانت عبارة عن تسلط أسرة أجنبية على القطر ، نتيجة لنشاط أكبر من نشاط الأهلين ، ولم تكن مقاومة المغاربة للقرطاجيين مقاومتهم لنجاح أجنبي أو دولة استعمارية متسلطة عليهم ، وإنما هي مقاومتهم لبعض الحكومات التي فرضت عليهم دون رغبتهم . ولذلك استطاعت قرطاج أن تمش في إفريقيا أمدا طويلا ، واستطاعت أن تمزج الحضارة السامية بالحضارة البربرية فتكون من عروس المغرب بلادا مغربية متحدة في لغتها وديانتها وأمانها ، لا تمكر على هذه الوحدة ولا ذلك الوجود القومي ثورات محلية من حين لآخر ، ولا خيانات يرتكبها بعض الإقطاعيين الذين يمدون أيديهم للأجنبي تقديما لمصالحهم الخاصة على مصالح الوطن العليا .

وأعظم مظهر لهذه الوحدة وأكبر حجة على أن المغاربة لم يعتبروا الفينيقيين دولة استعمارية . اتحاد المواطنين للماربة كلهم والتفافهم حول هانيبال بمجرد ما دعاهم لإنقاذ الوطن من المستعمرين الرومانيين ، ولقد كانت الحرب الفينيقية الثانية عنوان القومية المتجسمة في أحدث صورها ، إذ اجتمع المغاربة قاطبة حول راية واحدة يدافعون عن وطن محدود بمحدوده الجغرافية التي يسدها البحر من كل جهاتها فلا تنفتح إلا عن طريق الصحراء لتتصل بالبلاد التي ورد منها إخوان الفينيقيين ليهد من بعدهم لنور الإسلام ووحدة اللسان العربي .

وما كانت الأنهاء تصل بانتصار هانيبال في مواقعه واجتياز جيوشه المغربية مضائق البحار لمقاومة المستعمر في عتداده — حتى كانت الحملات تقام من طنجة

إلى قرطاجة ، والأعلام ترفع ، وأعاني القومية والحرية تتردد في شواهد الأطلس
وتجاوب في شواطئ النيل بعد أن تمر في قسبة وهاء الصحراء ليردها الحداثة
في أطراف الجزيرة العربية . وهكذا اعتبر المغاربة قرطاجة وطنهم والفينيقيين
إخوانهم وإن كانوا قاوموا استبدادهم في الحكم على مثل ما قاوموا الدولة
الفاطمية ، اعتزازاً منهم بقومية ضيقة كثيراً ما كانوا يضعون بها إذا دما دما
الوحدة لصالح إتياد الوطن والدفاع عن حريته .

ولقد استمرت قرطاجة قبل الهدم الروماني تسعة قرون كاملة واستمرت بعد
ذلك ستة أخرى . ولم يقض هدم الرومانيين لها ولا لمدن الحس التابعة
لحكوماتها ومنها تونس Thunes التي هي إحدى الأسماء اللبية القديمة الدالة على
معنى مكان لأنس الليل — على سامية أفريقية الشمالية التي غرستها الحكومة
الفينيقية ، أي لم يقض على وحدة هذه البلاد في لغتها ولا في اتجاهاتها القومية ،
وقد بقيت العملة فينيقية ، أي عربية ، واللسان العام في جميع أجزاء البلاد هو
اللسان الفينيقي الذي بقي اللسان الرسمي في العقود والوصايا وغيرها من المعاملات
حتى القرن الثالث بعد المسيح . وأند تكلم بلين Plin باحترام كامل عن الثمانية
والعشرين كتاباً التي كلف مجلس الشيوخ الروماني د . سيلانيوس D Silanus
بترجمتها إلى اللاتينية عن اللغة الفينيقية . وأند كان كايطوماشوا أحد خلفاء أفلاطون
ومن كبار الكتاب اللاتينيين يكتب باللغة الفينيقية ، وكذلك غيره من كبار
القرطاجيين واليونانيين المتصلين بالثقافة النورية الفينيقية . وقد أكد سان
أولستان القديس المنرى أن اللغة الفينيقية كانت في صده هي اللسان العام في
الشمال الإفريقي بزمته .

وقد اضطر الرومانيون أنفسهم لاستعمال الفينيقية في إداراتهم مع اللغوية
على ضرار ما تصطر اليوم فرنسا وأسبانيا لاستعمال العربية ، فكان القراصة
موجودين في كل المكاتب والصالح ، ولم يكن ذلك ناشأ من تسامح من
الرومانيين ، ولكنه اضطراب لتأدية الروح القومية المغربية التي كانت تضطر

المستعمر ولنته وتأبى استعمالها ولو عرفتها ، فقد ذكر للثورخ الغربي لوسيوس
ايبيليوس أثناء تحدته من ذهنية الأهالي الذين يرفضون التردد على المدارس
الهونانية ، ويقول من أحدهم : (إنه لا يتكلم إلا الفينيقية ، وأحياناً اليونانية
التي تعلمها من أمه ، أما اللاتينية فلا يعرفها ولا يريد أن يتعلمها) .

ويقول شارفيرا : « إن الفينيقية مثبتة هي اللغة المستعملة في أغلب الأوساط
حتى التي حسب أنها تارومت حداثاً » ، ويقول جوتييه : « إنه إذا كان البربر
قد استعربوا بسهولة فذلك على ما يظهر لأنهم لم ينسوا قط الفينيقية » ، ويروي
الجنرال بريمود في كتابه البربر والعرب من جوصيل في تاريخ أفريقيا الشمالية.
التقديم ما يأتي :

« إن العربية ذات رحم مع الفينيقية ، ولذلك أمكن بسهولة أن تحمل محلها »
ونحن لا بهما من هذا إلا إثبات شيء واحد هو سهولة تغلب النفوذ السامي
أو الشرقي على النفوذ الأوربي أو اللاتيني (ولا أريد أن أقول الغربي لأنني
أعتبر الساميين قاطبة في عداد الغربيين) في بلاد أفريقيا الشمالية ، وذلك بدون
شك لأن الساميين لم يكونوا قاطحين وإنما كانوا فاضحين وجوردهم ضمن السائلة
المصرية التي مرعان ما نسبت هذا الفرض أولاً وتأخذت معهم إذ وجدت فيهم
كل ما تحس به من عواطف وصفات متماثلة .

وعلى العكس من ذلك فإن الفتح اللاتيني وإن استمر خمسة قرون كاملة
فإنه لم يستطع أن يفرس لا في البلاد ولا في نفوس المغاربة أثرأما . وليس
ذلك لعلة الشرقية والغربية على ما نرى ، ولكن لأن روما لم تكن نهتم بأكثر
من الاستعباد واستغلال المواطنين وإتزاز خيراتهم فهي التي كانت تأخذ من
البلاد المفتوحة دون أن تعلم شيئاً ، فأسباب الفشل هي من طبيعة الرومانيين
المستعبدة التي لا تقدمها عطمت قوتها أن تحس القوة المعنوية للذين يؤمنون
بأنفسهم ويستمتتون في سبيل الحرية والوحدة .

ولقد حاول بعض المؤرخين المستعمرين أن يؤكدوا نجاح روما في أفريقيا

الشمالية ولكن الأدلة التاريخية كلها مجمعة على أن الفشل كان حليف السياسة الرومانية في المغرب العربي ، وقد أكد صرسيه وشارفيرا وفورنيل هذا الفشل الروماني الفريع . وقال براسيه : (إن روما لم تحاول قط أن تصبح الوطن الواحد ، وإنما كانت تستغل النخب في أوروبا وفي إفريقيا ، وهي لم تقدر قط على أن تكون حاملة للحضارة والمدنية ، ولقد حكمها ملوك البربر الذين تأروموها أحسن مما حكمت هي نفسها)

لقد كان القرطاجيون هم الذين بنوا الطارق وعبدوها في المغرب كما يؤكد ذلك إيزيدور ، ولكن الرومانيين هدموا كل ما بنته قرطاجنة .

وكان القرطاجيون هم الذين نشروا الوحدة والسلام في أنحاء المغرب ولكن أمبراطور روما نفسه لم يكن يستطيع التجول في شمال أفريقيا إلا مع جيش قوامه عشرات الآلاف .

ولقد كتب د . هـ . ميليه D . H . Muller إن روما لم تعرف قانون الأمن الجمالية النيةية القرطاجية في بلاد الرومان ، ومن المعروف ما لهذا القانون من الفشال ومع شريعة جوداني .

ولم يكن لروما في الشمال الأفريقي نهجية كبرى يمكن أن تؤثر في الأهالي كما يؤزم الاستعمارية ، وقد أكد ذلك حتى نسيولوى برتران المعروف بتعضبه ضد الإسلام وفي شليل المديونية للاخوين .

وبالحقيقة أن روما لم تستطع أن تقوم في الشمال الأفريقي بأكملها من المهتم . ولم يكن ذلك مخافها في المغرب من قبل فقلته مع كل البلدان التي احتلتها ، وبموجبنا أن نقل دليلا على ذلك بهذه القوة من كلام الجغراف برمودي (لم تنهر روما في أي ميدان من مملكته ولم يتكرر شيئا يدل تركت الكل يضيع ، وفي أثناء القرون السبعة التي منحت فيها عالم البحر الأبيض المتوسط ، لم يبدل هذا العالم بأحد هدم إنساني ، ولم ينجح من سيطر عليها في مجملها فيه ، إنما لم تستطع إلا أن تفرض قرا سياسيا وسيطرة مادية أدت إلى سقوط العالم للقديم وبالأخص في شمال أفريقيا) .

إن هذه الشهادة من جنرال فرنسي كانت 4 جولات في الحروب الغربية
أعظم دليل على أن العالم المتوسطى برمته لا يحمل للرومانيين أثر اطمئنان ولا
شعوراً بأى انعطاف أو انجذاب ، وليس ذلك إلا امتداداً حقيقياً للعاطفة التى
كان يحملها أبناء هذا العالم القدماء للمستعمرين الرومانيين ، ولقد وصل ذلك
بالأفارقة بصفة خاصة إلى الامتئانة بأعداء الرومانيين عليهم والانضمام للوندال
والبيزنطيين الذين سرعان ما وجدوا للمارضة الغربية حينما حاولوا بحل روما فى
الحكم والاستعمار .

رفض الفارمة كل رابطة تربهم من الرومانيين ، فقد تمسكوا بأولادهم
يوم كانت روما كافرة ، ودخلوا الأريانية يوم تمسحت روما ، وشلبوا
الأمستف القرطاجى الغربى فى محلته التى اشق بها عن البابوية الرومانية
بها الكنيسة الغربية ، ولكنهم رفضوا مشايعة القديس أوغستين الذى التحق
للأبائى وقدس روما فقاومه إخوانه ورأوا فيه خائناً لوطه يريد تهديد حواصنها
لروحانية الدولة المستمرة ، ولم يكن تفورهم من مسيحية روما الشرقية أقل
تفورهم من الخضوع لكنيسة روما الغربية ، لأن البيزنطيين يدينون
كما يدين الرومانيون بهاته .

ولكن قلوبهم انتمعت للإسلام ودعوته التى رأوا فيها أداة للتحرير
والاستقلال الوطنى ، إلى جانب الانعتاق الفكرى والروحى . ولم تكن الدعوة
الإسلامية فى نظرهم إلا امتداداً لمبادئ الوحدة الإلهية التى تتلهم مع طابع
الوحدة التى يريدونه ويعملون له .

وهكذا نجد فى تاريخ المغرب القديم صراعاً مستمراً بين قوتى العائلة
اللاتينية والعائلة التى تسمى اليوم بالعربية والتى تترب ذهنتها من مجموع
تأثيرات الحضارة المصرية واليونانية والسامية ، ولكننا نجد أن النصر كان
دائماً حليف هذه الحضارة العربية التى تكون الأساس الأصيل لحضارة البحر
الأبيض المتوسط ، ذلك الأساس الذى لا يبنى بالمادة بقدر ما يبنى بالروح ،

وذلك ما يساعد على تكييف الذهنية للقرية على مركب هذا الأساس الذي يحس بالقرابة الأصيلة بينه وبين سائر أنحاء العالم العربي .

على أن المغرب بالرغم من ارتضائه الإسلام ديناً والعربية لغة ، ظل دائماً معتمداً بوجوده الخاص ، ناشداً مكانه تحت شمس العروبة ، غير راض أن يكون في مؤخرة القافلة العربية أو بعيداً عن مركز القيادة منها ، وافتد ظهر تبلور إخلاص للمغرب للعروبة يوم تأسست الأمر للقرية المالكية من صميم البربر دون أن تنكر في غير امتداد الحكم الإسلامي والسلطان العربي إلى ما وراء البحار ، لتشر السلام المغربي وطبع الحضارات المحلية بالطابع العربي المحض ، وتجلت إلى جانب هذا التبلور روح قومية مغربية بكل معانيها ، وهل هناك دليل أكبر من أن يموت المهدي بن تومرت مؤسس دولة الموحدين وهو من قرى الجنوب المراكشي ، ويترك الخلافة من بعده لعبد المؤمن الجوهري من بلاد الحراثر ..

فالقومية المغربية موجودة منذ القديم بما قبل الإسلام وهذه ميثوقة في كل الآثار المغربية التي سلفت من عوادي الدهر ، وإليك لتجد في كتب ابن جبير وابن خلدون وفي شعر ابن هانيء مقتضى المغرب وغيرهم ، من الأدلة الواضحة على تماسك المغربي بوطنه ، ووجه لهبلاده ، وتفضيله لما حق على الأوطان الشقيقة ما لا يجده في أكنار أديان الأمم المعاصرة لهم ، وهذه الروح القومية هي التي دعت بامتنا للاستبسال في سبيل الذب عن كيانتها طيلة المصور الوسطى الأوربية كلها ، خصوصاً وقد نالت عليها هجمات عديدة من دولتين شديدتي التعصب هما أسبانيا والبرتغال .

واليوم وقد تألبت دول الاستعمار الأوربي على العالم العربي والإسلامي جميعه وكانت أقاليم المغرب العربي في مقدمة من نكب بهذا الاستعمار ، فقد سجل أيضاً في تاريخه الحديث ما لا يقل عن بطولة أملافة الذين قاوموا الغاصبين الأولين وممدوا في وجوههم برغم ما لهم من قوة وما عندهم من بأس .

لقد طال أمد الاستعمار الرومانى والبيزنطى والوندالى فى البلاد ولكنه لم يستطع أن ينال من معدنياتها أو يقضى على شخصياتها ، وها هو ذا الاستعمار الفرنسى والاسبانى يزاد طغياناً علينا اليوم ويحسب أنه بالإرهاب والسف والكيد للعروبة وللقومىة سيقضى على وجودنا كأمة عربية مستقلة ، ولكن التاريخ سيعيد نفسه وسيفتى هذا الاستعمار كما انتهى من قبله ولن يبق من أثره إلا ما يسجله من صفحات الكفاح العرى ومن ضف منوى لتعلميان الأوروى . إن طغيان روما وعدم مقدرتها على غير الاستغلال قد تجدد فى الدين يفتخرون اليوم بأهم وراثوا الإمبراطورية الرومانية فى القرن العشرين ، وإن بطولة المغاربة واستماتهم فى سبيل الحياة الحرة التى عشتها أسلافهم الأمازيغ والعرب لتتجدد هى لأخرى فى نفوس شعب الشمال الأفريقى الذى يحتشد اليوم ضمن هذه الحركات الاستقلالية ليرفع عار الاحتلال ويستخرج من الفاصيين الاعتراف بالحرية والاستقلال .

وهذه الصفحات التى يرضها هذا الكتاب ليست إلا امتداداً لسجل الكفاح الوطنى فى المغرب العرى ، وسيرى فيها القارىء سر الأسلاف ، وروح السالة ، وتحرر الأمازيغ ، وشهامة العرب ، ودهوة الرسالة الخالدة . وإن الصراع اليوم على المغرب فى أشد ما يكون بين نفوذ الشرق العرى ، وبين نفوذ الغرب اللاتينى ، وإن المغرب قد احتار ، وإن المصر حليف العروبة باختياره ، والحرية بكفاحه ، وذلك هو محله للقبل الذى يبنيه اليوم بالحرق والدم ويقوم على تشييده أبنائوه الاستقلاليون الأبرار .

فجاء المغرب الأوسط
أو
الجزائر



في العام الماضي تقدم وفد من حركة انتصار الحريات الديمقراطية التي ليست
إلا مظهراً رسمياً لحزب الشعب الجزائري إلى الولاية العامة في الجزائر يطالب بنقل
رطات بقال الاستقلال الجزائري الأول الأمير عبد القادر من مرقده في ضواحي
دمشق إلى وطنه الأصلي بالمغرب الأوسط ، ولم يقصد هؤلاء النواب الأحرار بهذا
المطلب الذي يلحون عدم استمداد الوالي العام الفرنسي لتحقيقه ، إلا تأكيد
ما صرح به زعيمهم السيد مصالي الحاج حين قال : « إن حركتنا ليست
إلا رفماً جديداً لأمير عبد القادر الذي اضل طيلة خيانه عن حرية الشعب
الجزائري واستقلاله » .

وإذا فحركة الاستقلال القائمة الآن في بلاد الجزائر ، ليست إلا امتداداً
لحركة المقاومة الأولى التي ظل الأمير عبد القادر ومن بعده قائمين عليها مستهينين
على سبيل مثلها العليا مند هجمت قوات المارشال دوبرمو على سيدى فرج في
١٣ يونيو سنة ١٨٣٠ .

لقد اعتدت فرنسا على الجزائر في وقت كانت السيادة فيها للدولة العثمانية
التي لم تستطع من المقاومة إلا قليلاً ، ولكن ما استسلم الولاة الأتراك بالجزائر
حتى كانت المقاومة العربية أولاً قد ابتدأت بفضل وصول الجيش للراكشي
(في أكتوبر سنة ١٨٣٠) إلى مدينة تلمسان تحت رئاسة القائد لراكشي
أبي الحسن على الذي استطاع أن يؤلب قبائل البلحية كلها تحت رايته لمقاومة
الفرنسيين ، ورفض الاستسلام التري . وبعد أن انضم إليهم محبي الدين قررنا
تأييد سلطان المغرب في الجهاد لحماية المغرب العربي من الاعتداء الأجنبي . ورغم
الدسائس الفرنسية التي عينت بابا تونس على حماة وهران لضرب العرب بعضهم
ببعض فإن التضامن العربي في المقاومة كان قد تأسس ، وزاده قوة تنزه الأمير

عبد القادر عن قبول أية صفة من صفات الحكم ، إلا على كامل الاتفاق مع الحكومة المراكشية . وبعد أحداث وتقلبات لا يسع المجال ذكرها أسس الأمير عبد القادر الأيالة الجزائرية المستقلة عن الفرنسيين وعن الترك معا . وكون جهة قومية متحدة أمام العدو فهبت بذلك في نفوس الجزائريين شعوراً بروح وطنية وحرية طالما أخذها الاضطهاد التركي والاضطراب القبلي . ولعل من أكبر دلائل البوع و الذكاء في عبد القادر تنبيهه لضرورة تضامن شعوب المغرب العربي للدفاع عن نفسها . ومن الحق أن نتعرف بأن عدم استمرار الدولة المراكشية في تأييد مقاومة الجزائر لأسباب فاهرة ، وعدم انتباه التونسيين للخطر الفرنسي إلى جانب الإهمال الصليبي قد أدى إلى هجوم الفرنسيين على السلم العربي وتقسيم السكسونيين واللاتينيين لشعوب العربية كلها .

ومن أبطال المقاومة الجزائرية أبو معزى وهو مراكشى من أولاد سيدى الطيب بسواحي وزان ، دخل الجزائر حوالى سنة ١٨٣٥ ، وقدم بنشر دعاية ضد الفرنسيين في مساطق وهران الجنوبية ، ثم انتقل إلى زواوة بحث أهلها على الجهاد فاستطاع أن يجمع حوله خلقاً كثيراً . وبما أنه كان مستقلاً في حركته عن الأمير عبد القادر الذي كان يلقب بالأمير أولاً أنه يمكنهم الاعتماد عليه في إضفاء سلطة الأمير ، ثم قادوا يدهون معه بعد أن نازحهم سنتين كهدم فيها خصائره فادحة ، وتوج عمله بالانضمام إلى الأمير عبد القادر الذى عينه خليفة له على جبال زواوة ، فقاتل معه إلى أن اضطر الأمير سنة ١٨٤٥ إلى الالتجاء لمراكش فقاد أبو معزى إلى الجزائر واستمر في قتله . ولما عاد الأمير في نفس السنة انضم إليه مرة أخرى أبو معزى والتفت من حوله كافة قبائل وهران والجزائر وسجلوا النصر العظيم على الفرنسيين في معركة سيدى إبراهيم بعرب جامع المرات ، الأمر الذى اضطر من أحله « بيجو » لطلب جيش قوامه عشرة آلاف جندي قسمها إلى ثمانية عشر جحفاً طارد بها الأمير وحماؤه ، فوقف أبو معزى وقفة عظيمة ، واستمر في القتال حتى تغلبت عليه هذه الجحافل ، واضطر للاستسلام

خامسة قتل في حصن (هام) بشمال فرنسا في نفس الغرفة التي كان نابليون الثالث
معتقلا فيها قبل توليه الحكم . وبعد ما وقع المفور عنه انتقل لتركيا حيث رحب به
العثمانيون وخصصوا له معاشا .

وفي حرب القرم انضم للجيش العثماني وقايل في صفوفه وسقط في التوقار في
أسر الروس ، ثم تولى في مدينة باطوم .

وقد ادعى من بعده ستة أفراد جزائريين أنهم هم أبو عمرى ، وبعضهم
ادعى أنه أخوه ونسب باسم مولاي أحمد أبو عمرى . وقد جرح هذا الأخير في
إحدى المارك وأسرى ، ثم أحيل على المحكمة العسكرية فكان موقفه رهيبا ،
وجرى بينه وبين رئيس المحكمة الحوار الآتى :

— سأله الرئيس من أنت ؟ قال : أنا أبو عمرى .

— لماذا قاتلت فرنسا ؟

— لتكونها دولة باغية طاغية معتدية علينا .

— ألم تر أن العرب انضروا إلينا ؟

— هؤلاء العرب قبيحون : الأكثرية منهم أبرياء يخافون على حياتهم ،
والأقلية سيدة خوة لا يمحذون إلا من إرضاء الحاكم مما كان ، ومن يوشح
صدورهم بشرية أخرى .

— ماذا تنتظر منا ؟

— لا يهمنى ما أنتظروه منكم .

— وإذا أطلقنا سراحتك ماذا تفعل ؟

— أعود للجهاد في سبيل الله .

— وإذا قتلناك ؟

— سأقدم لله ناطقا بالشهادتين .

— وإذا سجدناك ؟

— سأقضى أوفائى عابدا طالبا من الله أن ينصر العدل على الظلم .

— لماذا نسكروها ؟

— لأنكم ظلام طغاة .

وقد حكم عليه بالسجن ثم أطلق مرارته بعد ذلك .

وفي سنة ١٨٤٩ امتدّى حاكم الزعاطشة (قبيلة في جنوب قسنطينة على مقربة من مدينة بسكرة) على قائدها السابق الذي كان مميّناً عليها من طرف الأمير عبد القادر ، وهو القائد أبو زيان ، فأخذ هذا يمرض الأهالي الذين كانوا استسلموا لفرنسيين سنة ١٨٤٧ على استئذان القتال . وملا الثغ من حوله جمع تمكن من القضاء به على جحفل فرنسي كان ماراً بقرب بسكرة . فأرسل عليه الفرنسيون حملة تاديبية قوية حاصرت هذه الواحة التي لم تسكن تؤوي أكثر من ثلاثة آلاف من السكان كلهم غراس نخيل . ومع ذلك فقد قاوموها ستة أشهر كاملة . وتمكن أبو زيان من الانتصار على ثلاثة قواد فرنسيين أرسلوا بالتتابع للقضاء على هذه الواحة البسيطة إلى أن اضطر الحاكم العام لتجهيز جيش قوامه عشرة آلاف مقاتل و ٤٥ مدفعاً وعدد كبير من المهندسين العسكريين المختصين في فن الألغام . ومع ذلك فلم يستطيعوا التلمّص على الواحة إلا بعد قتال شديد دار بين النخيل وفي أرجاء البيوت وتسكّد فيها الأهالي أكثر من ألف قتيل . وبعد ما احتل الفرنسيون الواحة أمر القائد العام الجنرال هيريو الكونونيل كريبير الذي أصبح بعد مارشالاً فرنسياً أن يتوجه بالجيش للتكامل بجميع من بقى من الأهالي بما فيهم النساء اللاتي شاركن جنباً لجنب مع الرجال طيلة أمد القتال . وقد حشر الجيش بقية الأهالي في الواحة ، ثم أسفروا بعد ما قبضوا على أبي زيان الذي كان جريحاً وقطعوا رأسه ورؤوس أولاده الثلاثة الذين لا يتجاوز أعمارهم ست عشرة سنة . وأرسلت هذه الرؤوس وذهرها لبسكرة حيث علقت على أبواب المدينة . أما السكان فلم ينج منهن أحد ، فابعض مات في أثناء القتال ، والآخرون قتلوا بالحرب بعد استسلامهم ومن بينهم ١١٧ امرأة .

استمرت هذه الحرب القومية للدفاع عن استقلال الجزائر مدة ثمانية عشر عاماً انتهت بانتصار القوة الفاشية على الحق ، وكانت خلالها السلطات الفرنسية تفرس نفوذها في باقي البلاد ، ولكن تزدح في غرس الأهالي روح الثورة الداعية التي سخرى كيف كان الضغط يحمدها أحياناً ، ولكن طموحها للتحرر يبعثها لتعلن حكم الشعب الجزائري الذي لا يرضى بالحرية بديلاً

ولقد كان التكتيك السياسي الفرنسي ماهرآ في التلويح بتهافت الحرية والمساواة في حظيرة الأخاء الفرنسي كما دعا لذلك داعي الضغط الفرنسي ، حتى يتحول بحري الحركة التحريرية إلى بحري مطالبة للتساوي بين العناصر الساكنة في البلاد ، وسخرى كيف تولدت هذه السياسة وكيف تولدت الحركة الجزائرية بما يقتضيها .

ففي سنة ١٨٣٤ ضمت الجزائر لفرنسا بمرسوم من لويس فيليب ملك فرنسا إذ ذاك ، ولكن هذا الانضمام لم يكن له أثر مفعول ، إذ كانت الحرب الفرنسية الجزائرية على أشدها . وفي سنة ١٨٤٦ قررت فرنسا اعتبار الجزائريين فرنسيين واعتبار الجزائر بلداً مفتوحاً ، وهذا القرار هو الذي لم يحد الفاصل بين استقلال الشخصية الجزائرية وبين الحكم الفرنسي المباشر ، وهو الذي قصى على كل أصالهب الجامعة في العلاقات ، ولذلك يسميه الأهالي الجزائريون بتاريخ ابتداء حكم السيف ، واستمر حكم الإرهاب هذا حتى جاء الامبراطور نابليون الثالث فأصدر في سنة ١٨٦٥ مرسومه المشهور (سيناتوس كونسيت) الذي أعلن فيه مساواة الجزائريين للفرنسيين في الحقوق والواجبات مع السماح لهم بالرجوع في أحوالهم الشخصية إلى أحكام الشريعة الإسلامية ، وقد زار الامبراطور بلاد الجزائر حيث ألقى خطبته الشهيرة التي استهلها بقوله : « إنني أعدد نفسي امبراطور الغرب كما أنني امبراطور الفرنسيين ، وكاهم في نظري متساوون » .

وإذا كانت سياسة نابليون ترمي إلى مدى بعيد فإن للمستعمرين الفرنسيين الذين كانوا قد رحلوا إلى الجزائر قاروا على هذه التسوية المزعومة ، وقاموا بكل ما لهم من جهد سياسة نابليون مبرهنين بذلك على ما استمروا عليه من تقديم

مصالحهم الخاصة والمستعجلة على مصالحة فرنسا نفسها .

وإذا كانت هذه الحارة الأبراطورية لم تستطع أن تقف على مشارف المستعمرين لكل ما من شأنه أن يحسن حالة الشعب الجزائري أو يحميه ببعض حقوقه فإنها قد استطاعت أن تجعل من مشروع نابليون مثالا عالياً تلوح به فرنسا للعرب ، وسبباً حاداً حول وجهة للقائمة العربية عن المطالبة الصريحة بالاستقلال إلى المطالبة بالمساواة علناً منها أن الوصول إلى هذه الغاية أسهل بكثير من الوصول للحرية القومية الكاملة ، واعتقاداً منهم بأن الاستقلال الذي همروا من بلوغه بطريق الحرب لا يمكنهم أن يبلغوه إلا بطريق التدرج في المطالبة . وما سقطت الأبراطورية سنة ١٨٧١ وأعلنت حكومة الجمهورية الثالثة حتى تقدم غامبيتان رب الجمهوريين وإلههم المبود بعمليتين خطيرتين جدد بهما لم يتعهد الشعب الجزائري ، ذلك الاستعباد الذي لا يزال الجزائريون يرزحون تحت يده إلى الآن في الأول قانون كريمو (وزير العدل اليهودي في حكومة غامبيتان) والثاني قانون الذي جعلت فرنسا بموجبها يهود الجزائر صفة المواطن الفرنسي لتكثير صفوف الكاثوليك في هذه البلاد . والثاني إصدار عدة مراسيم استثنائية خدش على المسلمين الجزائريين من أوضاعهم بمقتضاها من دائرة الحق العام ، وجعلهم تحت التصرف المطلق لحاكم الجزائر العام وإدارته ، وبموجب ذلك أصبح للإدارة الحق في اعتقال كل جزائري يشك في ولائه للسيادة الفرنسية ، وكذلك طرده من البلاد وحجز أمواله ومصادرة أملاكه . وقد أوغل غامبيتان في هذا الاستثناء فضع حكومة باريس والبرلمان الفرنسي من حق التدخل في أعمال الولاية العامة الراجعة لاضطهاد الأهالي من أجل توطيد دعائم الحكم الفرنسي في الجزائر .

رد الفصل ١

ولكن الشعب الجزائري لم يقف إزاء هذا التصرف الجائر مكثوف الأيدي بل اندفع يعلن غضبه المطلق على السلطة الفرنسية وتدخلها في الشؤون الدينية

للمسلمين ، واتخاذها سياسة التفرقة المبنية على الميز العنصري والاضطهاد المذهبي ،
 اندلعت ثورة كبيرة شملت كل بلاد زوارة ومقاطعة قسنطينة وحمالة الجزائر ،
 وكان يترعها الباشا أعا الحاج محمد المقراني والشيخ محمد الحداد شيخ الطريقة
 الرحمانية الدرقاوية .

استمرت هذه الثورة الخطيرة ستة أشهر كاملة كلفت المسلمين ما لا يقل
 عن مئتين ألف شهيد ، وكلفت الفرنسيين عشرين ألف قتيل ، ولم يتخمد إلا
 عند ما أسرع بيسارك بإطلاق سراح الجيش الفرنسي الذي كان مبعثلا في ألمانيا
 (بعد حرب السومين) ، فقام هذا الجيش بالتنكيل بالثائرين ، وقد استشهد
 الحاج محمد المقراني يوم ٥ مايو سنة ١٨٧١ وخلفه من بعده عمه الشيخ أبو مزراق
 وليس من الممكن لنا أن نصور في هذه المجاعة مقدار الفظائع التي ارتكبتها
 الجيش الفرنسي في قمع هذه الثورة ، ولكن يمكن لنا أن نحيل القارئ إلى كتاب
 السيد أوجين رين الذي سماه (الإخوانية) فإنه يجد فيه من صور الوحشية
 ما يثير الإحساس ويهيج النفوس .

وبعد أن استسلم الثوار حكم على ستة آلاف منهم بالإعدام ، وأقصى
 أبو مزراق والشيخ الحداد وابناء محمد وعزير إلى جزيرة كاليدونيا الجديدة في
 الحطاط الهادي ٣ ونعم خمسمائة من أعيان الثوار ، واستمروا في هذا المنفى النقي
 حتى ماتوا جميعا . أما الجزائريون فقد حكم عليها بفرامة قدرها ستة وثلاثون
 مليوناً من فرنك ذلك الوقت ، ولما عجزت القبائل عن دفعها قرروا مصادرة
 أملاكهم وأجلاءهم فيها ، واحلال مهاجري اللازيس والتورين الذين اختاروا
 الحكم الفرنسي فيها .

وبرغم نجاح الفرنسيين في إخماد هذه الثورة بوسائلهم المصطنعة ، فإنه كان
 لها أثرها البعيد في نفوس الجزائريين عامة ، وسرمان ما أعقبتها ثورة كبيرة في
 حمالة وهران يترعها الباشا أعا سليمان بن حمزة قائد أولاد سيدي الشيخ ، استمرت
 خمس سنوات كاملات بدون انقطاع . واستشهد أثناءها الباشا أعا المذكور

بعد ما قتل بيده الجنرال بويريتي المعروف بجلاء زواوة .

وفي سنة ١٨٨٢ قامت ثورة قبائل الهراية بزعامة الشيخ أبي عصامة
للمراكشي واستمرت إلى سنة ١٨٨٥ .

والى جانب هذه الثورات المسلحة كانت حركة للطالبة السلمية تنظم من
حين لآخر وتطور بحسب ما تقتضيه الظروف السياسية ، وأول حركة من هذا
النوع كانت سنة ١٨٧١ — حيث اتهز السيد محمد البدوي أحد مفتي مدينة الجزائر
فرصة ثورة الصوم التي قامت ببدريس ، فظم هيئة تعاليم بمنح حقوق كاملة
للجزائريين ، ولكن عملهم لم يستمر إلا بقليل ما استمرت ثورة العموم الباريسية ،
وفي سنة ١٨٩٢ أحس الفرنسيون بمظاهر الاستياء العام في الشعب الجزائري ،
فحاولوا التحويه على أبناء البلاد ببعض الإصلاحات الجزئية والمشوكة ، فأسسوا
النيابات المالية على أن يكون ثلث أعضائها من الأهلى ، والثلثان من الفرنسيين .
وفي سنة ١٩٠٤ أخذت مراكش تتحرك للدفاع عن نفسها ضدًا على
الاحتلال الفرنسي الإنجليزي ، فأثرت حركتها على عمالة وهران التي تجاور شرق
مراكش ، فقامت على ما كانت تكون هناك جماعة أطلق عليها البعض جماعة للصوم
فكشها ، أخذت على ما كانت المعتيال كل حاكم فرنسي أو رئيس جزائري منهم
من الأيدي ، وأرسلت من الأبطال أبو زيان القسي (١) .

وقد شهدت هذه الفترة أيضاً شكل هجرة احتجاجية للأراضي
العثمانية سنة ١٨٩٨ ، ولما كان هذا كبير من المآلات المحزنة إلى
للشرق وتركيا فراراً من الحكم الفرنسي ، وعلموا جيداً بأن يتجهنوا
الفرص اطلب النجدة من الدولة العثمانية التي ظلت الجزائر تطلق عليها أملاً كبيراً .
وفي سنة ١٩٠٦ بدأت الأقلام الجزائرية تتحرك للمطالبة بالمساواة ، إذ تكون
الرحيل الأول من للتفنين المصريين الذين درسوا بفرنسا ورجعوا إلى بلادهم
فأخذوا يبحثون عن وسائل لتحسين حالة أمتهن ومقاومة الهد الحديدية التي تضغط

(١) طلبة قبيلة من قبائل الربل للمراكشي .

عليها . وقد كان على رأس هذه النخبة الأستاذ أحمد أبو حنيفة أول محام جزائري تخرج من كلية الحقوق بباريس (بعد مئتي ٧٥ سنة على الحكم الفرنسي في الجزائر) ، والصحافي السيد صادق دندان ، والدائب المالي الحاج حمار . أما برنامجها فقد كان للمطالبة بالإصلاح على أساس قانون سنة ١٨٦٥ ، وأما غايتها فقد كانت العمل على تحقيق الجامعة الإسلامية ، ووسيلتها - زيادة على الدعاية الداخلية - الاستعانة بالدولة العثمانية ، ووضع الآمال الكبيرة في رجالها . ويجب أن لا ننسى لهذه الفئة المجاهدة الحملات العنيفة التي قام بها السيد صادق دندان لتأييد الاستقلال المراكشي والتشجيع على غزو فرنسا المراكشي .

ثم أعلنت الحرب الكبرى سنة ١٩١٤ فحشد الفرنسيون أبناء المغرب العربي وخصوصاً الجزائريين ، فأخذ هؤلاء يفرون من الجندية ويتجهون الكثيرون منهم إلى شواطئ الجبال حتى بلغ عدد اللاجئين مائة وعشرين ألفاً ، ونشأ عن ذلك اضطراب كبير أدى إلى مظاهرات عنيفة قتل فيها عدد من الموظفين والمعلمين الفرنسيين من بينهم العامل كامب لوني والمدير الرئيس مارساي . وقارنت ذلك حركات منظمات في لندن تنادى بالتححر وتطالب بالبعلاء ، وفرت فرق من المجدين الأهالي إلى صفوف الدولة العثمانية من أهمها فرقة البوطلما الحاج محمد بوكارويا ، فأخذت حكومة باريس تشر بالخطر الذي يهددها من الجزائر ، والتجأت إلى سياستها التقليدية التي هي الوعود الخلالة والتلويح بالكذب . وهكذا يمث المسيو بزيان رئيس الوزارة الفرنسية للمسيو كليمنصو الذي كان في ذلك الوقت رئيس لجنة الخارجية في مجلس الشيوخ والمسيو ليق الذي كان رئيس الشؤون الخارجية في مجلس النواب كتابا يعترف فيه رئيس الحكومة بأنه قد حان الوقت الذي يفسح فيه المجال للجزائريين كي يتمتعوا بسائر الحقوق المدنية .

وما انتهت الحرب سنة ١٩١٨ حتى تشكل وفد من الصباط الجزائريين يترأسه الأمير خالد وتقدم إلى الرئيس ولسون وهو في فرنسا بطلبه بتطبيق أباديء الولسونية على الأمة الجزائرية .

ولم يكن هذا الوفد إلا محاولة أولى لتكوين حركة سياسية واسعة النطاق ،
 كما أصدرت فرنسا سنة ١٩١٩ قانون ٤ يونيو الذي قرر منحها الفاء قانون
 (الانديجينا) وتوسيع الحقوق الممنوحة للجزائريين فيما يخص انتخاب نوابهم في
 المجالس البلدية والمالية حتى أحيل الأمير خالد الذي كان ضابطاً بالجيش الفرنسي
 على التقاعد ، وعاد إلى الجزائر حيث شكل جبهة سماها «كتلة المستعبيين» (بالفتح)
 المسلمين الجزائريين ، وقد قامت هذه الكتلة تحت زعامة الأمير بحركة قوية
 عرّضت إلى أسيرين :

أولاً — الحصول للجزائريين على كامل الحقوق .

ثانياً — إصلاح أسوأ الممارسات الاجتماعية .

ومن أهم المطالب التي عارضت عنها هذه الكتلة إيقاف الهجرة الأجنبية للبلاد
 الجزائرية على أساس أن الجزائر للجزائريين . وقد أسس الأمير نقشبتي
 والنضال عنها جريدة «الإقدام» التي كان يصدرها بالفتن العربية والفرنسية .
 والحقيقة أن هذه الحركة لم تكن إلا رد فعل عنيف للارهاب الفرنسي ،
 ولذلك كانت في طبيعتها عذيفة قوية . ولكن كان ينقصها التدقيق في برامجها
 والتهلؤ في مبادئها ، ومع ذلك فقد وصلت بأسلوبها الشديد إلى زعزعة النفوذ
 الفرنسي من نفوس الأهالي الذين كان الرعب يملأ قلوبهم ، وسمحت للاحساس
 القومي للثبوت أن يتفجر بحسرة جبروت المستعمر وطغيان الحاكم .

وقد تأمر المستعمرون وعدد كبير من النخوة على الأمير ، فطلبوا إخراجه
 من بلاده ، ولما كان إلغاء قانون الانديجينا يحول بين الإدارة وبين إقصاء الأمير
 بنخير حكم شرعي فقد طالب المستعمرون بإعادة قانون الانديجينا الملغى . ولم ينتظر
 الوالي العام المسمى ستيف رجوع هذا القانون ، بل طبقه على الأمير بصورة رجعية ،
 بقرار إبعاده عن الجزائر ، فالتجأ إلى مدينة الإسكندرية .

ولما سقطت وزارة برانكا ربه سنة ١٩٢٤ وانتصرت كتلة اليسار بزعماء بلوم
 وهيريو سمح للأمير خالد بالعودة لفرنسا حيث أسس لجنة من أبناء الشمال الأفريقي ضمت

صدداً من العاملين ، من بينهم السيد مصالى الحاج (رئيس حزب الشعب الجزائري اليوم) وعبد القادر بن الحاج على وعبد العزيز المنور والسيد على الحماي من مراکش ثم عاد إلى الإسكندرية ، وقد اشتد القتال بين الفرنسيين وبين إطل الريف الزعيم عبد الكريم في سراكش . قام الفرنسيون الأمير خالد سنة ١٩٢٥ بانتاسر على فرنسا وهجم البوليس الإنجليزي على منزله ، وقد اعتبر هذا العمل مهيماً له فطلب القنصل الفرنسي للبراز ، وعد السفير جايار بدوره عمل الأمير إهانة لفرنسا فطالب بإسماها حكومة مصر بإخراجه من بلادها ، فأخرج مكبولا بالحديد إلى سوريا حيث أتى إلى أن مات في سنة ١٩٣٦ .

وأما الدعوة التي أشرها الأمير خالد أثناء إقامته بفرنسا بين الجالية المراكشية والجزائرية فلم تضع مذهباً ، بل استمرت في نشاط لا يمكن لمؤرخ الحركة في الشمال الأفريقي أن يتناساها سواء فيما يرجع إلى الجزائر أو سراكش ومن أهم مظاهر هذا النشاط المؤتمر المغربي الذي انعقد لمعالجة شئون الشمال الأفريقي السياسية والاقتصادية والثقافية في أواخر سنة ١٩٢٤ ، وكان في جملة مطالبه حرية الصحافة والقول ، والتعجول للدهاية من أجل القضية المغربية ، وإنهاء قانون الأندلسيين .. الخ . وقد ختم أعماله ببعث برقية للشعب المراكشي في شمال المغرب الأقصى وزعيمه عبد الكريم ، وأخرى للشعب المصري والتونسي . ومن المفيد إثبات نص البرقية الأولى :

« إن الميل المماراة لمعامل الناحية الباريسية المجتمعين بمؤتمرهم الأول في هذا اليوم التاريخي ٧ ديسمبر سنة ١٩٢٤ يهتفون إخوانهم المراكشيين وزعمهم البطلي عبد الكريم بانتصارهم على الاستعمار الإسباني ، ويصرحون بتضامنهم معهم في كل ما من شأنه أن يحرر بلادهم ، ويشاركونهم في مختلف استقلال الشعوب المضطهدة وسقوط الاستعمار العالمي والاستعمار الفرنسي » .

إن هذه البرقية وحدها دليل على الروح التي كانت تملأ المواطنين منذ ذلك العهد ، والتي كان الاستعمار يكتبها في الداخل ، ولكنها تعهد من النظام

الديموقراطية في فرنسا وسيلة للتعبير عن نفسها . أليست هذه التحية البيلة منطوية على كل برامجها القومية الذي تناضل عنه اليوم : الاستقلال التام ، والتضامن مع الشعوب العربية كلها ، والعمل على تحرير الشعوب المستعبدة في كل مكان ؟ لقد استجمرت حركة إخواننا في باريس ، واكتسبت عدة ألوان يهتما منها في موضوعنا هذا اللون الجليل الذي سيخرج بحركة المقاومة الجزائرية من طورها القديم المتروك إلى طور جديد بالجدة والعمق . فهذا اللون هو تأسيس « جمعية نجم شمال أفريقيا » التي كانت في بدنها الأول عبارة عن هيئة إعانة للمقاومة ، ثم أصبحت في مارس سنة ١٩٢٦ جمعية سياسية تعمل للدفاع عن كيان المغرب العربي وتطالب بحقوقه ، وأسست لها جريدة باللغة الفرنسية تحمل اسم (الأمة) . وقد بذات هذه الجمعية مجهوداً كبيراً في تنظيم العمال المغاربة بفرنسا وترتيبهم تربية سياسية واحتماية على غرار الأحزاب السياسية الفرنسية ، ومن الحق أن نقول ما قام به رئيسها السيد مصالي الحاج الذي ظل هو وإخوانه العمال المراكشيون والجزائريون مثل الكفاح المتجرد والتضحية النادرة . وبما أن هذه الجمعية قد ضاعفت نشاطها وطالبت بالتححرر الكامل للشمال الإفريقي في لحظة عظيمة لم يهدها الاستعمار الفرنسي من قبل ذلك فقد رأت فيها حكومة فرنسا خطراً قوياً لا يمكن إهماله . مقاومتها بأمرين : أولاً نشر دعاية قوية ضدّها عليها في الجزائر وتونس بدعوى أنها فرع من الحزب الشيوعي ، وبكوبها متطرفة في مطالبها ولا تريد العمل إلا لصالح موسكو والشيوعية الدولية ، وقد اغترت هذه الدعاية نواب الجزائر وأنصارهم . وثانياً : قدم وكيل الجمهورية بمحكمة السين دعوى على « نجم شمال أفريقيا » فأصدرت المحكمة حكماً بحلها في ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٢٩ لأسباب لم تعين ، ولكن هذا الحكم لم ينفذ قط بصفة رسمية ؛ الأمر الذي سمح لرجال الجمعية أن يستأنفوا نشاطهم فيها بعد أن مضت ستة أشهر من صدور الحكم وعدم تنفيذه طبقاً لقاعدة ١٥٠ من قانون المظرة للدنية . نعم : إن نجم الشمال الأفريقي صار بعد ذلك يبط اقتضته ظروف الضغط

الذى وجد فيها ، وعدم فهم الكثيرين ممن يبدون مقاليد الرأي العام في داخل
الجزائر . وفي سنة ١٩٣٣ نفيت إلى فرنسا ووقع بيني وبين الزعيم مصالي انصال
مباشر أدى إلى تقام كبير بين هذه المؤسسة المغربية وبين « كتلة العمل الوطني »
للمراكشية التي كنت من رجالها . واشتركنا في عدة مؤتمرات كانت ترمى لتدوير
الرأي العام في فرنسا . كما أن اجتماع مؤتمر « طبقة شمال أفريقيا المسلمين » بفرنسا
أتاح لي الفرصة أن أدافع عن مبدأ الاستقلال الجزائري ضدًا على الذين يذهبون
للمعجنيين . وقد وقعت بيني وبين تونسيين هما عبد الرحمن إس والسيد الهلاوي
محاورة شديدة في إحدى جلسات المؤتمر فكانت أدافع عن رفض قبول المتجنسين
الجزائريين في مؤسساتنا للمغربية في فرنسا ، وكان السيدان المذكوران يمازجان
وأني . أما السيد مصالي وإخوانه فقد كانوا كلهم يؤيدون الوجهة التي أدافع عنها
وقد اتهمى الأسر بانتصارها واتخذ التونسيون والجزائريون والمراكشيون
الموجودون في فرنسا بمناسبة ذلك المؤتمر قراراً حاسماً بضرورة احتفاظ سائر أقطار
الشمال الأفريقي بشخصيتها العربية الخاصة .

وفي ٢٢ مايو سنة ١٩٣٣ انعقد اجتماع عام لجمعية نجم شمال أفريقيا
فأخذت البرنامج الآتي :

١ - الإصلاحات المستعجلة :

- (أ) حرية الصحافة والاجتماع والجمعيات .
- (ب) تمويش المجالس المالية في الجزائر برلمان قومي جزائري منتخب
بتصويت عام .
- (ج) إحلال الجزائريين في سائر وظائف الدولة بالجزائر .
- (د) التعليم الإلزامي باللغة العربية .
- (هـ) تطبيق الحقوق الاجتماعية والقانونية على المال المغاربية .

٢ - جلاء جيوش الاحتلال وتأسيس جيش قومي .

٣ - الاستقلال الكامل للجزائر واعتبار جميع التراث الاقتصادي ملكاً

للدولة الجزائرية ، وتزع المسكية لجميع المستعمرين القاصدين وأبنائهم وإرجاع الأراضي المنتصبة لملاكها الأصليين .

وفي مارس سنة ١٩٣٤ تاهمت محكمة السين الفرنسية للسادة مهالي الحاج وإيمان عمار والرضا أبو القاسم بدعوى أنهم أعادوا تركيب جمعية صدر حكم سابق بحالها . وقد خرج المتهمون منتصرين لأن الحكم السابق لم يطبق في ظرفه القانوني ، وهكذا استمر نجم الشمال الأفريقي موجوداً بصفة رسمية بفضل ثبات رجالة وشاغلهم للتواصل حتى سنة ١٩٣٦ حيث دخلت المؤسسة العربية في صراع عنيف مع الحزب الشيوعي الفرنسي أدى إلى تضافر أحزاب الحبهة الشعبية الفرنسية عليها وانتهى الأمر بأن أصدر التسيو بلوم قراراً مؤرخاً بالسادس والعشرين من مارس سنة ١٩٣٧ محل « جمعية نجم شمال أفريقيا » مطبقاً عليها القانون الفرنسي المتعلق بالعصاف .

ومن جهة أخرى فقد نبغ في الجزائر عالم ديني مغربي كبير هو الشيخ عبد الحيد ابن باديس المنحدر من سلالة عريقة في المجد هي عائلة الزيريين الذين أسسوا إمارتي بجاية وقلمنة بنى حماد . وكانوا السبب في قطع صلة المغرب بدولة الفاطميين .

تخرج هذا العالم من جامع الزيتونة بتونس ، وبعد أن أتم دراسته وعاد إلى وطنه قام بحركة سلفية خطيرة أسس لها جريدة أسبوعية هي « الشهاب » التي ظلت في رقت الحرب الريفية متبركة عالماً لرجال الإصلاح الديني في سائر المغرب وخاصة في مراكش ، حيث كنا نحن الآخرين نقوم بحركة عظيمة لمقاومة الطرق التي كان الأفرسون يستغلون بعض رجالاتها ضدنا على الحرب التحريرية الريفية ، وفي سنة ١٩٢٨ أسس الشيخ ابن باديس « جمعية العلماء المسلمين » في الجزائر فانضم إليها عديد من مثقفي القطر للتحقيق ، وكان لها أثر فعال في تنوير الرأي العام الإسلامي بالجزائر ونشر الثقافة العربية في سائر الأوساط زيادة على بثها للوعي العربي في نفوس فئة كبيرة من أنصارها العديدين .

وإذا كانت هذه الجمعية ترى بصفة رسمية إلى غاية غير سياسية ، وهي
تطهير العقيدة الإسلامية في الجزائر من الخرافات ، وإحياء اللغة العربية في البلاد
وتقوية الشعور بالشخصية العربية في الجزائر ، فإن هذه المبادئ نفسها تعتبر
في أرض ترزح تحت الاستعمار الفرنسي الذي يرى رسمياً لقضاء على الإسلام
الصحيح واللغة العربية والشخصية القومية في مستعمرة الجزائر التي يجب أن
تعد جزءاً لا يتجزأ من الوطن الواحد ، وإن لم يتمتع أبناؤها بما يتمتع به للوطن
الفرنسي من الحقوق — هذه المبادئ نفسها تعتبر من مميم السياسة في نظر
المستعمرين ورجالهم ، والدعوة إلى تحقيقها تدخل الجمعية — أحببت أم كرهت —
في مآزقات قوية ومشادات صعبة مع الحكام الفرنسيين من جهة ، ومع رجال
الطرق الذين كانت السلطة الفرنسية لا تتأخر عن استغلالهم لصالحها من
جهة أخرى .

على أن هذه المصبة الدينية المحض التي اكتسبتها الجمعية جعلت في سياستها
كثيراً من التموضيح أحياناً ، لأن رجالها لم يكونوا ينضمون للحركة السياسية
إلا كأفراد مستقلين لا بصفتهم أعضاء في جمعية العلماء ، ثم هي بصفة عامة لم تكن
تتخذ بالتعاون مع حزب من الأحزاب بل كانت تعمل مع الكل ، وتستغل
الحركات القائمة لتنشر دعوتها وأفكارها في أنصار كل هيئة وكل حزب .
واسكن يمكننا أن نؤكد بأن العقيدة الحق التي يحملها الشيخ ابن باديس هي
ضرورة استقلال الجزائر عن الحكم الفرنسي ، وليس أهل على ذلك من هذه
الفقرات التي تقتبسها من مقال نشرته مجلة الشهاب في إبريل سنة ١٩٣٦ :

« إننا نرى أن الأمة الجزائرية موجودة ومتكونة على مثال ما تكونت
به سائر أمم الأرض ، وهي لا تزال حية ولم تزل ، ولهذا الأمة تاريخها اللامع
ووحدة الدينية واللغوية ، ولها ثقافتها وتقاليدها الحسنة والطيبة كمثل سائر أمم
الدنيا . وهذه الأمة الجزائرية ليست هي فرنسا ولا تريد أن تصبح هي فرنسا ،

ومن المستحيل أن تصبح هي فرنسا حق ولو جنسوها .

ومن المستحيل على المؤرخ أن يتجاهل الدور الكبير الذي لعبته وما زالت تتبعه هذه الجمعية المختصة في ميدان العمل القومي في داخل الجزائر ، فقد كانت لها فروع ومدارس منتشرة في مختلف الجهات ، وصحف عديدة بالعربية والفرنسية ، ودعاة يتجولون لنشر السامية والوطنية . ناهيك من بينهم ابن باديس والشيخ الإبراهيمي والشيخ العمودي والميل والشاعر محمد العيد ، وغيرهم ممن لا يتسع المجال لذكرهم . وقد ظلت هذه الجمعية في الداخل و « نجم الشمال الأفريقي » في فرنسا الهيتلريين العلمانيين وإن اختلفت مناهجها نظير الشعب الجزائري منذ سنة ١٩٢٨ إلى سنة ١٩٣٤ حيث حدث في قسنطينة حادث كان له أثر كبير في تطوير الحركة الجزائرية على الشكل الذي سنبينه .

في مساء اليوم الثالث من شهر أغسطس سنة ١٩٣٤ عهد اليهودي للسمي حليمة اليانو من عساكر روافد والقسنطيني الأصل إلى البول في مسرح أحد المساجد الإسلامية ، وسب المسلمين جهاراً ، فأدى ذلك إلى تبادل مشادة بين المسلمين والإسرائيليين تجرأ فيها الآخرون على رمي الأولين بالرصاص . فاضطر المسلمون للدفاع عن أنفسهم بالحجارة وتم اليوم متسجبل عديد من الموتى وعدة عشرات من جرحى الفريقين . ومن القند أصبح عربان مقتولين برصاص يهوديين ودفنوا بهدوء ، وعقد المسلمون مهرجاناً للاحتجاج على تمييز السلطة إلى جانب اليهود في الشهادات ، وقد كاد يقف الأمر عند هذا الحد لولا أن السلطات العسكرية أرسلت فرقاً من الجند بدهوى حفظ الأمن ، وكان من بين أفرادها عديد من اليهود الذين سرعان ما قاتلوا مع الإسرائيليين المدنيين الذين هبوا من أماكنهم لمواصلة الانتقام من المسلمين ، وانتهى الأمر بقتل عنيف بين الشعب والجند من جهة ، وبين المسلمين واليهود من جهة أخرى . وقد قتل في هذا الحادث عدة مئات من الجزائريين وصهرهم .

وطبعي أن نأخذ هذه الحوادث على أنها نتائج لسياسة العنصرية التي

التيها الحكومة الفرنسية في الجزائر منذ تشريع كريمة الذي أشرنا إليه من قبل ؛ إذ لولا إعطاء اليهود الأهالي حقوق المواطن الفرنسي لم تجرأوا على مس المسلمين الذين أصبحوا في نظرم مجرد أهالي منحلين لا يستحقون من كل فرنسي أو متفرنس غير الإهانة والاحتقار ، ولذلك فإن أثر الحوادث كان عظيمًا في بث الشعور بالكرامة في نفوس المسلمين للذين جددوا نشاطهم ولما شتمهم وقاموا بمحاولات جديدة متنوعة للمطالبة بحقوقهم الطبيعية معاهدين معاهدين على الحيانة الفرنسية المبنية على التعرقة وضرب العناصر النسائية بعضها ببعض .

وقد تخوفت الحكومة الفرنسية ومستعمروها من تطور الحالة في الجزائر حتى طلب النائب الفرنسي رئيس بلدية قسنطينة من حكومة باريس أن تعد خمسة طائفة حربية لتهذبة الجزائر ، وقد صرح هذا النائب بما يأتي :

« يجب أن نحتل البلاد احتلالاً عسكرياً بحيش كاف وموثوق به ، وللاحتياط من تكرار هذه الوقائع الخطيرة يجب أن نكون حواة أقوياء ذوي بوليس منظم ومنسجم ، وأن يعطى الوالي العام الحق في تجييد جميع المواطنين الفرنسيين في حالة الخطر »

وهكذا أصبحت الجزائر في حالة حرب مع فرنسا ، وقد كانت تحاكي الدكتور ابن جلول فرصة أخرى لتظاهر السلطة بقواتها العسكرية ، وتظاهر الشعب برغبته في الحرية والمساواة . ثم زار الجزائر وزير الداخلية مديوريني بدعوى دراسة الأحوال ، وبعد ما عرف اتجاهات الأهالي التحريرية أصدر قراره المعروف بقرار ريبه القامى بالعقاب الصارم لكل الذين يقاومون النفوذ الفرنسي ، وقد طبق هذا القانون بعد ذلك على تونس ومراكش أيضاً .

أسفرت حوادث قسنطينة عن حقيقة بينة ، وهى أن المنتخبين الأهالي في المجالس المحلية لا يكون من النفوذ الشعبى شيئاً ، وتظهر على المسرح السياسى إلى جانب العلماء المسلمين أشخاص جدد هم الدكتور ابن جلول وعباس فرحات وقد بينا فيما سبق الاتجاهات الرسمية وغير الرسمية لجمعية العلماء ، أما الدكتور

ابن جلول فقد كان كثير التقاب في مبادئه ، وأما عباس فرحات فهو في الحقيقة شخصية ممتازة بثقافتها ودكايتها ، ولكنه في الوقت نفسه كان من أنصار الاكتفاء بالمطالبة بالمساواة مع الفرنسيين في الحقوق ، وقد سبق لي أن اجتمعت به في باريس سنة ١٩٣٣ وناقشته في فكرته ، والذي همته من حديثه أن المطالبة بالحقوق الفرنسية ليست إلا مرحلة يجب أن تمتازها الجزائر ، وأن استقلال الأمة الجزائرية يجب أن يكون العاية البعيدة التي نعمل لها .

ومعنى هذا أن هذه المرحلة من الحركة كانت ترمى إلى الحصول على الحقوق الفرنسية لا لترتبط بفرنسا بل لتنفصل عنها ، مثلها في ذلك مثل إرندا التي اعتبرت المجازية ، ثم توصلت بعد ذلك إلى تحقيق حكومة ذاتية واستقلال نوعي .
وهما يمكن رأيد في هذه الخطة فالواقع الذي لاشك فيه أن زعماء هذه المرحلة أعطوا للجزائر الحركة الأكثر تنظيلاً ، والدعاية الأعظم تأثيراً ، وقد استطاعوا أن يؤثروا من حولهم سائر أفراد الشعب الجزائري وأن يمدوا يدهم لجمعية العلماء وجمعية «النجم الأفريق» على ما بينهم من تباين في المبادئ ؛ لأن الغاية كانت هي مقاومة السيادة الاستعمارية والقضاء على نفوذ المستعمرين من جهة ، ومن مبدأ التجنس الفرنسي من جهة أخرى . وهكذا انتهت من جديد مسألة دخول المسلمين للبرلمان الفرنسي ، واشتدت الدعاية لمشروع فيوليت الذي يرمي لإعطاء هذا الحق للجزائريين تكريماً .

كتب عباس فرحات كتابه «الشباب الجزائري» ليشرح أفكاره ومبادئه وكتب مسيو فيوليت كتابه عن الجزائر ليدافع عن مشروعه ، وليقول للفرنسيين إننا إذا لم نجعل بتحقيق ما نرمى إليه هذه الفئة الجزائرية قد نرمى بها في أحضان دعاة الجادة العربية ، وخصوصاً بعد الحركة الاستغلاية الشيعة في مراكش ، والحركة الدستورية للتمشقة في تونس ، ونوالت النشرات في الصحف واستطاعت الدعاية أن تريح لقائدها كل أحزاب اليسار في فرنسا ، خصوصاً بعد حوادث ٦ فبراير التي شارك فيها العمال المغاربة في باريس المناصرة الديمقراطية ومقاومة الناشطين الفرنسيين .

بعد انتصار الجبهة الشعبية الفرنسية

كان ل تأسيس الجبهة الشعبية الفرنسية وانتصارها في الاستغلاب أثر عظيم في نفوس المغاربة وخاصة في الجزائر ، إذ اعتقد إخواننا أن هذه الأحزاب اليسارية التي طالما تبرأت من كل ما يرتكبه المستعمرون الرجعيون من ظلم وهدوان سوف لا تتأخر عن تحقيق رغائب الأهالي على الأقل في دائرة المبادئ التي أدمت أنها تعمل لها وتجاهد في سبيلها وتريد الحكم من أجلها .

« الخبر ، السلم ، الحرية » تلك هي المبادئ الأساسية التي بنيت عليها حكومة الجبهة الشعبية ، وتلك هي الأقطار الضرورية لتحقيق العدالة الشعبية لكل شعب وكل فرد . لتلك لا غرابة إذا رأينا أن قسماً كبيراً من الجزائريين يصع أمه العظم في هذه الحكومة الجديدة التي ليست إلا مظهراً لإرادة الطبقة المستغلبة من الشعب الفرنسي نفسه . وقسماً آخراً يفتقر الفرصة ليطلب للشعب بعض حقوقه وإن لم تبدل مظهره المستمر بتبدل حكومته . وهكذا ما برز نجم الحكومة الجديدة حتى انعقد في الجزائر يوم ٧ يونيو سنة ١٩٣٧ مؤتمر إسلامي جزائري تحت رئاسة الدكتور ابن جلول ومشاركة سائر الغزوات السياسية الأهلية ، ومن بينها جمعية العلماء المسلمين مع استثناء وجمال نجم الشمال الأفريقي . وقد قرر هذا المؤتمر الطالبة بالنقط الآتية :

١ — انتخاب المسلمين الجزائريين في البرلمان في عرفة انتخابية متحدة مع الاحتفاظ للناخبين بمصالحهم المدنية .

٢ — نسخ قانون التبديع ، وإصلاح قانون النقابات ، وإلغاء قانون ٤ أغسطس سنة ١٩٢٦ المنقح بقرار ٤ إبريل سنة ١٩٢٨ المتعلق متنقلات الأهالي الجزائريين في فرنسا ، وإلغاء قرار رينيه الرابع لمقاومة الذين يمسون بالسيادة الفرنسية في الجزائر .

٣ — إلغاء الإدارة العامة للشئون الأهلية وأقاليم الجنوب .

٤ — الاعتراف باللغة العربية كلمة قومية في الجزائر .

٥ — القيام بتطوير عام في الإدارات الجزائرية .

هذه هي المطالب المتواضعة التي قررها المؤتمرون وهي في ذاتها قبلة الأهمية بالنسبة لصورة المؤتمر والجلو الذي أحدثه في البلاد الجزائرية كلها . ولقد أراد أصحابه أن يظهروه على غرار المؤتمر الهندي نهضت حركته عن أماني الأمة الجزائرية ويضم مختلف هياكلها ، وتلكهم احتضروا فيه آمال هذه الأمة ولم يعبروا إلا عن جزئيات مما يشغل بال الشعب الجزائري الذي يريد حرية حقيقية ونهوضاً جدياً . عين المؤتمر وقدأ من أعضائه يحمل للحكومة الفرنسية مطالبه ، وقد سافر هذا الوفد بعد ما ودعته الأمة كلها بمظاهرات عظيمة كانت تهتف بالاستقلال والتحرر وسقوط القلم والسندان . وفي يوم ٢٣ يولييه من السنة لاستقباله رئيس الحكومة تسيروا يوم اليوم الذي صرح لأعضائه بسروره من استقبال فرنسا لفرنسيين ، وديموقراطيين ، لديموقراطيين ويهوديين مسلمين . ثم أخبرهم بأن الحكومة تستعد لتحقيق عدة إصلاحات في الجزائر ، وأنها ستدرس مطالب الجزائريين بكل ما يقتضيه العدل والإنصاف .

كان لهذا الاستقبال صدام الحسن في نفوس الجزائريين ، وتكون بين أصحاب المؤتمر وأصحاب الجبهة الشعبية من الفرنسيين شبه تخالف للمطالبة بحقوق المستضعفين ومقاومة كبار المستعمرين في الجزائر الذين لا يرغبون إلا في مصالحهم الخاصة . وهكذا توالى المظاهرات المشتركة التي تهتف بالخير والسلام والحرية . ومن أهم هذه المظاهرات الاستعراض الشهي الكبير الذي وقع يوم ١٤ يونيو وشاركت فيه المرأة الجزائرية المسلمة حيث مرت في موكب خاص وهي نجي بالتحية الديمقراطية . ولكن هذا التظاهر السلمي لم يدم إلا بضعة أيام ، حتى بدأت الحركة الشعبية التي تطالب بتحقيق الوعود المعطاة ، فتضاعف إضراب العمال المسلمين في المصانع والمعامل التي يملكها أفراد وشركات الاستعمار الفرنسي ،

وانتشرت دهوة الاضراب حتى في اواسط البال الفلاحيين الذين أخذوا يشورون على نير المعمر ، ويطلبون بالأرض وبالمساواة في الحياة ، وقد احتل المضربون الطرق وأخلوا العزب ، ومن الأيام الشهيرة : يوم ١١ يونيه في سيدى موسى ، و ١٣ في بئر توتار ١٥ في حسين داي ، وروفي جو ، وقوة الماء ، وبئر خادم ، و ١٦ في ستولى ووحى . وتطورت الحالة في بعض الجهات إلى مظاهرات عنيفة ، ففي يوم ١٤ بويه تجمع جمهور كبير في سيدى بالماس ، ووقعت مشادة بين المسلمين والمستعمرين أسفرت عن ٤٠ جريحاً ، وكتائب في نهروان وتلسان ومستعالم حيث قتل بعض المستعمرين وجرح بعض المتظاهرين بجراح خطيرة . ويظهر أن شهر يوليه كان أكثر من يونيه اضطراباً ، إذ وصل عدد المظاهرات فيه إلى ٤٠ ألفاً حسب الإيضاح الذى أعطاه مسيو أوبو في مجلس الشيوخ الفرنسى ، ولم يخف شأن الاضرابات إلا في ديسمبر سنة ١٩٣٦ وفى ٢٦ فبراير سنة ١٩٣٧ وقع صراع عنيف في سيدى بالماس ، ثم في فلاح ماس الموالى اجتمع في قرية تسمى لا كونت (عمالة وهران) مئات من العمال الفلاحيين وقرروا الاضراب والتظاهر . وفي القند توجهوا إلى السوق العظيم الواقع في طريق معسكر ليمعوه من الاسفاد ، (وهذا ما يسمى في العرف القبلى في المغرب بكسر السوق ، وهو رمز إعلان الثورة للقبيلة) . غاصروا الطرق المؤدية إليه ، ولما عجز العامل عن ردهم استدعى القوات المسلحة فانضم إلى العمال أكثر من ١٠ آلاف شخص من القرى المحاذرة للسوق ، وما وصلت فرقة الانفيج الأجنبية الأولى حتى حاجبها المتظاهرون بالحجارة . ووقعت معركة عنيفة بين الجانبين . وفي يوم ٩ من الشهر نفسه أصرب عمال التعامل ومناجم النحاس في نواحي قسنطينة ، ولما أبى العملة الأوربيون التضامن معهم جرت بين الفريقين مشادة تدخل فيها الجيش وسقط فيها عديد من القتلى . .



لقد تصدنا سرداً أمثلة من الحوادث التي جرت في الجبل الذى كونه انعقاد المؤتمر

الإسلامي الجزائري ، هل كان هذا الجمهور المتحمس المدفع يؤيد رجال المؤتمر في مبادئهم التي لا تصرح بالاستقلال ولا تطالب به ؟ الحقيقة أن هتافات المتظاهرين ومطالبهم كانت أبعاد بكثير من طلبات الدكتور ابن جلول وشيعته . وأن المؤتمر لم ينبل إلا أن أزال الحاجز الذي كان يمنع الجمهور من إعلان صوته والإبانة عن رغائبه . وإذا كانت ظروف الجبهة الشعبية أو الحكومة اليسارية في فرنسا قد وجهت الحركة نوجهاً نحو النشطاء بين الطبقات ، فيجب أن لا نخطئ ، فالطبقة في الجزائر ليست إلا صورة من صور القوارق التي كوها الاستعمار . وليست البروليتاريا الجزائرية إلا الأمة بأسرها تثور ضدًا على المستعمرين بقطع النظر عن كونهم أغنياء أو فقراء ، رأسماليين أو أصحاب مهنة . ومهما يكن فإن الصراع الغربي لم يشمل أياماً مثل هذه التي سمح له الجور فيها ليمان كرهه للمستعمر ورضعته في التمرد من عبوديته ، وطموحه لاسترجاع كل الحقوق التي اعتصبت منه سواء كانت مادية أو معنوية .

يقول للثقل القديم : إن الحقيقة يحدها أصدقاؤها وأعداؤها على السواء ، وكذلك الاستقلال الجزائري خدمه أصدقاؤه الذين يطالبون به عنك ، وخدمه كذلك خصومه المستعمرون ومن إليهم من اليائسين والجامدين الأهالي ، وكذلك وقع ، فإنه ما أخذ المؤتمر الجزائري ينعقد ، وما أخذت دعوته تنتشر في الأوساط الفرنسية والأهلية حتى هبت طوائف المستعمرين تبذل الجهود المختلفة للقضاء على المؤتمر وعلى مطالبه التي عرضها بباريس . أما الوسائل التي استعملت فيهما ما يتعلق منها بموضوعنا ، وهو احتضان المستعمرين وإدارة الشؤون الأهلية في الجزائر لفكرة الصحيحة ، وهي أن واجب فرنسا أن تحتفظ للجزائريين بشخصيتهم الأهلية ، وأن لا تدعهم في فرنسا ، أو تدمجهم بجنسيتها ؛ لأن ذلك يتنافى مع الوعود المعطاة . وقد استعملت الإدارة لهذا الغرض بعض رجال الدين في البلاد ممن عزموا على الانتماء للسلطة الفرنسية ومعاداتهم لجمعية العلماء وأفكارها السلفية . وقد كان في مقدمة المترشحين لمارضف المؤتمر مفتي الجزائر ابن دالي كحول

الذي كان معروفًا بإخلاصه للولاية العامة وإدارتها السياسية ، فانتهر بعض المتطرفين حماسة الجمهور في استقبال وفد المؤتمر بعد رجوعه من باريس ، وطمع المنفي طعنة كانت القاضية عليه . وقد كان ثقله حدى كبير في الأوساط الفرنسية التي أقامت حول اسمه دعاية قوية أدت إلى اجتماع مؤتمر ثان من رجال الطرق تحت رعاية الميسون ميو مدير الشؤون الأهلية إذ ذاك ، قرر مطالبة فرنسا بحفظ الشخصية الإسلامية بالجزائر ، وقال إن المؤتمر الأول لا يعبر عن آماني الأمة الجزائرية .

وإذا لم يكن لمؤتمر هؤلاء الذين خاؤوا خيانتهم الأثر الشعبي الذي كان لرجال المؤتمر الأول فإن فئة من الأمة على كل حال أخذت تفكر في حقيقة ما يراد منها . ولم يعد التيار الذي ساقه ابن جلول يحرف كل الذين يتعاونون معه ، ثم سرعان ما تكون في وسط المؤتمر الأول إنشقاق أدى إلى إخراج ابن جلول من رئاسة المؤتمر لأن أفكاره وتوجهاته وتصريحاته لم ترق الهيئة التنفيذية . وفي يوم ٢٢ يناير سنة ١٩٣٧ عرض على مجلس النواب الفرنسي مشروع (الوم فيوايت) القاضي بإعطاء طوائف من الجزائريين الحق في النيابة والانتخاب للبرلمان الفرنسي دون أن يضطروا للإلقاء أحوالهم الشخصية الإسلامية . وقد عارض فرسيو الجزائر المشروع بكل ما أوتوه من قوة ، واعتد جميع رؤساء البلديات والمالات الجزائرية الذين هم فرنسيون مؤتمراً ضموا فيه صوتهم لشيوخ الطرق الطالبين برفض المشروع لأنه يؤدي لانقضاء على السيادة الفرنسية في الجزائر .

حزب الشعب الجزائري :

كتب ل الأمير شكيب أرسلان من جنيف في أوائل سنة ١٩٣٦ رسالة يخبرني فيها بالتجاء الزعم مصالى الحاج إلى جنيف ، ويشن على شهادته وغيرته وذلكائه . وقد ظل مصالى هناك حتى قامت حكومة الجبهة الشعبية فشله الفشل العام فهاد إلى بلاده وعاد إلى هذا الجو المرتبك التي تحدثنا عنه ، وبعد أن أقفلت

مهاجراً جمعية نجم شمال أفريقيا . ومن حسن حظ مصالي وإخوانه أنهم لم يشتركوا في كلا المؤتمرات الذين ذكراهما ، فأمكنهم بذلك أن يستغلوا الحوادث ويصلوا بمقتضى الروح القومية الصحيحة ، فأخذوا يدهون كافراً لرفض مشروع فيوليت ، ويثبون الروح القومية في اجتماعات وتجولات خاصة ، ثم أسسوا في مارس سنة ١٩٣٧ منظمة جديدة سموها (حزب الشعب الجزائري) .

لقد ولد هذا الحزب في ظروف عصيبة ، واستمد نظامه من حزبي الدستور التونسي والحزب الوطني المراكشي ، وورث حلايا وأنصار نجم الشمال الإفريقي وكان لرئيسه اتصال كبير بإخوانه في سراكش وتونس وبخطوة الأمير شكيب أرسلان . وهذا الحزب فعلاً بالفرنسيين لمقاومة الحزب الوائدي بكل ما في استطاعتهم من استعكبار وغيظ . وفي ١٧ أغسطس من السنة نفسها اعتقل الزعيم مصالي وجماعة من إخوانه من بينهم الشاعر الأديب مفدى ذكرى وحكم عليهم بالسجن سنتين بدعوى أنهم عاودوا تأسيس جمعية للنجم المنحلة باسم حزب الشعب ، وأنهم يقاومون السيادة الفرنسية في الجزائر ويسعون لصالح الوحدة العربية . وفي سنة ١٩٣٨ رفضت الأغلبية من النواب الفرنسيين مشروع بلوم - فيوليت فتأكد لمن لم يكن يعلم أن سياسة الأدماج لم تكن إلا أداة تستعملها الإدارة الفرنسية كلما دعت إليها حاجة الظروف والاعتبارات لكسب الوقت ريثما يتسنى لها أن تضرب . وهكذا انفصل عباس فرحات أيضاً عن هيئة المؤتمر ، ولكن ليعلن ما وصلت إليه تجربته من ضرورة إعطاء الشعب الجزائري كياناً ذاتياً يتمكن معه من أن يحكم نفسه بنفسه ما دام الحاكم يأبون عليه حتى أقل مظاهر المساواة مع غيره من الجماعات الإنسانية . ثم أطلق صراح مصالي في أغسطس سنة ١٩٣٩ فوجد القادة الجزائريون أنفسهم جميعاً متجهين بحكم الواقع على استنكار التلاعب الفرنسي ، وعلى الرغبة في العمل لتحرير الأمة الجزائرية من هذه الأعباء الاستعمارية للذة . ولكن الوقت كان على مقربة من اجتماع ميونيخ ، والحرب على الأبواب ، والفرنسيون غير مستعدين لأكثر من الصنف

واستعمال القوة في كل مكان . ولذلك ما حاول مصالي الحاج استئناف نشاطه حتى أعيد هو وثلة من المخلصين إلى السجن في ٤ أكتوبر سنة ١٩٣٩ أي بعد شهرين فقط من إطلاق سراحه ، وبعد ما بقي في السجن الاحتياطي ١٧ شهراً حكم عليه يوم ٢٨ مارس سنة ١٩٤١ بالسجن ١٦ عاماً مع الأشغال الشاقة ، وبالتالي ٣٠ عاماً ، وثلاثين مايو فقام من الفرستات كغرامة .

حزب التحرير الإسلامي :

وفي ٣ فبراير سنة ١٩٤٣ حدث ما لم يكن في حسيبان الفرنسيين أن يقع ، فقد احتط المختلون بجميع الجهات ، واعتزلوا قادة حزب الشعب الجزائري مكباراً وصغاراً ، وأنجذت حكومة فيشي أساليب الدهوة القديمة للتجنيس ، فاعتدعت بعض النواب المسلمين وأكثرت الخطب والتصريحات ، ولكن ذلك كله لم يعن الشعب الجزائري عن أن يبحث عن الحرية التي يريد ها ، وكانت النتيجة هذه المرة من جانب لم تمتقد فرنسا أنه سيواجهها بغير الضمة الفرنسية ؛ فقد تجملت الأمة الجزائرية كلها عما فيها من قذمة دعاة التجنيس ، إلى انتصار حزب الشعب الكثيرين ، ورجاء جمعية العلماء وأسسوا هيئة جديدة تحمل اسم « أسدقاء البيان » يتزعمها الأستاذ عباس فرحات . وقد قرر هؤلاء المتكثلون قطع كل صلة مع الحركات التجنيسية القديمة ، والمطالبة بالشمسية الجزائرية الحمة ، وتأسيس جمهورية حداثية ذات برلمان جزائري منتخب انتخاها حراً كاملاً .

وإذا كانت هذه الحركة معتدلة في مطالبها بالنسبة لحزب الشعب فإنها تعتبر انتصاراً من الجزائريين على أنفسهم لأنها خروج من فكرة الاختلاط بالفرنسيين والتبعية المطلقة لكونهم إلى فكرة الذاتية الجزائرية ، وقباحتها في ظروف عصرية يعتبر إغاثة كاملة للحركة الوطنية في الجزائر .

وللجواب على هذه المطالب القومية الحضة قررت وزارة الشؤون الإسلامية

الجنة التحرير الفرنسية أن يعلن ديجول قبول فئات من اللتفنين الجزائريين في
 حفلة المائدة الفرنسية ، لكن الوقت قد فات والشعب الجزائري وجد طريقه
 فلم تعد هذه النعمة البالية نظريه ، ولا هذه الأساليب المتيقة تخدمه ، فوضاً
 عن أن تهدىء الحالة خطية ديجول بقسطنطينة التي صرح فيها هذا القرار لم تفعل
 إلا أن أذكت الشعور وهاجت النفوس ، فأعيد مصالي الحاج للجزائر في طيارة
 خاصة بقصد المفاوضة معه ، ولكن الزعيم الجزائري أبى أن يتنحى بغير اللهادىء
 التي اعتقل من أجلها . وهكذا أعيد مرة ثالثة لجنوب الجزائر منفياً محصوراً ،
 ثم دعى عباس فرحات وعبد القادر السابح للحضور في اجتماعات في الولاية العامة
 فامتدوا عن الحضور وأرسلوا للسجن أيضاً .

وفي سنة ١٩٤٥ بعد أن استسلم المحور أطلق سراح فرحات ، ولكنه عاد
 للسجن ضمن حزب البيان ، وقاد مظاهرات في الجزائر وقسطنطينة ووهران
 وسطيف شارك فيها أنصار حزب الشعب غير المعتقلين ، وحياها مصالي ببرقية
 من منعه بالشلالة (عمالة وهران) لقاد الفرنسيون على الشعب قوتهم بما فيها
 من دبابات وطائرات ، وتبعض على عباس ، أما مصالي فقد نقل إلى الكونكو
 حيث سر على في قرية حاياما بمنفى ، وقد حاولت مقابله أثناء سروره فمتحنى
 الحرس الذين كانوا معه ، وهددت السلطة طباخى الأسود من أجل أنه بلغه
 وجودى في القرية وتحيق له .

مأساة ٨ مايو سنة ١٩٤٥

شارك المسلمون الجزائريون في الدفاع عن الديمقراطية أثناء الحرب الأخيرة ، ومات منهم عشرات الآلاف في صفوف الحلفاء ، كما مات من إخوانهم التونسيين والراكشيين وغيرهم من العرب عدد كبير ، وأبلاوا جميعاً بلائاً حسناً في صد الطغيان النازي والفاشي من البلاد الأوربية فطالبين أن ما يبذلونه من جهد في سبيل التحرر لن يضيع ، وأن الإنسانية لن تسف إلى الدرجة التي بلغها المستعمرون في القرن العشرين ، فتنكر حميل هؤلاء الشهداء ، وديهم ما يزال مطرباً . وتنسى كل ما فعله العدو بأبنائها لتفتقم من الإنسانية في الشعب الجزائري المسكين .

والحقيقة أن الذين يبتغون بمصائب في هذه الحياة ثم يدجون منها قسيان ، قسم يتذكر حالته الماضية فيشر بما فيها من آلام وأحزان ، ويتسع شعوره إلى الإحساس بما يعانيه الغير من أمثاله ، وتتحرك غيخته ، فيبذل من الجهد لتخليص المكروبين مثل ما بذل لتخليص نفسه ، ويجد في ذلك العبد من الألفة والثوبة ما تملأ له نفسه و يرضى به ضميره . وهؤلاء هم الشرفاء . ولاشك أن من بينهم أبناء العرب في الجزائر وغيرها الذين تجاوز شعورهم بالاستعمار في بلادهم إلى التألم منه وهو في ديار خصومهم ، فضحوا لمقاومة الاحتلال الأجنبي عبد غيرهم كما فضحوا وجضعون لمقاومته بين ظهرانيهم .

وأما القسم الثاني فلا يحس بدنجاته من المصائب التي ابتلى بها إلا برغبة ملحة في ريادة الابتعاد من ظروفها وصورها ، وتصل به هذه الرغبة إلى حب النظام بكل ما من شأنه أن يجعله يحس بوجودان غير وجدان الطبقة التي نكبتة ، يريد أن يتمتع روح الذين نكلوا به ، ووجدان الذين عذبوه ، ونفسية الطغاة الذين احتقروه وأهانوه ، ومن أجل ذلك واسكي برضى حاجته ويظهر للناس أنه

من أولئك يرتكب مع غيره نفس الفطائع التي ارتكبت معه ؛ يريد أن يحس أنه القاتل بعد أن أحس أنه للقتول ، والشاتم بعد أن شتمه المشتوم ، والمستعبد لغيره بعد أن أحس بأنه مستعبد لسواه . ولا يزال بمن في هذه الرغبة حتى يتطوق على الظالمين الأولين ، ويأتي من الجرائم في حق إخوانه البشر ما يرتقى به أعلى مراتب الأجرام ، ويهوى به في أسط درجات السفلى ، ولا شك أن المستعمرين الفرنسيين في الجزائر من بين هذا القسم الثاني .

وليس هنالك تفسير نفسي غير هذا الذي قلناه يمكننا من فهم الأسباب التي دعت مستعمرى الجزائر لإقامة هذه الذبحة الخطيرة يوم ٨ مايو وما بعدها . إن يوم ٨ مايو هو اليوم الذي احتفلت فيه الأمم الديمقراطية كلها بعيد النصر بعد هزات خمسة أعوام تكبدت فيه الإنسانية من الخسائر في المال والأنس والضمائر ما لم يسبق أن جرى مثله في العالم منذ بدء الخليقة إلى اليوم . واقتطعت إخواننا الجزائريون أنفسهم — وقد شاركوا في هذه التصحيات بأرواحهم وكل ما يملكون — لهم الحق في أن يحتفلوا كثيرهم من الحلفاء بعيد طامنا متهم به الأيام ؛ ذلك العيد الذي سيذهبون فيه لأول مرة أنهم يشاركون أبطال العالم كله في فرح واحد وسرور متجدد ، كما شاركهم في إسالة الدموع والدماء . ولذلك فقد خرجوا يوم الاحتمال بطرفون الشوارع مع غيرهم من المنضاهرين ويحملون علم الجزائر الذي يمثل راية الأمير عبد القادر مؤسس الاستقلال الجزائري ، وسكن كبر على المستعمرين الفرنسيين أن يتركوا هؤلاء الأهالي يتنفسون قليلا في هذا اليوم ، ويمتنون رجاءهم في أن يتحقق أملهم في بعث الدولة الجزائرية المستقلة ، وإحياء كيائنها . فهاجروا الجزائريين العزل وأحفظوا العلم ، ونشبت معارك عنيفة بين المسلمين والفرنسيين ، ضرب فيها الأولون بالصخر والحجارة ، وضرب فيها الآخرون بالحديد والبار ؛ أي بالأسلحة التي هيأتها لهم الاعارة والتأجير الأميركية ، وأسفرت الممارك الكبيرة عن سقوط أقل من مائة قتيل فرنسي وعشرات الآلاف من القتلى المسلمين .

ولم تكن هذه المارك في مكان واحد ، بل كانت في جهات متعددة ، وأهمها سطيف ، وأغظها قالة حيث اصطيد آلاف الشبان للسلين ، وسيفوا أفواجا إلى المذبحة ، وقتلوا رميا بالرصاص .

إن من المستحيل أن تكون هذه المهاجمات التي قام بها المستعمرون في الجزائر وليدة الصدفة ، بل إنها كانت مدبرة مهيئة سلاح فيها الفرنسيون والفرنسيات وتصامت بها الأحزاب الفرنسية كلها لتقتل الشعب الجزائري المنكوب الأعزل من كل سلاح ، لا شيء إلا لأنه يريد أن يأخذ حقه من التصريح بذلك أخذ حقه من الحرب ، ويفوز بقسط من حريته القومية ، كما شارك في تحرير نفسه من الاستعمار .

لقد حاول المستعمرون أن يبرروا هذه للهاجة بدموي أن مصالحهم وحريتهم للشعب الجزائري تبحر لإلقاء خطاب مهيجة في بعض الجبهات ، ولكن هل من الحق أن يقابل خطاب يهينه زعيم في جبهة ما — مهما كان هذا الخطاب قاسيا وعدائيا — بإغراق الشعب بأحدث أنواع الأسلحة الجوية وإطلاقه نارا حامية ينطلق أوارها ، وحربا طاغية لا قبل له بعدها ؟ .

الواقع أنه كبر على الفرنسيين ما ظهر به الجزائريون من وعي قومي وطموح للحرية ورفض للتجنيس . لقد كانت الجنسية الفرنسية هي الأغنية التي يهذي بها الفرنسيون أعصاب الأهالي ككل ناروا واحتجوا ، لأنها ستجلب لهم الحرية والحدادة والهناء الدائمة ، ولكن الفرنسيون اصطدموا هذه المرة بالحقبة الجزائرية ، وهي أن الشعب الجزائري لا يرضى بغير الحرية الكاملة والاستقلال التام ، وأن الدنة وعشرين عاما التي قصاها تحت حافر المستعمر لم تقبل في نفسه شعوره بقوميته وملمته وعرويته ، بل زادت حنقا على الاستعمار ، وتشبكا بأهداف حقه الصائم وحنق للمستعمرون لم يستطيعوا هضم هذا الواقع ، وترثوا مدة الحرب — وهم يستعدون — حتى إذا تم الظفر على المحور وعادوا بمنجاة من مخاوفهم انتمشوا كما تنتفش الحررة ، وانطلقوا على الساكنين ينتقمون منهم ويحذرونهم من العلط

ويشبعون لم أن القوات الفرنسية مازال قاهرة ، وأن فرنسا الخالدة لا تنفك
بالمرصاد للذين يطالبون بالحرية أو ينادون بالاستقلال .

وهما يكن غابت هذه المسألة أثبتت للعالم فظاعة الاستعمار الفرنسي ،
وأكدت للذين يجهلون : أن الأمة الجزائرية لم تقبل أمداً حكم فرنسا لها . ولقد زاد
هذه الحقيقة وصوحاً روح الشجاعة التي ظهر بها للمعتلون من مختلف الأحزاب
الجزائرية ، حيث أكدوا في صراحة ووضوح ثباتهم على المبادئ ، واستمدادهم
للبدل في سبيل الوطن المنكوب . وقد احتج العالم المتمددين على هذه القضاة
وأشعرت الحكومتين الانجليزية والأمريكية بالحكومة الفرنسية باستنكارهما
لهذا العمل الشنيع ، ولكن الأمر لم يتجاوز هذا الاحتجاج . وما زال الجزائريون
يرزحون تحت ضروب الصلف وأنواع الإذعان إلى اليوم برأى ومسمع من الأمم
المتحدة ودولها المتعددة .

حلول معروضة

وبالرغم من كل ما جرى ، وبالرغم من كل ما يدعى ، فقد انتهت الحرب وهي تعلن حقيقة واضحة هي تفقر موقف فرنسا في الجزائر. وحسبنا حاول الفرنسيون أن يوقفوا نيار المطالبة بالاستقلال التي مبرهنها كل لوائح القتل ، وأصبح العقيدة الخالدة التي يدين بها كل جزائري من أي حزب كان ، ولم يرد استدعاء بعض طبقات الشعب للانتخاب لقيادة في البرلمان الفرنسي إلا لتفكيك المسألة ، وتسميتها حلها ؛ إذ أدرك وجل الشارع بصفة عميقة أن هذه المياهات التي طالما وعد بها لا قيمة لها ما دامت في مجلس غير وطني ، مركزة في عاصمة المحتل ، ويعتمد نفوذه من سيادة الشعب القابع وأمانه .

وإزاء هذه الحقيقة أخذت الحكومة الفرنسية وأحزابها يبحثون من حل يوفق بين رغبتهم في الاحتفاظ بالجزائر كجزء من فرنسا نفسها ، وتحقيق أمان الشعب الجزائري لاستقلاله ، ولكن ليس في تناول القدرة البشرية أن نجتمع بين متناقضين أو توفق بين مختلفين . لأن الاستقلال يعنى الاقصاء أو على الأقل الارتباط بمقدّمات يتساوى فيه المتعاقدان ، بينما إتمام الشخصية الفرنسية يقتضى إنعلاء في النور ، أو على الأقل تبعية ضيقة لبعض كاملة المدلول . ولذلك فإن كل الحلول التي عرضها الفرنسيون ، لم تكن غير شكل جديد لمشروع (بلوم — فيوليت) الذي سبق أن أشرنا إليه .

ومن هذه الحلول ما عرضه الشيوعيون والاشتراكيون من اعتبار الجزائر وطناً قائماً بنفسه ، له حكومته ومجلسه ، ولكن يحتفظ فيه بالسيادة الكاملة المنفردة لفرنسا الوطن الواحد كما يقولون . أما أحزاب اليمين فلا زالت تفتى بنشيد

وحدة الوطن الفرنسي الذي لا يقبل القسمة ، ولذلك لم يسعها إلا أن تصادق على المشروع الحكومي الذي عرضته على مجلس الأمة الفرنسية بعد زيارة وزير الداخلية ديبروه للجزائر في أوائل العام الماضي .

ويتلخص المشروع الحكومي في أن يعطى للجزائر نظاماً يقضى :

١ - بأن تعتبر مجموعة عمالات فرنسية تتمتع بشخصيتها المدنية وباستغلال

نوعى مالى ، وتنظيم خاص .

٢ - السلطة التنفيذية في يد الوالى العام .

٣ - للجزائر سلطاتها التشريعية يمثلها مجلس حكومي يتكون من ستة

أعضاء ، تعين ثلاثة منهم الولاية العامة ، يضاف إليهم رئيس وغائب رئيس ، ورئيس المالية . وحملة هذا المجلس الحكومي مراقبة المجلس النيابي الجزائري الذي قرر المشروع وضعه وتنظيم شكله .

٤ - ويتركب المجلس النيابي الجزائري من مائة وعشرين عضواً ، نصفهم للأهالي ونصفهم للعرفيين ، ينتخبون انتخاباً عاماً لمدة ستة أعوام في دورتين وبالاقتراع السري . أما اختصاصات هذا المجلس فتتصرف في المناقشة والمصادقة على ميزانية الجزائر التي تعرضها مصالح الولاية العامة . كما أن له حق الاقتراح فيما يرجع للضرائب والأداءات . وكل مناقشة خارج هذه الدائرة تعتبر مقدمة ولا قيمة لها . وليس للمجلس أثناء مطروخته لعمل الحكومة حق في الشئون المالية أن يقترح ضدها بحال ، كما أن مقرراته لا تعتبر نافذة إلا بعد مصادقة الحكومة عليها بمرسوم اعتيادي .

وقد صادق مجلس النواب الفرنسي على هذا المشروع يوم ٢٧ أغسطس سنة ١٩٤٧ بثلاثة وأربعين صوتاً مع تقييد سائر النواب المسلمين ، وكل للمثليين الشيوعيين وبعض أعضاء التجمع اليساري . أما ممثلو الجالية الفرنسية بالجزائر فقد صوتوا لرفضه

لسكن هذا التصويت يعتبر عديم القيمة ؛ لأن المسلمين الذين يهمهم الأمر

قد رفضوه ، وتغيب ممثلهم عن قبول الحضور لمناقشته . كما أن أعضاء مجلس الدولة المسلمين استعفوا احتجاجاً على عرض مثل هذا المشروع على مجلس النواب وهو لا يحقق آمال الشعب الجزائري ولا يتفق مع رغائبه .

ومقابل هذه المشروعات الفرنسية عرض حرب البيان الذي أصبح يسمى (بالاتحاد الديمقراطي لمسلمي الجزائر) حلاً جديداً ظن واضعوه أنهم يستطيعون أن يوفقوا به بين وجهة النظر الفرنسية ووجهة النظر القومية في الجزائر . وهذا الحل يتطلب إعطاء الجزائر استقلالاً نوعياً يتكون جمهورية جزائرية ، لها حكومتها وبرلمانها ، وارتباط هذه الجمهورية بالاتحاد الفرنسي ، وتضامنها مع فرنسا في سياستها المتعلقة بالشئون الخارجية والمالية والعسكرية ، على أن يكون هذا الارتباط مؤقتاً إلى اليوم الذي تستطیع فيه الجزائر أن تنال استقلالها الكامل ، وحايج أن لا ينال هذا المشروع الأهل نصيباً من النجاح كبيراً لا في الوسط الفرنسي ولا في الوسط القومي في الجزائر ؛ لأنه يتعارض مع روح الامتلاك المسيطرة على السياسة الفرنسية الجزائرية ، كما يتعارض مع الوطنية الجزائرية التي ترمي إلى التحرير الكامل الناجز . ولذلك لم يصادق عليه حزب الشعب الجزائري الذي ظل محامياً للمطالبة بالذاتية الجزائرية بكل ما تدل عليه الكلمة وهو لا يمسك مع ذلك من وضع مشروع لتكوين جمهورية جزائرية ، لها دستورها الذي تضمه جمعية تأسيسية منتخبة انتخاباً عاماً يشارك فيه مجموع الشعب الجزائري دون تمييز بين عناصره ودياناته . ويقترح انتظيم علاقاته مع فرنسا عقد محادثة بين الطرفين على قدم المساواة تضمن مصالح المتعاقدين معاً ، ليسكن دون أن تعترف بأي نوع من أنواع الاستعباد ، ومن بينها الانخراط في صلات الاتحاد الفرنسي .

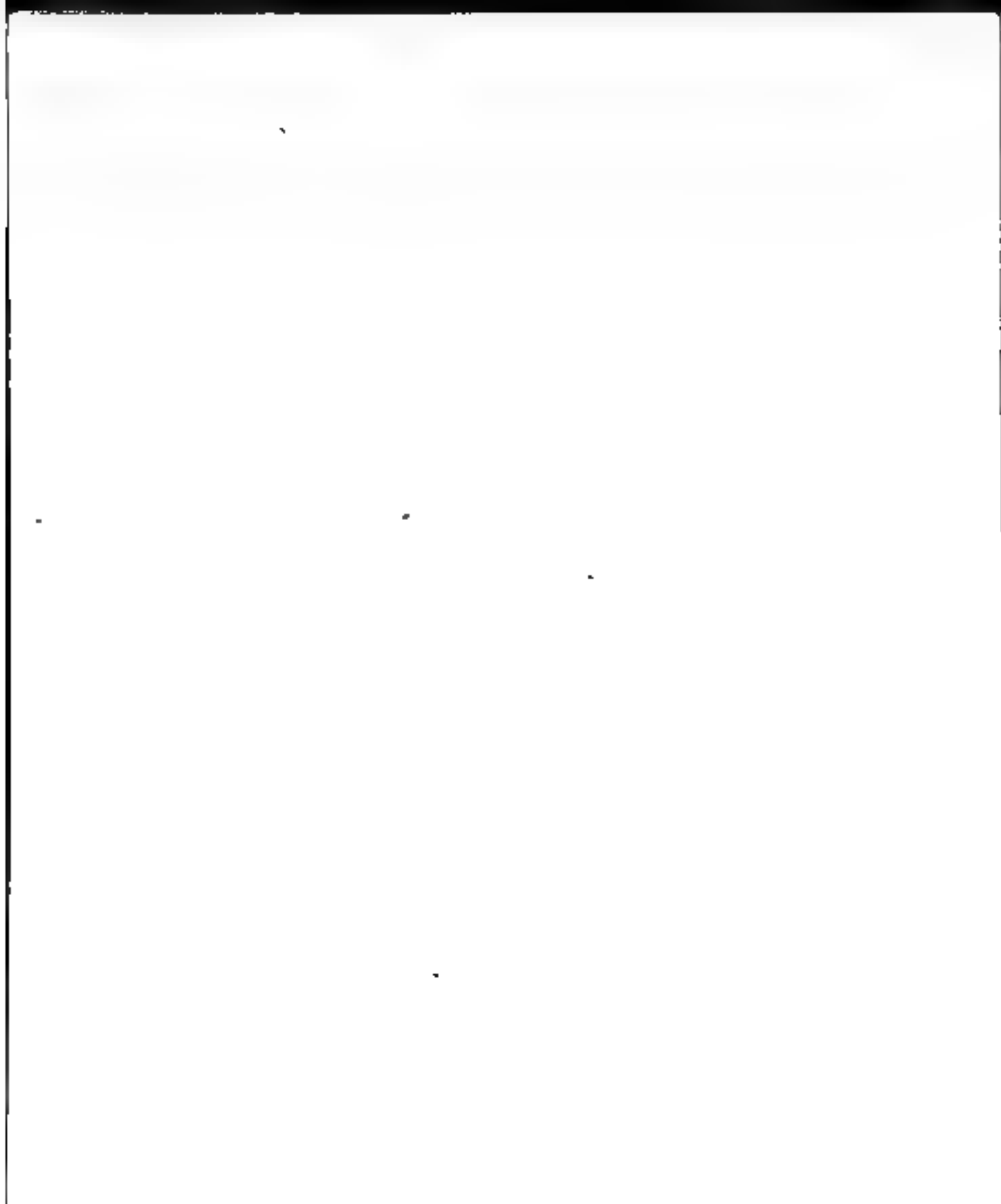
الحالة الحاضرة :

وضوح العقيدة التي أعتما حزب الشعب الجزائري بواسطة زعمائه ورجاله في المشرق والمغرب ، واستمرار رئيسه السيد مصالي الحاج في منى أبي زريمة بالجزائر بعد أن أعيد من الكونكو ، ومهزة مشروع الحكومة ما سمته بالنظام الجزائري ، وقبول حزب البيان للأنحراط الموقت في الاتحاد الفرنسي — كل ذلك هيأ للرأي العام الجزائري وسيلة الحكم على الأشياء ، واتخاذ الخطوة المثلى التي يتجه صوبها بعد أن وقف برهة يقرئ في اختيار الطرق المروضة عليه . وقد جاءت الانتخابات البلدية الأخيرة في القطر الجزائري برمتها دليلاً قاطعاً على أن الأمة اختارت طريق التحرر الكامل والاستقلال التام . ولذلك فقد مال مرشح حزب انتصار الحريات الديمقراطية (الذي هو الاسم القانوني لحزب الشعب الجزائري المينوع) أيبركيش من مستين في المائة في سائر القطر ، زيادة على تسمية فريدق من الأمة في فرق ثلث الناخبين احتجاجاً على الإجحاف الواقع والخطأ المصيري كما أن حزب الاتحاد الديمقراطي الذي هو الاسم الجديد لحزب البيان فشل في هذا الانتخاب من أجل قبوله سياسة الاتحاد الفرنسي ، ومن أجل تحالفه مع بعض الهيئات الفرنسية في الجزائر . وهكذا أصبحت الحالة الحاضرة تؤكد أن الأمة الجزائرية مجمعة على حياة واحدة ، هي غاية الاستقلال ، ومتجهة اتجاهاً سياسياً واحداً هو اتجاه الوضوح في عرض المطالب بالصراحة المطلقة في الدفاع عن الحق .

ويبدو أن الحزبين الجزائريين آخذان في الاقتراب من بعضهم ، فقد أعلن مسيرو حزب البيان وهدفهم في المدلول من اسكرة الاتحاد الفرنسي ، كما أن عباس فروحات زعيم هذا الحزب أدلى بتصريحات تدعو إلى التنازل ، وأغلبها بتغيير اسم جريدة حزبه (المساواة) الذي يدل على أنه لا يطالب أكثر من تسوية الأهالي الجزائريين بالفرنسيين في الحقوق والواجبات فأصبحت اليوم تحمل

اسم (الجمهورية الجزائرية) الذي يدل على اتجاه أوضح في ناحية الحكم الذاتي وقد وجه مصالي الحاج رحمه الله حزب الشعب من متعاضد بيوزريعة بناء حاراً لأصحاب البيان يذكرهم فيه بضرورة الاتحاد والعمل على إزالة الفوارق التي لم تكن إلا أثراً من آثار الاستعمار الأجنبي .

ويظهر أن جمعية العلماء المسلمين مقتنعة كامل الاقتناع بضرورة العمل على تقوية الروح الاستقلالية في البلاد ، والتوسط لتوحيد الصفوف بين الحزبين الجزائريين على أساس ما اختارته الأمة في انتخاباتها الأخيرة . وقد صادق حزب الشعب على تأسيس لجنة التحرير في القاهرة ، وعين له ممثلين دائمين بها . ولعلنا لا ننتظر طويلاً حتى نرى حزب البيان منضياً إلى هذه اللجنة التي تعمل على تحرير سائر أقطار المغرب العربي بإذن الله .



فاج تونس

أو

المغرب الأندلس

لقد كان احتلال تونس ومراكش النتيجة المتوقعة لفتح الجزائر . ولذلك
ما اتمت الحرب الجزائرية الفرنسية حتى أخذت فرنسا تدبر الوسائل التي توصلها
لغايته من فتح تونس أولاً ، ثم مراكش ثانياً كما سنرى . أما الملل التي تعالت
بها فهي الدفاع عن مصالح الاقتصادية ، وضرورة عدم وجود دولة قوية تناوئها
في شرق الجزائر وشرقيها .

وإذا كانت المحاولة الفرنسية في الجزائر لم تنجح كثيراً ، فإن
طموح فرنسا لفتح تونس ومراكش هاج كثيراً من الدول التي كانت
بعضها مطامع تقسم هاتين الأمتين ، وعدم تركهما لفرنسا وحدها . وهكذا كانت
مساوقة دبلوماسية بين هذه الدول صعبت على تونس ، كما صعبت بعد ذلك على مراكش .
الدفاع عن نفسها إذ أحدثت لها أرباباً ماليات واضطرابات داخلية .
ونحن لا يهمنا أن نتعرض في بحثنا هذا لمتنفس للراحل الدبلوماسي
احتارنها القضية التونسية فذلك موضوع آخر يحتاج للدراسة وتفصيل .
الذي يهمنا أن نشير إليه هو أن توقيع عقد الحماية لم يتم إلا بعد أن استقرت
تونس تدافع عن نفسها ضداً على محاولات فرنسا والدول الأخرى ملحة حتى سنة
كاملة . وهذا يعني أن تونس كمرآكش لم تقبل الحماية قط ، وأنها حاولت بكل
ما تمكنه من جهد أن تحتفظ باستقلالها وأن تمثل عن توطيد أوامر الصداقة
مع جيرانها . ولنا نقول إن محاولاتها هذه كانت كلها سائرة في الخطأ الذي كان
ينبغي أن توجه فيها ؟ فإن حياة الشعوب في أوقات مرضها تكون معرضة
لختلف الأعراض الخارجية ، وتنجذبها شتى الزمات والأهواء . ولذلك
لا يحيد لنا عن الإعتراض بصف السياسة الحكومية وخصوصاً الثانية التي
سهلت على الاستمرار أن يستفيد من الحال ، ويصطاد في الماء الذي صكرته تصرفاتها

إنما يجب أن تؤكد أن الشعب التونسي لم يخطئ في يوم من الأيام تقديره
للأحوال ، ولا اعتباره لمسائر الأشياء ، مكان يقاوم شقّ الثورات ، ويشور
على الذين يعيشون بخيراته ، كما يشور على الأجانب الذين يريدون التدخل
في شئونه .

ومن أهم ما يلفت النظر في تاريخ هذه المرحلة تنبه الحكومة التونسية بإرشاد
المفكر الغربي الوزير خير الدين إلى أن خير وسيلة لمقاومة أوروبا هو التمسك
بالبلاد ، وإصلاح أنظمة الدولة المتفجرة ، وتوجيه الأمة نحو الرقي الصحيح الذي
كان السبب في رفع منزل الغرب عالميا .

وكان خير الدين من المصلحين الذين تأثروا تأثراً عميقاً بمبادئ الثورة
الفرنسية وأفكارها ، وامتصوا جاناً على الشرق أن يدير أساليب الحكم الاستبدادي الذي
حرى عليه ، وبما أنه عاصر أواخر أيام نابليون ، وشاهد بنفسه ما أصيبت به الجزائر
وما منبت به المقاومة التي أطاح بها الأمير عبد القادر فقد أدرك أن الخطر الأكبر
إيس هو في مهاجمة الفرنسيين بالبلاد ، ولكنه في الأمراض الاجتماعية والأخلاقية
التي مكنت بها . وقد درس خير الدين القوانين والتنظيمات الجديدة التي صدرت
في تركيا على عهد الخليفة عبد المجيد الأول ، واستمع لنصائح وأفكار المصلحين
العثمانيين الكبار أمثال قواد محمد باشا ، ورشيد عالي باشا ، التي كانت ترمي
إلى التخفيف من استبداد الحكم المطلق ، وتعمل على إيجاد دستور مثالي
مقتبس لا من الدستور الإنجليزي ، بل من دستور كافر الإيطالي — تلك
الأفكار النيرة التي بدت بعد بأجل مظاهرها في شخصية المصلح الدستوري
العثماني الكبير مدحت باشا . وقد وضع خير الدين كتاباً يلخص فيه آراءه
ونظراته الدستورية .

حاول المصلح التونسي أن يخلق آراءه الحديثة في تونس ، ولكنه
اصطدم بمقتبين كبيرين : أولاهما استبداد الوزير الأكبر مصطفى خازن
الذي حكم تونس مدة أربعة وثلاثين عاماً ، كان فيها مثال الجور والإرهاب

والإبراز لأموال الشعب وذخائر الدولة . وثانيتها مشايخ الدين الذين كان لهم
 قوة مطلق على ذهنية الأمة . مع عامل ثالث هو تخوف الشعب التونسي من
 الإصلاحات التي كانت تنبعس من الغرب ، فلذلك منه أن كل شيء غربي يمس
 بكيان الأمة ووجودها . وقد حاول خير الدين أن يستعمل كل الوسائل لكسر
 شوكة الخازن فلم ينجح . واعتدى بعد إلى أن الوسيلة الوحيدة هي استعجاب
 عطف الباي عليه . قدم لبساطه شاباً يدعى مصطفى بن اسماعيل ^{بن} خضران ما
 استولى على عقلية العاهل ، وأثر في تصرفاته . وانتهى الأمر بتفائل ^{قوة} ^{تخوّل} ^{الدين}
 في البلاط ، فاستطاع أن يفتح الملك بقبول الفكرة الدستورية ، فأعلن سنة ١٨٨١
 دستور المملكة التونسية الجديد .

وقد كانت هذه الخطوة الجريئة خير وسيلة لإنهاء الدولة التونسية
 وحمايتها ، ولكن الدول المتنافسة على تونس لم يكن يسرها هذا العمل البقائي
 الكبير ، فتآمرته بأنواع كثيرة من أهمها تشجيع المجاهدين من رجال الدين على
 استنساكها . وقد تظاهر بالمعارضة ممثلاً فرنسا وإيطاليا بعد أن كانا يظهران
 رغبتها في تأسيس نظام حي بتونس ، وأستعدا بقية الدول الأخرى للوقعة
 على معاهدة باريس سنة ١٨٥٦ التي ختمت حرب القرم ، وحددت مدى الوضع
 الراهن في الشرق . واستطاع هؤلاء المستعمرون بدعائياتهم وتدخلاتهم أن يهيئوا
 الشعب نفسه صدا على هذا الدستور . وكان لم في مصطفى بن اسماعيل أداة فعالة
 في مماكة خير الدين الذي خافه وجعل منه شخصية مهيمنة في بلاط الباي .
 وهكذا بقي الدستور التونسي حياً على ورق .

لم يكن خير الدين باشا من أبناء الشعب السمين ؛ بل كان من أصحاب
 الأراضي الواسعة ، ومن ذوي المصالح المادية الكبيرة . وهذا بالطبع ما جعله
 يصرف طرقاته من وقته في استغلال أمواله وتأمينها ، وتأجير المقاربات وبيعها ،
 وما جعله يفعل كثيراً لروستان فنصل فرنسا العام الذي لم يكن يتأخر هو أيضاً
 عن الاشتراك في المنازعات المالية واستغلالها . وهذا ما حاج عليه الرأي العام

التونسي ، وأغضب الباي الذي أخرجه عن الوزارة في ٢١ يولييه سنة ١٨٧٧ .
ويجب أن نلاحظ أن الباي كان قد جدد قبعته للباب العالي ، وأعطى
حق المقدم مع الدول الأجنبية فيما يخص تونس للخارجية العثمانية . ودلائل دوماً
لمطالع الفرنسيين وإبعاداً لهم عن كل محاولة لفتح البلاد .

خرج خير الدين من تونس ملتجئاً للباب العالي . ولما اغتيل السلطان
عبد العزيز ومات السلطان مراد الخامس معتقلاً ، وارتقى عبد الحميد العرش قرب
إليه خير الدين نظراً لمواهبه العالية . وكان عبد الحميد ميالاً للدستور في أول
عهده . ولما كان نافذاً على مدحت أبي الدستور العثماني فكر أن يستند خير الدين
الصدرارة العظمى حتى يتخذ شخصياً الإصلاحات المرتقبة . فتولى المصلح التونسي
الصدرارة العظمى فعلاً ، وحاول بكل إحلاص وذكاء أن يطبق دستور مدحت
على ضوء تجارب التنظيمات ، ولكنه اصطدم بعد سنة واحدة بمحمود الثانيين
في فهم الفقه الإسلامي ، وتذبذب عبد الحميد الذي فضل الرجوع للحالة التقليدية
التي ظلو عليها من قبله من الخلفاء . فاضطر خير الدين للاستعانة بولي في
الاستعانة بالوزير مات .

ولكن خير الدين من تونس ، وببعضه لثقلاته (بالانفذا) لشركة
حارصين الفرنسيين ، ورفض الباي الاعتراف بهذا البيع أدى إلى استحصال الحالة في
الداخل . وتطور الأمر إلى أن طلب قنصل فرنسا من الباي إعلان الحماية ، فرفض
الداخل ، واستند الشعب للمقاومة ، وحدثت بعض الوقائع من الكرميين في
حدود الجزائر ، فاحتجت فرنسا ، وليكن محمد الصدوق باي تونس رفض معاقبة
القبيلة على عصيائها البسيط ، فقررت الحكومة الفرنسية عزو تونس وسلبت عليها
جيشاً يشتمل على ثلاثين ألف مقاتل ، واضطرت الباي تحت الضغط والإكراه
إلى توقيع معاهدة باردو وإعلان الحماية على البلاد (١٢ مايو سنة ١٨٨١) .
لكن الشعب التونسي لم يعترف بهذا التوقيع ، وسرعان ما قامت ثورات
متعددة في الجنوب خاصة في معاقمين والقيروان ، وصرح الباي بأن الفرنسيين

أرغموه على إمضاء المعاهدة التي لا يعترف بها ، فغزت فرنسا تونس للمرة الثانية حيث سلطت على صفاقس نيران بحريتها وحرقت ممالك شديدة احتلت بعدها الجيوش الفرنسية البحرا والبرل والجبرا وداراي ، ولكن لم تستطع أن تقهر المقاومين الذين اعتصموا بالداخل . وقد برز في هذه المقاومة رئيسان تونسيان هما علي بن خليفة ، وعلي ابن غدان .

وفي خريف السنة هجم الجنرال سوسى بثلاثة جيوش على القيروان ، حيث احتلها بعد صراع عنيف أبلى فيه التونسيون بلاه حسناً . وفي الربيع استؤنف الهجوم (إبريل — مايو سنة ١٨٨٢) على بقية الجنوب . ولكن للهزيمة الوطنية استمرت حتى فصل الشتاء (١٨٨٢ — ١٨٨٣) .

وعلى الرغم من احتلال الجيوش الفرنسية لمناطق القطر التونسي فإن فريقاً من المقاتلين التجأوا إلى طرابلس حيث استمروا في تنظيم حرب المصائب في الجنوب التونسي حتى سنة ١٨٨٨ التي تنازلت فيها تركيا عن حقوقها في تونس

في
الأبواب
التي

الحركة الوطنية بعد الحماية

انتظم الأمر للفرنسيين في تونس ، وتركزت جيوشهم في جميع الواقع الاستراتيجية ، ولم يعد من الممكن للشعب الاستمرار في المقاومة المسلحة ، ولكن ذلك لم يقتل الروح القومية ، ولافت في عهد الساميين خصوصاً بعد أن شاهد التونسيون إخلاف فرنسا لجميع وعودها التي ادعت أنها لم تنجىء لتونس كدولة حامية ، وإعمايها إرشاد الحكومة الوطنية ، ومساعدتها على إقرار الأمن والسكينة ، فتسكوت حركة قوية يترعها الشيخ محمد السنوسي ، وألفت وفداً يحمل عريضة ممصاة من مختلف طبقات الشعب لسمو الباي يمتحنون فيها على شكل الحكم المباشر الذي تجريه السلطات الفرنسية في البلاد ، فاستقبلهم سمو الباي ، ولما ألقى الشيخ السنوسي بين يديه خطاباً في تصوير حال الشعب التونسي تحت النظام الحاضر بكى بالاك وأكد لاسمعتجين تضامنه معهم في المطالبة بالحقوق للرسمية .

في وقتئذ أيدت السلطات المحتلة الشيخ السنوسي إلى خارج القطر ، واعتقلت السيد حسونة بن مصطفى في مدينة قابس ، وسجنت غيرها من أنصار الحركة .

والشيخ السنوسي زعيم أول حركة وطنية في تونس بعد الحماية من عماء الزيتونة المعنورين ، وهو أستاذ محمد ناصر باي الذي صرى من بعد تضامنه مع الوطنيين التونسيين ، وكان السنوسي محرراً في الرائد الرسمي قبل الاحتلال .

وبعد سنتين من هذه الحركة ظهر في البلاد عالم جديد ، هو الشيخ المكي ابن عرو من شيوخ الزيتونة السلفيين ، فنشر في الوطن دعوة لمقاومة الشيوخ الجامدين الذين كانوا السبب في هرقلة الإصلاح الذي أراد بهير الدين ومن بعده ، وكان

لهذا الشيخ فضل في تكوين ثلثة من المتنورين ، من بينهم الشيخ عبد
العزيز الثعالبي ..

هاجر الشيخ المكي إلى الشرق ، ومات فيه ، واسكن أفكاره التي فرسها في
تلامذته الكثورين ظلت قائمة مستمرة الترمع ، ومرعان ما اجتماع هؤلاء
التلامذة ، وأسسوا جريدة باللغة الفرنسية للدفاع عن مصالح التونسيين اسموها
(المستقبل التونسي) ، وأخرى عربية تحمل اسم (حبيب الأمة) ، وأخرى هي
(سبيل الرشاد) كان يديرها الشيخ الثعالبي بنفسه ، ومن أبطال هذه المرحلة
الانتقالية للحركة التونسية : علي كاهيا ، والشيخ زروق ، والحادي السبي .

جماعة الحاضرة :

وفي سنة ١٩٠٥ كان جماعة من الطلبة الذين سبق أن أوردتهم الحكومة
التونسية قبل الحماية من متخرجي المعهد الصادق لإنعام دراستهم في الخارج ،
وأذنت لهم السلطة الفرنسية بالرجوع بعد أن استتب لها الحال - قد عادوا يحملون
من الأفكار التحريرية ما يخولهم حق التقدم لتنوير الرأي العام التونسي وقيادته
وكان أبرز هؤلاء الشبان وأقوام شخصية هو السيد علي أوشوشة صاحب جريدة
(الحاضرة) . فاستطاع أن يجمع من حول الجريدة كتلة قوية من أصدقائه وغيرهم
من مثقبي الزيتونيين والمدرسين ، وقاموا بحركة قومية ودينية ترمي من جهة إلى
تقوية روح الطغر التونسي بحركة الجامعة الإسلامية ، وتطالب من جهة ثانية
بتنفيذ الدستور التونسي الذي ظل معترفاً به بعد معاهدة نرسى ، واتفاقية باردو
وهما الوثيقتان اللتان تستند عليهما الحماية .

والحق أن هذه الحركة كانت تنفذي بالروح التي ترد عليها من مصر ، كمدى
للدعاية التي قام بها جمال الدين ومحمد عبده ، وتفقدى بالحركة الوطنية التي انبثقت
من روح الزعيم مصطفى كامل ..
وقد زاد هذه الحركة توجيهاً صحيحاً اتصال رجالها مباشرة بالشيخ محمد عبده

والأستاذ محمد بك فريد ، حين زار تونس وناقشنا رجائنا ووجدنا خطة المطالبة الإسلامية . وإليه يرجع الفضل في تأسيس معهد ابن خلدون الذي أريد منه تكوين ثانوية عربية عصرية .

ومن رجال جماعة الحاضرة الأستاذ بشير صفر أبو النهضة الثقافية التونسية ، والذي لا ندسى مقالاته العديدة في (الحاضرة) دفاعاً عن استقلال المغرب الأقصى ووحدة ، وكذلك عمر أبو حبيب ، وعلى البقلائي .

وقد كان لهذه الجماعة اتصال بالحركة الدستورية للراكية التي كانت تنشر مقالات عديدة في (الحاضرة) تنقد بها سياسة الملوك عبد العزيز ، وتطالب بسياسة أقوى لحاية المغرب من الدسائس الفرنسية بعد الاتفاق الودي سنة ١٩٠٤ .

وفي سنة ١٩٠٧ قامت في القصرين (جنوب غربي تونس) ثورة قامت رعاة على بن عثمان أحد شيوخ القبائل كرد فعل للاستعمار الفلاحي واغتصاب الممرين للأراضي ، وقد وجهت الحماية عليهم حملة عسكرية انتهت بقمعها واعتقال رئيسها الذي أعدم رمياً بالرصاص .

مذهب تونس الفتاة

مذهب

لم تكن الجزائر للفرنسيين إلا مدرسة لتخريج سائهم على اللبادي مذهب التي يمكن تطبيقها في كل الشمال الأفريقي . وقد رأينا كيف استعانت بـ **مذهب الفتاة** الثالثة لتقوية جالب المستعمرين في الجزائر بإصدار مرسوم (كويش) **مذهب الفتاة** بتجنيس سائر اليهود الجزائريين دمة واحدة ، وقد حاول الفرنسيون تطبيق السياسة نفسها في تونس ، لحملوا يهودها سنة ١٩٠٧ على شن حملة شعواء على العدلية التونسية ، والمطالبة بالجنسية الفرنسية . وقد كانت هذه صفات المستعمرين كلها في جانبهم نظراً لما تؤمله من وراء ذلك من تقوية مذهب الجالية الفرنسية التي لم تكن ضعيفة بالنسبة الأهالي صط ، بل حتى بالنسبة للإيطاليين الذين

استمروا الهجرة لهذه الأرض الأفريقية السمحاء ، وقد تقدمت فئة من الشباب التونسي المثقف لمقاومة هذا التيار ، ومنح الحماية من التجنيس الاجماعي لليهود باعتبار أن ذلك يمس سيادة البلاد وسلطة مليكها . وكان يتزعم هذه الحركة المرحوم علي باش حبة ، وثلة من أصدقائه الذين انضم إليهم وقتها الأستاذ أحمد الصافي . وقد تطورت هذه المقاومة إلى حركة عدائية لليهود أدت إلى نشر دعوة ناجحة في مقاومتهم مادياً وأديبياً ، وانتهى الأمر بإحجام الحماية عن تطبيق خطتها الجزائية .

ولقد استفادت تونس من مقاومة اليهود كثيراً فتحضرت هم المسلمين للتجارة ومراحة غيرهم في الميادين الاقتصادية ، وإلى ذلك يرجع الفصل في إبعثات الروح التجارية في تونس وتطورها اليوم رغم فقدان وسائل التشجيع والتنشيط . انتهت الحركة مع اليهود بفقر كبير ، فشجع ذلك الشباب الذي القى من سحر الحركة العظيم علي باش حبة ، وكون حزب للمقاومة الذي أطلق عليه من قبل (حزب تونس الفتاة) سنة ١٩٠٨ ، وأسس الحزب جريدة (التونسي) بالفرنسية ، ثم أخذ بنشرها طبعاً عربية يدبر تحريرها الشيخ التماحي .

كان اتجاه هذه الحركة كالياً على فرار تركيا الفتاة ، ولكنه في الوقت نفسه بما انضم إليه من رجال جماعة (الحاضرة) الأولى أصبح يؤيد فكرة الجامعة الإسلامية ويتمون مع رجالها .

والحق أن تونس لم تشهد نشاطاً أعظم من نشاط هؤلاء الشبان المخلصين ، كما أنها لم تنجب في تاريخها الحديث شخصية أقدر ولا أكثر جاذبية من شخصية الزعيم علي باش حبة . ولذلك لا يمكننا أن نمر هذه المرحلة من تاريخ الكفاح القومي في تونس دون أن نقف عند هذه الشخصية البهيلة ونسرد بعض أعمالها يمت علي باش حبة لعائلة تونسية عريقة في الحدا ، وكان حائلاً صغيراً عند ما عقدت معاهدة الحماية . وقد ترعرع في ظروف شاذة كانت لا تبخل فيها فرنسا بنشر ثقافتها في المدن . وبعد أن درس العربية في جامع الزيتونة دخل بعض

المدارس الفرنسية ، وحصل فيها على قسط وافر من الثقافتين ثم سافر إلى باريس حيث انخرط بكلية الحقوق وعاد إلى تونس ، فانضم إلى سلك المحاماة ، ولكن روحه الطموح وقفه الجروح أبداً أن تشغله بقضايا الخاصة ، فقصّر اهتمامه على خدمة بلاده وتأييد الشعب لانتحرر من الحكم الفرنسي . وقد كانت آراؤه شبيهة بآراء مصطفى كامل ، وأشدّ نظراً من أفكار جماعة (الحاضرة) ، وهو أول زعيم فكري في ضرورة توحيد المغرب العربي في ميدان التكفاح ، وقد مدّ يده للقائمين بالجزائريين ، وأسس أخوه في برلين جمعية تسمى بالجمعية التونسية الجزائرية . وفي الوقت نفسه انضم رجال الحركة في تونس إلى جمعية في الوقت الذي كانت فيه هذه البلاد تدافع عن كيانها . وكانوا في ذلك الوقت المجاهد المغربي السيد العتاي بعد ذلك كما سنبينه .

أما في تونس فكانت دعوته مؤثرة في تهيج الرأي العام على الفرنسيين ، وتأكيدهم الاعتراف بالخلافة العثمانية وسلطتها على تونس ، واستمر جهاده تارة يعلو ، وأحياناً يصفى ، حتى سنة ١٩١١ .

وفي سنة ١٩١١ احتلت إيطاليا طرابلس الغرب فهاج العالم الإسلامي وكان لباش حجة دور فعال في المغرب ، فكان هو وأنصاره صلة الوصل بين السفارة العثمانية في باريس والقيادة العثمانية في طرابلس ، وبذلك صارت تونس نفسه محرراً مريباً للضباط والاختصاصيين العثمانيين القداميين من أوروبا إلى طرابلس . وفي السنة نفسها حدثت في تونس حادثة الجلاز ، وكان سببها حال انقراض الذين أضربوا عن العمل أمداً طويلاً تحت إشراف باش حجة وجماعته . ولما كانت تونس تحتوى على حديد من الإيطاليين ، وكانت الإدارة مستعجلة بين التونسيين والإيطاليين من أجل احتلالهم لطرابلس فقد أدى جو الإضراب إلى مظاهرات انتهت بحادثة تصادم عنيف بين التونسيين والإيطاليين ، كبد الطرفين حديداً من القتل والجرحى . وقد اعتزم المقيم العام الفرنسي منيو لا بوتيت الذي كان من أهم المستعمرين الفرنسيين هذه الفرصة فاعتقل الوطنيين

على باش حجة ، وأخاه محمد ، وعبد العزيز الثعالبي ، وعبد البجليل الزاوش ،
والبشير صفر ، ونسيان وقلائي ، وضرغوت ، واختار كاهية ، وحل حزب
تونس الفتاة وأقفل صحفه . أما المعتقلون فقد أبعد بعضهم لجنوب ، وبقي
الثعالبي وعلى باش حجة ، وأحره ، تخرج البلاد . فأما الثعالبي «سافر لفرنسا»
ثم ذهب للأستانة ، وانتقل منها لألمانيا وجارة ، ثم رجع لتونس قبل إعلان
الحرب السكرى بقليل . وأما باش حجة فقد أقام في الأستانة إلى أن مات
كما سنبينه .

على باش حجة بالأستانة :

كانت الأستانة في هذا العهد ملجأ لجميع الزعماء المضطهدين من كافة العالم
الإسلامي . فما وصل لها على باش حجة حتى ظفر فيها بعديد من أبطال الجهاد
الغربي والإسلامي اللابئين ، أمثال محمد فريد ، وعبد العزيز جاويز ،
والباروني ، وعبد الحميد ، وأحمد ذواد ، وعلى الشمسي ، وأبي سعيد هندي ،
والشيخ علي بك البشير ، وأحمد أهاف من مسلمي روسيا . وكان هذا الوسط
كله يمثل نزعته الانتماء الجديد في السلم الإسلامي ، والاثبات الروحي السلفي
والمنظمة القومية السياسية . وكان عبد الحميد يساعد الكثيرين من رجال
هذه النزع ، كما كان (حزب الاتحاد والترقي) يعطف على جناح خاص من
رجالها ، فوجد الزعيم المغربي في هذه البيئة ميداناً لاستئناف نشاطه ، والعمل
على خدمة القضية التونسية خصوصاً والمغربية عموماً ، فأخذ يستفرهم العثمانيين
لمناصرة المغرب وتحريره بما كان يكتبه من مقالات ممتعة في جرائدهم التي تصدر
عن لسان حال الخلافة ومناصريها ، كجريدة (الشباب التركي) وجريدة
(تصوير الأضكار) وجريدة (طنين) التي هي منظمة العثمانيين الرسمية . وقد
أثرت دعايته كثيراً في توجيه نظر المشتغلين بالقضايا الإسلامية إلى حالة المغرب ،
وأكسبه عمه نفوذاً في هذا الوسط الكبير . كما وطد صلاته مع شكيب أرسلان ،

والباروني ، وجاويش ، ومحمد فريد . الأمر الذي قرب له رجال الدولة الألمانية ، حتى عين مستشاراً في المدلية ، ثم عضواً في مجلس الدولة . وحينما أعلنت الحرب عين رئيساً لهيئة التشكيلات ، وهي هيئة تشبه وزارة الدعاية . فسندت له الفرصة لأن يلعب دوراً كبيراً في الدعاية ضدًا على الفرنسيين وحلفائهم ، ونشر خطابهم في الشمال الأفريقي كله . وفي سنة ١٩١٦ عين مستشاراً لوزارة الخارجية ثم مستشاراً للصدارة العظمى .

— ١٩١٧ —

وفي هذه السنة قررت الحكومة الألمانية أن تؤمن في الشرق الأوسط هيئة لنزول شمال أفريقيا بالاتفاق مع رجالها اللاجئين . وقد كان كين هينريخ أحد أعضاء هذه الهيئة . وأبدت الإيطاليين من كل ماحولهم في ليبيا من طرابلس وبرقة ، فطلبت الهيئة المذكورة من أنور باشا تعيين الباروني واليا عاما على المناطق الحرة ، فصادق أنور على طلبهم ، وذهب الباروني على ظهر غواصة ألمانية لميناء بولا ، ونزل طرابلس ، واعدصم بحمل غريان حيث نظم المقاومة العظيمة ضدًا على إيطاليا في طرابلس ، وأخذ يبعث رسائله في نشر الدعوة للجزائر وتونس ، ويربط الشبكة بين أنور وحسن قلائي أحمد اللذين بقوا في تونس من حزب باش حجة ، وكان يحمل الرسائل بينهما مجاهد اسمه الحاج عمار أبو طارة . وفي سنة ١٩١٧ ثار (التوارجة) بقيادة زعيمهم موسى وعق المصطفي ثورة صحت للمصحاء كلها من أعالي النيل إلى أدبار في الساحل الأعظمي . فاضطرت جميع المراكز الصحراوية الفرنسية للانسحاب إلى الواحات ، وقتل في هذه الحركة الأب الجاسوس وهو كوال الذي كان مستكفًا في تامزاست (على ألف كيلومتر من ورجلة التي هي أقصى واحة في عمالة الجزائر) . واضطرب الأمن ، وأصبح لزائمًا على فرنسا أن تسحب الجنرال لايريس الاختصاصي في شؤون الصحراء من ميدان القتال الأوروبي ، وتمطبه قيادة الجنوب الجزائري ، فظل هلك إلى أن قتل سنة ١٩١٨ . ثم غزت بعد الواحات تونس الجنوبية حيث دارت معارك عظيمة قتل فيها السكولونيل لوبوف الذي تسمى به لا برج البوف ، الذي

أصبح بعد استقلال بلاد حرار التوابعين . وقد دامت المناوشات في الجنوب التونسي من سنة ١٩١٦ إلى سنة ١٩٢١ .

وهكذا استطاع أبناء الشمال الأمازيغي بفضل مجهودات الباروني وباش حجة ومن معهم من أبطال الجهاد العربي أن يفتحوا في أفريقيا جبهة جديدة لفرنسا وإيطاليا شملت عدداً من قواتهما أمداً غير قصير .

وفي سنة ١٩١٧-١٩١٨ تشكلت في الأستانة هيئة كانت تعمل لمحاولة جديدة ، هي جمع أسارى المزارقة في ألمانيا وتركيا ، وتنظيمهم ضمن فرقة واحدة تزود بالسلاح والذخيرة ، وترسل من طريق القواصات لطرابلس . وكان مقرراً أن يرأسها علي باش حجة بنفسه ليكون مندوباً عن الجمعية العثمانية لتحرير مسلمي الشمال الأفريقي من الاستعمار المسيحي . وفعلوا ابتداءً في نقل أركان هذه الحملة من عثمانيين ومباركة لطرابلس ، ومن جملة من نقل معاً من كبار الضباط الأمير عثمان بنود حفيد السلطان مراد الذي التحق بالباروني كرافق له وضابط من ضباط لوكاه .

ويفيني ألا تنسى ربط هذه الحركة التي وقعت في طرابلس بالحركة التي وقعت سنة ١٩١٥ و ١٩١٦ على الحدود المصرية في السوم وفي سيوه عندما أرسل المرحوم أموري باشا لشيخ السنوسي الكبير قوة عسكرية تحت قيادة أخيه بوري بك ، وضابط العراقي جعفر السكري أخى نجمين بك . فقامت بمقاومة عنيفة أملت الإنجليز حتى قهرت ، فساد بوري بك للأسبغانية ، وانتقل السنوسي الكبير تركها حيث نال تقديراً عظيماً إلى حد أنه فوض إليه تصديب الخلقاء العثمانيين بعد ما كان ذلك منذ عهد السلطان عثمان الأول محصوراً في يد احتفاد الملوك الجوقيين .

وقبل أن يحين للوعد الذي كان مقرراً لمفادرة باش حجة الأستانة للقيام بمهمة التحريرية أصيب عرض خطير يمتد أنه سرطان ، فاضطر للازمة الفراش . وكانت الدول الوسطى قد أخذت في التدهور ، فأهمل الأمر حتى حدثت كارثة

استسلام الدولة العثمانية ، وشامت الأقدار أن يموت على رأس حربة قبل أسبوع واحد من هذنة (مدرس) ، فدفن باحتفال مهيب مشى فيه الوزراء العثمانيون ، وقواد الجيش ، وقائد البلاط نائباً عن السلطان محمد السادس وحيد الدين ، ودفن بمقبرة « باشيكباش » .

إن هذه الشخصية التونسية خير مثال يجب أن يقتدى به الشباب المغربي وزعماء الحركة المعاصرة ؛ لأنه يمثل حركة دائمة وجهاداً مستمراً وثقانياً في خدمة القضية المقدسة . ولذلك لم نرد أن ننقل بحثنا من تتبع أعمالها في سبيل الاستقلال المغربي . ونحن نرى أن حركة « تونس الفتاة » كانت أكبر مظهر للصراع التونسي ، ونرجو أن يكون في هذا التذكير بها ما يساعد على الاقتداء بها والعمل على غرارها .

أما محمد أخو باش حبة الذي كان محامياً مثله فقد توجه باتفاق مع أخيه سنة ١٩١٦ إلى جنيف ، حيث قام بتأسيس مجلة أسبوعية باللغة الفرنسية سماها (مجلة العرب) ، وقد كلفت هذه المجلة مدة عامين مكاتبة عظيمة ، ثم وقفت بعد انقطاع المدد الذي كان يأتيها من اسطنبول .

ومن الاعتراف بالجميل أن نسجل المساعدة التي أسداها لهذه المجلة المرحوم فؤاد سليم الحجازي المصري صديق مصطفى كامل وسفير الدولة العثمانية في مدينة برن .

ولما انتهت الحرب وتوفى على رأس حبة عاد محمد إلى برلين واستأنف الجهاد في الأوساط الشرقية المهاجرة بألمانيا إلى أن توفى هناك سنة ١٩٢٠ ، ودفن بمقبرة « تمبايوف » الإسلامية ، ويسود فضل تشييد قبره للمرحوم طمئت باشا الصدر الأعظم العثماني واسماعيل بك لبيب الوطني المصري الشهير . أما في داخل القطر التونسي ، فبالرغم من حل الحكومة لحزب « تونس الفتاة » فقد ظل رجاله الباقون هناك يعملون في الخفاء تحت زعامة الشيخ الثعالبي . وقد رأينا كيف أن ثقل أحد رفقاءه كان على اتصال بأنور باشا والباروني .

وقد كان عناهم يدعهم في توزيع بعض المنشورات ، والقيام بدعاية عظيمة
وكانت السلطات تتابعهم متابعة فعالة ، فكانوا يجتمعون بمنزل الأمير محمد الحبيب
الذي أصبح يألوه بعد وفاة محمد الناصر احتفاء عن الناس ، ولما لبث الأمير من
الحصانة . ومع ذلك فقد اعتقلت السلطة سنة ١٩١٤ جمعا من أنصارهم ، من
بينهم الأستاذ توفيق المدني الذي اتهم بتعليقه في جدران الجامع الأعظم بشرات
نحت الجيش على الصبيان . ولما فاش بيعه عثر فيه على مراسلات بينه وبين
السيد الحسين الجوزي صاحب جريدة القديم ، فاعتقل هذا الأخير أيضا ،
وحينما فُتش منزله عثر عنده على أوراق تدل على اتصال بينه وبين المدني من
جهة ، وبين الإثنين والشيخ عمر بن قدور أحد المصلحين السلفيين في الجزائر
وصاحب جريدتي (الفاروق) و (المديق) من جهة أخرى . وقد بقي هؤلاء
وعبرهم في السجن طيلة أمد الحرب الكبري .

الوفد الوطني ومؤتمر الصلح

استكشفت الحرب العالمية الأولى عن انتصار الحلفاء وانهزام الدولة العلية التي كانت حركة « تونس الفتاة » تدق عليها أملاً كبيراً ، كما استكشفت عن نقطة العالم الشرق برمتها من أقصى الهند والصين إلى المغرب الأقصى . . . وظهر في العالم تياران خطيران كلاهما يهدد بحقوق الإنسان وبنادي بحرية الشعوب ؛ فمن جهة الثورة السوفييتية التي اندلعت في روسيا باسم التحرر ، والتي ملأت العالم إذ ذاك دعاية ضد الأمبريالية الفرنسية والفرنسية ، ومن جهة ثانية دعوة الرئيس ولسن التي تروج بها خطته السلمية ، والتي أعلن فيها مبادئ الأربعة عشر وهيكلها تنهض الوطنيين التونسيين بعد ما كتموا مدة الحرب . ومن الطبيعي ألا يشجعوا لماشدة المون من الجانب الثوري الروسي ؛ لأن دعاية الروس عاصفة من أول عهدنا ، ثم هي تؤدي إلى تصحيف كثير من العقائد الوطنية التي يؤمن بها الثمالي وصحابته ، فكان الاتهام القاتل الذي يتجهون صوبه هو مؤتمر الصلح الذي يدعى أنه يعمل لتعطيل العالم على أهداف من العمل والحرية .

وفعلا تقدم الثمالي وزميله أحمد الشقفا إلى الرئيس ولسن بذكره مطالبان فيها باستغلال تونس في الوقت الذي قدم فيه الصباط الجزائريون برئاسة الأمير خالد نفس الطلب . ولكن قصيدتي تونس والجزائر كقصائداً مراكش ومصر وسوريا لم تجد من رسل العلم والحرية في المؤتمر إلا إهمالاً كاملاً أو توجيهاً استثمارياً باطلاً فتوجه الثمالي نحو العمل على تنوير الرأي العام الفرنسي طاقداً بعض الأمل على رجال اليسار الذين كانوا شديدين في معارضتهم لحكومة الجبهة الوطنية التي تكونت في فرنسا بعد الحرب من أحزاب اليمين ، فأصدر في سنة ١٩٢٠ كراسه القيمة (تونس الشهيدة) باللغة الفرنسية ، شرّح فيها أحوال الاستثمار

الفرنسي بتونس التي انتهكت جميع حقوق الشعب التونسي القومية والسياسية والفردية ، وخاصة منها ما يتعلق باغتصاب الأراضي ، ومقاومة التعليم ، وكبت الحريات العامة والخاصة ، وفتح باب الهجرة للايطاليين والفرنسيين وأخيراً كل الوسائل التي ترمي لفرنسة الشعب التونسي على مثال الخطوة المتبعة في الجزائر .

ولقد تلخص الثمالي كل ما كتبه النائب الفرنسي مسيو بول فيليب دكتور الذي كان أوفد لتونس سنة ١٩٠٦ بشأن يتعلق بالبرابرة التونسية في كتابيه الذين أحدهما ضجة عظيمة في فرنسا ومستعمراتها وما (لوبانا ماتوسيان)^(١) و (مرق البرنس)^(٢) فيما يتعلق بالصومعة الولاية الفرنسيين التي كانت تدفعهم إلى اقتطاع المقارات الواسعة التي تملح مساحاتها بين الأفقيين والعشرين ألف هكتار ، مسجلا أسماء الأراضي المنتصبة ، وأسماء رجال فرنسا وقوادها ، وأصحاب جراند الكرى ، والشركات العقارية التي أصبحت مستولبة عليها ، مصورا ما أدى إليه ذلك من انتشار الفقر المدقع بين الأهالي وسوء حالهم ، الأمر الذي يبين بوضوح فشل الحماية التي تجاوزت كل حدود الرقابة إلى الحكم المباشر والسيطرة الاستبدادية ، وانتهى إلى المطالبة بتأسيس حكومة تونسية مسؤولة أمام مجلس يمثل الأمة التمثيل الصحيح حتى يتمكن الشعب من ضمان مصيره ومراقبة شؤونه

وبينا كان الوفد الذي يرأسه الثمالي يوالى جهوده بباريس كان رفقاؤه بتونس بنظرون اتصالات أخرى بسمو الباي ومقيم فرنسا العام . ولكن الظروف الساحلية التي وجدوا فيها كانت تعبرهم على أن يكونوا أقل حدة في تقديم وتطرقا في مطالبهم . فكان حديثهم مع المقيم العام فلايدان في المقابلة التي جرت لهم معه في شهر ماي سنة ١٩١٩ لا تتعدى موضوع إعطاء تونس نظاما دستوريا . وفي يونيو سنة ١٩١٩ تقدموا لسمو الباي بمقاربة الاحتفال بعيد القطر ورفضوا له عريضة يطالبون فيها باسم الشعب بالتحريح بالدستور ، فأظهر الباي مطلقه عليهم ، ووعدهم

(١) لوبانا ماتوسيان Le Panama Tunisien

(٢) مرق البرنس La Suer du Bernous

بإرضائهم في مطالبهم .

وإزاء هذا الوعد الصريح قرر رجال الحركة تأسيس حزب جديد يقوم على أساس المطالبة بنظام دستوري ، وأطلقوا عليه اسم «حزب الدستور» وقد أعربوا عن عايتهم من هذه المنظمة في بيان نشره على الشعب جاء فيه ما يأتي :

«الماية من تأسيس الحزب هي تبليغ الوطن رشده ، وتحريره من الاستعباد لكي يصبح الشعب التونسي حراً متنبهاً بكامل الحقوق التي تتمتع بها الشعوب الحرة . وهو يريد أن يصل لهذه الغاية عن طريق التحقيق العاجل لنظام دستوري يسمح لهذا الشعب بحكم نفسه بنفسه ، وفقاً للأسس التي يسير عليها كل العالم المتحدين » .

وإذن فقد تأسس هذا الحزب الجديد على غير ما كانت عليه حركة «تونس الفتاة» التي كانت ترمى إلى الاستقلال التام قبل كل شيء ، وعلى غير ما سار عليه الحزب التونسي برئاسة الثمالي . وليس معنى هذا أن «تونس الفتاة» لم يتكونوا يرمون — على الأقل فيما بينهم وبين أنفسهم — إلى نفس الأبدأ الاستقلال الصحيح ، ولكنهم فيما يظهرون أخذوا خطة أقل وضوحاً من خطة منظمهم ، وإمامهم كانوا يرون في هذا القموض سياسة تسمح لهم بقطع مرحلة يتمكنون فيها من إعادة تنظيم أنفسهم ، إنما ستظل هذه السياسة خطة الحزب حتى سنة ١٩٢٥ كما سنبينه . وهل كانت البقية الباقية من رجال «تونس الفتاة» كلها راضية عن هذا الانحياز الجديد ؟ وهل كان عمل الإخوان في تونس متصفاً مع إرادة الشيخ الثمالي وأحمد السقا ؟ الذي نعلمه أن الذين قاموا بهذه المحاولة الدستورية كانوا كلهم من متفرحي الجامعات الفرنسية ، وأن الزيتونيين من الوطنيين لم يعضوا إليهم إلا بعد رجوع الثمالي ورؤسه للحزب .

أما الشيخ الثمالي نفسه فيظهر أنه لم يكن مصادفاً في قرارة نفسه على هذه الخطوة ، وإنما اضطر إلى مسايرة التيار العام حتى غادر البلاد إلى أرض المروبة التي تمكنه من المجاهرة برأيه الكامل .

أخبرني السيد محي الدين القليبي أنه في وقت شبابه الأول دخل على
 الثعالبي ليطلبه عن مقال كتبه في بعض الجرائد ، فسربه الشيخ وقال له : يجب
 أن تنخرط في الحزب الدستوري ، فقال له السيد محي الدين : إني مستعد للعمل
 معكم ، ولكم تطالبون بالإصلاح الدستوري ، وأنا أريد الاستقلال ،
 ولا يمكن أن أقسم بين الحزب إلا إذا كانت غايته هي الاستقلال ، فتبسم
 الشيخ الثعالبي ، وظهر على وجهه تأثر كبير ، وقال له : يا ولدي : إن هذه خطوة
 ارتضاها إخواننا نحاولا في السياسة ، أما أنا فقد كنت أفضل الصراحة التي قلت
 بها ، ومع ذلك فلا تقسم إلا على الاستقلال لأن تلك هي غايتنا جميعاً .

صارت هيئة الحزب الجديد على خطتها ، وعمدت إلى استغلال كل الظروف
 والحوادث لتحقيق مهمتها الدستورية . وحدث أن الحاية حاولت الاستيلاء على
 الوثائق الخاصة التي تنصرف فيها بعض المصالحات وفقاً للفظ الواقفين ، وأن المقيم
 في فلاندا حارل استعراض تونس لمائتين وخمسين مايوناً من الفرنكات
 لشكاكيل بحزب الليبرانية ، فأثار ذلك غضب الجمهور ، وخاصة المنتهين بالوقف ،
 فتركب وفد جديد تهتت بإشراف الدستوريين يشتمل على الشيخ مصطفى الياحي ،
 والشيخ البشير البكري ، والشيخ حمودة اللشير ، والأستاذ البشير عكاشة ،
 والأستاذ صالح بن المجبوزة الحاميين . ثم سافر لفرنسا بقصد الانسحاب بالحكومة ،
 والاحتجاج على عمل فلاندا . وقد قدم هذا الوفد زيادة على ما خرجت فيه من
 ميثاق الوفد الأهم مطالب الدستوريين القصة وهي :

١ - تأسيس مجلس تشريعي متركبة من التوفسيين والفرنسيين ينتخب
 انتخاباً عاماً ، على أن يكون له الحق في وضع محضر جلساته ، وذا اختصاصات
 واسعة فيما يرجع للديزانية .

٢ - تأسيس حكومة مسؤولة أمام هذا المجلس .

٣ - الفصل بين السلطات التشريعية والتنفيذية .

٤ - تفويض التوفسيين الحق في سائر الوظائف إذا توافرت فيهم الشروط

التي تجب على المشرع الفرنسي .

٥ - المساواة في أجور المواطنين التونسيين والفرنسيين .

٦ - تأسيس مجالس بلدية منتخبة .

٧ - التعليم الاجباري .

٨ - تشريك التونسيين في حق شراء الأراضي الراجعة لإدارة الزراعة ،

أو لإملاك الدولة .

٩ - حرية الصحافة والاجتماعات والمجمعات .

وهذه المطالب التسعة تدل على تفهم حتى عن المرحلة الأولى من تأسيس الدستور ، ولكن يظهر لنا أنها لم تقدم على هذه الصيغة إلا لأنها كانت استملافاً لوفد ركب أولاً وقبل كل شيء للدفاع عن الوقف الأهلي . وفملاً قد عاد الوفد من باريس دون الحصول على شيء إلا إلغاء مشروع فلاندان في الوقف ، ومشروعه في القرض . وقد توجه وقد حديد إلى باريس في ديسمبر من آخر سنة ١٩٢٠ ، ولكنه عاد أيضاً دون الحصول على نتيجة كبرى .

لكن هذه التجربة التي قام بها مؤسسو الدستور لم توقف الثعالي عن دعايته في باريس . وقد اعتقلته السلطة هناك بتهمة التآمر على أس الدولة الفرنسية ، ونقل إلى تونس حيث زج به في السجن المسكري ، كما قبض على صديقيه في الجهاد الشيخ محمد الوياحي والشيخ صالح بن يحيى . وبعد ٩ أشهر أطلق سراحهم ، فبعاد الثعالي وصديقه للعمل ضمن الحزب الجديد مكونين جناحه الأيسر ، وظلوا تنظيمياً متيناً حيث أصبح الثعالي رئيساً له ، الأستاذ أحمد الصافي أمينه العام ، وامتدت دعايته وتشكيلاته في أهم جهات الأقاليم التونسية فاضطرت الحكومة الفرنسية لأحداث تغيير مؤقت في سياستها ، وذلك بإعفاء فلاندان وتمييز لوسيان سنان خلفاً عنه .



وفد الأربعين وتضامن الباي

ما كاد لقيم العام الجديد يصل يوم ٦ يونيو سنة ١٩٢٦ حتى كان الدستوريون قد هياؤا وفداً جديداً يحتوى على أربعين عضواً يمثلون مختلف طبقات الشعب التونسي ، وقدموا إليه لمطالب الدستور التي سبق لوفودٍ أخرى أن رفعتها ماريس . وقد أصبح هذا الوفد يعرف بوفد الأربعين ، وقد قبلهم لقيم بأنه مستعد للتعام معهم في تحقيق بعض الإصلاحات التي لا تتفق مع نظام الملكية ، أما الباقي فهو من اختصاص الخارجية الفرنسية ، وكان لقيم يرمي في هذه الظروف بتأييد بعض الإصلاحات الحزبية التي لا تقرر تكوين دستور صحيح ولا دستورية الحكومة أمام ممثلي الشعب . وقد توجه الوفد في الوقت نفسه عند سمو الباي الباصر فاقبلهم في احترام كبير ، وأعلن لهم تضامنه معهم في مطالبهم ، واستعداد سموه للمصادقة على مبدأ تكوين حكومة دستورية .

وكان رئيس الجمهورية الفرنسية م . ميربان قد زار مراكش ، وتقرر أن يرجع على تونس ، فأرادت الخارجية الفرنسية أن يكون وصوله لها في جو هدوء وطمأنينة ، فبمشت لسمو الباي تخبره بأن الإصلاحات تقرر تحقيقها ولكن سدد رجوع السيوميلران من رحلته ، ومطلبت منه أن يتدخل لدى رجال الحرب لإقناعهم بضرورة هجامة رئيس الجمهورية أثناء مروره بالإيالة التونسية ، فبمشت سمو الباي كبير حجابيه محمد العيد ، وأمر بالأي الصلة للملكية الشاذلي خازندار ، فاقبلهما بمركز الحزب الحر الدستوري الشيخ الشاذلي والأستاذ أحمد الصافي ، وأبلغ رسولا الباي لقرعيين أن م . بواسكاريه أكد لسمو الباي استعداد الحكومة لتحقيق المطالب بمجرد ما تنتهي الزيارة الرئيسية .

زار الرئيس ميلران تونس وقومل بالحناة المناسبة ، ولكنه خطب فأعلن

أن تونس مستغال مرتبطة بفرنسا إلى الأبد ، فنصب الشعب لهذا التصريح ، وقارن بينه وبين الوعد الرسمى الذى أعطاه بوازكاريه لسو الذى والحرب ، وتقدم لوسيان سان بيصص ما سماه بالإصلاحات ليعرضه على سمو الناصر السائى ، فرفض سموه المصادقة عليها نظراً لكونها غير كافية ولكونها مشوهة .

وبينما كان الجو السياسى مضطرباً ، وكانت العلاقات بين القصر والإقامة فى أشدها يمكن من التوتر حدث أن نشر صحافى فرنسى من جريدة البيتى باريسيان حديثاً زعم أنه جرى له مع الباي ادعى فيه غضب سموه على رجال الحركة الوطنية وانهمهم بأشيوعية . وما اطلع الباي على هذا التصريح حتى ثارت ثائرتة ، وأمر رجال حكومته بتكذيبه رسمياً ، ولكن كلاماً من رئيس الوزارة ووزير التشريعات خافاً على نفسهما ورفضاً أن يعلنوا التكذيب ، فدعا الباي الصحفيين بنفسه وأعلن تكذيبه للخبر وعزيمه على عزل رئيس الوزارة ووزير التشريعات .

وحادل السائى أن يحقق ما أرادته من إعفاء الوزيرين ، ولكن الإقامة العامة تشددت فى الموضوع ، ورفضت كل الرقص أن تترك لسموه هذه السابقة التى تتم على مروج من السيادة فى نواية الوزراء وإعفائهم ، وهنا ظهرت شهامة محمد الناصر وبخونه العربية حيث قابل هذا التحدى بإعلان تنازله عن العرش .

ولكن الشعب الذى رأى شجاعة ميكة وعظيم ثباته لم يكن اينخذله فى مثل هذا الأوان ، فثار هو الآخر مسلحاً تضامنه مع ذلك ، وغضبه على سياسة الحماية واعتدائها ، ووقعت مظاهرة الكبرى يوم ٥ إبريل سنة ١٩٢٢ التى أدت إلى اعتقال عدد كبير من الأشخاص البارزين . وبعد مظاهرة واقتناع الباي بالاستمرار فى ذلك توجه لوسيان سان بيصص بفرقة من جنود أفريقيا أحاطت بالقصر ، وقدم لآئمة لذلك تشتت على أسماء ٣٦ شخصاً من زعماء الحركة وأقطعها طالباً من سموه المصادقة على إبعادهم ، فأجاب سموه بالباي . — « إن لاأمتك باقصة العدد ، وكان من حقك أن تضم إليها اسمى وأسماء أفراد عائلتى » . فرد للقيم عليه رداً غير لائق ، وكان ولده المنتصف الذى أصبح بابا بعده ، ثم نفى إلى

جندوب فرنسا ، حاضراً قرجر المقيم وطالب منه أن يتكلم في حدود الأدب .
 رجع رئيس الجمهورية لباريس ، ومرت هذه الحوادث سرايا ، وبينما الشعب
 ينتظر الإصلاحات الموعودة إذا بسمو البهي يموت فجأة بمرض غير معروف ،
 وظل موته موضع الريبة والتقول في الوسط التونسي إلى اليوم ، وحنقه سمو محمد
 الحبيب باي فصادق على الإصلاحات التي رفضها الناصر ، وبدأت سياسة القمع
 من جديد .

رحلة الثعالبي للشرق

بينما فيما سبق أن دار الأمير محمد الحبيب كانت وقت الحرب هي مجتمع رجال الحركة ، يعملون فيها في مأمور من أعين الرقباء والحفاة ، وكانت أوراقتهم ووثائقهم كلها محفوظة في بيت الأمير الحبيب ، ولكن عمل الحبيب بعد ما اعتلى العرش كان غير عمله وهو ما يراد أميراً بعيداً عن كل المسؤوليات . وقد حدث أنه أمضى الإصلاحات التي تقضى بتأسيس المجلس الكبير المختلط ، والفرقتين للتجارية والفلاحية بعد ما وعد الشيوخ الثعالبي وصاحبه بعدم المصادقة عليها ، فأدى ذلك إلى حدوث اختلاف شديد بين الدستوريين والبهائي ، وخشي الأولون من أن يستغل الباي مركزه لينتقم من أصدقاء الأمس وخصوم اليوم ، خصوصاً بعد ما هدد الباي الثعالبي مذكراً له بالأسرار التي بين يديه ، فقرر الحزب أن يسافر الثعالبي للشرق واضعاً بذلك حداً لهذا الخلاف الذي يمكن أن يعطور — لو استمر الزعيم الكبير في عناده — لدير صالح التونسيين وقضيتهم .

سار الثعالبي للشرق سنة ١٩٢٣ ، ولم يرجع لتونس إلا سنة ١٩٢٧ ، وقد زار أثناء هذه اللمة مصر وسوريا والعراق والحجاز والهند وغيرها من البلدان وقام بدعاية قوية في الأوساط العربية والإسلامية لصالح القضية التونسية . وشارك في مؤتمر فلسطين عام ١٩٣٠ وانتخب عضواً بلجته التنفيذية ، ووجه من قبله للبحث في قضية اليهوديين في الهند ، وظل موثقاً بالاحترام من جميع الأوساط التي ما زالت تذكر فضلهم وعلمهم ونشاطهم في قضايا العرب كلها . ومن أحسن الشهادات التي سمعتها فيه شهادة السيد الفاروق رئيس القسم الشرق في المؤتمر الهندي وأحد زعماء المسلمين بالهند فقد قال لي : إنه لم يصكنا للهند أحد أعلم ولا أحب إلينا من الثعالبي . وناهيك بهذه الشهادة التي تشرف

الحركة الدستورية ونفوه بقية مؤسسيها العظيم ..

أما في الداخل فقد استمر الحزب سائراً في خطته تحت إشراف الأمين العام السيد أحمد الصافي ، وعين مديراً لتشكيلاته السيد محي الدين القسبي ، واستمر في التوجهات التي تروى عليه من الشيخ ، ورغم انشقاق أحد أقطابهم السيد قلاني الذي أراد أن يعتدل و مطالبه فإن ذلك لم يؤثر على مصير الحركة ، ولا على التمازج لأمة التونسية حول المطالب الدستورية ورجالها ، وقد كان من أثر هذا الانشقاق الصغير أن تزايد اهتمام أقطاب الدستور بتنظيمه وتسكين شعبه حتى أصبح له في العاصمة وحدها سبع شعب كبرى ، وفي خارج العاصمة ٨٣ شعبية ، وشملت دهرته النساء فأحدثت عدة تشكيلات نسوية ، ونظم ورق الشباب الدستوري الذي سخرى عمله في الخطوة بالحركة خطى بسيدة إلى الأمام ، وقد كان من أهم التوجهات التي قامت بها الحركة الدستورية في هذه المرحلة بمشا على تأسيس عدة جمعيات و فرق رياضية وكشفية .

وفي سنة ١٩٣٥ نصبت الحاية في تونس تمثالا للكاردينال دولا فيجيري يمثله آحدا الصليب بيده اليمنى ، والإنجيل في يده اليسرى ، فهاج التونسيون من أجل ذلك ، ونظم زعماء الدستور مظاهرة كبرى أدت إلى تضارب قوى بين المتظاهرين وبين الفرنسيين في باب البحر ، وأبعد فيها السيد عبد الرحمن اليملاوي ، والسيد المكي أبرشاني ، وأخوه محمد لاجزائر ، وفي مجبهات مختلفة كل من الشيخ العربي القروي من علماء الزيتونة ، والشيخ أحمد الشطي ، والسيد محمد النجار ، وحكم على الزياحي والحبيب الموي بالسجن .

وكانت حرب التحرير الربية عمرا كش في عنفوانها ، وكان صداها يتردد في تونس وبسائر العالم العربي ، فنبعث على الأمل وإشجع على الكفاح ، فتغنى التونسيون بالمارنة والجزائريين بأعجاد البطولة للقربية ، وعلوا على التذكير بأبطال الكفاح القديم الذين يظهرون اليوم بمجسمين في شخصيات صرا كشوة جديدة . ونظم الحزب في تونس تمثيل عدة روايات وحفلات ، وسكن السلطة

كانت واقفة بالمرصاد ، فهدمت تمثيل رواية (فتح الأنكلس) لصطفى كامل ،
 وجمع التونسيون مبالغ من المال لإسفاف جرحى الريف ، فاستولت الإدارة
 الفرنسية على هذه المبالغ كما غصبت منا نحن بعد ذلك في سرا كش عند ما قمنا
 بمثل هذا العمل لقائدة فلسطين ، وقد اعتقل من أجل هذه المحاولة السيد عمر بن
 مقراش وحكم عليه بالأشغال الشاقة لمدة خمسة أعوام ، وأبعد السيد توفيق اللدني
 عن الجزائر ولا يزال مبعداً إلى الآن من أجل كتاباته عن بطولة الرابطة وشهادة
 الزعيم عبد الكريم .

وفي سنة ١٩٢٩ أرادت السلطة أن تهاجم السيادة التونسية ، فأضربت
 بالحدود الخارجية التونسية بقصاة حرسيين ، فأضربت الحدود التونسية
 لأقصاها إمبراباً شمل حتى موظفي الدولة ورجالها . ووقعت اضطرابات
 في مختلف جهات المملكة ، وتقدم وفد برئاسة الأستاذ أحمد الصافي إلى
 الحزب ومعه الشيخ راجح إبراهيم ، والحاج علي كوني ، ليعتالوا من
 وأكده نضامه مع الشعب في احتجاجه ، وقد خرجت الحامية
 ولكنها نظراً لتفان القضاة الأهلي مع الوطنيين قررت إحالة الشكاية
 للمحاكم الفرنسية ، وضيق على الوطنيين وحريتهم .

كان الحزب الدستوري أكثر من ٢٠ صحيفة عربية تؤيد
 وصحيفة فرنسية هي (الحر) ، ودعاة ينشون في كل الجهادية
 سرعانها ولت وجهتها نحو هذه الأدوات العاملة للنشر الوطنية
 وأصدرت قرارات تفيد الصحافة ، وتمنع الاجتماعات
 والتحول لنشر الأفكار .

وفي سنة ١٩٣٤ وصلت الحركة البقاوية ذروتها فحصلت توعيمها البطل محمد
 علي الذي فتح في الخروج والتمرد على حضارة النقابة الفرنسية إلى مؤسسة تونسية
 مستقلة ، لأن البنية التي ينشد الاستقلال لا يمكنه إلا أن يعمل لاستقلال
 حر كانه مؤيداً لها . كل قبيحة من تلك النوعية التي لا يمكنه إلا أن يعمل لاستقلال
 ولكن

القيم لوسيان سان قارم هذا المظهر من مظاهر الحركة القومية ، كما قاوم غيره ، وأبعد السيد محمد علي وثلة من أصدقائه إلى خارج القطر ، حيث مانوا جميعاً بعيداً عن أهدهم ومواطنهم ، كما أبعد في هذه الظروف الدكتور ابن ميلاد ، ثم عاد بعد خمس سنين من افية .

الشباب الدستوري في الميراث :

قلنا إن أبرز ما قامت به الحركة الدستورية منذ سفر رئيس الحزب هو تشكيلة لاهما ، وبالأخص ما يرجع منها لإعداد الشباب التي يجب أن يندى دائماً الحركات ويزيدها نشاطاً وقوة . فعلا فارجع الجيل الجديد من وجهاته الديمقراطية حتى فصح له الحزب مجال العمل ، فانضم للمسيرين القدماء السيد الشاذلي خير الله بصفته سكرتيراً لائحة الأجنبية في اللجنة التنفيذية . ولما أوقت وليحكومة جريدة الحزب أسس السيد الشاذلي جريدة فرنسية أخرى تحمل اسم (العلم التونسي) سنة ١٩٢٧ . وقد نجحت هذه الجريدة برغم أنها لم تكن ~~تحت إشراف~~ ^{تحت إشراف} في أن تلفت من حولها الشباب الدستوري للثقف . ولكن الحجابة لم تحمل هذه الجريدة إلا قليلا ، ثم أوقفتها سنة ١٩٢٩ فلم يتمتع الدستوريون ، بل سرعان ما عوضوا العلم التونسي (بصوت التونسي) ، وتكونت حول هذه الجريدة لجنة من الشباب الدستوري للإشراف على توجيهها وتحريرها وكان من بين أعضائها الأستاذ الحبيب أبو رقيبة ، والسيد صالح فرحات ، والطاهر صفر ، والدكتور الطاهري وغيرهم . وقد كان لهذا التنظيم أثره الحسن في الحملات الصحفية التي رددت صدى الاستياء التونسي . ثم أسس الشباب التونسي بعد ذلك جريدة (العمل التونسي) مستقلا عن السيد الشاذلي خير الله . وقد كان الأستاذ أبو رقيبة هو رئيس تحرير الجريدة الجديدة . أما الحزب الدستوري فقد أسس صحيفته الرسمية باللغة الفرنسية تحت اسم (صوت الشعب)

ظاهرة مريية في الاستعمار الفرنسي :

بينما يقف الشعب التونسي كأخيه للأخ في موقف اللطافة بحرياته للنصوبة وحقوقه المسلوبة إذا بالسياسة الاستعمارية الفرنسية تنقسم شكلاً جديداً أشد وأدهى من كل الأشكال التي ظهرت بها من قبل ؛ فقد وجهت حملتها العنيفة هذه المرة لا للسيادة القومية في شمال أفريقيا ، ولا للثروة الشعبية في يد أبنائها ، ولكن للعتيدة الإسلامية التي ظلت الغذاء الوحيد للنفوس في هذا البلد المكروب وهكذا تقرر انعقاد المؤتمر الأنقارستي في تونس في الوقت الذي قررت فيه فرنسا تدشين سياستها البربرية في مهاكش ، وذلك بمناسبة مصرى ٥٠ عاماً على احتلال تونس .

ولم تكن هذه الظاهرة مجرد عمل قام به الولاة الرجعيون خارج فرنسا ، بل كان سياسة جديدة قررت الحكومة الفرنسية نفسها اتباعها والعمل عليها ، وقد أعلن وزير الخارجية الفرنسية أمام مجلس النواب أثناء عرض الوزارة لفصل من البرامية يرى لمساعدة الجماعات التبشيرية ومعارضة بعض الأحزاب اليسارية له : (أن فرنسا إذا كانت لا دينية في داخل حدودها فإنها دينية في الخارج) ، فالمسألة إذن لم تعد قضية بعيدة عن المسؤولية الرسمية للجمهورية الثالثة التي تعتبر اللائكية من أجل مظاهرها التي تفتخر بها .

وهذا الاتجاه الجديد شجع المبشرين للسيحيين في شمال أفريقيا على التظاهر برغبتهم في استغلال ظل السلطة ببشير المسلمين بالمسيحية ، مرتكبين في ذلك مختلف الوسائل ؟ غير مهالين بما يجرح وظائف العارية وإحساساتهم الدينية ، وهكذا عرضت الإمامة العامة على المجلس الجديد مشروع بليونين من الفرنك لتنظيم المؤتمر الأنقارستي . ولما عارض الأعضاء المسلمون في المصادقة على الابلغ منعهم السلطة من المناقشة وأقرت مشروعها كما نشاء . ثم صرح الأستاذ بأن المؤتمر الأنقارستي حلة حالية على تونس ، وإن كان ملؤها الحية والسلام .

وإزاء هذا التحدي لمواطف المسلمين قرر الشعب الاحتجاج والتظاهر ، واحتشد بأندية الحزب الدستوري ، ووقعت مظاهرات كبيرة في سائر أنحاء المملكة ، وأضرب عمال الرصيف بينزرت ونونس يوم نزول المؤتمرين بالتراب التونسي ، كما أضرب تجار القطن وعمالهم في سائر الجهات ، وقام الشباب بأعمال بجيلية في إسعاف المنكوبين ومساعدتهم ، كما حملت الصحافة الوطنية (العمل التونسي) و (صوت الشعب) وغيرها حملات موفقة ، وانتهى كل ذلك بإخفاق المؤتمر وعدول السلطة الفرنسية من الاحتفال الحسيني الذي قرره .

ولعل القارىء غير المسلم يظن أن في هذه المظاهرات ما يدل على تعصب من التونسيين ضدًا على مؤتمر لا يرى إلى أكثر من اجتماع ممثلي المسيحية للنظر في شئونهم الدينية ، وأنه لا يبدو أن يكون مثل المؤتمرات التي يعقدها ذوو العقائد والفرعات المختلفة في البلاد المسيحية والسلمة على السواء . ولكن الحقيقة أن الدافع لمقاومة التونسيين لم تكن هي روح التعصب كما يظن ، وإنما هي المقاومة للسياسة الأهلية الفرنسية التي ترى لفرضة الفاربة من طريق تمسيحهم ، فاستغلال الدين ورجاله ، واستعمال القوة الروحية التي تمثلها المسيحية لتكوين المستعمرين من الوصول إلى أغراضهم في هدم الكيان التونسي هو الباعث الأول في الموضوع . وزيادة على ذلك فإن الحاية لا يمكنها أبداً أن تسح للمسلمين بمقد مؤتمر كبير إسلامي على نمط المؤتمر الأنجلو أمريكي في أرض الحاية ، ولو كان مجرد مؤتمر ديني لا محل للسياسة فيه ، فالسألة تكمن أيضاً صهنة المقاومة لروح التحيز المبني على تعصب عمقوت ، وأيضاً فإن السلطة لم تتعفف عن التذكير بفتحها لتونس وبمزدها على الاحتفاء بمرور خمسين عاماً على الحاية ، فلم يكن المؤتمر الأنجلو أمريكي إلا جزءاً من هذه الاحتفالات التي يراد بها الامتنان على التونسيين بصفة استمبادهم واحتلال بلادهم . ولم تول الحاية في تونس تذكرة بالحرب الصليبية التي قادها سان لوى ، وقد كان أول نصرف قامت به فرنسا في تونس هو وضع تمثال في قرطاجنة لسان لوى الذي قفى نهبه على أبواب تونس

ولم يتمكن من فتحها . فالدفاع القوي أولا وأخيراً هو الذي حل إخواننا في تونس على معاكسة أماني الفرنسيين ومقاومة أعمالهم المصطنعة بصبغة الدين .

فصيلة التجنيس :

ولعل السياسة الفرنسية أحدثت بمثلها في رئاسة التونسيين عن طريق المسيحية ، وبدأت تفسد دهرتها لتجنيس المسلمين بصفة إجماعية بعد أن كانت فتحت لهم باب التجنيس الفردي ، ولكن الروح القومية لا يمكنها أن تترك هذه اللهاجة الجديدة تغتلك بالأمة في صميم وجودها ، فالتى مسيو بول بونكور خطابته في مجلس النواب الفرنسي مطالباً أن الحاية التونسية عارمة على اتخاذ سياسة تجنيس إجماعى لأهالى تونس حتى ثارت البلاد ثورتها ، وقامت الصحافة الوطنية لهمة صادقة . وقد قرر الشعب مقاطعة المتجنسين وعدم التزاوج معهم ، ومنعهم من الدخول للمساحد ، وحرمانهم من الدفن في مقابر المسلمين . وقد نجحت هذه المقاطعة نجاحاً كبيراً أدى إلى التنازل من عدد الذين حاولوا التجنيس أولاً ، ثم انقطاعه نهائياً ، وصحبت الحركة الوطنية بذلك انتصاراً كبيراً على سياسة الإدماج الفرنسية . ولقد كان لهذه الحركة نجاحها وحوادثها التى أصدر عنها مكتب الأنباء التابع للجنة التنفيذية للحزب الحر الدستوري رسالة خاصة يمكن من شاء الرجوع إليها .

مؤتمر قسم الجبل :

إزاء هذه المهاجمات المتوالية ، وإزاء الخسائر التى أطيروا الشعب وخاصة الشباب الدستوري الجديد قررت اللجنة التنفيذية عقد مؤتمر للحزب للنظر في الخطوة التى يجب اتخاذها والتي تتفق مع التطورات التى أتت بها مختلف الحركات الشعبية في البلاد . وانعقد المؤتمر يومي ١٢ و ١٣ مايو سنة ١٩٣٣ بإحدى الحزب في قسم الجبل من رجال اللجنة التنفيذية وممثلى شعب الحرب ، وانصبت إليهم

جماعة العمل التونسي التي كانت تمثل الرزمة اليسرى للشباب الدستوري ، وبعد استعراض الحالة ، واعتبار التقلبات التي صرت بها الحركة الوطنية منذ سفر رئيسها الأعلى للشرق ، ودرس السوايا السيئة التي رمت إليها السياسة الفرنسية من حملاتها التبشيرية والتجنيسية — اتفق المؤتمرون على ضرورة العدول عن كل حملة تدعو للتعاون مع النظام القائم ، ورفض الاعتراف بالمجلس الكبير وما إليه ، والمودة بالحرب للسياسة الخارطة التي سار بها وهذه الأول ساريس بعد الحرب ، وأصدر قراره بعد الاعتبارات الأتية معلناً :

« أن الغاية التي يرمى إليها الحزب من العمل السياسي هي تحرير الشعب التونسي ، وإعطاء البلاد نظاماً صالحاً مستقراً في شكل دستور يحفظ الشخصية التونسية ، ويحقق سيادة الشعب بواسطة :

برلمان تونسي منتخب انتخاباً عاماً مالياً لإعداد محاضر جساته ومكتسباتها لكامل السلطة التشريعية .

- وحكومة مسؤولة أمام هذا البرلمان .
- والفصل بين السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية .
- وامتداد اختصاص القضاء التومسي لجميع المقيمين في الأقاليم التونسية .
- وإعطاء الطرقات لجميع المواطنين من غير استثناء .
- والتعليم الإجباري للجميع .
- وحماية الحياة الاقتصادية للبلاد .
- وبصفة عامة ، كل ما من شأنه أن يهض بالبلاد من هذه الوحدة التي هي فيها مادها ومعنوياتها ، ويعطيها الحل اللائق بها بين الشعوب المتمدنية التي تلك مصيرها » .

وقد قام للقيم العام مانصورون برد على هذا العمل ، فقرر حل الحزب الحر الدستوري وإعمال سائر صحفه ، ولما كان في الوقت نفسه أحدث مقبرة خاصة للتجنسين . وبعد ذلك بقليل أعفى منصورون ، وعين عوضاً عنه السيوي

بيرتون فأراد للراقبون المدينون انتهاز فرصة تعيين القيم الجديد لإرغام المدينين على قبول دفن المعجنسين في مقابرهم ، الأسر الذي أدى إلى حادثة المنستير يوم ٨ أغسطس ، ذلك أن متجنساً قضي في تلك المدينة ، فأصدر المراقب المدني جرمي يتيق الأسر بدفنه في المقبرة الإسلامية ، وبمستلزام ذلك كوكبة من الجنود المسلح ، فأدى الأسر إلى اصطدام الكوكبة بجمهور المتظاهرين ضد هذا العمل ومات واحد منهم وجرح كثيرون .

الوقوف في صفوف الرستور:

أخذت الزعة الجديدة التي تمثلها كتلة شباب العمل التونسي التي يظهر أنها أخذت تعكف بالشكل الذي كانت تكيفت به كتلة العمل للفرنسي عمرا كش مختلفة من حيث هامها مع الزعة التي كان يمثلها رجال اللجنة التنفيذية في الدستور القديم ولكن رجال اللجنة التنفيذية حاولوا تلافى أي اشتقاق في الصفوف مدعوا لمؤتمر قسم الجبل الذي أشرنا إليه ، وقرروا إدخال ممثلي جناح العمل التونسي بما فيهم السادة قيما وأنور قبيبة في اللجنة التنفيذية ، لأن ذلك من شأنه أن يوفق بين الفرجات التي أخذت تبدو في توجيه الحركة ، ولكنه للأسف لم تؤد هذه الحركة للباية منها ، فسرعان ما عين مسيو بيرتون حتى أخذ يظهر للدستوريين مظهره واستمداه للتعاون معهم ، وبعد أن اجتمع بأقطابهم أعلن لهم موافقته على بعض المطالب التي منها تقليل عدد الموظفين الفرنسيين ، وإحلال الأهالي محلهم شيئا فشيئا طريقة التشريك في الحكم التي تؤدي في النهاية لأن يتولى التونسيون حكم أنفسهم بنفسهم . ولكنه اشترط عليهم عدم إعلان موافقته هذه ليتمكن من تنفيذها دون أن تمنعه من ذلك معارضة الفرنسيين . وإذا لم يكن حتى الوعد بهذا الإصلاح البسيط قد نجز ، فإن هذه السواسة سجلت حدوث ما كان يخشى وقوعه من خلاف بين الشباب الدستوري ورجالهم القدماء ؟ ذلك أن السيد قيما لم يتأخر عن إعلان ما صرح به بيرتون من شأن التقليل من الموظفين ، وأخذ

عليه أصدقاؤه إخلاله الوعد ، وادعى الشاب أنه لا يمكن أن يكون بين الوطنيين وبين الإقامة العامة سر يكتم على الجمهور ، وزعم الآخرون أن السياسة تقتضى بتأخير الإعلان لوقت المناسب لتعطى للمقيم الفرصة التي يتبين بها صدقه من كذبه ، ومهما تكن أهمية هذا الأمر ضئيلة فقد كان السبب المباشر أو (نقطة الماء التي تفيض الإناء) لحدوث الاشتقاق الذي أدى إلى تكوين صني الدستور الجديد والقديم .

وإذا كان الدستور القديم من الوجهة القانونية قد عمل بمقتضى قرار ماوردون الذي أشرنا إليه ، فقد أخضى يერთون عن تأسيس الدستور الجديد وإصداره جريدة « العمل » باللغة العربية ، الأمر الذي مكن المنفصلين من الدعاية لحزبهم وضم العديد من الشعب إلى جانبهم .

وفي مؤتمر « قصر هلال » والذيوم ٢ مارس سنة ١٩٣٤ حرب الدستور التونسي الجديد ، وانتخب الدكتور الماطري رئيساً له ، والأستاذ الحبيب أبورقية أمينه العام . وللتمييز عن الحزب القديم أعطى لهيئته الإدارية اسم (الديوان السيموي) بينما احتفظ القداماء باسم اللجنة التنفيذية .

لم يمان الحزب الجديد اختلافاً من اللبائى التي يدافع عنها الأولون ، ولكنه انتقد ارتداداً مراراً ما يسميه بالبرودة وقلة الحركة ، وأخذ ينشر الدعوة لتكوين حجاج شعبي للضغط على الإدارة وإبرامها على الاعتراف بالحقوق .

وإذا كان يერთون أولاً قد أخضى عن حركة الديوان السيموي ، وإذا كان قد حاول الاستفادة من اختلاف باستدعاء الطرفين للمشاركة في ما سماه بلجنة المساحة ، واستدعائها لبعض حفلات الشاي التي كان يقسمها بالإقامة العامة - فإنه سرعان ما اضطر إلى مواجهة الحقيقة . وبمجيء استتجال المظاهرات والمطالبات الشعبية والحملات الصحفية التي أثارها مجلس شبابي جديد دخل ميدان الصراع الوطنى . فأصدر أسهم بـ « العمل » جريدة « العمل » باعتقال الزعماء وبعثهم إلى برج البروف وعمره بين صرايح الصبرام ، وكاتب ذلك يوم

٢ سبتمبر سنة ١٩٣٤ .

ونصامت مع الزعماء المبعدين ودفعاً من المطالب التي اعتقلوا من أجلها توالى
 المظاهرات في تونس وغيرها من المدن التونسية ، وجرت مشادة بين الجمهور والجيش
 اضطرت فيها لقيم العام للإلتجاء لبعض الزعماء الذين لم يعتقلوا بعد ، ولكن الشعب
 قد هاج وصعب حتى على أقطاب الحزب الباقيين أن يردوه عن المظاهرة والمطالبة
 بعودة المعتقلين وتحقيق أماني البلاد . وانتهى الأمر باعتقال البقية من القادة ،
 وسجن سائر أعضاء الدواوين السياسية التي عهاقب تشكيلها ، كما اعتقل زعماء
 اللجنة التنفيذية ، لأن مسيو بيرتون عرف أن الخلاف السياسي في المغرب
 لا يس اتحاد الكل في مقاومة المحتل ، وقد استمرت القلاقل والاضطرابات
 حتى قررت الحكومة في النهاية إعفاء مسيو بيرتون ، ثم تقلد للمغرب حيث يلاقى
 مصيره التهاى بتضامن الوطنيين للرا كشييين ، وعين محله مسيو ارمان فيون في
 إبريل سنة ١٩٣٦ .

تونس والجهة الشعبية الفرنسية

لم تكن تونس أقل انخداعاً بالجهة الشعبية من الجزائر ، خصوصاً بعد ما كان الاشتراكيون الفرنسيون — وعلى رأسهم ليون بلوم — قد شاركوا عملياً في مقاومة بروتون والعمل على إخراجهم من تونس ، على أن للقيم الجديدة مسيو إرمان قيون قد ابتدأ مهمته مظهرًا رغبته في تحسين حالة الأهالي واتباع سياسة تحريرية تهيب التونسيين لمستقبل حسن . وقد كان أول تصريح قام به أثناء وصوله للعاصمة هو أنه يريد أن يحكم بقلبه ، وقد افتتح عمله بانفوخ سائر المعتقلين السياسيين ، وسمح للأستاذ الحبيب أبي رقيقة والصالح بن يوسف والطاهر صبر وقيما والقلبي وغيرهم من قادة الدستور بالعودة إلى سرا كزيم .

وقد كان لهذا العمل أثره الحسن في نفوس التونسيين فاستدشروا حبراً ، ووضخوا الأمل في روح الجهة الشعبية ، وشاركوا أسرارها في احتفال توليها الحكم في فرنسا ، وصرح الزعماء بشتمهم في رجالها ، وأكد ذلك في مؤتمرات ما اتخذ مسيو قيون من السماح بفتح أندية الحزب الدستوري ، وإباحة الاجتماع والجميات ، وتحرير الصحافة من عقولها ، ولم يقبل الدستوريون الجدد هذه العرصة ، بل انتهزوها ، فنظموا أنفسهم وضاعفوا التشكيلات والخلايا في كل مكان . وانشطوا بدورهم في تأسيس الفرق الرياضية والكشفية التي تعتبر الهيئات الموازية الضرورية لنشوية الحزب وإسباده ، كما أن النقابيين التونسيين استغلوا الظروف فأعادوا استئناف العمل الذي بدأه زعيمهم الأول محمد علي ، وأسوا (الاتحاد الثنائي التونسي) برعاية اقتناوي منفصلا عن الاتحاد الثنائي الفرنسي الأمر الذي ظهر لرجال الجهة الشعبية كشئ غريب مع ما تقتضيه سياسة التعاون والإخاء .

وأعيد الشيخ النعالي الذي لم يتمكن من الرجوع لتونس منذ سنة ١٩٢٣ إلى البلاد . فاستقبله الشعب استقبال الرجل الذي ظل طول عمره عاملا لمصلحته ، بإذلا جهده في خدمة قصيته .

وفي هذا الجو الذي يحنو على شيء غير قليل من الحريات العامة وأصل الدستوريون كفاحهم واتصالهم بمختلف الهيئات الفرنسية في تونس وفرنسا ، وعقد الاجتماعات والمهرجانات التي تقابل مختلف الطلاب الشعبية ، ونشال الحاس في نفوس الجماهير ، كما ظهرت عدة صحف حزبية ومستقلة .

وأعلن حزب الدستور الجديد أن الخطوة التي قررها مؤتمرهم الجبل سنة ١٩٢٣ هي التي ستظل أساس سياسته الحزبية ، أي أن الناية لعمله هي الحصول لتونس على نظام الدولة ذات السيادة ، أو على ترشيده التونسي حسب تعبير الزعيم أبي رقية في خطبه . اسكن الحزب مع ذلك فكر في اتباع سياسة المراحل ، وبما أن معاهدة الحماية لم تحترم ، أو بالأحرى أولت على خلاف المقصود منها ، فالحزب يطالب كمرحلة أولى بالرجوع لروح الحماية وسننها ، مع اعتبار أن وصاية فرنسا غير دائمة ، ولكي يمكن الرجوع تدريجيا لروح الحماية يجب تنفيذ بعض التدابير للتمهجة ، وهي التي اقترحها الحزب الجديد بمجرد رجوع زعمائه من المنفى :

- ١ - إلقاء اللثام الاستعماري (١) .
- ٢ - توقيف الاستثمار الفلاحي الرسمي .
- ٣ - التعليم الإجهاري للجميع .
- ٤ - تكوين الديارات منتخبة .
- ٥ - تعيين التونسيين في مختلف الوظائف الحكومية مع تشريكهم في مراكر الحكم للدولة .

(١) يعني للمواطنين الفرنسيين تونس ومراكش والجزائر غلاوة على مراتبهم الأصلية تلك التي كانت لهم في فرنسا بالثالث الاستعماري .

٦ - تنظيم جدي لوسائل الإنصاف .

٧ - مقاومة الربا .

٨ - إلغاء المجلس الكبير وتمويذه ببرنامج تونس وحكومة مسؤولية أمامه .

والحقيقة أن هذه السياسة التي تعرف بسياسة المراحل خدعت كثيراً من الوطنيين لا في تونس وحدها بل حتى في المغرب الأقصى ، وقد اعتبرناها جدياً - والحق يقال - وسيلة للوصول لأهدافنا العليا ، لكن التجربة أثبتت لنا كما أثبتت لإخواننا التونسيين خطأها . نعم إذا كانت هذه السياسة مقبولة في طور تكوين الحركة ، فلم يكن من المعقول أن يرجع إليها لولا كوسيلة بعد أن قرر المؤتمر الوطني الدستوري سنة ١٩٣٣ الدول عنها بالمرّة . ولكن اشهاجها في الواقع كان نتيجة الهداية الناجحة التي قامت بها الجبهة الشعبية في شمال أفريقيا وبعض الترضيات التي طبقتها المسيو إرمان فيون

وهذه الخطوة السياسية لا يمكن أن يتحمل مسؤوليتها المستور الجديد بوحده بل إن التقديم لم يكن أكثر تطرفاً منه ، ونحن لا نريد من تسجيلها ههنا الانتقاد على إخواننا بشيء ، بل نقبل فيه نحن أيضاً ، وإنما نذكر بها للاتفاقات بالماضي ولإظهار خطأ الذين يريدون اليوم استئناف سياسة المراحل ، أو المطالبة بالتدريج في الاستقلال . فما دمتنا قد انتصرنا على أنفسنا ، واستعلمنا أن تجمع كلمة الشعب كلها حول الرغبة في هذا الاستقلال الكامل ، والتحرر الشامل . فلم يعد من الخطأ قطعاً بل صار من الإجرام أن نعود التهقير لسياسة لمسا بأنفسنا خطأنا الأول فيها . فإن الخطأ إذا وقع مرة أولى كان غلطاً ، أما إذا اشتر فيه أو تكرر من قصد لم يعد من الخطأ في شيء ، بل أصبح من العمد في ارتكاب الجريمة وانتحال مبرراتها .

سافر الأستاذ أبورقيبة إلى باريس في أغسطس سنة ١٩٣٦ وقام بدعاية كبيرة ، واتصالات مفيدة في أوساط الجبهة الشعبية ، واستقبله سكرتير الخارجية

في ما يرجح لشؤون سوريا ولبنان وأفريقيا الشمالية مسيو فيينو الذي كان يريد أن يبعث سياسة فرنسية إسلامية ، فيها نوع من الجمالة وإن لم يكن فيها شيء من التسامح أو الإنصاف ، وزار مسيو فيينو تونس ، وألقى فيها خطاباً بمحضر زعماء الدستور الذين رحبوا به حاول أن يرجع فيه أسباب الأزمة التونسية إلى أنانية بعض المفرضين من المستعمرين الذين لا يفرقون بين مصالحهم الخاصة ومصالح فرنسا العامة ، وطالب بتحسين حالة الفلاح والعامل وتنظيم البلاد تنظيمها عمرانياً ، ولكنه في الوقت نفسه أكد تصريح مسيو ميلان القديم : بأن تونس ستظل مرتبطة بفرنسا إلى الأبد .. هذا التصريح الذي أدلى به وهو في باريس عن سراكش .

لكن تصريح مسيو ميلان السابق كان له صدى استهيا كبير في الأوساط التونسية كتصريح فيينو في سراكش . أما في تونس فإن روح الجمالة التي أظهرها فيينو استوجبت إغضاء الكل عن تصريحه الخطير ، على الأقل فيما يظهر للناس . لكن الطبقة الماملة للشعب ليس من عاداتها أن تقتنع بالخطب أو تتبع سياسة الجمالات ، ولذلك لم يثار المسيو فيينو تونس حتى بدأ النبال يطالبون بحقوقهم المنصوبة ، فأضرب رجال منجم الفوسفات بالمتلوى ، ومديلا (ناحية قفصة) ، ووقعت بينهم وبين فرق الجند رمة مقاتلة أسفرت عن خمسة وعشرين قتيلا ، وثلاثين جرحيا . وقد تكررت الحوادث في أوساط العملة بسائر جهات المملكة ، الأمر الذي دمار رئيس جمعية المستعمرين مسيو فيليك ليذر الإقامة العامة في يناير سنة ١٩٣٧ (بأمرها إذا لم تتخذ التدابير الصارمة فإن الدماء ستسيل) ذهب ليعنو وانتظر الشعب وانتظار الدستوريين تنفيذ الوعود التي صرح بها وزير الجبهة الشعبية ، وإذا بها مراب لا ثبت له ، فتضايف غضب الشعب وازداد هيبه ، وتغيرت من أجل ذلك طجة الصحافة الدستورية من أسلوب الجمالة إلى أسلوب التهديد بأن الرشد التونسي واقع لا محالة ، وأن فرنسا إذا لم تساعد فإنه سيقع مدونها .

مؤتمر الحزب سنة ١٩٣٧

وفي هذه الظروف كانت سراکش تعاني قساسة السياسة الفرنسية التي لم تتبدل ولو قليلا في زمن الجبهة الشعبية ، وفي بحر سنة ١٩٣٧ وبالتحديد باعتبارات أنصار الحزب الوطني في قبائل البوادي كما سديده ، فكان ذلك يوجب أن يعاد انعقاد المؤتمر الوطني بالرباط في أكتوبر من السنة نفسها ، وانتهى بفتح الحزب الوطني لكل علاقة مع الإقامة العامة بالمغرب ، وأبديت في ٢٠ من الشهر نفسه إلى الجابون ، كما نفي أسدقائي الآخرون لجهات مختلفة ، وجرت في البلاد كلها موجة هوجاء سيأتى تفصيلها . ولم تكن الجزائر أسعد حالا من سراکش ، بل إن الوضع والاضطهاد قد امتدا إليها .

كل هذا إلى جانب الإحلاف بالوجود حمل الدستور الجديد على عهد فرنسا وطنى في نوفمبر سنة ١٩٣٧ ، لأنظر في الموقف الذى يجب أن يتخذه الشعب لسياسة التمسع التي سارت بها حكومة شوتان في الجزائر والمغرب إلى أن يزرع ثقته من هذه الحكومة ، وأن يدعو الشعب للحفاظ على المبادئ التى ينادى بها الذى يريد الرعيون القيام به ضدًا عليه .

وللتصامم مع إخوانهم في سراکش والجزائر أعلن المؤتمرون أنهم لن يوافقوا على أية سياسة أربع وعشرين ساعة ، وقد نجح الإضراب نجاحًا كبيرًا .

جواب الحمارة :

وقد قامت الإدارة الفرنسية بدأت عملياً في الاستعداد لقمع التونسيين أيضاً فأصدرت أوامرها بمنع الاجتماعات العامة ، لكن ذلك لم يعق الدستوريين من مواالاة أشغالهم بوسائل الاجتماعات الخاصة ، والمظاهرات التى تنظم في محلات

محدودة ، ولكنها لا تنل قيمة من انتفاضة العاني من حيث إشهارها للاستياء
وإذ كانوا الحرب الأعصاب . فأنخذت الحماية تدابير مضادة لعمل الحزب ، وطاردت
مسيرى الحركة ، فاعتقلت الأساتذة الزعيم أبورقية والدكتور ابن سليمان والصالح
ابن يوسف والملاي نورية .

وفي اليوم التاسع من إبريل سنة ١٩٣٨ اعتقلت السلطة الأستاذ علال
البهلول ، ثم أدى اعتقاله إلى اضطرابات كبيرة في العاصمة تدخل فيها الجند
وأُسفرت عن مائة قتيل ، وبمع مئات من الجرحى ، كما وقعت مظاهرات في
مختلف أنحاء الأقاليم .

اعتقل قادة الحزب الدستوري كلهم ، وأحيلوا على المحكمة العسكرية بدهري
تأمرهم على سلامة الدولة كما اعتقل آلاف من أنصارهم ، وهكذا أصيبت تونس
كثيرها من البلدان المغربية العربية بالاضطهاد الذي استمر منذ ذلك الوقت دون
أن ينال من قيمة الحركة ، أو يروح رجالها من الكفاح .

نقطة الدفاع عن الحريات بنونس

إزاء الضغط الذي أصاب البلاد من جراء اعتقال سائر القادة لم يعد من الممكن
تسيير الحركة بالساحل على الصفة التي كانت عليها ، ولكن الشباب التونسي
الذي كان يتم دروسه في باريس قرر أن يتحمل مسؤولية العمل إلى اليوم الذي
يتحرر فيه الزعماء ، ونمود الحالة لجراها الطيبى ، فأسسوا لجنة الدفاع عن
الحريات العامة في تونس بقيادة الدكتور سليمان بن سليمان ، الذي يعتبر من
أقطاب رجال الديوان السياسى اليوم . وقد واثت هذه اللجنة جهوداتها بفقد
ممرجات ، وتنظيم حملات صحفية ، والانصال بأنصار الحزب في الداخل ،
وتوجيههم ، وسرعان ما تم تنظيم حركة مستمرة خفية توالى مقاومتها للشوكة ،
وتوالى حرب أعصاب أفلقت المستعمر كل هذه بلخلة الطويلة ، وقد كان على
رأس هذه العمليات الدكتور الحبيب ثامر ، وقد أصدرت عدة صحف وشجعت

إقامة مظاهرات بمختلف المناسبات ، وتوزيع المنشورات السرية ، والقيام بتخريب بعض وسائل المواصلات وتعطيل أسلاك التليفون ، وغير ذلك من أصاليب التمهيج والتهريج .

الحرب العالمية الثانية :

وطبقاً أن تزيد الحرب العالمية هذه الثورة اشتعالاً ، فإنها فرصة للإغراء الشعب بعدم الاشتراك في الجندية ، وفعل لم يدرج فيها إلا من أخذ عن طريق القوة أو سبيل الاحتياج ، وتصاعقت أعمال (السابوتاج) برغم تهديدات الجنرال بلان الذي كان حاكماً بفاس أثناء بصادي ، وقام فيها بضرب القساوة العظيمة ، ثم قل لتونس كحاكم عام للجيش ، الأمر الذي حمل الإدارة على اتخاذ تدابير شديدة كالإعدام ، وتحميل الأهالي مسؤولية حراسة الأسلاك التليفونية بإرغامهم على حراستها بالمناوبة ، وبلغ الخوف بالإقامة العامة إلى أن منعت توزيع السلاح على الجند التونسي المقيم بالمحسون التونسية . ومع ذلك فإن (السابوتاج) استمر وظهرت بوادر العصيان المدني بين الجندين ، حتى اضطرت السلطة من أجل دفعهم لنزول بنزيت ، والسفر إلى ميادين القتال في بلجيكا وإيطاليا ، إلى استعمال الحيلة والشدّة ، فوُقت مشادة بينهم في فاس وقبروان . وهكذا بقيت المحاكم العسكرية قائمة ، وشدت السجون والمخالفات بأفراد الشعب .

وحينما وقعت الهدنة الفيشية انتهز الدستور يوم الفرصة ، فطالبوا بالاستقلال نظراً إلى أن الحماية لم تعد قادرة على الدفاع عن الوطن ، وقد تقدم يوم ٥ يولية سنة ١٩٤٠ وفد من الدستور الجديد اسمو الباي رافاً له مربية يطالب فيها بإطلاق سراح أبي رقية وإخوانه المعتقلين في (بور سان بوقولا) بمرسيليا ، وإلغاء عقد الحماية . وفي الوقت نفسه وزعت الفروع الحزبية بياناً عاماً على الشعب بنفس المعنى ، وقد أجباه المقيم العام الأميرال استيفان على هذا العمل باعتقال سائر أعضاء الوفد ، وفصل تدخل الباي نفسه فلن اعتقالهم لم يدم إلا بضعة أسابيع

وأخيراً اعتقل الدكتور ناصر وسائر أعضاء الديوان السياسي الذين لم يعتقلوا في المدة السابقة ، ولكن ذلك لم يؤثر في سير الحركة التي استمرت على هذا الحيفاج والفتنة حتى ديسمبر سنة ١٩٤٢ .

وفي ١٩ يونية سنة ١٩٤٢ ارتقى صاحب السمو المصنف مرش البلاد ، وهو المعروف بمواطفه الوطنية ، والذي تهذى بالروح القومية وهو في أحضان والده محمد الناصر ، فكان ارتقاؤه ملائمة سرور عام وحساس هائل للشعب كله ، وقد أعلن تضامنه مع الوطنيين التونسيين .

وفي اليوم الثاني من أغسطس سنة ١٩٤٢ قدم سموه للإمبرال استيذان دفتر المطالب المستعجلة التي تنفق في الكثير منها مع رغبات الدستور بين المقدمة سنة ١٩٣٦ ، وقد وعدت الحكومة الفرنسية بأنجازها ، ولكن هذا الوعد لم يمتق . وفي ٩ نوفمبر سنة ١٩٤٢ احتلت الجيوش الألمانية تونس فدخل الهاي للإطلاق صراح جميع المثقفين السياسيين ، فعاد الدكتور ناصر لقيادة الحركة الدستورية بصفة عينية حيث قام بتجديد تنظيم الحرب ، وتكثير حلاياه ، وإصدار جريدته المزبية ، والقيام بتجولات للدعاية في أنحاء الأقاليم . وهكذا استعاد الحزب مركزه بالتفاف سائر الأمة من حوله . وقتل أبو رقبة ومن كان معه إلى روما حيث لم يتمكنوا من العودة لتونس إلا في ابريل سنة ١٩٤٣ . وفي ٨ ماي سنة ١٩٤٣ وقع تحرير تونس ، ودخلها جيوش الحلفاء ، فانهزت الإدارة الفرنسية فرصة الاضطراب القائم ، وقررت القضاء على الوطنيين التونسيين بدهوى تعاونهم مع سلطات المحور .

وفي ١٤ ماي سنة ١٩٤٣ أعلن الجنرال جيرو حاكم سمو لنصف ، بالرم من أن سموه أعلن في الوقت المناسب حياده ، ورفض كل عروض الألمانين ، ونقل الباي بالطيارة إلى (الأغواط) في الصحراء الجزائرية ، ثم إلى (تنس) وأخيراً إلى (بو) في أكتوبر سنة ١٩٤٥ . حيث بقي معتقلاً إلى أن قضى نحبه شهيد الشجاعة والوطنية يوم فأنح سبتمبر ١٩٤٨ م . ووقع إعدام مئات من

الأفراد ، وحكم على الآلاف بسنوات مختلفة من السجن القاسى ، وبفضل تدخل بعض الدوائر الأجنبية فإن الأستاذ أبا رقية سلم هذه المرة من الاعتقال هو وبعض أصدقائه ، أما الشعب فقد عاد إلى الكفاح فى السر ، ووجدد محاولاته للثورة ، تلك المحاولات التى كانت تسرع القوة الفاشية لإخمادها .

وفى هذه الرحلة أعلن الحزب فى بيان أذاعه رغبته فى أن تعطى تونس نظام الحكم الدائم موحداً بذلك صفوف الأمة حول مطالب معين .

وفى ٢٦ مارس سنة ١٩٤٣ غادر الزعيم أبورقية تونس بصفة سرية وبصحبة بعض أصدقائه ، وبعد سفر طويل وصعب وصل إلى القاهرة لمواصلة الكفاح فى سبيل الحرية التوسية للنكوبة .

أما الزعماء الذين بقوا فى تونس فقد استطاعوا أن يهيئوا تنظيم الديوان السياسى زعامة أمينه العام المجاهد الكبير الأستاذ صالح ابن يوسف الذى قدر على تجديد الأساليب الدستورية فى الدعاية والنظام ، وبدأ يواصل العمل الذى أسسه الدستوريون الأولون .

وانظراً لظروف ما بعد الحرب فقد اتفق الديوان السياسى واللجنة التنفيذية للدستور القديم على عقد مؤتمر عام لدراسة الأحوال وتوحيد خطة الكفاح . فاستند هذا المؤتمر يوم ٢٣ أغسطس سنة ١٩٤٦ تحت رئاسة السيد العروسى الحداد وشارك فيه زيادة على الحزبين الدستوريين الاتحاد القبايى التونسى للشغل ، وأساتذة جامع الزيتونة ، واتحاد للوظفين التونسيين .

وبعد ما استمع المؤتمر لبيانات السياسية التى أدلى بها الأستاذ صالح فرحات من اللجنة التنفيذية ، والأستاذ صالح بن يوسف من الديوان السياسى صادق المؤتمر على ميثاق وطنى مستذكره من بعد .

وبينما اجتمعون يصادون فى ندائهم أحباهم إذا بالبوابس يحتل قاعة الاجتماع ، وفى يدهم أسرى من للقيم العام ، وبعد أن حاصر الحاضرين فقتلهم واحد بعد الآخر ، واعتقل ستمين منهم فى مقدمتهم الرئيس الحداد ، وزعماء

الدستور، يدعو تأميم على سلامة الدولة ، وتهديد حزب محفل .
 وقد استمر المعتقلون في السجن شهراً واحداً ، ثم أطلق سراحهم وفيما
 يلي نص التصريح الذي أعلنه المؤتمر :

ميثاق المؤتمر الوطني التونسي

حيث كانت البلاد التونسية قبل سنة ١٨٨١ دولة مستقلة تربطها بالخلافة الإسلامية روابط روحية أكثر منها سياسية .

وحيث كانت السيادة التونسية مستقرة بها دولياً ، وقد أيد هذا خاصة ما أبرمته تونس من مختلف المعاهدات مع الدول .

وحيث عمدت فرنسا ، بعد أن دافعت عن استقلال البلاد لدى الدولة العثمانية نفسها إلى إرغامها على قبول حمايتها بمقتضى معاهدة أجبر الملك محمد السادس على إمضاءها بالقوة القاهرة ، ولم يعناق عليها الشعب يوماً من الأيام .

وحيث إن معاهدة باردو لم تخرج الدولة التونسية من الأسرة الدولية ، ولم تجردها من سلطاتها الداخلية والخارجية .

وحيث إن الحماية قد استحال — بعد مضي خمس وستين سنة — إلى نظام استغلالي استعماري ، جردت به تونس من سيادتها ومن خيراتها تجزئاً منقطعاً ، في حين أن مفهوم معاهدة باردو واتفاقية للرسى ومنطوقهما يقتضيان بأن تكون الحماية نظاماً وقتياً شبيهاً برعاية بسيطة .

وحيث إن الدولة الحامية لم تلتزم حدود سلطة الرقابة ، وحلت محل الدولة الحامية في مباشرة الحكم والتصرف في الشؤون العامة .

وحيث إن السلطة الفرنسية قد استحوذت على السلطة التشريعية التي هي حق خاص بالسلالة الباي حتى أصبح بعلائه شبيهاً بموظف شرقي خدام مضطرب على حريته الشخصية ، وإن وزراء الدولة التونسية صاروا مجرد شخصيات اتزين الحافل ، وإن العمال (المديريين والمحافظين) أصبحوا أهواناً ينفدون أوامر المراقبين للدنيين الفرنسيين ، وحيث إنها زُعت سلطات جميع

للموظفين التونسيين وأمنيتها لموظفين فرنسيين لم تكن خبرتهم ولا زراعتهم
في غالب الأحيان سائدين من العاين .

وحيث إن فرنسا التي التزمت صلاية بحماية شخص البلى وعائلته قد
خرقت للمعاهدة مرة أخرى فخلعت حدود ملك البلاد الشرعي جلالة محمد للصف
معتدية حتى على التواعد الأصلية للدين الإسلامي .

وحيث إن هذه الاعتداءات قد نشأ عنها نظام إداري مضطرب لا هو إلحاق
ولا حكم ذاتي ، وقد ضاعت فيه الأصول التشريعية ، وتلاشت فيه المسؤوليات .
وحيث سكت فرنسا منذ أول عهد الحماية سياسة تفكير الأهالي منقصة
أحصب أراضيهم ، ومخصصة أكثر من ثلثي الميزانية التونسية للموظفين
(وجاههم من الفرنسيين) ، وهي ميزانية لا رقابة للشعب عليها تتكون من
حبايات تفرض على عدد السكان لا على الثروات ، وقد فرضت على تونس
سياسة نقدية وجركية وتجارية تصر باقتصادها ، ولا تعود بالفائدة عليها في
مبادلاتها مع البلاد الأجنبية .

وحيث كانت سياسة التفكير هذه هي نتيجة سياسة تمييز البلاد بواسطة
المصريين والموظفين ، وفتح باب التجنس للأهالي ، ومنح الجنسية الفرنسية
للمناطين الإنجليز والروس البيض والأسبان الجمهوريين وحتى الإيطاليين في العهد
الأخير لا كثر عدد الرعايا الفرنسيين بالنسبة لعدد الأهالي والقضاء على شخصية
البلاد التونسية .

وحيث أدى الإسراف المالي الذي تقتضيه هذه السياسة إلى هز سطة الحياة
من القيام بواجباتها الاجتماعية نحو السكان العرب من حيث التغذية والسكن
والإسراف والتعليم .

وحيث أهملت سلطة الحياة واجباتها الإنسانية لفائدة الرأسمالية المسيطرة
على البلاد ولم تؤد رسالتها التمدنية المزهوة التي تريد أن تهر بها فرض حاجتها
على البلاد .

وحيث إن في تمثيل الجالية الفرنسية للقيمة في تونس بالبرلمان الفرنسي اعتداء جديداً على السيادة التونسية ، ونقضاً خطيراً لأساس الوضعية الدولية للحياة .

وحيث إن التونسيين قد حرموا في بلادهم من الحريات الأولية ، وهي حريات التفكير والنشر والقول والاجتماع والتنقل ، وعاشوا أكثر من عشرين سنة تحت الأحكام العرفية .

وحيث لم تحترم الدولة الحامية تعهداتها في حراسة أمن الدولة ، وصلت البلاد لدول المحور ، بينما بذل التونسيون دماءهم في كل معركة الدفاع عن فرنسا وحلفائها .

وحيث إن معاهدة باردو نصت على أن الحماية في جوهرها نظام مؤقت وأن مصالح الفرنسيين الناتجة من هذا النظام المؤقت لا يمكن بحال أن تكون لها صفة الدوام والاستقرار .

وحيث إنه من جهة أخرى لا يمكن لمصالح دولة حامية أن تتحول دون حقوق الشعب الثابتة في تقرير مصيره بكامل الحرية .

وحيث إن الاستثمار يعتبر بحق سبباً للتنازع بين الدول ، ومشاركة كل دولة ، وقد عبرت الأمم المتحدة عن استنكارها له بحكم صريح ، وسجلت من بين الأهداف التي خاضت من أجلها غمر الحرب : « حق الشعوب كلها في اختيار نوع الحكم الذي ترضيه لنفسها ، واسترجاع حقوق السيادة والاستقلال إلى الأمم التي انتزعت منها قهرها » .

وحيث إن هذه النظرية الجديدة أخذت تتجلى وتتأكد أثناء المؤتمرات العالمية المختلفة ، وقد كانت فرنسا من بين الدول الاستعمارية التي صادقت على مبدأ القائل : « ليس لأية أمة الحق في أن تحكم الشعوب الواقعة تحت سيطرتها حكماً أبدياً » .

لهذا كله فإن المؤتمر الوطني التونسي يعلن : أن نظام الحماية نظام سياسي

واقتصادي لا يتفق مطلقاً مع سيادة الشعب التونسي ومصالحه الحيوية ، وأن
 هذا النظام نظام استعماري قضى على نفسه أمام العالم بالإخفاق بعد تجربة خمس
 وستين سنة ، كما يعلن حزم الشعب الثابت على استرجاع استقلاله التام ،
 والانضمام — كدولة ذات سيادة — إلى جامعة الدول العربية وهيئة الأمم
 المتحدة والمشاركة في مؤتمر الصلح .

الحالة الحاضرة

وهكذا وضع المؤتمر الدستوري حداً للموضع والتحول الذي كان يكتنف خطة الحركة القومية بثوان . فقد أصبح المطلب الملئ الصريح هو الاستقلال التام من غير قيد ولا شرط . وقد صادق على هذه الغاية والنزعة الملئ في سبيلها رجال اللجنة التنفيذية ورجال الديوان السياسي ، ومن حولهم الشعب التونسي كله من غير استثناء .

ولكن تحقيق الاستقلال يتوقف طبعاً على كفاح آخر ، وهذا الكفاح يتطلب توحيد الصفوف وتنسيق الأعمال ، ولذلك فقد اتفق الحزبان التونسيان على تكوين لجنة تنسيق مشتركة تدرج في المسائل الفاعلة ونوحه الحركة توجيهاً الصحيح .

ومن الحق أن نعترف بأن الأعلوية التونسية اليوم هي في صف الدستور الجديد . ولكن الألفية قوية أبداً بإخلاصها لهذا المبدأ المشترك ، وعمقتها من يجاب التعاون الذي رغب فيه الدستوريون الجدد بعد أن كانوا رفضوه من قبل . فالحركة التونسية سائرة سيرها الطبيعي اليوم . ورجالها لا يألون جهداً في العمل داخل البلاد وخارجها لتحرير وطنهم وتحقيق آماني شعبهم الجديد .

ولقد شارك كل من الحزبين في تأسيس (لجنة تحرير المغرب العربي) برئاسة الأمير عبد الكريم ، ويمثل الديوان السياسي فيها الزعيم أبو رقية والدكتور ثامر ، كما يمثل اللجنة التنفيذية مديرها السيد محي الدين الفليبي . والأستاذ أبو رقية لا ينمّر عمله على القاهرة ، ولكنه يعمل في حركة دأبة متردداً بين الشرق وأوربا وأمريكا ، وهو في تجولاته يمثل الحركة الدستورية كلها .

مراكش
أو
المغرب الأقصى

تقد كانت مراکش تتهرب دائماً القطار الجزائري بمشاة الحصن الأمامي لحايتها ، ولذلك طلت سياستها التقليدية ترمي إلى امتداد نفوذها للنموى للبحائر أو على الأقل العمل على حمايتها من الاحتلال الأجنبي الذي من شأنه أن يحاول — متى استقر بها — التوسع بيميناً ويساراً . فلما وقعت الجزائر تحت الحكم التركي حل المراكشيون متخوفين من أن يمتد سلطان الترك لبلاדם ، وسارت حكومتهم على منهج مؤيد لجميع الحركات الوطنية لمساواة للأتراك والتي ترمي لتكوين مملكة جزائرية مستقلة . وهذا ما دفع بحملة السلطان عبد الرحمن الذي ظل على عرش المغرب الأقصى من سنة ١٨٧٣ إلى سنة ١٨٩٤ لتأييد مقاومة التيجانيين للترك ، برغم أن العقيدة التي أيدها سلفه مولاي سليمان كانت مستمدة من الوهابيين ومنافية لروح الطريقة التي انتحلها التيجانيون .

وبدا كانت هذه هي سياسة راكمش مع دولة مستعمرة إسلامية فرنسية العائسي أن يكون موقفها مع المحتلين غير المسلمين مضاهياً أو أحروياً ، ولذلك ما حاولت فرنسا احتلال الجزائر حتى تقدمت الحكومة المغربية بالاحتجاج وبشيط المقاومة ، وما رأت هزيمة الترك من الدفاع حتى تقدمت ببعث مندوب بحملة الملك الذي دشن المقاومة العربية في فلسطين ، وساعد على تكوين سلطنة الأمير عبد القادر تحت رعاية ملك المغرب وتأييده ، كما نشطت شخصية أبي مرعي المراكشية التي نغامت مقاومة زواوة منفصلة عن عبد القادر أولاً ثم بالانتماء معه ثانياً . وقد استمر تأييد الدولة الشريفة المجاهدين الجزائريين حتى كانت موقعة ايل في ٤ أغسطس سنة ١٨٤٤ حيث انهزمت الحشوش المغربية انهزاماً شديداً ، وكادت فرنسا تحتل القسم الشرقي من مراکش بعد ما هددت بمخاضها مينائي طنجة والصويرة .

ولقد كان انهرام الجيش المراكشي في هذه اللقطة برغم حسن القيادة التي رأسها خليفة مالك وابنه محمد بن عبد الرحمن الذي أصبح من بعد محمد الرابع سلطان المغرب باعثاً للشعب العربي ونختمه على التدبر والتفكير في أسباب المريعة وظروفها . وقد تنبه للخاربة منذ اساعة إلى أن الأنظمة العتيقة في الجيش وفي الدولة لم تعد مجدية إزاء التقدم الأوروبي الحديث وتكون في نفوس القادة شعورهم بالحاجة للتجديد وانتقال وسائل التقدم والنهوض . واعتبر هزيمة إيلى الفجر الأول للهبة للمراكشية الحديثة التي لا تريد أن تفصل مراحلها ، وإنما تريد الإشارة إلى بعض ملامح علاقة بها بتغيير الآلة النفسية لتسكون حركات المعاصرة الاستغلالية في مراكش .

سارت في البلاد فورة الألم من الهزيمة مهددة بما يليقها من خطر احتلال مستمر عشوم ، وأشد الشعراء من قصائد الرثاء لما جرى ، والتحذير مما يمكن أن يقع ما يستتبع من أطراف الشر وأصدق . وناف الملامة الكردوى رسالة اسمها : (كشف الغمة بأن الحرب النظامية واجبة على الأمة) ، وهي دعوة صارخة لتجديد التنظيم العسكري بمقتضى القواعد الحديثة ، و هم غيره بالدعوة إلى ضرورة القيام بهمة اقتصادية ، من شأنها أن تقال من حاجة البلاد من الموارد الأحتية . وما ولي سيدى محمد ارباب الملك حتى أخذ يعمل لتحقيق ما رجته هذه الفحة من استمداد اقتصادى وعسكرى ، فأسس مدرسة للطبعية ، وجدد حراسة نصب السكر بالجنوب العربى ، وبدأ بتأسيس معمل للسكر ، وأشأ المطبعة الحمديدية التي كان لها فصل شر كثير من السكتب .

ثم خلفه جلالة الملك مولاي الحسن (١٨٧٣ — ١٨٩٤) الذي يتميز بحق من أكار مصدى المغرب وأعظم ملوك الإسلام ، فوجه همه لتوطيد النموذ للنوى للدولة ، واسترجاع هيبتها إزاء الدول الأجنبية ، واستطاع أن يحسم الاستقلال المراكشى طول حياته بسياسته الرشيدة التي عرفت كيف تستعمل ترحم الدول على البلاد ، وكان من أعظم ما قام به تنظيم الجيش العربى على أحدث

الطرق ، وتوجيه البعثات للقرن في مختلف الأقطار الأوروبية ، مع استعمال
القنصلين الأجانب من سائر الدول دون تفضيل إحداها على الأخرى ، وفي عهد
جلالته واصلت الحكومة الشريعة التنظيم الجديد الذي وجدته الحماية قائماً
فقصت عليه ، ثم في عهده انتقلت الوزارة المغربية من شكلها القديم إلى شكل
ديوان حكومي بالمعنى الحديث ، وتأسست وزارة الخارجية والمدل والحربية
والبحرية والمالية وغيرها من المصالح التي كانت متراكمة من قبل في يد كتاب
برجسون للصدر الأعظم الذي لم يكن هو الآخر إلامساعداً للملك الذي يقوم
هو بكل شيء في الدولة .

وتجهيز البلاد بالرجال القادرين على تنظيمها النظام الحديث بمقتضى جلالته
بعثات للدراسة في مختلف فروع المعرفة بفرنس وإيطاليا وألمانيا وإنجلترا .
ولتمكينها من وسائل الدفاع حدد الأسطول المربي ، وأشأ معمل للسلاح
في مدينة فاس .

ولتحسين حالتها الاقتصادية أخذ ينشئ بعض المصانع ويشترك في عرض
الإنتاج الأهلي في مختلف المعارض الأجنبية ، ويشط استعمال المال المربي في
الإنتاج الأجنبي لمراحة الموردين الأجانب .

وما أن سياسة الامتيازات الأجنبية التي أكدها مؤتمر مدريد المعقد
سنة ١٨٨٠ ، ولقي شأته عن عرف كونه الأجانب في البلاد في غفلة من رجالها
المثولين كانت قد استنفذت وأصبحت تهدد الحكومة بفوضى اجتماعية وسياسية
فإن جلالته عمل بمختلف الوسائل على التخفيف من آثارها بالاحتجاج تارة ،
والصرامة في المقاومة أخرى . وفي الوقت نفسه حاول أن يعمل على إزالة
كل الأسباب التي تحمل الدول الأجنبية تطالب بالاحتفاظ بحمايتها التفصيلية ،
فعمد إلى تكوين تدريجي للقضاء للدني . وقد كانت القضايا كلها من اختصاص
الحاكم الشرعية ، وما أن الأجانب يمتدعون بحق أو بساطل الحاكم الشرعية
كجالس الكليز بكية لا يمكنهم — وهم غير مسلمين — أن يخصوا لها فقد

رأى حالته أن وجود محاكم تخضع للقانون للدنى من شأنه أن يسد في وجودهم هذه الوسائل التي تذرعوها بها ، فبدأ يرد كثيراً من الشؤون المدنية والجنائية إلى أيدي الباشوات والقواد الذين لم تكن مهمتهم في الماضي قضائية بالمرّة . كما أعلن تحرير الرقيق ومنع الاسترقاق ، وقرر اعتبار اليهود لفاربية مواطنين ، لهم ما للمسلمين من حقوق ، وعليهم ما عليهم من واجبات .

ثم نظر حالته في شأن تهافت الدول الأجنبية على البلدان الإسلامية ، ففكر في أن خير وسيلة للتدرة على دفع الأجانب هو التعاون بين هذه البلدان ضمن الجامعة الإسلامية التي كانت الدعاية لها إذ ذاك آخذة في الازدهار ، فقرر حالته أن يحدد علاقاته الدبلوماسية بالباب العالي ، ويعمل على الاستفادة من خبراء العثمانيين ورجالهم . وفعلا وجه بعد مؤتمر مدريد وفداً برئاسة الوزير بربريشه للإسماعيلية حيث اقتبل بحفاوة مائة من السلطان عبد الحميد الذي كان عظيم الاهتمام بمضية الشمال الإفريقي ؛ لأن سياسته لم تكن قومية بل مبنية على روح الجامعة الإسلامية ، ووقع الاتفاق على تدخل التمثيل السياسي ، وقررت الدولة العلية أن تبعث الأمير محي الدين محل الأمير عبد القادر الجزائري سفيراً لها في مراکش . ولكن ما علت فرنسا هذه المتأنح السعيدة للمفاوضة بين الدولتين الإسلاميتين حتى يادرت لإضرار دول معاهدة مدريد بالوقوف ضد هذا التيار ، واستطاعت أن تقنع السلطان الدبلوماسي في طنجة بعدم قبول تسرب الدعوة للجامعة الإسلامية في مراکش ، وأبلغ السفراء كلهم بجلالة مولاي الحسن بأنهم لا يظفرون حين الرضا لما يقوم به من سياسة مع الدولة العلية تعتبر عدائية لحلفاء العرب ، لما لها من الصبغة الإسلامية ، ولم يشذ من هذه الدول إلا إنجلترا التي لامت جانب المعتد لسببين رئيسيين :

أولاً — أن سياستها كانت تقوم على ترك مراکش كأداة تهدد بها فرنسا كلما حاولت هذه معاوشتها فيما يرجع لوادي النيل .

ثانياً — أنها كانت ترغب في عدم إزعاج السلطان عبد الحميد الذي كانت

سياسته ممارسة لمطامع روسيا التي كان رجعها قد وصل إلى جنوبي مناطق بحر القزوين ، وأصبحت تهدد حدود الهند .

وقد اضطر مولاي الحسن إلى إرجاء مشروعه الرامي لتنسيق سياسته الخارجية مع سياسة الدولة العلية . ولكنه ظل يفكر في . شروعه إلى أن مات قبل إنجازه . ولما ولي المولى عبد الحميد الملك حاول تنجيزه ، فوجه وفدًا برئاسة السيد شمس الدين استقبل من السلطان رشاد الخامس استقبالا حافيا ، وحصل على وعد من الدولة العلية بعدم الاعتراف بالحماية الفرنسية إذا مجتحت فرنسا في سيطرتها على البلاد .

وهكذا رى أن تدير الدعوة للجامعة الإسلامية وتيسار المهجوع على البلاد المجاورة — كل ذلك شارك في بحث روح النهضة العربية ، وتعبئة الجهود لأحياء الوجدان القومي لمقاومة الاحتلال ، والعمل للاحتفاظ بالاستقلال .



ولم تكن تيارات لبداىء السلفية والإصلاحات العربية معيدة من وطناء ، فقد رجع المصلح السيد عبد الله السعدي من الشرق بحمل مبادئ الدعوة الجديدة التي نشرها رجال الإصلاح الديني وهب ينمى على المنارعة خصوصهم لمشايخ الطرق ، وتعلقهم بالأموال ، ويهيبهم للرجوع للحالة التي كان عليها السلف الصالح . وقد لقي من جود بعض المشايخ ما كان يعتمد به عن أداء مهمته لولا رعاية مولاي الحسن له ، واحتضانه للدعوة التي قام بدشنها ، وسرى كيف أن هذه الدعوة زدهرت بعد حتى أصبحت هي لمصدر الأول لحركة الاستقلال القائمة الآن .

أما من الناحية الثقافية فطبيعى أن نعمة همة المصلحين لتذكير الشعب بمبادئه ، وبما كان عليه سلفه الأولون من مجد وعظمة ، ومن هنا تكون عدد من المؤلفات التاريخية والوعظية التي تعتبر رائداً أولاً لتنهضتنا الثقافية الجديدة اليوم .

كل هذه الأشياء عملت عملها في توجيه الروح للمقاومة والمطالبة بالاستقلال ، ولم تكن كلها في الحقيقة إلا مظهرآ ثانوياً للرغبة في الدفاع عن الوطن والتحصن من سيطرة الأجنبي ، ولذلك لا يمكننا أن نفرض النظر عنها حينما يريد تاريخ الحركة الاستقلالية في سرا كش ؛ لأن هذه الحركة كما سنرى لم تعد مجرد دفاع يرمى إلى طرد الأجنبي ، بل أصبحت عقيدة قومية تحارب التحرر من كل عرقلة في سبيل الاستقلال ، لتجعل من هذا الاستقلال أداة تحقق بها برامجها البنائية التي كان لهذه العمليات التي سبقت الحياة الأثر البالغ في تشكيلها .

وعليه فالحركة الاستقلالية في سرا كش شئتان ؛ المقاومة للأجنبي ، والعمل على ترميم حالة الشعب وإصلاحه . وكلا الأمرين يسيران جنباً لجنب في تناسق تلقائي ليس للرعاة إلا فضل إعطائه الصبغة الفنية التي تجعله بارز الصورة ، بين الدلالة والمقاومة تتجلى في سرا حل أو صور ثلاث : للمقاومة الدبلوماسية أولاً ، والمقاومة السياسية والعسكرية ثانياً ، والمقاومة السياسية ثالثاً . والإصلاح يتجلى في العمل على تنظيم الدولة ، وتنظيم الشعب ، وتكوين تجاوب متين بين الحاكم والمحكوم على أساس مثل أعلى هو التضامن بين أفراد الأمة لحديثها وإسماعها .

المقاومة الدبلوماسية

وليس فيما سردناه أولاً من أعمال مولاي الحسن ، لا نماذج من القومية
الدبلوماسية التي ظل مسيراً لها طول حياته . وليس من شأننا هنا أن نؤرخ
المغرب الدبلوماسية مدة خمسين عاماً ، بقدر ما نستخرج طابع السياسة المغربية
وما فيها من جهود لحماية الاستقلال فاطاع الذي اتبعه مولاي الحسن ، وأصبح
سياسة قديمة سجد عليها من بعده من الملوك هو عدم تفصيل دولة علم أخرى في
المغرب ، وتكوين الدولة المغربية بالمعنى الحديث ، أي تسوية الشعب في الحقوق
وواجبات دون تمييز بين دين ودين ، وعصر وآخر ، والحفاظ على الاستقلال
إزاء كل دولة أجنبية مسلمة أو مسيحية . ونفصل الصرامة التي اتبناها جلالاته
ظل المغرب يطمئن من سائر الاعتداءات الأجنبية ، والثورات الداخلية رغم
ما بذله الفرنسيون والأسبان من محاولات لتوطيد أقدامهم في البلاد .

وقد وضمت هذه السياسة الرشيدة الأجانب للتزاحمين على المغرب في معركة
تساق صيف للحصول على الخطوة لدى ذلك ، ونيل مصادقته هي مهم
أعابهم ، كما أقرت فرنسا التي تعتبر الدولة الأكثر حداً في إضاعة الاستقلال
المغربى وامتلاك دولته لجهود حيازة نصفية طرفها من المراقب التي تضمنها
الدول المراجعة لها . وهكذا راحا تمند إلى إيطاليا فتتفق معها على التنازل عن
صوتها في مراكش مقابل تنازل فرنسا لها عن أى إدعاء في طرابلس وإيبيا ،
وذلك في سنة ١٩٠٣ . ثم نجح في عقد الاتفاق الودى المشهور سنة ١٩٠٤
الذى تنازل فيه عن مزاحمتها لالمجترات في وادى النيل بينها تعترف لها هذه
مراكش كمطقة نفوذ فرنسى ، ثم تكمل دساترها بتقسيم البلاد بينها وبين
اسبانيا على أساس أن تكون لأسبانيا منطقة في شمال المغرب لحماية شواطئها من
الحوار الفرنسى .

قضى مولاي الحسن ، وولى بعده مولاي عبد الرزاق ، وكان ما زال صغير السن ، فاستمر وصيه الوزير أحمد في متابعة السياسة الحسنية ، ولكنه لم تمض عليه خمسة أعوام حتى قضى نحبه ، وبقيت الملكة الشريفة في يد عاهل حسن النية ، ذكي الفؤاد ، ولكنه حديث السن ، وليس له من الإرادة ما يستطيع بها القضاء على دسائس الاتماعيين الذين أحاطوا بالقصر ، يكيدون للدولة ، ويميلون للأجنبي . ولكن سياسة التوارن الدول ظلت مع ذلك هي سياسة الدولة الخارجية إلى النهاية .

وطبيعي أن يتقوى شره فرنسا بعد أن ضمت لصفوها دولاً ثلاثاً طالت زحمتها في الموقف ، وقاومتها في التنفيذ ، ولكن دولة رابعة كانت ما تزال تنتظر حصتها ، وقد تجاهلتها فرنسا أولاً اعتماداً على أنها أيديتها من قبل في مؤتمر مدريد ، تلك هي الدولة الألمانية التي حاولت الحكومة الشريفة أن تمد لها اليد ، وفي جانبها الدولة العلية . ولكن ألمانيا اتبعت سياسة غامضة لا ترمي لأكثر من الحصول على قسط من النفوذ الاقتصادي أو السياسي في بقعة ما ، ولذلك انتهى الأمر بتفريطها لفرنسا مقابل قطعة من الكونزو والتوغو .

لكن الشعب المغربي لم يقف عند انتظار العون الذي تسديه دول مراحمته أو حليفة بل بحث عن مخرج ينجيه من تهافت المستعمرين وتآمر السكاكدين والخائنين ، وقد قامت في البلاد حركة وطنية ابتدأت أولاً تحت رعاية الشيخ ماء العينين بمقاومة الفرنسيين في أقصى جنوب المغرب الذي هو شنقيط ، والتف من حولها مختلف القبائل وشتى لأوساط العامة . وكانت هذه الحركة تنتظر من المولى عبد العزيز أن يقوم بالمستحيل لدفع كل اعتداء أجنبي ، كما كانت ترجو الحصول على نظام دستوري من شأنه أن يساعد على المقاومة .

وقد فكر الملك في إرضاء شعبه واتقاء الأجنبي بتأسيس مجلس للأعيان يعتبر بوابة صالحة للتطور الدستوري المنشود . وطالما تحدث الفرنسيون عن المقاومة التي قام بها مجلس الأعيان المغربي ، وطالما أخذوا على عبد العزيز اعتذاره عن

قبول اقتراحات الدبلوماسية الفرنسية بأن يمثل الشعب قدر فضوها ، وأن رجال الدين لم يقبلوها . كما يكره ذلك في وضع حد للعوقف الفرنسي ، وانتبه هو وانتبه مستشاروه إلى أن وضعية المغرب يجب أن توضع تحت البحث الدولي ، وأن روائب الملك ورغائب الأجانب يجب أن تواجه في مؤتمر عام يلتزم فيه الكل بما يجب أن يعطى . وهكذا انعقد مؤتمر الجزيرة الخضراء في ١٥ يناير ١٩٠٦ إلى ١٦ يونيو سنة ١٩٠٦ من ممثلي خمس عشرة دولة .



انقد نصي هذا المؤتمر على الامتيازات التي اعترف بها مؤتمر مدريد لفرنسا ، وقضى على كل معاهدة سرية بينها وبين غيرها من الدول ، واعترف بحرية المغرب واستقلاله ، ولكه وضع فرنسا في موقف ممتاز من جهة تكليفها ببعض الإصلاحات البولييسية وغيرها ، وليكن هذه الإصلاحات أصبحت تعتبر مهمة دولية كلفت بها فرنسا من طرف دول المؤتمر ، وهي مسئولة عنها أمامها ، فوضعية البلاد بهذا الاعتبار أصبحت وضعية دولية ، لا ثنائية بين المغرب وفرنسا ، كما كانت تريد ذلك هي . ولقد صرح وزير خارجية إنجلترا لفرنسا : (بأن عقد الجزيرة يلغى إثناء تاما كل للمعاهدات السرية التي سبقت ، بيد أنك إذا حصلت في مراكش على مركز خاص ، وإذا لعبت دورك مع ألمانيا بلهاقة وحرم فلا مفر لنا مع مرور الزمن من أن نعرف لك بميليتك على مراكش . الخ) وإذا غلبت الدبلوماسية لثريه ، والحركة الشعبية نجحتنا إلى حد ما في مقاومة الدسائس الفرنسية ، فقد أصبحت الدول ، ومن بينها فرنسا وإسبانيا وإنجلترا وإيطاليا ، ملتزمة بالحفاظ على وحدة المغرب وثمان استقلاله .

وإذا كانت الدول قد صادقت على هذه المعاهدة فإن الشعب المغربي لم يقنع بما احتوت عليه ، لأنها وإن قضت على ما هو أخطر منها ، فإنها سمحت لفرنسا بمركز ممتاز في البلاد ، والمعارضة لا يريدون أن يعترفوا لفرنسا بولا لغيرها بمركز لا يعترفون به للجميع ، والأجانب بالنسبة إليهم كلهم سواء . وبما أن مولاي

عبد العزيز قد تورط في المصادقة على ما فعله ممثلوه في المؤتمر ، وبما أنه لم يعد قادراً على مقاومة التمثل الفرنسي في أقصى الجنوب ، فقد رأى الشعب أن خير وسيلة للتحرر من التزاماته القديمة والأخيرة هو الثورة التي هي العملية الأخيرة التي تفرغ إليها الشعوب عندما تريد المحافظة على ثرائها . وتقدم الوطنيون بابهيون حماس الشعب ، ووضع رجال الدين كتباً تدعو لمقاومة المضايع الفرنسية ، وتنفى الشراء مرة أخرى بأشيد الجهاد ، واندلع لهيب الثورة ، وأعلن خلع المولى عبد العزيز ، ومبايعة المولى عبد الحفيظ .

ببيع عبد الحفيظ أولاً بمراكش تحت إشراف الشيخ ماء العينين الذي رأى أن صديقه عبد العزيز قصر في حق الدفاع عن موريتانيا ، ولكن الأمر لم يتم له إلا بعد بيعة مدينة فاس وجامعتها الكبرى

تعتبر البيعة الحفيظية التي كتبها إلماس وطيون ممتازون ، ووضع صيغتها السيد أحمد ابن المواز أحد رجال الفكر إذ ذاك — ميثاقاً قومياً ودستورياً من الطراز الأول ، وهي تشترط على الملك الجديد :

- أولاً — أن يمثل جهده في استرجاع الجهات المنقطعة من الحدود المغربية .
- ثانياً — أن يبادر بطرد الجنس المحتل من الأماكن التي احتلها .
- ثالثاً — أن يسعى جهده في إبرام معاهدة الحرية لأنه لم يرجع للشعب فيها .
- رابعاً — أن يعمل على إلغاء الامتيازات الأجنبية .
- خامساً — ألا يستشير الأجانب في شؤون الأمة .

سادساً — ألا يبرم مع الأجانب عقوداً سلمية أو تجارية إلا بعد استشارة الأمة .

وهكذا تمتع هذه البيعة بقدراً بين الملك والشعب يخرج بنظام الحكم من الملكية المطلقة إلى ملكية مقيدة دستورية . فليس من حق السلطان منذ الآن أن يبرم أية معاهدة تجارية أو سلمية (مدنية أو اقتصادية) إلا بالرجوع للشعب ومصادقته . وتفيد المعاهدات بالأمم مع بعضها بعد الاستشارة بالمدنية والاقتصادية

يرى معنى بعيد هو تحرير الملك والشعب من حق عقد أية معاهدة من شأنها أن
تمس بشؤون الأمة . ونحن نرى في هذه العبارات العتيفة معنى يتفق وروح
ميثاق حقوق الإنسان الفرنسية الذي ينص على أن السيادة كامنة في الشعب
ولا تقبل التفويض ، كما نرى في روح العقد وضع أساس الدبلوماسية العلمية
من قبل أن يقدمها الأوروبيون أنفسهم .

وإذا فالثورة الحفيطية رمت إلى أمرين أساسيين :

أولاً — انقضاء على لدساس الأجنبية بالحدوة على الاستقلال التام .
ثانياً — القيام بإصلاح سياسي يسير بالأمة نحو نظام دستوري متين ،
وسرى كيف أن هاتين العاتبتين ظلتا المحور الذي تدور حأيه كل حركة
الاستقلالية منذ ذلك العهد إلى اليوم . ولم تمس إلا مدة يسيرة على هذه البية .
حتى شط الدستور يون الذين صبق لهم أن كانوا السبب في تأسيس مجلس الأعوان ،
وكأوا السبب في انثورة ، ووضعوا مشروع دستور كامل شروره في حريبتهم
(لسان انقرب) التي أصدروها بطبعة . ولا يمكننا أن نمر دون الوقوف عند
هذه الحركة البيلة التي تعتبر السلف الصالح لمركتنا الاستقلالية التي تنشرف
بالانصواء تحت لوائها اليوم .

جماعة لسان المغرب

لم يُعْنَ بلد بصباغ في تاريخه كمثل ما منيت به مراکش في جميع عصورها ، ولهذا فإنا لا نستطيع أن نعرف كثيراً من هؤلاء الوطنيين الذين كانوا يقومون بهذه الحركات العظيمة ، وكل ما نعلمه أن هناك جماعة من الشباب الناهض من بينهم السيد المهدي بن الطاطب القاسي ، والسيد سعيد القاسي ، والسيد عبد الحفيظ القاسي ، والسيد أحمد ابن الوار ، والسيد أحمد الزهدي ، كانوا يقومون على جمعية سرية لتصور أذهان المغاربة ، ومقاومة الاحتلال الأجنبي ، وأن جماعة منهم ومن غيرهم كانت تتحرك أفلامها بالكتابة في الصحف الحرة التي أشئت بطبعة ، وفي جريدة (الحاضرة) التي كانت لسان الوطنيين التونسيين ومن جهة أخرى فقد كانت فئة من المشايخ ترى للمشاركة في وضع انقلاب مغربي متخذة في ذلك منهج التصوف والإضراف في ادعاء الكرامات ، بعضها كان يستمد قوته من رجال الدولة العثمانية ، وبعضها من بعض الدول المستعمرة ، وكانت هذه الفئة تلاقى معاكسة من الوطنيين أنفسهم ومن بعض المصلحين السلفيين ، وتختلف هي الأخرى فيما بينها ، فيمدو في الميدان الشيخ ماء العينين بفكرة شبيهة في ألوانها بمناهج الشيخ السنوسي لتوحيد الطرق وأتباعها ، ويدعي أنه مؤاخ لها ، وأنه حصل على إذن روجي بتلقي سائر الأوراد وكل الأدعية . ويسجح الشيخ ماء العينين في دعوته وينصوي تحتها جماعة من المخلصين من رجال الدولة ورجال الوطنية ، وتسود البلاد روح صوفية في الدين وفي القومية ، وتمتزج الماديات الطرقية بالرغبة في الإصلاح السياسي إلى حد أن بعض الارتزقة من قراء الملوك يضطرون لاستعمال كلمة الدستور في قصة الملوك النبوي بجانب التصليية التي كان يرددها الجمهور ، فيقرأ الفاصلة من مواضع الملوك ، ويردد

منه الجمهور : (دستور يا الله . دستور يا رسول الله !) وهكذا تتصوف الدعوة السياسية لتكوين الروحانية الشعبية ، ويشترك الحرفاني والجند والمثاني والمخلص في خدمة غاية واحدة ، هي غاية الوطنية المغربية في التحرر والاستقلال والإصلاح السياسي والاجتماعي .

وسكن الحرك الداخلي للحركة عقل جبار مسابر للتطور العكسي في العالم الإسلامي والمغرب ، يجد في طريقه انحرافا فيستظاها ، ويؤلب الكل لتحقيق ما يريد من إصلاح وتحرير . فإس في استطاعتنا أن نعرف تماماً هذه العقول التي وصفت الدستور المغربي لأنها كانت تصني على نفسها كثيراً من الموضوع الذي كانت ترى فيه سر نجاحها .

وهم ما يكن . فإن (لسان المغرب) الأسبوعية الوطنية قد حفظت لنا من حسن الخط مشروع الدستور المغربي ، وبعض المقالات التي تدل على ما كان يعيشه شخاظر رجال العمل الوطني في ذلك العهد .

ونجى قلبت مجلة (المغرب الجديد) في أحد أعدادها الفقرة الآتية من إحدى مقالات (لسان المغرب) ، وهي كادية للتدليل على أن الحركة حركة شباب ناهض ذي اتجاه قومي مضبوط . وهذا هي ذي الفقرات :

بما أن الوقت قد دعا إلى الإصلاح ، والشبيبة المغربية قد هالت قلوبها ، واشترحت صدور هالة ، وحللة مسطاتها الحديد (عبد الحفيظ) يعرف لزومه . فتحن لا تألوا جهداً في الدأاء بطيه على صفحات الجرائد من جلالته ، وهو يعلم أساما قلده بيمتنا ، واحترناه لإمامتنا ، وحطبا وده رغبة منا وطوعاً من غير أن يطلب علينا بخيل ولا رجال ، إلا أملا في أن ينقذنا من هذه القوط التي أوصدت إليها الجهل ولاعتداد ، فلي جلالته أن يحقق رجاءنا ، وأن يرهس للكل على أهليته ومقدرته على ترقية شعبه ، وعلى رغبته في الإصلاح ، وجدارته بإدارة ما قلده أمته . :

والذي نرجوه منه قبل كل شيء هو فتح للدارس ونشر للعارف ، وأن

يكون التعليم الإبداعي إجبارياً ، وأن يولى ذوى الكفاءة والاستحقاق والأهلية
ويقرب إليه ذوى العقول الراجعة والأفكار الحرة الراقية ، ويحترس من الوشاة
والجواسيس الذين يشوهون به رعاياه ، ويحولون بينهم وبينه . وفي بلاطه الشريف
من هذه الميكروبات القتالة جيش كبير ؛ فإن لم يحترس منها ويقاومها نقلت إليه
جراثيم وبيلة معدية . وبما أن بدأ واحدة لا تقدر على إتهام شعب من هذه
ال سقوط ولا على إصلاح إدارة مخنفة كإدارة حكومتنا فيجب أن تكون الأيدي
المتصرفة والعقول المفكرة والأفكار المدبرة كثيرة متكاثفة على العمل . وعليه
فلا مناص ولا عيب لجلائته من أن يجمع أمته نعمة الدستور ومجلس النواب ،
ومن إعطائها حرية العمل والمكر لتقوم بإصلاح بلادها اقتداء بدول الدنيا
الحاضرة السليمة والسيحية . والدول الحاضرة يوم كانت مستبدة ، وكانت سلطتها
مطابقة لم تكن لها كلمة مسدوعة ، ولا ما يبدل على أنها دول قديرة ، وحيث
حصل الله تلك الأرواح من شبكة الاستبداد والرق سهت تلك الدول من هذه
سقوطها ، وتفتت في أطوار السكالات حتى وصلت اليوم إلى ما وصلت إليه ،
وكفى حجة على هذا أمة اليابان ؛ تلك الشمس المشرقة في آفاق آسيا التي كانت
في مؤخرة الدول قبل أربعين سنة ، وأصبحت اليوم في مصاف الدول العظيمة ،
وانتصرت ذلك الانتصار المجيب على دولة من أعظم دول العالم (روسيا) ،
وعبر بسيد هذا الانقلاب المجيب الذي حصل في دولة تركيا المليئة إثر منع حلافة
أمير المؤمنين لشعبه الدستور ، وأمره بجمع (مجلس المبعوثان) . فصرى أن
نقتدى به ونقوم بخدمة بلادنا ونسعى جهدنا في إصلاح حالتها . .

أليس في هذا النموذج من المقالات التي كان يدعوها الوطنيون لأفكارهم
في ذلك العهد ما يكفي للدلالة على أن أمتنا كانت سائرة في طريق الخلاص لولا
استعجال المستعمرين الأمر ، وهجومهم علينا طريق القوة الفاشية التي شغلتنا في
شأن الدفاع عن النفس أمداً طويلاً ؟

يشتمل مشروع الدستور المرفى على أربعة أقسام : القسم الأول يتضمن القانون الأساسى للأمة ، والقسم الثانى هو النظام الداخلى للمنتدى الشورى ، والقسم الثالث يتضمن نظام الانتخابات العمومية ، والقسم الرابع يتضمن ما سمىه واضعوا للمشروع بقانون الجزاء الغربى .

ويتفق للمشروع بتأسيس هيئة تعرف (بمنتدى الشورى) تتركب من مجلسين : مجلس الأمة ، ومجلس الأشراف . والهيئة بمجلسها تعتبر أعلى هيئة فى البلد ، ورأيها فوق كل رأى ، ولها حق مراقبة كافة الإدارات والدوائر الحكومية وحق الإلغاء والإيقاف . والتشجيع بالزيادة والتقصير بما يخص مواد الدستور خاص بمنتدى الشورى ، ولا يعمل بقراره فى هذا الموضوع إلا بعد للمصادقة الملكية عليه .

ويهتم القسم الأول من الدستور بشأن « الحملات الخاصة » التى وطأها عقد مدريد فينص على ما يأتى :

المادة الخامسة والسبعون : لا يسوع لأحد من أبناء الدولة المغربية أن يتخذ حماية دولة من الدول إلا فى الحالات الاستثنائية المذكورة فى المادة التاسعة والسبعين .

المادة السادسة والسبعون : كل شخص يحتوى بدولة من الدول سراً بدون أن يعلم الخزن (الحكومة) ويأخذ رخصة بالحماية لا تعتبر حمايته ، ويجرى عليه الجراء المرتب على ذلك فى قانون الجزاء .

المادة السابعة والسبعون : لا يجوز لأحد من أبناء السلطنة المغربية المتخذ حماية دولة من الدول أن يدخل فى الوظائف الخزنية .

المادة الثامنة والسبعون : كل موظف فى إحدى وظائف الدولة المتخذ سراً حماية دولة من الدول ثم ظهر أنه من المحتسبين يعزل لمحال من وظيفته دون أن تعتبر حمايته ، ويجرى عليه الجزاء المرتب على ذلك فى قانون الجزاء .

المادة الحادية والثمانون : كل من تختم قديماً قبل إعلان الدستور بدولة من الدول

يبقى على حمايته ، وعلى الحكومة أن تعاملهم معاملة تبعية تلك الدولة المحتى بها بدون فرق ولا تمييز .

المادة الثانية والثمانون : كل من رجع من المهتمين إلى تبعية الدولة المغربية يتقبل رجوعه ويحق له أن يتم كدائر أبناء الأمة بكل حقوقه الشخصية والمدنية .
وينص الدستور فيما يرجع للتعليم على وجوب تأسيس مدارس ابتدائية للبنين وأخرى للبنات ، ومدارس ثانوية ، وتنظيم جامعة القرويين على أسس معاصرة .
وتنص المادة الثامنة والثمانون على أن التعليم بالمدارس كله بالمجان على الجميع ،
والدمغة اللازمة للمدارس ينظر فيها منتدى الشورى ويقررها المجلس الأعلى بها .
من حرية الدولة ، وبعضها من ريع الأوقاف وأموال الدولة وبعضها من الأمة ،
وخصوصاً الأغنياء ، كما تنص على أن التعليم الابتدائي إجبارى للذكور .

وتنص المادة التسعون تأسيس المدارس الحرة لسكل راغب في ذلك من المغاربة والأجانب

وتلزم المادة الثانية والتسعون منتدى الشورى بأن (يهتم في سنته الأولى بتنظيم قوانين لكل إدارة من إدارات الحكومة لوزارات والمحاكم في القضاة ولدار النيابة ، والمحاكم القضائية ، والدول ، ولأمانة المسند (وزارة المالية) ، وللحسبة ، ولأمانة الديوانات ، وللمسكينة ، والضرائب ، ولجبهات وغيرها .
فيكون لكل من هذه الإدارات والأمور الحزنية قانون خاص بها تسهر بموجبه وتصل بمقتضاه .



لقد اشتمل مشروع الدستور على الجوانب التي كانت تشغل بال الشعب المتقنة في البلاد ، وهو وإن لم يكن الدستور الذي يمكننا أن نشده اليوم فهو يشتمل على النواة الصالحة التي وضعت الانجساء الغربي في ناحية الديمقراطية الشعبية . وقد كان لنشر هذا الموضوع في صحف المغرب صدى رددته تونس وغيرها من البلاد العربية .

والذي يهمننا من هذا هو أن الحركة الشعبية في البلاد كانت حرة في الأولى
عبد الحميد رمزاً لمقاومة الأجنبي ، وتشد منه فيما يخص المصلحة القومية إلغاء
سائر الامتيازات ، وفيما يخص الإصلاح السياسي الخروج بالدولة من النظام
الأوتوقراطي إلى حكم ديمقراطي تتمكن به الأمة من مراقبة أحوالها وإصلاح
شؤونها ، ولكن الصعط الذي ورفض فرنسا الاعتراف بجلالته أدى به إلى
سلوك سياسة رأى فيها الشعب مهودة لم ينتظرها منه ، ولذلك بدأ بنلى ويلور
ملتصاً من ماسكه تنفيذ الوعود ، وانتهى الأمر بهجوم الجيش الفرنسي على
فاس (حاضرة البلاد) ، وإعلان الحماية في ٣٠ مارس سنة ١٩١٢

2

المقاومة العسكرية

لم يكذب حبر إعلان لحاية يشيع في المدينة الفاسية ، حتى أعلن الجيش الملكي الثورة على قائد الأعظم ، وقتل الجنود ضباطهم الفرنسيين ، وامتد الهياج للشعب فثار هو الآخر ، ووقعت معارك ما تزال تعرف بالأيام الدامية . وحاصر ٢٠ ألفاً من البوادي المحاربة المدينة برباطة الزعيم الجبامي ، وسرت الثورة في سائر الشمال والجنوب والأطلس المتوسط . ولقد وجد الجنرال غورو في (الخبيرة الكحلا) على بعد ١٥ كيلومتراً من فاس خريطة مجموع العصابات محضرة على أحسن ما يرام من الوجهة العسكرية ، وقد حددت بها مذاهب الحلة (الجيش) والتكتيكات التي تتبع ، وتشمل على دهوة لكساع من أجل الوطن : (إلى الحرب المقدسة التي أصبحت واجباً على الفارية والمسلمين من غير استثناء) .

وقد وجد الفرنسيون القيادة ، وعينت فرنسا المارشال ليوطي — الذي كان بالملق المباشر برونانيا — مقياً عاماً وقائداً أعلى لجيش النزو الفرنسي في مراکش كلها . وقد كلفه حصوله على بعض المراكز التي هيأت له طرق المواصلات بين عماراته في المجموع : ٥٦ ألف جندي في سنة ١٩١٢ ، و ٧٠ ألفاً سنة ١٩١٣ ، و ٦٣ ألفاً سنة ١٩١٤ ، وأدى ذلك إلى مساريف باهظة ، وقروض عديدة ، هيجت انتقاد البرلمان الفرنسي .

ولقد أعلنت الحرب الكبرى ، والمغرب كله — باستثناء أكبر المدن والمواني — في ثورة عنيفة ضد الاحتلال الأجنبي . وتنفسم مناطق الثورة إلى أربع جهات :

١ — جهالة والريف (في شمال المغرب) .

٢ — مركز الأطلس المتوسط .

- ٣ - الأطلس الكبير (بجنوب المغرب) .
 ٤ - تافيلالت وآيت هظا (في الجنوب الغربي أيضاً) .

١ - جبال الريف :

تزل الأسبان مدينة مليلة وسبتة للفرينيين في القرن الخامس عشر عندما كان بنو الأحمر ملوكاً على غرناطة ، وجمعوا منها مدينتين أصبانيتين بإضافة بعض الجزائر الصغيرة الملاصقة للساحل الربي وعى بادس والتكور (الحسيات) والجفرية .

وفي سنة ١٩٠٣ عقد بين فرنسا وأسبانيا اتفاق بإيعاز من الوزير دولكاسي تقرر فيه إعطاء المنطقة الشمالية لأسبانيا في حالة غزو فرنسا لمراكش .

وفي سنة ١٩٠٩ جمع الأسبان بضواحي مليلة جيشاً ذا ثلاث فرق ، وقرروا غزو الريف ، فانبرى لقاومتهم بطل الريف الأول السيد محمد أمزيان ، واشتد القتال بين الفريقين مدة سنتين تكبد الأسبانيون فيها خسائر كبيرة بفقدوها مؤرخوم بعشرة آلاف قتيل ، من بينهم الجنرال بينيتو ، والجنرال فيكاريو ، وقد أبلت قبيلة القلعية في هذه الواقع البلاء الحسن .

وفي سنة ١٩١٣ حاول الأسبان الهجوم على الشاون فاصطدموا بقبائل جباله ، ودار بين الفريقين قتال كبير انتهى بحصر الأسبان في مدينة تطوان ، ولم يخذ إلا بعد أن اتفق الأسبان مع الريسولي الذي استطاع أن ينشر نفوذه على قبائل جباله الشمالية ، ثم عقد مع الأسبان هدنة دامت إلى سنة ١٩١٨ ، ولذلك اضطارت أسبانيا لمهادنة قبائل الريف طيلة الحرب الكبرى تأسيلاً لمواصلاتها بين مليلة وسلوان والناثور ، واستمر الحال هادئاً حتى بدأت معارك البطل عبد الكريم التي سيجمل الحديث عنها من بعد .

٢ - مركز الأطلس المتوسط :

أما مركز الأطلس المتوسط فقد جرت به معارك عديدة منذ سنة ١٩١١ إلى سنة ١٩٣٣ ، ويمكننا أن نستخلص منها - إذا نظرنا إلى مجموعها - أربع مراحل عظيمة الأهمية :

الأولى - اقتراب الجيش الأجنبي ومحاولة انصافه بالجنال ؛ وتشتمل على :

(أ) مواقع بني مغاور سنة ١٩١٣ .

(ب) مقاومة تادلة حتى احتلالها سنة ١٩١٣ .

(ج) مواقع خنيفرة سنة ١٩١٤ .

(د) عمليات تادلة من سنة ١٩١٥ إلى سنة ١٩١٧ .

الثانية - مهاجمة مقر كدة القبائل في الأطلس المتوسط ؛ وتشتمل على :

(أ) خرق أزرو - ميدلت سنة ١٩١٧

(ب) مواقع زالان و بني مقيبل من سنة ١٩٢٠ إلى ١٩٢٣

الثالثة : مهاجمة الشاطئ الشمالي لوادي المبيد ؛ وتشتمل على :

(أ) مقاومة عرباله سنة ١٩٢٦

(ب) مهاجمة وادي المبيد سنة ١٩٢٩ ، ١٩٣٠ ، ١٩٣١

الرابعة : مهاجمة المدو للأطلس المتوسط ؛ وتشتمل على :

(أ) مقاومة آيت يحيى سنة ١٩٣١ - ١٩٣٢

(ب) استيصال آيت إسحاق سنة ١٩٣٢

(ج) مهاجمة إسحاق البحيرة سنة ١٩٣٢

(د) مواقع ملون والأطلس الأعلى ، وحصار كرددوس وبادو وصراع

الكوسى سنة ١٩٣٣

٣ - الأطلس الكبير بمجنوب المغرب :

كانت سياسة ليوطى فى هذه الجهة التى تشمل على قواد كبار. هى بمجاملة هؤلاء القواد واستمالتهم فرادى لما لهم من السلطة فى وسط القبائل ولكن الروح القومية قضت على نفوذ هؤلاء الأفراد ، وأفادت على ليوطى سياسته التى لم يستطع إنجارها فى الأطلس للتوسط نظراً للنظام الديمقراطى السائد هناك والذى لا يكاد يوجد معه تسلط معنوى لفرد ما . ويرجع الفصل فى توحيد قبائل الجنوب إلى الشيخ ماء السيين وولده الهبة الذى كونه من حوله حركة وطنية بالمعنى الدقيق للكلمة ، وكانج الفرنسيين مطارداً هؤلاء القواد السكهار حتى احتل مدينة مراکش ، ثم انهزم فى موقعة سيدى أبى عثمان ، واستمر هو والقبائل اللدنة من حوله بالساقية الحمراء طيلة أمد الحرب الكبرى ، ولم تقته مقاومة الأطلس الكبير وسوس إلا سنة ١٩٣٥

٤ - نافيرولت وآيت عطا فى الجنوب المغربى أيضاً :

استمرت هذه الجهة فى مقاومتها للفرنسيين مدة ٢٣ عاماً قاد معاركها أولاً الشريف السمالى الذى يعرف بموحا وحو ليفروطن ، وهو بطل قاتليات الذى هدد الفرنسيين بمخطر كبير سنة ١٩١٧ فوجهوا عليه جيشاً من مكناس بقيادة الجنرال بوييرو ذراع ليوطى الأيمن ، وأمدوه بحيش عين الصفراء من الجزائر واستمر الجيـشان فى قتاله مدة أربع سنين تسكب فيها الفرنسيون خسائر عديدة ومات بها كثير من الضباط ، وأصيب بوييرو برصاصة فى حموده الفمـرى كانت السبب فى موته بعد سنين . أما الشريف السمالى فقد اغتيل ، وخافه فى تدبير القبائل وقيادة حملاتها أبو القاسم النقادى الذى واصل المقاومة إلى سنة ١٩٣٥ حيث استسلم ، ولا يزال معتقلاً بمدينة عيون سيدى ملك إلى اليوم .

ذلك هو إجمال مراحل المقاومة المغربية للدفاع عن الاستقلال ، ولو أردنا أن نفصل هذه المواقع ونحدث عن رجالها ، لاضطررنا إلى كتابة مجلدات ، كلها مليئة بأخبار البطولة وأنباء الشهامة المغربية التي لم يسبق أن سجل التاريخ الحديث مثلها لشعب من شعوب الأرض على الإطلاق . ولذلك نرى أن نجتزئ بإجمال الحديث عن الحرب الريفية رأيا لها من العلاقة بتكوين الحركة الوطنية القائمة ، ولأن أبطالها الكبار قد عاودوا الجهاد على رأس « لجنة تحرير المغرب العربي » منذ نزوله بأرض الكفانة .



الحرب الريفية

أشرنا في الحديث عن مواقع الأطلس الكبير إلى الروح القومية التي معها الشيخ ماء العينين وولده الهبة كرد فعل لروح القبيلة التي أراد ليوطي بسياسة القواد الكبار أن يبعثها من سرقتها . والحقيقة بأن الدفاع الإقليمي الذي كان يسود المقاومة المغربية في كثير من الجهات كان يحيل لبعض الأجناب وبالأخص الفرنسيين أن الروح القبلية تقيدهم كثيراً في كسب الأنصار وتشتيت المناوئين ، كما أنها تمهد السبيل لإدارات الشؤون السياسية لتعمل عليها في تفرقة شمل الكتل المتحدة . كي تسود عليها ، وقد كانت حركة الهبة الوطنية أكبر مظهر رأته السلطات الفرنسية لتتكامل القوى في المغرب ؛ إذ شهدت القبائل العديدة القساكنة فيها بين مدينة مراكش والسنغال كلها تتجمع تحت قيادة شخص واحد ، متناسية كل الاعتبارات المحلية ، مدافعة عن فكرة واحدة هي استقلال المغرب ووحدته .

ولقد شهد أحد كبار القمّاح الفرنسي الجنرال أ . جويوم في كتابه عن « برابرة المغرب وعمليات استتباب الأمن في الأطلس المركزي » بما يأتي : (لأسلوب العزب على الماريسال ليوطي : « أظهر القوة لئلا تستعملها - ووب طريق سارت جعفلا » لا يمكن تطيئة على هذا الشعب المتحسس في الدفاع عن استقلاله إلى آخر رمق من حياته . والذي أدهشنا كثيراً هو أن أخضر القبائل للسلطان ثرت عليه حينما وقع الحاية ، وكانت أشد مقاومة إذا وتضجنا عليها من بعض القبائل التي صرف عنها أنها تشور بمختلف المناسبات) . ويقول بعد ذلك : (إذا كانت مجهودات إدارة الشؤون الأهلية قد كُفّت بالفشل ، فذلك لأن خصومنا يرفضون أن يتقهقروا إزاء قوتنا ، لا إذا بذلوا كل ما يملكونه من

جهد في المقاومة) . ويقول قبل هذا : (إنه كثيراً ما استحضر أمام فشل محاولتنا هذه الكلمة التي قالها المارشال بيجو : « حقيقة من المضحك والمؤلم معاً أن نسمع ونقرأ ما يقوله كتابها وخطباؤها الذين ينصحوننا بأن نستعمل كوسيلة لجلب حصوننا أسلوباً عادلاً ، وأن نهمل العرب يحسون عذوبة تقاليدنا وفوائد مدنيته ، إن هذا شيء جميل وعال بدون شك ، واقد تدركه أما أكثر من كل أحد ، ولكن كيف تفعل هذا مع شعب يفر من قربنا ، ولا يترك أمامنا إلا مقاتلين أشداء يحميون عن الجبل العاطفية بإطلاق الرصاص ١٩ ») .

فلك هي الروح المغربية حقاً . إن الشعب لم يقبل الاقتراب من الفرنسيين ولا من الأسبان ، ولم يرد الاضطرار بادعاءاتهم لم يبحثوا إلى الغرب فاتحين وإما وردوا عليه بمدنيين مساعدين . ولقد ظهر بإجماع الكل على الدفاع هما كانت الوسائل المتبعة أن القومية المغربية راسخة ، وأنها فوق كل الاعتبارات العصرية مستمدة من روح الدفاع من النفس الذي هو حق طبيعي للإنسانية كلها ولكن هذه الروح ستحل أكثر من كل مرة أخرى في الحرب الريفية التي صرف بطلها عبد الكريم كيف ينسق أساليبها وينظم مذهبها .

كان والد محمد عبد الكريم هو الذي استأنف تنظيم المقاومة للأسبانيين بعد أن فشلت كل محاولات هؤلاء لإفناعه بالخضوع لهم والامتثال لحكمهم ، وحاصر (تفرست) حيث وقف عندها يوماً وعشرين يوماً ، ثم سقط مريضاً ، وخلف لابنيه محمد ومحمد ميراث الدفاع عن الريف وتخليص المغرب كله من يد الأجنبي . وكان أول ما قام به الزعيم عبد الكريم هو تحرير مركز (دار أهارا) الذي استولى عليه الأسبان ، وقد استطاع أن يخلصه بثلاثمائة مقاتل كانوا معه ، وأن يطرد المندوب بعد معركة شديدة خسر فيها الأسبان أربعمائة جندي وستة من الضباط ، وغنم فيها الريفيون كثيراً من البنادق والمدافع والذخيرة .

وكان لهذا النصر أثره في توحيد صفوف الريفيين من حول الأمير ، والقضاء على كل الدعايات التي كان يقوم بها خونة مغرضون ضدك عليه وعلى عائلته .

ثم هجم الجنرال سيلستر في جهة (سيدى يدان) في الشمال الغربي من
(أنوال) ، ولكن جهود الأمير دهرته وكبدته خسائر فادحة تقدر بثلاثمائة
وأربعة عشر قتيلًا بينها خسر الريفيون سبعة عشر من رجالهم .

ثم جرت إحدى المعارك الكبيرة التي تعرف بمركة « أنوال » ، وكانت
شديدة وقوية ؛ إذ كان الجنرال سيلستر يهجم فيها كل يوم ، ويزداد اشتداداً
وقوة في كل هجوم ، واستمرت المركة ستة أيام اضطرت فيها العدو إلى الانسحاب
وإخلاء مركز أنوال وكل المراكز التي من حولها . وكان تقهر الأسبانيين في
شكل هروب مرعب لم يحتاج معه مواطنو الريفيون أثناء متابعتهم لاستعمال
السلح ، وسقط بالهزام الأسبان أكثر من مائة مركز حربي في يد
عبد الكريم ، وكانت الطريق مليئة بالقتلى ، وغنم المجاهدون مائتي مدفع
وعشرين ألف بندقية وكميات وفيرة من المعدات والذخيرة وزهاء المليون
خرطوشة وعدداً كبيراً من السيارات والحافلات وغيرها من حاجيات الجيش ،
والمع عدد الأسرى سبعمائة شخص . وتعتبر هذه الهزيمة الأداة الفعالة التي منحت
عبد الكريم الوسيلة المادية لتنظيم جيش ذي عناد ومواد لم تكن له وسائل
لاكتسابها ، زيادة على ما بعثته في نفوس قومه من الروح المصوية التي يذكرها
النصر ويبشها الينين بالنظر .

وأخبت هذه المركة موقعة سريرية عظيمة أخرى هي « موقعة عربت » ،
فقد انكسر فيها الأسبانيون انكساراً شديداً وفظيهاً ، وقد وصل الجيش الريفي
إلى قرب مليلة .

وفي سنة ١٩٢٢ و ١٩٢٣ كانت الأسبان قد أخذوا تنظيم فلولهم وتجهيز
جيوش عديدة ، فرصدوا قوات عظيمة بقيادة الجنرال رانجي ، فهاجمت الريفيين
وجرت بين الفريقين معارك على طول خط مليلة - كوبا - الحسيمة ، كانت
سجالاً بين الطرفين . ثم هجم الريفيون هجوماً صادقا على الأسبان فردوا العدو على
أعتابه إلى مليلة بعد ما كبدوه خسائر كبيرة ، وسلبوا كل ما معه من ذخيرة وعتاد .

وحينما طلت الحكومة الأسبانية بهذه الكارثة عقدت مجلساً حربياً قرر وقف الزحف والسمي للاتفاق ، فصار رئيس الوزراء وزملاؤه إلى مائدة واستدعوا الجنرال برانجهي القائد العام بمنطقة الريف وللقوم العام بالمنطقة الأسبانية من المغرب ، فقبلوه قرار الحكومة ولكنه عارض في ذلك كل المعارضة .

وقد استأنف برانجهي هجومه الجديد في شهر مارس من سنة ١٩٢٢ حيث حشد ٥٠ ألف مقاتل بالحسيمة ، وقوى مظيمة أخرى بفناحية مليحة للاحتياق بمجل بني عروس أملا في مهاجمة عبد الكريم بأجدير .

وفي اليوم الخامس والعشرين من الشهر قام الريفيون بهجوم عنيف عام على طول الخط ، وحمل وطيس الحركة حول الحسيمة ، وشاركت فيها للدفعية الريفية للمرة الأولى ، ودامت الحركة كامل أسبوع فتك فيه الريفيون بالمدو فتكا ذريعا ، ونهزم لهم النصر ، وقتل من جيش الجنرال برانجهي ٥ آلاف جندي ، وأسر ٣ آلاف ، وجرح الجنرال نفسه بجرحين خطيرين في صدره ، وسافر إلى مدريد حيث قرر مع أركان حربه العدول عن خطة الهجوم على أجدير ، والاكتفاء بجمع القوى حول مليحة لتوسيع مناطقه حول مدينتها .

أما الريفيون فلم يعملوا بقرار أركان الحرب الأسبانيين ، بل واصلوا هجومهم ودمروا عدة مراكز أسبانية ، وأغرقوا بوارج حربية ، وشاركت سفيتهم الوحيدة في هذا الهجوم ، وقد أثر حمل الريفين أثرا كبيرا في معنوية الأسبان فهاجت خواطر الشعب .

وعلى أثر هزيمة الحسيمة انتدبت حكومة مدريد المثلث الأسباني (ارشيماتا) للتفاهم مع عبد الكريم على عقد هدنة تعتبر مقدمة لصلح بعقد العارقات ، وتلك هي الأسارى فوصل السفير لاجدير ، وعقد مع الأمر عدة اجتماعات انتهت بالاتفاق على الهدنة المؤقتة ، وفك أسرى الأسبان مقابل مبالغ تؤديها أسبانيا للحكومة الريف ، مع تسريح جميع المسجونين الريفين . وقد جرت عدة محادثات لعقد الصلح لم تؤد إلى نتيجة صلبة ؛ إذ كان الريفيون

يطالبون باستقلال الغرب الشبلي من أسبانيا ، بينما لا تريد أسبانيا أن تصعد
بأكثر من استقلال داخلي .

وفي سنة ١٩٢٣ عاود الريفيون الهجوم بقوة تبلغ ٧٠٠٠ مقاتل على سفح
جبل درسة — شفشاون فاستولت على مراب كز المدو الأمامية . ثم لما لم تنجح في
التغلب على مركز تريباس — وجهت همتها إلى مدينة (داخيت) حيث قامت
هناك معارك هائلة أصلى الريفيون فيها الأسبان بأرأ حامية ، وحافت أثرها بالمدو
موقعة (هربت = أنوال) وأصبح الجيش الأسباني في خطر ، وصرح المسؤولون
بأن القضية أصبحت حرجة جداً .

وقد اجتمع مجلس الوزراء الأسباني على إثر هذه الحوادث ، وقرر انتداب
وفد للمفاوضة مع عبد الكريم في عقد الصلح ، فوصل الوفد لانتوان ، وانتدب
الأمير اثنين من رجاله وعقد بين الطرفين مؤتمر هام تكررت فيه الاجتماعات دون
أن يصل إلى حل مرضي . وقد كان الوفد الربي متمسكاً بمتطلبات البشاق
الوطني ، بينما كان الأسبانيون لا يمتنعون إلا بعض الترضيات البسيطة . وقد كتب
سكرتير الوفد الأسباني إلى وزير خارجية الريف رسالة ، كل ما يعرض فيها هو
أن لا تقع للمفاوضة إلا في منح نوع من التغيير الإداري والاقتصادي في القبائل
الريفية ، وفي الوظيفة أو المنصب الذي يشغله الأمير عبد الكريم بصفته نائباً
عن خليفة السلطان في حكومة الريف ، وقد صرح السكرتير بأنه لا يمكن أي
مفاوضة فيما يرجع للاستقلال أو لإلغاء معاهدة الحماية .

ولكن وزير خارجية الريف أجاب على هذا العرض بكتاب طويل من أهم
ما جاء فيه : (إن الحكومة الريفية التي تأسست على قواعد عصرية وقوانين
مدنية تعتبر نفسها مستقلة سياسياً واقتصادياً آتلة أن تعيش حرة مثل سائر
الشعوب ، وترى لنفسها أحقية امتلاك ترابها قبل كل دولة ، وتعد الجانب
الاستعماري الأسباني معتدياً غاصباً لاحق له فيما يزعمه من نشر الحماية على حكومة
الريف ؛ لأن الريف لم يعترف بهذه الحالة أصلاً ولن يعترف بها ، بل يرفضها

وعسا ، ويلتزم أن يحكم نفسه بنفسه ، ويسعى في نوال حقوقه الشرعية التي لا نزاع فيها ويدافع عن استقلاله التام بكل الوسائل الطبيعية الخ) .

ولما لم ينجح مؤتمر تطوان طادت الحرب إلى الاشتغال ، وتوالت اواقم التي أصبح النصر فيها حليف الريفيين ، والتي لا تريد أن تسردها جميعاً . وفي سنة ١٩٢٤ انصبت القبائل التي تقيم في المربع الواقع بين نهر تطوان والأنجرة وودادى الوادى وطريق تطوان - شفشاون إلى المحاضدين ، وانقضت على جيوش الأسبان من كل جهة ، فزاد ذلك وضوحاً في الحركة القومية التي لم تعد خاصة بقبائل الريف ، بل شملت غيرهم من قبائل الجبل ، كما أعطوا الحرب قوة مادية ومعنوية كان لها أثر مفعول في انهزام كل الجهات الأسبانية ، وتآبعتها القوات المغربية من (الفندق) إلى (الرانث) ، وسدت الطريق بين طنجة وتطوان ، واقتربت من تطوان من الجهة الأخرى .

وحينئذ جاء الجنرال بريغودي ريفيرا الدكتاتور الأسباني إلى تطوان ، وعند مؤتمر عسكري ضم اثني عشر قائداً أسبانياً ، وقرروا إعلان الأحكام العرفية في سائر أنحاء المغرب المملوكة ، ولم يستفد من هذا القرار القوات التي بأسبانيا ، ونولى بنفسه وظائف القيم السليم زيادة على كونه رئيس حكومة مدريد ، وقرر عدم الحاجة للدواخى الداخلية ، والاحتفاء بمحاكمة المياني ، والدخول في مفاوضات مع البطل عبد الكريم .

١ - ابتدى بريغودي ريفيرا المساهمة (إرشيانيا) ، وعين الأمير محمد السيد محمد بن محمد ، وقد عرضت أسبانيا على الأمير الصبح على أساس تخليها عن المواقم التي جعلت عنها ، ولم يقل للتدوير المغربي ذلك ومطالب : .

٢ - بلغة تدفع أسبانيا ٥ مليوناً من (البسميات) كتمريض .

٣ - وأنه تسم أسبانيا الحكومة المدفوعة ١٥ طائرة ، ومائة بندقية ، ومائة

ومشزين ، بخارية ، قذائف ، جيلية .

٤ - بأن يفتحوا الأسبان عن سراكش إلى حدود مائبة ومبتدئة .

٤ — وإذا قبلت أسبانيا هذه للابادى يبعث في أمر الصلح وتبادل الأسرى .
 ولكن الأسبانيون لم يقبلوا هذه الشروط ، وبدأوا ينسحبون من مانتى
 مركز من سرا كرم تطبيقاً لقرار المجلس الحرى .
 وما وصل الجيش الأسباني للخط الذى قرر الوقوف عنده حتى ثارت قبائل
 الانجيرة الناطقة وراء ذلك الخط فيما بين تطوان وحدود طنجة ثورة ألفت الرعب
 في نفوس الحماة ، وهددت جيشهم بنكبات عظيمة ، وقطعت عليهم وسائل
 المون والانصال .

الحرب مع فرنسا

لقد كانت سياسة الأمير عبد الكريم في بادئ الأمر تعمل بكل مجهوداتها اثلا فنهزم فرنسا لأسبانيا في مقاومة الحركة التحريرية ، وكان يرى أن الأوفق لبجاح القضية هو العمل على كسب الوقت ، وتمديد أمد الحملة لفرنسا ويثا يتم إقصاء أسبانيا عن المنطقة الشامية بالمره ، وكان الفرنسيون في بادئ الأمر ينظرون إلى عمل عبد الكريم بكامل التحفظ ، وحاول للارتيال ليوملي أن يربط مع عبد الكريم علاقات طاهرة بالود وباطنها البكر والخدايع . ولكنه في الوقت نفسه كان يرفع تقاريره للحكومة الفرنسية ، مبيناً ضرورة الحذر من قيام حكومة حرة في جزء من المغرب مجاور لمنطقة الفرنسية ، لما في ذلك من الخطر على سلامة الشمال الأفريقي . نعم كان ينصح فرنسا بالحرص على أن تستطيع أسبانيا قهر الريفيين وحدها فلا تضطر فرنسا لخوض غمرات حرب ، ربما تواجه فيها تصحيات مادية ليست بحاجة إليها .

ولكن الفرنسيين لم يستطيعوا الصبر ، بل تقدموا لمهاجمة قبائل ورغة التي تعتبر حصوناً أمامية للمناطق الريفية بدعوى حماية القبائل التي تحت النفوذ الفرنسي من مهاجمة الريفيين ،



وقد روى مؤلف « مذكرات عبد الكريم » بقوله : أن الأمير كتب إليه في بيان الأسباب التي حالت على الدخول في حرب فرنسا ما يرى فائدة نقله لما فيه من الدلالة على الرغبة القومية التي كانت تغلّخ في الزعيم الريفي ، وتدفقه للعمل على تحرير شامل لساير مناطق المغرب الأقصى :
قال الزعيم « لقد أحدث تقدم الفرنسيين إلى « وادي ورغة » ثورة كبيرة

بين القبائل الريفية ، فتوصلت بذلك لإخضاع بعض القبائل الجبلية الريفية التي كانت ما تزال متحصنة بجبالها لا تحرك ساكناً لمساعدتنا في هذه الحرب التي نتوصل بها للوصول إلى استقلالنا ، ولما تمكنت من إخماد الفتنة بين قبائل غمارة وصنهاجة أخذت أهاجم الراكز الأسبانية واحداً بعد الآخر ، ولقد حدثت مفاوضات على الحدود بين الفرنسيين والريفيين أثناء جلاء الأسبان كان السبب المباشر لوقوعها عدم وجود حدود طبيعية بين المنطقتين ؛ فإن هناك شقة واقعة في الشمال الشرقي من فاس تسمى (وادي ورغة العليا) لم يقدم أحد على احتلالها للآن ، ولكن الفرنسيين يدعون أنها جزء من البلاد المشمولة بحمايتهم ، فإلى هذه الشقة بعثت سنة ١٩٢٤ قوة من المجاهدين انضم إليهم رجال القبائل الوطنية واعتصموا كلهم بمواقع منيعة ، وأخذ رجال الأمير يثلقون تعبتهم منه رأساً . قال الأمير :

« إن هذه الشقة كانت تحت سيطرة الريف المباشرة لما أقدم الفرنسيون على احتلالها أخيراً ، وميان عندي إذا كانت أسبانيا تمدّها تامة لها أو كان الفرنسيون يحسبونها جزءاً من البلاد المشمولة بحمايتهم ، ما دامت الحكومة الريفية لم تعترف قط بتقسيم المغرب الأقصى إلى مناطق مشمولة بحمايات أجنبية مختلفة » (١) .

وأولما كان فإن فاطح مايو من سنة ١٩٢٥ كان بدء حرب شديدة بين حركة التحرير الريفية وقوات فرنسا .

ولقد استمرت المعارك الشديدة بين الطرفين ، وتوالى انهزام الفرنسيين أمام المقاومة العظيمة التي بذلها المواطنون المناهضة من أجل التحرر ، وبدأت القبائل تنضم من تلقاء نفسها للاتحاد القوي المتف حول الأمير عبد الكريم ، واضطرت الحكومة الفرنسية لنقل المارشال ليوطي وتعيين مسيو ستيف بدلا عنه ، كما عينت الجنرال تولان قائداً أعلى للعمليات ، وكلفت المارشال بيتان

(١) ترجمة الأستاذ عمر أبو النصر في كتابه : بطل الريف من ١٩٢٨ .

بجهد تسييرها . وبعدها نظم المارشال وسائل القتال في المنطقة الفرنسية توجه إلى سبته وتطوان لتنسيق العمليات مع الجنرال بريمودي ريفيرا .

وقد اندعش الفرنسيون والأسبان لاستمرار المقاومة المغربية ، وقوة الدفاع والمجروح التي ظهر بها المقاتلون المغاربة ، ودقة التخطيط والتوجيهات العسكرية حتى رددت الصحف الفرنسية والأجنبية إعجابها ببطولة الشعب المغربي واستبساله في الدفاع عن نفسه . وقامت في كل من أسبانيا وفرنسا حركة شعبية تعان الأسبان من عمليات استعمارية أدت إلى نيل كثير من الأسبان القتال الشجاع بطييد من الأراميل يطالب العمالة في كل من البلدين بتوقيف الحرب الأهلية والاتفاق مع المغاربة على أساس مقبول .

وإزاء ذلك صرح رئيس الوزارة الفرنسية بأنه تم الاتفاق مع أسبانيا على شروط الصلح المراد عرضها على عبد الكريم ، وهذه الشروط تضمن لأهل الريف حريتهم التامة في شؤونهم الزراعية والاقتصادية والإدارية تحت سيادة سلطان المغرب الأقصى الاسمية ، وقد يطلب من الأمير التسليم ببعض المطالب الخاصة بالسلاح ، ولا يطلب منه تسليم كل معداته الحربية . ولكن هذه المطالب لم تنلق مع ما يريد الأمير من حرية تامة لتأثر مناطق المغرب ، ولذلك لم تؤد إلى النتيجة المقصودة منها .

لقد كانت الحرب مع فرنسا قاسية وشديدة ، وكان الأمر بها سجالاً بين المغاربة والفرنسيين ، ولا يمكننا أن سرد هنا مواقعها ولا أيامها الجيدة لأن ذلك يخرج بشا عن الغاية التي نقصدها من هذا البحث ، ويكفي أن نقول إن موقف (البليان) و (السكيهان) وأمثالهما هزمت أركان القوة الفرنسية — الأسبانية ، وحصلت المارشال بيتان بجلب كل ما لفرنسا من مختلف القوات البرية والبحرية والجوية التي تهرت من قبل بها ألمانيا في فيردان ، ولذلك لا غرابة أن ترى القوة تفوز على الحق مؤقتاً ، خصوصاً بعد أن قام جماعة من أدعياء المشيخة كعبد الرحمن التولاوي وحيدو الوزاني بنص الضعف في نفوس بعض أتباعهم باسم

الدين ، والذين منهم ومن تاليمهم براء ، وانهت هذه الحرب التحريرية بقسليم
الأمير يوم ٢٥ مايو سنة ١٩٢٦ فنقل إلى فاس ومنها إلى مكنى (لاربايون)
حيث بقى هو وأخوه وعمة واحداً وعشرين عاماً .



هذه الحرب الريمية من الوجهة العسكرية ، وقد رأينا كيف استطاع قائدها
العظيم أن يمشد فيها كل القوات المعنوية التى كانت كامة فى الشعب ومحتاجة
لمن يحركها فى سبيل الدفاع عن حريته ، ولقد أسخبرنى الأمير عبد الكريم : أنه
وصل الاتفاق بين الأفراد والجماعات إلى حد أن ذرى الثار الذين لم يكونوا
يكلمون رارثيهم تتاحوا معهم ، وتنافسوا كل ما بينهم من حارات ، وسامحوا
قاتلى آبائهم وأقاربهم فى سبيل المثل الأعلى الذى بعثه هذا الزعيم النبيل فى
نفسهم ، وألبهم للدفاع عنه والموت فى سبيله ، وهذا المثل الأعلى لم يكن
إلا تحرير المغرب واستعادة وحدته الترابية . ولقد كتبت جريدة المورسج
بوست الانجليزية تقول : إنه لم يتم دليل على أن وراء القتال الناشب الآن بين
المغاربة والفرنسيين عاملاً دينياً ، ولكن روح الكبرياء القوى هو الذى يستخدم
فى صدر عبد الكريم ، وهو مظهر من مظاهر مبدأ تقرير المصير الذى وصفه مسفر
لاسانغ خير وصف إذ قال : « إن تقرير المصير عبارة محشوة بالديناميت » .

ولقد وجد الأمير من الشعب إخلاصاً واثياً وثباتاً وتقانياً لا يضاهيه إلا
ما نتحدث به الروايات عن سبر الأعظم وصفات الأبطال ، ولقد حاول المستعمرون
الانضاء عليه بمختلف الوسائل فلم ينجحوا ، وفكروا فى قتله غيلة ولكن
إخلاص قومه له كان يحول دون تنفيذ ذلك بصفة من العفات .

حدثنى الزعيم محمد بن عبد الكريم بالقاهرة : أن الكولونيل موانيمتيريو
القائد الأسباني لمركة السكور اتفق ذات مرة مع محمد بن الحاج محمد أفقير
للكنى عبد الأسبانيين بيايز بكى على سم الأمير ، وكان حاضرا على الاتفاق ان
سميد السلاوى ، وحمل أفقير قلينة سم ، وجاء معه ثلة من الإسبانين حاملين

عديداً من الديناميت لنسف دار الأمير بعد صممه . وما وصل إلى أجدير حتى بلغ الأمير ما قدم من أجله ، وقدم له القنبنة ، وحمل له الأسبانيون الذين معه كأسارى ، ونأهيك بإخلاص هذا الرجل الشعبي الذى أقل ما يقال عنه إن إخلاصه لبلاده لم يكن راضحاً إلى حد ألا يثق به الأسبانيون ويتآمروا معه على القنبنة بطل الريف ، وبضعوا تحت تصرفه أفراداً من مواطنيهم للقيام بالاستفادة من الدهشة التى تسري بالجمهور بعد قتل رئيسه .

أما بعض أدهياء الطرق الذين احتاروا خدمة الأجنبي على تأييد الإسلام والوطن ، فقد احتاط منهم زعماء الريف ، وقضوا على كل من استطاعوا القضاء عليه منهم ، ولكن الثقة الشعبية فى هذه الطبقة لم تكن ضعيفة إلى الحد الذى لا يمكنهم معه أن يفتنوا سمومهم ، خصوصاً فى أوقات تصف فيها القوة العسكرية وقد حاول الأمير أن يصلح من الندبة العامة بنشر السلفية فى الأوساط ، ولكن هل يستطيع أحد أن يثير ذهنية شعب كامل فى بعض سنوات ؟

ولقد أخبرنى الفقهاء الأصولية الذى كان وزير العدل فى الحرب الريفية ، ثم نفى إلى آسفى بعد نهاية الحرب : أن البطل عبد الكريم كان يلزمه مطالعة كتاب التفسير للشيخ رشيد رضا ، وغيره من كتب الإصلاح الدينى فاصداً بذلك تلويح فكه ، وكان رحمه الله من أسرة تعتقد فى الكثير من الخوارق ، وتابح أربابها دون تقريظ أو تمجيد .

ودوى محرر الساتان العسكري : أن عبد الكريم قال له : نحن المسلمين لا زال فى فعلة ممضة ، ومن الحق أن نفعل ما يريدنا المصنعون من الرجوع إلى الفطرة الإسلامية الأولى ، وننبذ الماديات والتقاليد التى تمسكت من الإسلام والمسلمين ، والى ليست من الدين فى شيء أبداً .

وانتد حاول الفرنسيون فى دعايتهم أن يجعلوا من زعيم الريف مجرد ثائر راغب فى الملك أو ناظم يطالب بالسلطان ، وسكن الأمير لم يتأخر عن التصريح فى الوقت المناسب بأنه لا يرغب إلا فى تحرير البلاد ، وأنه لم يثر ولن يثور أبداً

على العرش للثوري الذي ظل أسلافه مخلصين له دائماً ، كما أكد الأمير بمجرد وصوله لبور سعيد : أنه دائم الولاء بجلالة ملك المغرب الأقصى ، وبلغ الأمير بالأمير إلى أنه يكره تسمية ما قام به باسم الثورة ؛ فقد كنت أتحدث مرة معه في شيء ما ، وقلت له : « إن هذا كان زمن للثورة الربيعية » ، فظاهر التأثر في وجهه وقال لي : « لماذا تسمونها الثورة ؟ » إنها لم تكن إلا حرب تحرير من الأجنبي ودفاع عن الوطن .

دستور الجمهورية الريفية

ومن حسن الحظ أن هذه الحركة التحريرية كانت كسابقتها ذات انجاء ديموقراطي يرمى لتحسين حالة الشعب ، في الوقت الذي تعمل فيه للذود عن كيانه وحماية حوزته ، ولم يكن تأسيس الجمهورية مدولا عن فكرة الملكية في نظر من قاموا به من زعماء الريف ، واسكنهم في الحقيقة لم يكونوا يستطيعون الكلام باسم ملك المغرب الذي جعلته ظروفه القهرية في منطقة النفوذ الفرنسي ، ولم يريدوا أن يقرروا في الخطأ الذي وقع فيه الهبة ووالده جاء العيين حينما أعلننا نفسيهما ملكين بعد أن كانا من مخلفي العرش والدافعين عنه ، ولذلك فقد وجدوا حلا وسطا هو تأسيس نظام مؤقت يحكمهم من تنظيم الإدارة وتدريب الجمهور على أن يحكم نفسه بنفسه ، ومضى مع التحرر الكامل لساكني الوطن سطروا البلاد الحرة اصحاب العرش ، ولم يطالبوا بأكثر من تطبيق نظام دستوري يحقق رغبات الشعب في مراقبة أعمال الدولة والتعاون على تسييرها .

ولذلك ما حصل عبد الكريم على انتصاره الأولى على الأسباب حتى فكر في عقد مؤتمر شعبي يدعو إليه ممثلي القبائل ويتناول وإيادهم دراسة الأحوال ، ويتفق معهم على نظام تأسيسي تدير به حكومة المقاومة وينتظم به شئونها ، وقد ثي الجميع هذه الدعوة المباركة ثنائين ، ووقف فيهم البطل خطيبا يستعرض العلاقات التاريخية بين المغرب وأشبانيا ، وما كان من شأنها مع العرب في الأطلس ، ويوضح الأعمال الحمجية التي ارتكبوها في البلاد ، والغاية التي يرمون إليها من بسط حيازتهم على الوطن ، وطلب إليهم الاتحاد والتضامن ، فاتفق الكل على وجوب الدفع إلى آخر رمق ، وجرأوا أن خير وسيلة للنجاح هو تأسيس مجلس عام يكون هو المرجع الأعلى ، ويكون له برنامج الذي يدير

عليه ، ويؤلف حكومة وطنية تدبر الشؤون وتضع القوانين والأنظمة اللازمة .
وفلا تشكل هذا المجلس العام باسم « الجمعية الوطنية » من جماعات القبائل
والأهلين والمشايخ والنواد طبقاً لقاعدة «تجعة في الغرب الأقصى» ، وكانت هذه
الجمعية هي التي تمثل إرادة الشعب ، وتعمل تنظيم الكفاح وإدارة البلاد ، وأول
اجتماع عقدته كان سنة ١٩٢١ ، وأول قرار اتخذته هو إعلان استقلال الوطن ،
وتأسيس حكومة ديموقراطية جمهورية يرأسها محمد عبد الكريم ، صفته زعيم الحرب
التحريرية . وكان ذلك يوم ١٥ محرم سنة ١٣٤٠ هجرية (١٩٢١ م) .

ثم والت الجمعية الوطنية عقد اجتماعاتها ، فوضعت للبلاد دستوراً مبذوء سلطة
الشعب ، إلا أنه لم يفصل بين السطتين التشريعية والتنفيذية طبقاً لما جرى به
العرف الدستوري في البلاد الديموقراطية ، بل وضع السطتين معاً في يد الجمعية
وجعل رئيس الجمهورية هو رئيسها ، وأوجب على كل شيخ وزعيم وقائد من
أعضاء المجلس تنفيذ للقرارات التي تقرها الجمعية ، وقد راعت الجمعية في اتباع هذه
القاعدة تقاليد البلاد وعاداتها .

ويقتض الدستور على تشكيل وزارة ذات أربعة مناصب ، وهي : مستشار
رئيس الجمهورية ، (القائم مقام رئيس الوزراء) ، ووزير الخارجية ، ووزير
المالية ، ووزير التجارة . وأما ما عدا ذلك كالدخالية والمحربية فقد أبقاها الدستور
لاختصاص رئيس الجمهورية .

ويعتبر رجال الحكومة مسؤولين أمام رئيس الجمهورية ، وهو وحده المسؤول
أمام الجمعية الوطنية ، وهذا متفق مع تقاليد البلاد التي تحمل الملك مسؤولاً مباشرة
أمام الشعب ، ومتفق كذلك من جهة أخرى مع الحاجة الحربية التي تقتضي تركيز
المسؤوليات في يد شخص واحد .

وبعد ما أتمت الجمعية وضع الدستور شرعت في وضع ميثاق قومي يصبح
للشعب الأعلى للشعب يجاهد من أجله ويموت في سبيله ، ومن مواد الميثاق القوي
الذي أقره بعد عدة جلسات :

١ — عدم الاعتراف بأي معاهدة لها مسمى بحقوق البلاد المغربية وبخاصة معاهدة ١٩١٢ .

٢ — جلاء الأسبان عن المنطقة الريفية التي لم تكن في حوزتهم قبل إبرام المعاهدة الأسبانية لقرسية سنة ١٩١٢ .

٣ — الاعتراف بالاستقلال التام للدولة الريفية الجمهورية (الاستقلال من أسبانيا وفرنسا) .

٥ — أن تدفع أسبانيا تعويضا للريفيين عن الخسائر التي لحقت بهم من جراء الاحتلال في السنوات الإحدى عشرة الماضية ، وغلبة للأسرى الذين وقعوا في أيديهم .

٦ — إنشاء علاقات ودية مع كافة الدول دون تمييز وعقد محادثات تجارية معها .

وإذن فالحرب الريفية كانت مع نمسكها بوحدة القربى للمغرب في ظل العرش العلوي ترمى إلى أسرى : استقلال البلاد ، وتمتيعها بالحكم الدستوري ، وقد طامه هذان الأمران غاية كل الوطنيين المعاربة منذ فجر القرن العشرين إلى اليوم .

3

المقاومة السياسية

الحركة الوطنية بعد الحماية

بمكاد العهد الذي يفصل بين ٣١ مارس سنة ١٩١٢ و ١٦ مايو سنة ١٩٣٠ أن يكون عهد كفاح عسكري محض ، لأن الأغلبية الساحقة من سكان البلاد أعلنت الثورة بعد توقيع الحماية ، ولم يمكن إخمادها لما إلا بعد جهود جارة وبصفة تدريجية ، ولأن نخبة الجيل الذي سبق الحماية أو عاصرها التجهت كلها إلى الجبال تقود الثورة وتدير الكفاح ، والذين غلبتهم القوة على أسهم أصيبوا بدهشة العسكري للغلوب الذي لا يستطيع أى عمل بعد تجريده من السلاح ، فكان لزاماً لإزالة هذه الدهشة العامة أن ينتظر نشوء جيل جديد متشبع بروح المقاومة السلية التي لا تعطى السلاح المذموم الأول في كل معركة . وإس معنى هذا أن المغرب الأقصى ظل بعيداً عن كل مقاومة في المناطق المحتلة ، بل أقدم قام في ذلك بكل ما يستطيعه من جهود ، ولكن الذي ننتبه هو أن كل الأعمال التي قام بها إذ ذاك لم تكن إلا إهدادات لمعنوية الشعب ونهيبته لتجديد الكفاح بصورة جديدة غير الصورة التي اعتادها يوم كان لكل مرد بندقية ولكل قبيلة قائد منوار .

ومن أهم الحركات التي بدت في هذه المرحلة : الحركات التي كانت تعمل لنشر دعاية الحار بين المغاربة ، وتأييد المجاهدين . وقد وقع اعتقال عدة أفراد وتعتيش عدة بيوت والتمسك على كثير من الأسلحة التي كان يهرسها المدينون لإخوانهم المجاهدين .

وطيلة الحرب الريفية كانت تعلق على الجدران وتوزع على البيوت الرسائل والنشرات التي كان يبعثها البطل عبد الكريم يدعو فيها الرؤساء والعلماء لتأييد ومؤازرة حركته التحريرية .

وقد اكتشف عام ١٩٢٤ بالدار البيضاء مركز مهم للدعاية للأمير
عبد الكريم وقبض على أشخاص كثيرين من رجاله ، وصودرت كميات من
النشرات العربية تخرض الوطنيين على الثورة ، ومهاجر وفد من الشبيبة إلى
أجدير برئاسة صديقنا عبد القادر الغازي .

وقام المال المغربي في فرنسا بعدة مظاهرات تصاممية ، وعقدوا مؤتمراً عاماً
(محزون فليليه) سنة ١٩٢٥ وجهاوا منه للزعيم عبد الكريم تهميتهم معانين تأردم
مع المقاومة المجاهدين على طرد المستعمرين الأسبان ، وأقام كل من الوطنيين :
عبد الرحمن بن العربي رئيس الفرقة المغربية بمغبل (لوماريشال) ومعمل (غريز
ايسى) الذي هو من مهاجري وادي بوهل (بتافيلالت) ، والسيد محمد بن محمد
من (تبريت) بدعاية قوية في أوساط أبناء الشمال الإفريقي بفردا لمساعدة
الريف وهند رجاله .

ولم يكتم أدباء المغرب إهباهم بشهامة الربيعين و بطولتهم برغم الضغط
الشديد والتنكيل الويل الذي كانت تقوم به كل من فرنسا وألمانيا مع أي
فرد يظهر عليه عطف على الحركة التحريرية أو دعوة لها . ومن أشعار المقاومة
في حرب الريف قصيدة الأستاذ للأورخ محمد ابن الأهرج السليمان المنشورة في
« العصر الجديد » التونسي التي يقول في مطلعها :

دع العتبات ترح في القصور ويم مسجعاً وادي النكور
وقصيدة الأستاذ الحاج محمد الماصري التي مطلعها بمناسبة المولد النبوي ،
والحرب الريفية في حنفوانها ، ومطلعها :

شهر النبي محمد قد وافى يفتي السلام ويحمل الألقا
ومن أبياتها :

وسل البرانس والنسول وجاية والسبت والكيمان والأكنا
تلك لمواقع حطمت أنطالم وأرتهمو من ويلها أصنافا
ومن الأناشيد المغربية التي كان الشعب يتغنى بها على رغم أنف المستعمر :

يا بني المغرب إني الوطناء تقتضى مهمته ترك الوطناء
فاحملوا الصمصام مع صير القضا واسألوا الله استصواب الرافعين .. الخ
ولما استسلم الزعيم عبد الكريم تأملت البلاد الماك كبيراً ، ورفى الشعراء
البلاد بقصائد وأناشيد عديدة ، من بينها مساحلة حرت بينى وبين صديق
الأستاذ الحاج المختار السوسى مطلعها :

قضى القضاء وحقق الأمر وعمرًا الذى ما خلته يعرف
إلى غير ذلك من القصائد والمقطوعات القصيدة والعامية التى كان لها أثر
فعال فى بث الوعى القومى فى نفوس المراكشيين والمغاربة عموماً .

فى المؤتمر الإسلامى بالبوستانه :

وقد أشرنا فى القسم التونسى إلى ما قام به المغاربة اللاجئون بالاستانة
من عمل جليل ضمن حركة الجامعة الإسلامية لرفع صوت المغرب العربى عالمياً
مدة الحرب الكبرى ، ويجب أن نضيف الآن ما تقدم أن من بين هؤلاء
اللاجئين الأستاذ الشيخ محمد العتاي من علماء القرويين وأحد كتاب الحكومة
الشريعة ، عادر صرا كش على إثر مشادة وقعت بين الشيخ أبى شعيب الدكالى
وزير العدل إذ ذاك وبعض كبار الموثقين الفرنسيين هان فيها هذا الأخير
الوزير ، فتأثر لذلك السيد العتاي وهجر بلاده لاجئاً سنة ١٩١٣ ثم دخل
الاستانة سنة ١٩١٥ حيث استقبله بها على باش حجة باسم أحمد باشا وقابل بعد
ذلك الخليفة محمد رشاد الخامس فتحدث له عن حالة المغاربة وأنهم يجربون على
الدخول للحرب مع فرنسا ضدًا على الدولة العثمانية ، ثم التقل لألمانيا حيث
نزل ضيفاً على حكومتها ، ولكنه لم يرض بما قدمته له من عرض غير مبنية على
أساس صحيح ، وليس من شأنها أن تطفئ الماغاربة على مصدر بلادهم ، ولأجل
ذلك رفض ما طلبه منه من السفر مع مشة (شنيدر) العسكرية ، وأندرد
الألمانيين بسوء عقابها .

المؤتمرات

ثم عاد للأستانة فأنضم لرجال المؤتمر الإسلامى الذى كان يضم ممثلين من جميع البلاد الإسلامية المحتلة ، وبفضل الجهود التى بذلها هو ورفقاؤه قررت الخلافة وقرر حزب الاتحاد والترقى استقلال المغرب الأقصى ، والعمل على إجلال فرنسا وأسبانيا عنه ، والاعتراف بهذا الاستقلال حتى من ألمانيا وتركيا وغيرها . وقد استطاعت الدعاية المغربية أن تقنع المشائين ورجال الاتحاد والترقى بهذا الفرار بناء على ما عرفوه من أن ألمانيا كانت تطمع فى أن تحمل محل فرنسا فى بلادنا .

ثم قرر المؤتمر توجيه وفد من رجاله لأطراف البلاد المحايدة فى السويد والدانمارك والنرويج للدعاية للقضايا التى يعمل لها المؤتمر ، وقد قبلت هذه الحكومات المحايدة أن تقبل بحالها للوفد الذى يقوم بنشاطه فى كامل الحرية ، فتوجه الشيخ العتائى مدوباً من صراكش فى هذا الوفد الذى كان يضم الأمير شكيب أرسلان والأستاذ محمد فريد وعلى باشا حمزة وعبد العزيز جاويز وغيرهم من رجال الحركة الإسلامية إذ ذاك ، وقد ألقى السيد العتائى عدة محاضرات وحطبت فى مختلف الأندية والجمعيات التى كان الوفد يخطبها لذلك ، ويحصرها جمهور كبير من المهتمين بالشئون الاستعمارية شارحاً ما يقاسيه المغرب الأقصى من الاحتلال الفرنسى الأسبانى ، ومبيناً أسلوب الحكم المباشر الذى سار عليه المحتلون وتدحائمهم فى جميع الشئون واستيلائهم على الأوقاف الإسلامية ، وكانت مقالاته تترجم لثلاث أجنبية ، وتنشر بالصحف ثم توزع على سائر أنحاء العالم ، وخاصة فى المناطق الفرنسية ، وقد كانت الصحف الفرنسية تهتم بنشاط العتائى وتنقل أقواله خصوصاً حريدة (الطائر) التى كتبت عنه مبراراً ، وقد نأثرت لأعماله السلطات الفرنسية ، فأحالته على محاكمة العسكرية التى أصدرت عليه فيايباً الحكم عنه من الدخول لمراكش ومصادرة أملاكه .

وفى سنة ١٩١٧ عقد الوفد الإسلامى مؤتمراً باستوكهلم مثل فيه العتائى بلاده وتوصل إلى اتخاذ المؤتمر القرارات التالية :

الوحشية التي تريد امت أعراف جاهلية تقضى بحمل المرأة متاعاً يباع ويشترى ويوهب ويورث ولا يرث ، وقد تظاهر النساء البربريات في (الحبسات) وأطلق الفرنسيون عليهم الرصاص ، ولكن الماريشال اضطر إلى التصريح بأن الأمر الصادر في الموضوع لن ينفذ ، وأنه إنما هو ضرورة اقتضتها ظروف الحرب وتنتهي بانتهائها .

وحينما أراد ليوطي نفسه وضع تشريع لضريبة الأرباح قامت بالرباط مظاهرات كثيرة تطالب بمبدأ الثورة الأميريكية : « لا ضريبة بدون مراقبة » ، واحتاج ليوطي إلى قمع المظاهرات بطريق القوة ، وإبعاد طائفة من أعيان البلاد من بينهم صديقنا الحاج أبو بكر بالسكورة .

ولما حاول ليوطي نفسه أيضاً زرع ملكية بعض الناس فمائدة شركات أجنبية قامت حركات احتجاجية عظيمة اضطر معها للتراجع بعد إبعاد مسيرتها ومن بينهم صديقنا السيد محمد اليعقوبي الذي ظل بضعة أشهر محبوساً في مدينة الصويرة .

ولسنا نريد أن تسجل هنا كل الوقائع التي جرت ، أو لمظاهرات التي قامت طيلة هذه المرحلة ، وإنما نريد أن نبين كون الشعب المغربي لم يقبل في يوم من الأيام هذا النظام الذي فرضته الحماية عليه ، بل قارمه بكل ما استطاعه وصممت له به ظروفه ، ولكنه لا يمكن أن لا نشير للمقاومة الشديدة المستمرة التي صاهاها الاستثمار الفلاحي الرسمي الذي قام به التميم العام ستيغ منذ سنة ١٩٢٦ إلى سنة ١٩٢٩ ، فقد أدى إلى ثورات محاية ومقاومات فردية واعتداءات من طرف الفلاحين المناهية على المستعمرين وعلى رجال المراقبة الفرنسية اصطارت مسيو ستيغ إلى استقدام للشتقة لبلاد ثلاث مرات حيث عُد الإعدام على مواطنين لم يرضوا بأن تنزع ملكيتهم انفاذة الاستثمار الفرنسي .

وقد اعترف مسيو ستيغ في كتابه الذي وضعه عن الحرب بأن للأراكني متهمك بأرضه إلى حد الموت ، وأنه يقاوم من أجلها أكثر من البرائى والنومسى .

وأمل سياسة الاستعمار القلاحي كانت أعظم شيء أثرت في نفوس للماربة وأخرجهم من ترددهم في جدوى للقاومة غير المسلحة ، على أن هذا الدافع للمدني سرعان ما تطور إلى نوع من الإرهاب ؛ إذ تكونت فرق تعمل على مهاجمة الولاة ونشر الفوضى التي لم تكن بعد قد احتلت .

وهكذا اختطف في أكتوبر سنة ١٩٢٨ مسيو لوي لاجان في وضع النهار وفي منطقة آمنة بين (وادي رم) و (دار ولد ويدوح) بينما قتل زوجته مسيو ران وكذلك للراقب للمدني لوي زم الذي ذهب في سيارة مع الهاجين وقتلوه أيضاً . وبعد بضعة أسابيع بينما كانت حائلتان مايتان بالفرنسيين على باب البستان المحيط بقصبة (بنو ملال) سقطتا في حفرة ديرة لوي لم يرفوا قط ، وقد تكرر مثل هذا العمل في جهات متاخمة للبلاد النائرة .

ولم تنف هذه المقاومة عند حد الشعب ، بل تجاوزته للقصر الملكي حيث لم يعد خافياً على أحد ما كان من خلاف شديد بين مسيو ستيغ ومولاي يوسف رحمه الله . فقد أثرت معارضة القبائل في نفس جلالة ، وأخذ يمارض في تطبيق البرامج الاستثماري ، وأنهى الأمر بأن كتب جلالة رسالة إلى الحكومة الفرنسية يطلب فيها عزل مسيو ستيغ ، وقد ترجت الحكومة من جلالة أن يمهله ستة أشهر ، إذ رعا تحسن فيها العلاقة بين الساحل والجزيرة ، ولكن لم تنته هذه الأشهر الستة حتى كان مولاي يوسف قد قضى نحبه ، وقد حدث أثناء مرضه أن جاء مسيو ستيغ لقصر مكناس بقصد عيادته فرفض جلالة مقابلته ، ومات ويدها من الخلاف ما اضطر الحكومة الفرنسية إلى اعتباره ولو بعد موت جلالة ، حيث أبدت مسيو ستيغ من منصب الإقامة العامة برغم رغبته للملحة في البقاء بها .

وبعد انتهاء الحرب الريفية حاولت الإقامة العامة وضع سياسة تقارب مع الشباب المغربي ، فعمدت لتأسيس جمعية فرنسية مغربية استندت لرئاستها صديقنا السيد أحمد ركاش ، ولكن المقاومة التي ظهر بها الشباب المغربي أول

يوم أظهرت للاقامة رغبة المغاربة في الاستقلال وعدم إمكان التعاون معها إلا على أساسه .

وإلى جانب هذه الحركات النلقائية التي لم تكن تهمص للجهود منسقة قامت حركة إصلاح ديني وثقافي كان لها أثر مباشر في تكوين (كتلة العمل الوطني) التي ستعلم هذه الحركة الاستقلالية القائمة اليوم .

الحركة السلفية

يظهر أن سرا كش مهياة أكثر من كل بلد إسلامي لقبول الحركات التي تطالب بالعودة للدين الصحيح والعقيدة السنية ، ويبدو أن بساطة هذه الدعوة ووضوح طابعها يتفق إلى حد بعيد مع سذاجة الصوفية المغربية وحسب الطبيعة القوية للتأكد من دقائق الأشياء ، ولذلك لم تقم الثورة الوهابية حتى كان لها صدى استحقاق وقبول في القصر الملكي حيث رحب بمبادئها السلطان مولاي سليمان ، ثم كان للشيخ عبد الله السنوسي حفظ حاية مولاي الحسن الذي سكنه من نشر المبادئ السلفية والدموية إليها ، وكان محمد عبده اتصال بعد ذلك بتخبة من المثقفين بالمغرب العربي كله ، ونحن نعلم أنه وقعت بينه وبين علمائنا مناقشة في مسألة التوسل بالأنبياء ، وأيده الشيخ للهدى الوزاني في قضية الفتوى القروصغالية ، كما جرت بينه وبين الشيخ ادريس بن عبد الهادي مراسلة في شأن بعض الكتب السلفية التي كان عبده يريد نشرها .

ولكن هذا كله لم يكن له من الأثر ما أحدثه رجوع المصلح الكبير الشيخ أبي شبيب الدكالي ، فقد عاد وكاله رغبة في الدعوة لهذه العقيدة والعمل على نشرها ، واتى من حوله جماعة من الشباب التابعين لوزعون الكتب التي يطعمها السلفيون بمصر ، ويطوفون معه تقطع الأشجار المتبرك بها والأحجار التي تقدر فيها . وكان لمولاي عبد الحميد فضل كبير في إظهار هذه المبادئ وتأيدها خصوصاً بعد أن أخذ بعض أدياء الشيعة يمدون أيديهم للأجنبي ، وقد أصدر جلالة رسالة في الرد على التيجانيين ، كما أمر بإزالة زاوية الكتانيين بعد أن اكتشف مؤامرة رئيسها على الدولة وعلى البلاد .

غير أن هذا همه لم يكن إلا مقدمة أولى للحركة السلفية التي دعا إليها

وبنها وخرج رجالها أستاذنا العلامة المصلح السيد محمد بن العربي العلوي حفظه الله
 فقد كان لهذا الرجل من الجرأة والإقدام والشجاعة ما جعله يلاقى في دعوته نجاحاً
 كبيراً وإقبالاً عظيماً .

وقد دخل الريف في حرب فرنسا ، ونحن من حول أستاذنا نعمل لهذه
 المقيدة ، ونجاهد في نشرها ، وما ظهرت خيانة بمصر مشايخ الطوق في هذه
 الحرب حتى زاد ذلك فينا حماسة وقوة ، وكانت تجميع جماس ثلة من الشباب
 حول ابن العربي ، وفي الرباط مثلها حول الشيخ أبي شعيب ، ونظهر آثار
 الثنتين في المحاضرات التي يلقيونها ، والزيارات التي يتبادلونها ، والمقالات التي
 ينشرها في صحف الجزائر وتونس ؛ لأن المغرب الأقصى لم يكن حظي إذ ذاك
 بحريضة ليس للحماية عليها سلطان ، ولم تمنح برهة على هذه الحركة حتى أخذت
 الحماية تتخوف منها ، وتحس بأنها موجهة لمقاومة نفوذ أحباب الطريقةيين ، فدأت
 تستدعيها للاستئطاق ، وتهمدنا بالاعتقال ، وفلا أقلت في النهاية القبض على
 صديقنا الأستاذ محمد غزى الذي كان من أكبر دعاة السلفية ورجالها .

وليس من الممكن لمؤرخ الحركة الاستقلالية بالمغرب أن يتجاهل هذه
 المرحلة العظيمة ذات الأثر الفعال في تطوير العقيدة الشعبية ببلادنا . ومن الحق
 أن نؤكد بأن امتزاج الدعوة السلفية بالدعوة الوطنية كان ذا فائدة مزدوجة في
 المغرب الأقصى على السلفية وعلى الوطنية معاً ، ومن الحق أن نؤكد أن
 الأسلوب الذي اتبع في المغرب أدى إلى مجامع السلفية لدرجة لم تحصل عليها
 حتى في بلاد محمد عبده وجمال الدين .

ولقد كان في وقت ازدهار هذه الحركة يزور المغرب صديقنا مسيو دبرماييم
 مؤلف كتاب (حياة محمد) باللغة الفرنسية ، فسكتب بحثاً عن السلفية وغاياتها
 واتجاهاتها ، وأظهر في كتاباته عطفاً عظيماً وحناناً للحجاج حركتنا . كان هذا سنة
 ١٩٢٥ ، وقد رأيته بعد ذلك في منزله بباريس سنة ١٩٣٣ بهد ما صدر أمر
 ملكي بمنع مظاهرات بعض الطارقين ، وبصد ما أظهر الشعب اعتباطه بهذا

الأمر الملكي وزين الشوارع والأسواق احتفاء بالقضاء على عهد حرافى طالما
 منع العقل للعربى من التطور والتعود لأمق الأشياء - فأخذ يحدثنى فى الموضوع
 ويظهر أسفه على الهدية التى آلت إليها (العارق) بالمغرب الأقصى ، فاستغفرت
 منه ذلك ، وسألته : ألم تكن كتبت عدا مبدئياً إصوبك بحركتنا السلفية ؟
 فأجابنى وهو يتنسم : لم أكن أظن أنكم ستجعونى إلى هذا الحد وبمثل
 هذه السرعة ! نعم لقد مجئنا إلى هذا الحد ، ونجاوزناه بعد أن احتصن القسرة
 السلفية ورعاها ولى المم سيدى محمد بن يوسف الذى لا يألو جهداً فى مقاومة
 المشعوذين والفضاء على الخرافين .

ولم تكن هذه الحركة قاصرة على الدعوة ضداً على الخرافات ، بل تجاوزتها
 لبحث الشعب على العلم والدعوة إلى إصلاح شامل ومقاومة الجود فى كل
 فروع الحياة .

والذى ينفرد فى تاريخ الحركات العامة فى الدنيا كلها بمبدأه لم تقم ثورة
 مفيدة فى الله ما إلا سبقتها دعوة للرجوع الماضى البعيد ؛ ذلك أن هذا الرجوع
 الذى يظهر فى شكل تنهزم إلى الوراء هو نفسه تحرر كبير من أشياء كثيرة وضعتها
 الأجيال المديدة والمصور المختلفة ، والتحرر منها هو تخفف يسهل السير إلى
 الأمام بخطى واسعة ، وإراتها من الطريق يمتنع أوتاً عالياً يهدى السائرين
 للثاية الصحيحة التى يجب أن يوجهوا أنفسهم إليها .

ولقد كتبت إدارة الشؤون الأهلية فى مراكش سنة ١٩٣٩ تقريراً لمجلس
 البحر الأبيض المتوسط الذى أسسه ماسيو بلوم فى غرب تؤكد فيه المبقرية التى
 ظهر بها الحزب الوطنى المغربى فى جمه بين أحدث الأفكار الثورية وما سمته
 بالسلفية الجديدة التى ظهرت بعد الحرب فى العالم العربى ، وهى ملاحظة صحيحة
 ومفيدة ، ولذلك لا محيد لنا عن إلقاء نظرة على البرنامج السياسى الذى خرجت به
 السلفية بعد الحرب الكبرى لما كان له من الأثر فى تسيير آلاله التوجيهية للحركة
 الوطنية بالمغرب الأقصى .

الترجمة السياسية للسلفية الجبرية :

لئن كانت السلفية في باعها الحسبي ترمي لتطهير الدين من الحرافات التي أصفت به والعودة إلى روح السنة باطهرة فإنها لا تقصد من وراء ذلك إلا تربية الشخصية الإسلامية على المبادئ التي جاء بها الإسلام بصفته المتكامل بمصالح الأمة في دينها ودنياها وإعدادها لتكون لها الخلافة في هذه الأرض التي حكم الله ألا يرثها من عباده إلا الصالحون ، ولذلك فهي حركة تتناول توحى الجهود الفردى إصلاح المجتمع ، وتتطلب فتح الذهن البشرى لقبول ما يلقى إليه من جديد ، وقيامه بمقياس المصلحة العامة لإرجاع المجد العظيم الذي كان للسلف الصالح في حظيرة الإيمان وحظيرة العمل ، ولكن هذا الإعداد الفردى لا يقصد منه إلا تقوية التضامن بين الجماعة الإسلامية على أساس الإحياء الإسلامى أولاً والإنعاش ثانياً ، وذلك ما يستوجب كثيراً من التسامح مع المخالفين في الوقت الذي يدعو للوقوف صفاً واحداً في الدفاع عن الإسلام وعن الأمم الإسلامية كلها والدفاع عن الإسلام وأمه يستدعى بالطبع قبول المبادئ التي تعطي لأفراد حرية العقيدة وحرية الفكر ، وتعطى للأمم الحق في تقرير مصيرها ، واختيار النظم التي تريدها ، وحرية العقيدة يستوجب حرية التألب من أجلها والتجمع للمصال عنها بالوسائل المشروعة المدنية ، وتقرير المصير واختيار النظم يستوجب حرية الجماعة في التعبير عن رأيها وإبداء ما تريده من أشكال الحياة ، وكلا الأمرين لا يتم إلا بطريق التنظيم الذي جاء به العصر من جميات وأحزاب وتقابات .

ولكن هذه الحرية يجب أن تتفق مع غايات التأخى بين الأمم الإسلامية ضمن وحدة سياسية ، وذلك ما وقفت عنده السلفية زمنياً تتأرجح بين تنظيم الخلافة على أساس حديث أو تكوين جامعة أم شرقية ، وأخيراً اقتضت بضرورة القومية المبنية لا على الروح المصرية أو الدينية ، ولكن على أساس

الروابط الإقليمية بمجدة لتبرير ذلك ما عرف في الإسلام من تسامح وما تدعو إليه وحدة الدفاع من جانب من جوانب الجبهة الإسلامية دون التعرض لما يرى به الأجانب المسلمين من تعصب وضيق في الأفق ومستندة لما فهمه المسلمون من ضرورة حب العائلة والعمل لصالحها دون أن يكون في ذلك ما يتنافى مع الأخوة العامة بين أبناء الإسلام.

واسكن هذه القومية لا ينبغي أن تضيق إلى حد أن تحول بين التقارب للخلق بين سائر الشعوب المسلمة والعربية بصفة خاصة، وإلا أصبحت قومية تنافي مع الأصل الأصيل للدين الإسلامي.

ولتسهيل هذا التقارب يجب أن تتوافق أساليب الثقافة في وسط المسلمين، وأن يعمل على جعل اللغة العربية صالحة لأن تكون لسان العالم الإسلامي كله. وصلة الوصول بين سائر أفرادها، وبما أن الدعوة لهذا وتيسيره تتطلب مشرات وصحفاً ونجولات خطابية يقوم بها الدعاة المرشدون لتقريب العقيدة الإسلامية والتوحيد بين عناصرها — فقد هيأت كل الوسائل التي يتوقف عليها الإرشاد والتوجيه.

وهي ترى من الواجب ألا يعتمد المسلمون على القانون المستمد من الشريعة، وللوصول لذلك يجب العمل على أن يصبح منظوراً للفقه الإسلامي أصولاً وفروعاً كمادة التشريع مدني عام، لأنه هو نفس الشريعة التي لا يمكن أن يقوم عليها اجتهاد ولا تطوير.

وكل هذه الأشياء لا يمكن أن تتحقق في الحكومة للسلة إلا إذا خضع هذا الاجتهاد الجديد في التشريع لدواب أكفاء ضمن مجلس تختاره الأمة، ويصبحون فيها مكان أهل الحل والعقد الأولين، ومعنى هذا أنه لا بد من اتباع النظام الدستوري المهني على حكم الشعب بواسطة من يختارهم من نوابه الأكفاء غير أن الوصول لهذه الوسيلة لا يتحقق إلا إذا تحررت البلدان الإسلامية من سيطرة الأجانب المادية والعنوية، ولذلك فالعمل على الاستقلال شرط

أساسي لاكتساب الحرية التي لا بد منها لتعمل المسؤولية .

وفوق كل هذا فالسلفية الجديدة ترفض بالطبع فكرة (لادينية الدولة) ،
وبذلك تجعل الحكومة الإسلامية حارساً على الأخلاق والفضيلة في وسط
الأمة ، ونطالبها بتهيئة سائر الوسائل التي تسهل على الفرد القيام بالواجبات
الفردية والاجتماعية ، وتحمله من طريق الاقتداء والمثابة على السلوك الحسن في
علاقته مع عائلته ومع إخوانه ومع الأجانب عنه .

تلك هي الاتجاهات السياسية التي شغلت السلفيين فيما بعد الحرب الكبرى ،
وقد رأينا كيف أنها أخذت قسماً كبيراً من كنهنا الشاغل ، ملونة بألوان
مختلفة وظروف خاصة ، ولكنها لم تنفك في سائر مراحل جهادنا ، سواء في
الحزب الوطني أو في حزب الاستقلال بحط حياتنا وموضع اهتمامنا .

ومهما يكن مقدار التطور الذي حصل في نظرتنا المادية للأشياء ، ومهما
يكن مقدار النجاح الذي منه حصل عليه في تطبيق برامجنا بعد الاستقلال ، فالتدري
لا شك فيه هو أن السلفية عملت عملها في تفسير آلتنا انفسية وتوجيه تفكيرنا
بمحو هذا التجدد المنشود في جميع مفاصل حياتنا ، وبمحو هذا التحرر الذي ظل
حطام حركتنا ، وصوب هذه الوحدة العربية التي لم تزل مطمح آمالنا ، وبمحو
الروح الديمقراطية التي تسيطر علينا .

من السلفية للوطنية

لقد وجد الشباب الغربي في دائرة الحركة السلفية ميداناً لبذل نشاطه وتمويله نفسه على العمل لخدمة الأمة والتضحية في سبيلها ، وهكذا تكونت معه مجموعة بفاس والرباط ونطوان لم تثبت أن أخذت تتناول الشؤون العامة بأسلوب غير الأسلوب الأول ، وكانت مقاومة لمشايخ الذين استفادوا من نظام الحماية فعلوا لبقائه في مقدمة ما تقوم به من الأعمال . وسرعان ما تأسست جماعات صغيرة لدراسة القضايا الدائمة ، والعمل على تنوير الرأي العام بأضرارها ، وكانت جماعة الترويين بفاس ملتقى الطلبة الواردين من كل جهة ، فكان التزاماً عليها أن تهتم بتنويرهم ، وبهت الروح السلفية والنوعية في نفوسهم ، فقمنا بعدة مبادرات لإصلاح التعليم الجامعي ، والطلبة بتحسين حالة الطلبة ، وتنظيم رحلات وتبادل زيارات بينهم وبين أبناء المعاهد الأخرى الداخلية ، وإقامة حفلات مشتركة مع تلامذة المدرسة الثانوية الإدرسية وقدمائهم ، ثم أسست مع ثمنين إخواني محلة شهرية مصرية باسم (أم السنين) كانت تصدر بانتظام في أربعين صفحة ، وتكرر على (الدولي كوفي) ثم توزع على هذه الجماعات السرية بفاس والرباط وسراكنش وطابحة ونطوان . وفي الوقت نفسه كنا على اتصال بثلة من إخواننا الذين ذهبوا للإنعام دراستهم بفرنسا أو بالشرق ، حيث أخذوا يعملون في جو أصنى وأكثر حرية من جونا ، وقد استطاعوا أن يؤسّسوا بباريس « جمعية طلبة شمال أفريقيا المسلمين بفرنسا » و « جمعية الثقافة العربية » ويتصلوا في المعاملة السيمية بشخصيات من بينها عطوفة الأمير شكيب أرسلان ، كما استطاع أصدقائنا في القاهرة أن يشاركوا في تأسيس « جمعية الشباب المسلمين » و « جمعية الهداية الإسلامية » . وحاولنا نحن في الساحل أن تؤسس « جمعية أحياء الطلبة » وأن نعمل لمساعدة فلسطين فكانت السلطة دائماً تحجبنا بالرفض ، ونحول بيننا وبين إيجاز ما نريد ، وعلى الرغم

من ذلك فقد والينا العمل لإنشاء عدة مدارس إصلاحية في مراكز مختلفة كانت الثورة التي تلت من حولها فئات عامة محلية ، ولكن كثيراً ما كانت السلطة تقامها أو تمتثل أصحابها ، فتنشأ عن ذلك احتجاجات سياسية ، ولقد استغرب القاري إذا قلت له إن كل حركة صغيرة أو كبيرة كانت تحتاج لمجهود ونصحية إزاء العناد الفرنسي الأسياني ، وإذا أخبرته بأن إدارة الأمور الأهلية نفاس حاجت لأن شباباً مصريين أسسوا صالون حلاقة على أحدث طراز بشركة مساهمة ووفقاً لكل ما يقتضيه القانون فأعلمته وفرحت على حلقه غرامة مالية ، وأن الشبان اضطروا لبعث وفد للإقامة العامة يستطعموا أقماعها بالعودة لفتح صالون الحلاقة الجديد ، وأن إدارة الشؤون الوطنية بتعاون منعت صدور روزنامة وطنية أصدرها أخونا داود لأن فيها أبياتاً من شعري وشعر بعض أدباء المغرب .

وفي سنة ١٩٢٥ حاولت الإدارة الفرنسية أن تستولي على ماء وادي قاس الذي يعتبر ملكاً لسكان المدينة ، كما يعتبر كل بيت مالكا للنسب الذي يجري به طينها والضاليد التي تنبت فيها جميع شرعية وتاريخية . وكانت الإدارة ترى بهذا الاستيلاء على الحقوق بعض الشركات الفرنسية باستغلال الماء ، فرأى سكان المدينة في ذلك تهدياً لهم ، وعصفت ملكهم ، وقامت مظاهرة كبيرة احتشدت لتعرض على حيل الشرع في إدارة الدارالية البلدية ، وقد أقيمت في داخل الإدارة خطاً لحمايتها كان له وقع حسن في الجمهور المحتشد ، وبعد ذلك وصفت أما والأستاذ الحاج الحسن أبو حيان مذكرة قدّمها للحاكم الناحية القاسية تطالب بسحب مشروع الإدارة ، ومقتاول حق المجتمع والشعب بالحرية العامة التي من جعلتها الملكية الخاصة في حدود القانون . وقد وقعت عدة اجتماعات تشهية بالصريح الإداري والبروزين وغيرهما تحدثت أمامها الحاج الحسن من خطبتها وموجهي أعمالها . وقد انتهت هذه الحركة بقرار المدينة وسحب إدارة الأشغال لشروعها .

كل هذا وغيره كان يسوز بنا للقول السياسي المنتظم ، ولكن ١٦ مايو سنة ١٩٢٦ هو الذي علم نقطة البداية في تاريخ الحركة الوطنية الجديدة .

السياسة البربرية

ولفساير عوامل التطور الفكري والروحي في ذهنية القارة يجب أن نعرف ما هي السياسة البربرية التي أدت إلى إصدار الظهير البربري في ١٦ مايو سنة ١٩٤٠ ، والحقيقة أن هذه السياسة هي آخر ما اعتدى إليه الفكر الفرنسي للقضاء على مقومات الغرب العربي وإدماجه في حظيرة المائدة الفرنسية . ولقد ظل الفرنسيون مدد احتلال الجزائر يبحثون عن الوسيلة التي تهبط لهم الامتلاك الدائم للشمال الأفريقي وتعميره بمسيحيين من المنصر اللانقي ، وكان يقف حجر عثرة في سبيلهم هؤلاء السكان الأصليون المتمسكون بإسلامهم وبوحدةهم وعروبهم ، ففكروا وقتاً ما في أن أفضل السبل هي التغلب على المنصر الأهل بطريق الهجرة وعطاء المهاجرين الامتياز الذي يحمل الأهالي في حالة من البؤس والشفاء لا يستطيعون معها مقاومة الغناء . وكانوا يرون الفدوة الصالحة فيما قاموا به هم في كندا الفرنسية ، وما قامت به الشعوب اللاتينية في أمريكا الجنوبية التي ظلت زمناً طويلاً للثقل الأعلى لرجال السياسة الأهلية في الشمال الأفريقي . وانكسر الأيام تمر ، والمنصر الأهل لا يزداد إلا بعداً عن الاتحاد للغناء برغم كل ما يحاط به من مكر وتفتيل . والهجرة الأجنبية لم تستطع أن تصل إلى الحد الذي تتمكن به من أن تنال الأهلية في هذه البلاد ، وتقويتها بتجسس اليهود والجزائريين والجاليات اللاتينية والاطليانية — كل ذلك لم يؤد إلى النتيجة المطلوبة . وإذن فالحل الوحيد الذي يمكن أن ينهي المشكلة هو تجسس الماربة ، ولكن الماربة يرفضون الاندماج في غيرهم ، وهم أعظم كبرياء من أن يقبلوا جنسية قوم يعتبرونهم روميين محقرين في نظرهم . لكن هذا الاحتقار ليس ناشئاً عن روح قومية بالمعنى الذي يفهمه الأوروبيون بل ما يبدو ، وإنما مصلوه

(في نظرهم) نعصب ديني ناشئ عن جو الإسلام الذي يحيط بهم ويحاصرهم بالرغم منهم ، ولذلك فالفرصة لا يمكن أن تكون إلا من طريق التمسح ، ومن ذا الذي يستطيع أن يوجه المسلمين بالدعوة للخروج من دينهم ؟ الأمر ليس بالنعصب للدرجة التي تتصور ، وفي مرا كاش إحدى خاصة فإن القسم الكبير من السكان هو من البربر ، وهؤلاء — وإن كانوا يسمون أنفسهم مسلمين — فإن إسلامهم سطحي ، واتفاقهم مع العرب ليس إلا اتفاقاً قائماً على المصلحة المباشرة من تغلب للعرب وتسلطهم ، وإذا حيل بين البربر وبين العرب وبين كل ما جاء به العرب من لغة وقضاء وثقافة ، فالبرابرة سيمشون بوجدانهم الخاص ، وسيبعثون عن الروحانية القديمة التي جاءتهم بهاروما من قبل ، وليس من الجيد أن يتمسحوا ، وبعد ذلك فسيجد منهم العامل القوي لمعاداة الاندماج في فرنسا التي تحررم من سيطرة العرب الروحية والزمية .

تلك هي السياسة البربرية في خطوطها الكبرى ، ويمكننا أن نرجع لمحضر جلسات المناقشة في مشروع الظهير البربري لنستخرج منها النواة والوسائل التي نظمتها لتحقيق هذه السياسة ، وقد جاء في محضر جلسة (لجنة درس وتنظيم المذلية البربرية) للمقدمة في ٨ أكتوبر ١٩٢٤ : « ليس هناك من ضرر في تخطيط وحدة النظام العدلي في المنطقة الفرنسية ، وبما أن المقصود تقوية المعضو البربري نظراً لدور الموارنة الذي يمكن أن نستعديه الحاجة علائق أن هناك قائمة مؤكدة من الناحية السياسية في تخطيط المرأة » .

هذا فيما يخص القضاء ، أما فيما يخص التعليم فقد جاء في أطروحة الأستاذ جودفروى — دُمورنين^(١) (عمل فرنسا بالمغرب فيما يخص التعليم) صحيفة ١١٩ : من الخطر أن نترك كتلة ملتزمة من الممارنة تتكون ، ولقها واحدة ، وأنظمتها واحدة . لا بد أن نستعمل لقائنا المباشرة القديمة « فرق تسد » . إن وجود المنصر البربري هو آلة مفيدة لموازنة المنصر العربي ، ويمكننا أن نستعمله

ضد الحزن (الحكومة المراكشية) نفسه .

ويعترف هذا المؤلف نفسه في صفحة ١١٨ بأن اللغة العربية هي اللغة الاقتصادية والدينية والإدارية بالمغرب الحالي ، وأما البربري فيعتبر العربية لغة عليا ، ولذلك يقول المراف في صفحة ١١٩ (يجب أن تقوم اللغة الفرنسية لا البربرية مقام اللغة العربية كلغة مشتركة وكلغة للمدينة) .

ويقول السكوسدان مارتي الذي هو من أكبر دعاة السياسة البربرية في كتابه (مغرب الند) ص ٢٤١ : « إن للدرسة الفرنسية البربرية هي مدرسة فرنسية بتعليمها وحياتها ، بربرية بتلاميذها وبيئتها . إذن فليس ثمة واسطة أجنبي ، كل تعليم عربي ، وكل تدخل من قبل (الغريب) ، وكل ظاهرة إسلامية يجب سحقها بصرامة قامة . فمنع نبتعد من تناقنا عن كل مرحلة تكون مرحلة إسلامية أي مرحلة قبلور . إن الآراء هنا وفي كل مكان متفقة على هذه النقطة » ويقول دي مونين ص ١٢١ من كتابه الآنف الذكر : « إن برامج المدارس البربرية هي نفس البرامج البدوية الأخرى إلا أنها تخص المعلمين ، فيجب عليهم ألا يستعملوا في أي حال من الأحوال اللغة الدرية ولو في أوائل الدراسة ، كما يجب عليهم ألا يسمحوا للتلاميذ بأي اتصال مع (الطالب)^(١) . أما في الحالة التي لا يمكن للمعلم فيها اتباع الطريقة المباشرة فيمنع له إن كان يعرف البربرية أن يستعملها لتعليم التلاميذ » .

وكتب مسير جلاي^(٢) أحد موظفي الأقامة العامة في مقال بعنوان « المدرسة الفرنسية لدى البربر » ما يأتي . « يجب أن نهدف تعليم الديانة الإسلامية واللغة العربية في مدارس البربر ، وأن نكتب الأبحاث البربرية بحروف لاتينية » . وختم مقاله بقوله : « يجب أن نعلم البربر كل شيء ما عدا الإسلام » . وإذن فالسياسة البربرية ترمي اقترنة للعرب لغوياً وسياسياً وقصائياً ،

(١) يستعمل الطالب في المغرب في معنى الأستاذ .

(٢) Maurice Le gley في لفرة المعارف المغربية المأهولة في سنة ١٩٢١

وتتخذ لذلك وسائل التفرقة بين عنصرين كبيرين في البلاد فتعتمد إلى من نظنه
أقرب إليها فتحول بينه وبين الثقافة الإسلامية والمرية ، وتعتمد إلى الجماعات
القبلية التي كانت مهمتها الدفاع عن القبيلة وتدير مصالحها المحلية وتمثيلها أمام
ولاة تلك فتقلها إلى محاكم ، وتجعل ما بقي من بعض الأعراف المحلية قانوناً
ثابتاً ، ويصل بها العلو إلى أن ترفع قضايا الجنايات التي تقع في الأراضي البربرية
إلى المحاكم الفرنسية ذاتها . وهكذا تجرد القسم الأكبر من رعايا البلاد من سلطة
الملك الدينية والزمنية التي تشجلى في القضاء الشرعي والمخزفي ، وتعتمد إلى الكتائب
القرآنية والمساعد فتقلها وتحول بين المقهاء ورجال الدين وبين التجهول لتعليم
العامة أحكام دينهم .

بدأت هذه السياسة بظهير سبتمبر سنة ١٩٢٢ الذي يستصدره المارشال
ليوطي مدعوى احترام التقاليد البربرية ، واستمرت تبتدئ في مظاهر متعددة إلى
١٦ مايو سنة ١٩٣٠ حيث نجلت فيما يسمى بالظهير البربري .

و مع أن هذا الظهير غامض الدلالة فإنه حرد الحكومة الشريفة من سيادتها
على القبائل البربرية ، وأحدث محاكم عرفية لم يعرفها المغرب في تاريخه بحال .

الامة المراكشيتة تشور

وعلمهمى ألا تقف كذلة الشباب إزاء هذه التباير منكونة بالأيدى ، بل إنها استطاعت أن تعرف الرأى السام للفرى بحقيقة ما يدور بالظاء ، واستطاعت أن تجمع من حولها الأمة كلها للاحتجاج على هذه السياسة التبشيرية الاليجانية ، وصرعان ما بدأت الجماهير تحتشد فى مساجد (مثلا) أولا ، ثم فى الرباطة وثالثا ، وغيرها من المدن المغربية . وقد اشتدت الحركات الاحتجاجية بفاس حيث بدأ مسجد القرويين يتلى فى كل يوم آلاف المسلمين الذين يستمعون للخطباء ، ويوجهون البرقيات ، ويختصمون معلوم بهذا الدعاء « اللهم يا لطيف نسألك اللطف فيما جرت به المقادير ، وألا تفرق بيننا وبين إخواننا البرار » .

وفى أوائل يوليوس سنة ١٩٣٠ اشدد مجلس المصلين تخرجوا متظاهرين فى الشوارع حيث كانوا يستمعون بمختلف الجهات للخطباء الشباب الذين يشرحون لهم الموضوع ، ويمر فواتهم بالحال . ولما وصل المتظاهرون لدار شيخ المدينة عمدت إليهم السلطة فاعتقلت منهم خمسة وعشرين شابا جلدتهم بالسياط ، من بينهم أصدقائى عهد العزيز ابن أدراس والهاشمى النيلالى ومحمد الوزانى ، وفى مساء اليوم بثت السلطة فاعتقلتنى ، وكانت الإدارة الفرنسية قد اعتقلت قبلنا السيد عبد اللطيف الصيحي سلا والسيد عبد اللطيف العتابى بالرباط .

بقينا فى السجن ١٤ يوما لم تنتفع فيها المظاهرات بمدن فاس والرباط وملا ، وطمخنا فى الأوساط البربرية لبدأت نقف للاحتجاج على الإدارات الخمية ، ختمتقلها السلطة وترج بها فى السجن ، وبعد ذلك اضطر الكومندان ميل رئيس الأمور الأهلية بفاس أن يذيع منشورا يطعن فيه الناس على إسلام البربر وطل أن كل ما منته الحكومة هو تنظيم لقضاء قديم ، ثم أطلق سراحنا .

ولكن هذا التدبير لم يكن له الأثر الكافي ، فقد استمررتنا واستمر معنا الناس في مواصلة الاجتثاث اليهود بالتقويض الدماء والاحتجاج ، وتكون وفد من السادة محمد بن عبد السلام الحلو ، وحزبة الضاهري ، وأحمد مكوار ، وأحمد أبي عياد للتفاوض باسم المتظاهرين مع الإدارة الفرنسية ، ولما لم نجد هذه للتفاوضات شيئاً قررنا أن ننظم ومداً رسمياً يمثل الأفكار التي نذاع عنها .

وفعلنا دهونا الجمهور للاجتماع بالمجلس البلدي الناسي حيث وقع الاجتماع وفد مكون من ٢٤ عضواً يمثلون سائر الأوساط الشعبية من العلماء والأعيان والصناع والعملة والتجار والشباب المصري ، وكون هذا الوفد لجنة كلفت من أعضائها لوضع للطلاب التي يرضها الوفد على المراجع العليا فيما يخص السياسة البربرية . وهذه للطلاب التي وضعتها وصادق عليها الوفد وأبدتها عرائض الشعب من كل جهة تشتمل على ما يأتي :

١ — إلغاء ظهير ١٦ مايو ، وسائر الظواهر والقرارات التي اتخذت في ١٠ مايو .

٢ — تكوين قضاء موحد لجميع المنابر .

٣ — ربط جميع الموقوفين الدينيين والمدنيين سلطة الملك الشخصية .

٤ — ليس في الحرب دين قومي إلا الإسلام واليهودية .

٥ — منع الهيئات الأجنبية وإدارة المعارف من استعمال وسائل التشهير .

٦ — اللغة العربية وحدها لغة البلاد الرسمية ، ولذلك يجب أن تكون

الإساسة في التعليم .

ولما علمت الإقامة العامة بتطور الحركة لهذا الطور المنتظم وزعت منشوراً باسم الوزير المفوض للإقامة العامة يعلن فيه أن الحماية تقبل إخراج كل قبيلة تطالب بالقضاء الشرعي من حظيرة القبائل التي يشملها الظهير ، ولكن هذا الأمر لم يكن إلا ذراً لرماد في العميون ، فقد تقدمت قبيلة (آية موسى) من نواحي صبرو وقبيلة زهور بالحجرات وغيرها بإرسال وفود تطالب بتحقيق هذا الوفد ، فما كان من ولاية اراقبة إلا أن أقفوا القبض على رجالها .

حيث سافر الوفد القاسى برئاسة السيد عبد الرحمن ابن القرشى وزير العدل سابقاً ، وكان والى عبد الواحد القاسى هو كاتب الوفد ، وقد رخصت إدارة الشؤون الأهلية بهام أن تسمح لى أنا والحاج عمير عبد الجليل ومحمد الوزانى بالسفر مع الوفد بالرغم من أننا من أعضائه المنتخبين .

قابل جلالة الملك الوفد ، وقدم له العريضة المشتملة على المطالب السابقة ، وحطبت رئيسه بن القرشى خطاباً بكى له جلالته ، ثم ايث بصفة أيام بالرباط محل مظاهر التأييد والتكريم من سكان العاصمة ، وأخيراً أقرته لإدارة الرجوع لقاس حيث ألقى القبض بمجرد وصوله على الحاج محمد بن عبد السلام الحلو أحد أعضائه البارزين ، وولى ، وعلى السيد الوزانى ، والسيد عبد العزيز ابن إدريس ، والحاشى القيلالى ، وغيرهم من رجال الحركة .

وإزاء هذا التعدى العظيم من الحماية لممثلى الأمة قررت المدينة الإضراب اسام والقيام بمظاهرات استمرت ١٠ أيام وقع فيها اصطدام عنيف مع البوليس واحتل الجيش القرويين والساحل الكبرى ، وشوارع المدينة المسيحية ، وأعلنت الطوارئ وألقى القبض على مئات من السكان . وقد نفيت نائلسبعة من أصدقائى إلى مدينة تارة ، كما نفى الأخ محمد اليزيدى إلى قلعة السراغنة ، وابن عبد السلام الحلو إلى فجيج .

وبعد أن هدأت المظاهرات ، أى بعد شهرين من اعتقالنا قرر رئيس الجمهورية الفرنسية زيارة المغرب بدعوى تهدئة الشواطر ، ولما وصل للرباط أطلق سراحنا نحن الذين بشارة ، بينما استقر اليزيدى فى المراجعة شهوراً أخرى .

صدى المأساة فى العالم العربى :

كان صدور الظهور البربر والحوادث التى أعقبته استياء كبير فى العالم الإسلامى من أقصاء إلى أقصاء ، وقد رفعت ممر صوت الاحتجاج عالياً على هذه السياسة الصليبية ، وبمجرد ما وصل إليها مدوب الحركة الوطنية الأستاذ

الحاج الحسن أبو حنيفة عدة اجتماعات خطيرة ، واتصالات مهمة شرح فيها
 للرأى العام الإسلامى حقيقة السياسة البربرية ، فاحتجبت جميعات الشبان المسلمين
 وجمعية الهداية الإسلامية ، ورفع علماء الأزهر عريضة استنكار لجلالة الملك فؤاد
 الأول ، كما رفع الشعب عرائض للسفارات الأجنبية ، وتسكوت في الهداية
 الإسلامية لجنة خاصة بالمحافظة على إسلام البربر استطاعت أن تبث فروعها في
 الهند وجاوة وغيرها ، وإزاء السيل الجارف من الاستنكارات اضطرت المفوضية
 الفرنسية بالقاهرة إلى محاولة إنكار الحقيقة ، وكذلك السفارة العامة في جاوة ،
 فادعى السفير أن فرنسا لم تقم بأى شئ يمس بالإسلام في الغرب الأقصى ،
 ولكن أبو حنيفة سرعان ما أجاب عن هذا البيان بالمخاضات القيمة التى أقامها في
 مختلف الأندية الغربية .

وفي فرنسا قام الطلبة الموجدون هناك بواجبهم نحو القضية المنيرية ، إذ
 أقاموا عدة مهرجانات وأقاموا كثيراً من النشرات ، وأصدروا رسالة (عاصفة في
 سراكش) أو (أخطاء السياسة البربرية) التى عربتها ونشرتها بالقاهرة اللجنة
 الشرقية لردع عن المغرب . ولما انعقد المؤتمر الإسلامى العام بالقدس كلفت
 كمنتا الأستاذ المكي الناصرى بممثليها فيه ، كما كلمت كتلة الشمال الحاج محمد
 بلونة بالنيابة عنها ، وقد رفع الاثنان تقريراً عن حالة الاستعمار بالمغرب كان هو
 أصل كتاب (فرنسا وسياستها البربرية) وقد انتخب الاحوان معاً في اللجنة
 التنفيذية للتحرير .

وبالجهة فقد كانت هذه الحركة فائحة عهد كفاح وطنى في الداخل والخارج
 اهتم فيه العالم الإسلامى بقضية المغرب الأقصى ، وعرف ما يبيته المستعمرون
 من دسائس للدين والعروبة فيه ، وقد قام الأمير شكيب رحمه الله بدور مهم في
 وضع هذه السياسة للجمهور العربى ، وبمجرد ما علم ما يجرى في المغرب جعل
 بزيارة المطانة الخليفة ، وأخرجه الفرنسيون من طنجة بعد ما يسموه من الدخول
 للمنطقة السطانية .

وهكذا وجد المقاومة أنفسهم وجهاً لوجه مع الحياة الفرنسية ، يقاومون سياستها وهم في الحقيقة إنما يعملون للاحتفاظ بوحدة بلادهم وتحرير أبنائها .

واعل صدقنا عمر كان معتمداً في فهم عقيدتنا في هذه الظروف حين قال فيما كتبه بامضاء (أبو عزة الزموري) مجلة « مغرب » :

إننا بمقاومتنا للسياسة البربرية نريد تقريب عناصر الشعب العربي وتوحيده نريد محاربة مبدأ التجزئة المكروافيل الذي ينشره بينن ممثلوا فرنسا الحرييون والديديون ، نريد أن نمنع خلق كتلتين ذاتي نفعيتين ومصالح متناقضة خلقاً اصطناعياً ، نريد أن نكفل حرية المصير والتفكير للواطنين جميعاً بكيفية جديدة .

وإذن فقد بدأت حركة التحرير الجديدة ، وولدت كتلة العمل الوطني .

كتلة العمل الوطني

و

الحزب الوطني

لم تكن لهذه المظاهرات الشعبية ولا للاحتجاجات التي أظفرتها العالم
الإسلامي على فرنسا من أثر عملي على تبدل السياسة أو محاولة الدول عنها ،
بل زادت السلطات الفرنسية في التمسك بضرورة المحو لكل ما من شأنه أن
يبعث الروح القومية في نفوس المغاربة ، ولذلك انتظم الوطنيون في دائرة كتلة
تعمل لتنسيق الحركة الوطنية وتوجيهها . وقد فكرت الكتلة في أن أول عمل
يجب أن تقوم به هو تدوير الرأي العام في فرنسا والخارج من جهة ، وتبنيه
الشعب وإعداد له لتحمّل أطوار المقاومة من جهة أخرى . وبذلك أخذت البلاد
تشهد مظاهر وألواناً من الاحتجاجات لم نعهد لها من قبل ، فمن نشرات تعلق
بالبندران ، وتوزع بالآلاف في كل الأوساط ، إلى أغاني تنشر بين الناس ويتملّ
بها الجمهور ، فنشرت أبحاث قيمة عن البربر وأتوهم في الإسلام ، وعن الشخصيات
الكبيرة التي فوّت من بينهم ، وما لم من المعاصر وللآخرة وإلى جيلنا كل
ذلك فقد وقعت دعوة عظيمة لمقاطعة سائر البضائع الفرنسية ، والاستماتة عنها
بالبضائع الغربية والعربية أو الأجنبية إذا لم يوجد غيرها ، وقد نجحت هذه
الدعوة نجاحاً كبيراً ، فكنت لا أرى إلا الملابس المنسوجة في المعامل المغربية
والأقمشة الشعبية القديمة التي مضى عهدها ولم يكن يبالي بها أحد أصبحت تجلب
محل التقدير والإعجاب من الجميع ، وأمسك الكثيرون عن شرب الشاي وأكل
السكر لأنه فرنسي ، وسرت في الأجواء الشعبية صفوة فمت بكثير من
الشهوات ، وحتى من الحاجات المادية في سبيل المثل القومي العظيم ، وشاركت
النساء في هذه التضحية بإيثارهن المنسوج الوطني برغم ما فيه من نقشف على
فساتين التوضّة وألوانها .

وحاولت الإدارة أن تقاوم كل ذلك بالضغط أحياناً والهداية أخرى ،

واسكنها لم تصل إلى أيقاف التيار الذي عم الأوساط كلها ، وشمل الجهات بأمورها
والذي أغضب الإدارة أكثر من كل هذا هو استفحال هذه الدعاية
في الأوساط البربرية ، وإيهامات الوحي القوي في نفوس إخواننا من أبناء المغرب
الذين أصبحوا يحسون ويأملون ويتحركون للدفاع عن دينهم وعن عقيدتهم ،
وأصبح الرعاء يتفكرون بالأشيد الحريية التي تسكي حالة الوطن وما يكيد
الأجنبي له من دسائس . واهل من العظة والذكرى ، ومن التسجيل للحقيقة
أن نقل هذا النشيد باللهجة لبربرية ثم نلقيه بالترجمة العربية :

- ١ - يفتلاء بين أوتنا حكامين متى نمهاطاً إزرف إزلاف الدين
- ٢ - نمرم الزاي ترليم المزنون . تسكرام الدين ارتسكارم سومر قول
- ٣ - يعاع الحال نمياتا تصحاح كراخ لسلام أما زين عربي أكان باسم
- ٤ - الارزون نميدان إذاخ يفلون انسلهو ذي حكيمناخ تقباط
- ٥ - أهائما زينن أودم ذابتاع ألا يتفقا الحرا أكر ديهخوات
- ٦ - أران إرومين سواوال أكليد إذاخ هـدليل إريد إيهنا انغلا
- ٧ - إريد إني كين ذا الدين أم ساو هذاو أهانتا يا سمي تالغ تونكين
- ٨ - أهائما زينن اميورظن ايشكام أسيد العار أكون يا عن كالمرب
- ٩ - تيتشم أدا المال أدا ذا الدين أدانث شيزاريو يثن أخزير
- ١٠ - ونذعنم الدلت نكيم أم اسمنان أمي ورياد يكرأ أرون شانشيجان
- ١١ - والله العظيم فكبرمش ذا نكان الياسوم غلس أنزكوم نون
- ١٢ - إياك جران إيمازينن كالمرب إذامن روخ أيس كان أيت ما كالدين

الترجمة العربية

- ١ - أيها الغاصبون على أزمة أمورنا الحاكون في قصايانا ما هذا الحكم
بالمرف للصادم للدين ؟
- ٢ - أترضون كل ما يحدث إلى أن رميتم عزائمكم ودفنتم شرفكم فذهبا
مع دينكم كما ذهبت معها ثروتكم ؟

٣ - لا نعرف من قديم الزمن إلا أننا والعرب إخوان متحدون متصلون

أليس إسلام الأمازيغ أبوه عربي ؟

٤ - يريد الأعداء أن يفرقونا ويذكروا بأن العداوة بيننا لثمة سيادتهم علينا .

٥ - أيها الأمازيغ أن النوم من طبائع الإنسان ولكن الحر الذي يفتبه ويبادر السارق للتلمص .

٦ - رعبوا إن حكومتنا احتست بفرنسا انشر للدينية والإصلاح

٧ - وإذن فماذا يحملون سداً بيننا وبين ديننا ويثبون فينا هدواته والحال أن الدين الإسلامي هو غايتنا من الحياة .

٨ - أيها البرابرة إنكم خفتم اليهود ونقضتموه ، أليس عاراً عليكم أن تهانوا في دينكم في عتر داركم للغرب ؟

٩ - هب مالكم بعد دينكم فتلاهم صغاركم وصار الجميع بيد عدوكم .

١٠ - أذهمت لأذنين يستعبدونكم كما تحكم أرقاء وكادكم خلقتكم من مادة الجن والحال أن أجدادكم من أشجع الناس .

١١ - والله العظيم لقد أضلنا في السهول بينكم وأضفى همكم .

١٢ - ما أعظم مصابكم أيها البرابرة بالمغربية أيكم لكم إذا تم أناسها ودينها . وبينما كانت هذه الأناشيد يخرج من صناديقها بين شواحق الجبال

كان المغرب كله يردد هذا النشيد الذي ينطق به في الموضوع :

صوت ينادي المغربي من

يحدو الشباب المغربي الموت من

لمبك يا صوت الجسدود إنا لشسحبنا جود

كل يرى حفظ اليهود في الدب عن حوض الوطن

لا نرفض بالتفرقة ولو علونا المشقة
ولو خدت بمزقة أشلاؤنا مدى الوطن

لينضيب الخلع المنيد وليرهب الصوت الشديد
لنسنا نخاف أو نعيد إنا خلقتنا للوطن

وفي سنة ١٩٣٢ قررت الكتلة تأسيس مجلة (مغرب) باللغة الفرنسية
بباريس حيث كلفت بهذه المهمة صديقنا الأستاذ أحمد بلا فريج الأمين العام
لحزب الاستقلال الآن ، وقد عرف الأخ كيف ينظم المجلة ويجمع من حوها
لجنة رعاية من أحرار فرنسا اليساريين ، وقد تولت رئاسة تحريرها الأستاذ
روبير جان لونكي .

قامت هذه المجلة بنشر المقالات التي كان يكتبها الوطنيون المغاربة وغيرهم
من الكتاب الفرنسيين موجهة معارياً للحركة الوطنية والآمال التي تعانقها على
الديموقراطية الفرنسية ، ومكافحة بجرأة وإقدام السياسة المتبعة في البلاد ،
ومزودة قراءها بين الآونة والأخرى بالإحصاءات المدققة عن مظاهر اند
المنصري الذي يسود مير الحمية في مراكش ، وكانت تعقد في كل مناسبة
اجتماعاً لبعض النواب والصحافيين الفرنسيين الذين يبرغان ما أظنقوا على
أنفسهم (أعداء للغرب) ، وانضم إليهم بعض الأحرار الأسبانيين لتأييد
الكتلة الشالية في مطالبها ضد حق الاستعمار الأسباني .

وقد كان لصدور المجلة رد فعل معنوي في نفس الإقامة العامة التي حاولت
منعها من الدخول للمغرب ، ولكن أعداءها كانوا يتوسطون لدى الخارجية
الفرنسية في رفع المنع .

ثم قررت الكتلة بعد ذلك أن تصدر بفاس جريدة (عمل الشعب) باللغة
الفرنسية أيضاً ؛ لأن الصحافة العربية لم يأتد بإصدارها حتى ذلك الحين ولأن

الحياة للمستبدون ، فسارت الجريدة في نفس الحطة التي تعمل لها المجلة من توضيح لرضيات الأمة ودفع عن مصالحها . وأهم الحملات التي قامت بها (عمل الشعب) هي المقالات المتممة التي كان يسجل فيها الحاج عمر عبد الجليل فظائع الاستعمار الفلاحى ، ويصور بها بؤس الفلاح وما آكل إلهه من استعباد فظيع ، وقد كان لهذه المقالات أثرها فى التخفيف من تزعج الملكية لمصلحة الاستعمار ، وموالاته القروض الاستعمارية ، الأمر الذى هيج المصريين ، فظاهروا بالرباط بعد أن حلقوا رؤوسهم ، ولكن تظاهروا لم يجعلهم ينجحون فى رد تيار المقاومة لكأيديهم الاستعمارية .

وفى الوقت نفسه اتفقا مع إخواننا بشمال البلاد على إصدار صحف باللغة العربية ؛ فأخرج الأستاذ داود مجلة (السلام) التى كانت تصدر بمجلة جامعة مائتة بالروح الوثابة والوعي الصحيح ، وقررت كتلة الشباب أن تنشر بالصحف (الحياة) لتسكون لسانها الناطق باللغة العربية .

وطبى أن الجرائد كانت تتناول المسائل العربية التى تهتم مناطق البلاد كلها وتقرأ فى الشمال والجنوب على السواء ، وتخص لتوجيهات رجال الكتلة فى المذمتين وإلى جانب هذه الحملات الصحفية قررت الكتلة أن أقوم بإلقاء دروس شعبية عامة بجامعة القرويين ، فافتتحها بالدرس القومى الدائر على استنتاج معنى السيرة النبوية والتاريخ الأول للإسلام ، والمقارنة بين حالة المسلمين فى العهد السابق وحالتهم اليوم ، وأسباب تقدم الأولين والخطا الأخيرين .

وكانت هذه الدروس تظم إلى جانب طلبة الجامعة والدارس الثانوية والنسبة للثقة فى البلاد آلاف المثارة من الرجال والنساء الذين كانوا يبدون فيها من الأسلوب الجديد الذى يحاول أن يخرج بهم إلى التفكير فى عالم ومصيرهم — حاجة طالما فقدوها فى الدروس الوعظية المعتادة .

ومن الاعتراف بالحقيقة ودون الرغبة فى أى اختصار يجب أن أقول إنه كان لهذه المحاضرات البائنة أثرها الفعال فى نشر للبداى المسيحية والأفكار الديرة

وتأييد الحركة الوطنية في الأوساط الشعبية ، كما كان لها فضل تكوين ثلة من الشباب المثقف وتوجيهه الوجهة الصحيحة في القومية والسياسة ومثلها بالروح القومية . أما الإدارة فقد رأت في هذه الدروس مظاهرات سياسية يومية لا يمكن أن يسمح ببقائها ، وحاولت منعها سراراً ، ولكنها كانت تمهد صعوبة من وجهة شكلها الديني ، فلا تنجراً على منعها مباشرة ، فأخذت تحاول اتخاذ التدابير لمنعها باسم جلالة الملك بصفتها الرئيس الديني للمغرب ، واستعملت لذلك بعض أذليها من أدمياء المشيخة الذين كتبوا عدة عرائض يتهمون فيها بالنيل من الصالحين أو للناس ببعض العقائد الصوفية أو ما أشبه ذلك من الأساليب المصطنعة ، ولكن وقوف الأستاذ الشيخ محمد بن العربي العلوي موقف الدفاع الصادق عن المجلس الأعلى للجامعة القرويين كان يحبط هذه المساعي التي تكررت أربعاً وعشرين مرة ، ولم يقبل جلالة الملك أن يصدر أي منع لي من إلقاء هذه الدروس رغم مجهودات الإقامة العامة المتعددة ومجهودات إدارة الشؤون السياسية .

وفي هذه الأثناء حدثت عدة مظاهر لنجاح دعوتنا ؛ من جعلتها إصدار الملك الأمر بتوقيف كل مظاهرات طارق (الديتايوة) و (الحندوشية) وغيرها . فتجلبت حموية الأمة ورغبتها في البحث والتطور في الأفراح التي أقامت سروراً بهذا الأمر الشريف الذي طنا ترجاه المصلحون ، وعمل في خبيله العاملون . وامتدت مظاهر المقاطعة للبضائع الأجنبية إلى دعوة شاملة لمنع التدخين لأن حركة الدخان الفرنسية طردت مئات من العمال المنارية لأفكارهم القومية وقد نجحت هذه المقاطعة إلى حد أن أحست الشركة بمنعولها ، فاضطرت إلى إرجاع العملة المطرودين جميعاً ، ومع ذلك فلم يقف سير المقاطعة ، كما لم يوقها اعتقال الإدارة الفرنسية لمائة شاب من الذين كانوا يتجهلون لنشر هذه الدعوة وتبيين الفاية منها للناس . .

وفي أواخر شهر أغسطس سنة ١٩٣٣ سافرت أطنجه ثم لتطوان ، فأقامت لي

الكتلة الوطنية بشمال المغرب حفلة تكريم خطب فيها صديقنا الأستاذ عبد الحفيظ الطريس وصديقنا الحاج محمد بنونة وغيرهما من رجال الوطنية ، ثم ارتجلت كلمة شرحت فيها الغاية من مراكمتنا وأنها تحرير البلاد والوصول بها للاستقلال عن طريق التقدم ، وبينت لهم أن المرحلة الأولى التي نسير فيها منذ الساعة من جهة الإصلاح الداخلي للشعب هي الاهتمام بتأسيس أمور ثلاثة وتحقيقها ، وهي المدرسة والمعمل والصحيفة .

لم يسبب الولاية الأسبانيون أن أنساوهم بالنقد في خطابي ، كما تناولت الفرنسيين ، ولم يسرهم أن أقف في تطوان لأعلن وحدة الغاية التي يعمل لها وطنيو الشمال ووطنيو الجنوب متآخين متضامين ، ولذلك فقد أصحبوني ثلاثة من رجال البوليس السري الأسبانيين الذين كانوا ملازمين لي ملازمة الظل ، وبعد ثلاثة أيام من الحفلة سافرت سمحة الأخ داود لزيارة قصيرة لمدينة سبتة على أمل العودة لتطوان ومنها لطبجه حيث أرجع لاستئناف دروسي في القرويين ، ولكن لما حاولت الرجوع في اليوم نفسه وجدت أسراً لدى رجال الجرك الذين أبلغوني أن الإقامة العامة الأسبانية منعتني من الدخول لمنطقة حمايتها .

وهكذا عدنا لسبتة ، ثم سافرنا إلى الجزيرة الحصراء ، ومنها في الباخرة إلى طنجة ، وما وصلت إلى هذه المدينة حتى رأيت أحد أصدقائنا القاسيين يقترب مني ويبلغني رسالة كلفه بحملها من غاس زملائي الوطنيون .

قرأت الرسالة وإذا بها نياً يقول إن الكتلة استطاعت أن تحصل بنص برقية وردت من باريس تأذن في إلقاء القبض على ، ووضعني تحت المراقبة بجهة تختارها الإقامة العامة ، وأن الكتلة اجتمعت ورأت أن اعتقال سيؤدي لاجالة إلى مظاهرات واصطدامات عديدة لا ترى من لصلحة وقوعها في الوقت الحاضر ، ولذلك تطلب مني السفر إلى باريس ريثما يتغير الموقف ، وفي صباح الند غادرت طنجة إلى جبل طارق ، ومنها إلى أسبانيا حيث التحق بي في مدريد صديقنا المرحوم الحاج عبد السلام بنونة وأخوه الحاج محمد ، وكونا هناك وقدأ قام بسدة

وصلت

اتصالات في الأوساط الأسبانية ، وعقد عدة اجتماعات مع نخبة من المفكرين
الأسبانيين في (نادى الأثينيو) بمدريد اشرح الحلة العامة في المغرب ، وتبين
أغلاط السياسة الأسبانية ، ثم ربيت مذكرة المكتب المغربي في رئاسة الوزارة
الأسبانية أحتج فيها على موقف أسبانيا في قضية ، وعلى التناطرس الذي أظهره
مقيدها العام السنيور موليس الذي رد لإخواننا بطولان برقية احتجاج موجهة
إيه ، وقد قررت الحكومة الأسبانية بعد ذلك إعفاء موليس والسماح لي
بدخول المظنة .

أقيمت في باريس سبعة أشهر كانت كلها نشاطاً في العمل متعاوناً مع أخيد
بلاويج وأصدقائه في لجنة اللجنة ، ومع جمعية طلبة شمال أفريقيا المسلمين التي كان
يرأسها الأستاذ محمد القاسي ، وقد أقيمت عدة مؤتمرات ومهرجانات كان صدى
احتجاجها يتردد في الصحافة كلها ، وكان لهذه الحركة أثرها في تغيير التقييم العام
للقضية السيولوسيان سان وتمييز الميسوريون مكناته ، والإدراك بالعودة
للمغرب واستئناف دروس القرويين ، كما كان لها أثرها في توحيد الحركة بين
الدمتوريين التونسيين ربح الشمال الأفريقي الجزائري وكتلة العمل الوطني للراكية

محمود
الحزب العربي
عبر سب

العودة للبلاد :

بعد سبعة أشهر من إقامتي بباريس أبلغتني الإقامة العامة بواسطة مكتبها
بالعاصمة الفرنسية ومحضر السيد قدور ابن غريط أنها لم تعد ترى مانعاً من
رجوعي للبلاد واستئناف دروسي في القرويين ، وفعلًا سافرت بعد ثلاثة أيام
إلى مدريد حيث عاودت الاتصال بالشخصيات المهمة ، وخاصة بعض أصدقائنا
الديموقراطيين الذين كانوا قد كونوا مع الأستاذ محمد القاسي مدير القرويين
اليوم والأستاذ المسكي المصري البيت العربي بالعاصمة الأسبانية ، وأخذوا يعملون
على نشر الدعوة للإيجاد سياسة تقارب أسباني عربي ، وقد أبلغني السنيور
ريكو إيبو الذي كنت رفعت له مذكرة عن السياسة الأسبانية في المغرب

أثناء مسرورى الأول في مدريد بصفته مدير المكتب الفرنسى في رئاسة الوزارة :
أنه قد عين مقبلاً عاماً في المنطقة الخليفية ، وأنه سيتخذ سياسة أوسع أفقاً من
سياسة السليور موبس ، وما علم الإخوان بتطوان نبأ قبول أسبانيا لتغيير موبس
حتى انتدبت (كتبة العمل الوطنى) في الشمال وقدأ يتكون من الآخرين الحاج
عبد السلام بنونة وعبد الخالق الطريس للمدريريد والاتصال بالمقيم الجديد
والدوائر الرسمية رغبة في إقناعها بضرورة اتخاذ سياسة رشيدة لمصلحة الطرفين .
أما أنا فقد رجعت إلى طنجة في يناير سنة ١٩٣٤ ووجدت بها مدير الشؤون
الأهلية بالمنطقة السلطانية الكولونيل بينازى الذى أعطى أنه ورد للمعادنة
معى باسم جلالة السلطان واسم المقيم العام فى بعض المسائل التى من شأنها أن
تقرب وجهة النظر بين الأهلية والوطنيين .

وقد استمرت هذه المحادثات ثلاثة أيام اجتمعنا فيها ست ساعات فى اليوم
محضر مراقب الولاية المخرئين بمنطقة طنجة الكولونيل تروشى ، وتداولت
بمحدداتنا جميع الموضوعات التى تشغل الذهن الوطنى ، وكيفية مواجهة الحالة
القائمة وضروب الإصلاح التى تؤملها ، وكان يرجع فى النهاية إلى ضرورة
استشارة الرباط ليرى رأيه النهائى فى الموضوع ، ومن حق التاريخ أن أسجل
أن المسيو بينازى عرض على يومئذ تولى وزارة العدل فى الحكومة الشريفة ،
فامتذرت بأنه لا يمكن أن أقبل أية وظيفة ما دام الموظفون المغاربة لا يمثلون
إلا أداة تنفيذية ليس لها من الأسرىء ، والحق أن سياسة مسيو بنوصو
(المقيم العام الفرنسى إذ ذاك) كانت ترمى إلى تقدير نسبي لرجال العمل الوطنى ،
وكان يرد تعاونهم مع الإدارة الفرنسية ، ولذلك عرض بمذ وظيفة وكيل مدير
عام للشؤون الفلاحية على صديقنا الحاج عمر عبد الجليل الذى امتذر هو الآخر
بمثل ما امتذرت به .

وبعد انتهاء هذه المحادثات الأفلاطونية التى لم تكن ترى إلى أكثر من
المراسلة والاستخبار دخلت البلاد حيث وجدت الحركة آخذة فى التقدم والازدهار

وبعد بضعة أيام دعيت من القصر الملكي حيث حظيت بمقابلة جلالة
السلطان بمقابلة خاصة استغرقت ساعة كاملة ، وكانت هذه أول المرات التي
يحظى فيها زعيم وطني بمقابلة جلالة ، وقد أراد جلالة أن يعبر بذلك عن
تكذيبه لما كان يروجّه الفرنسيون من ثورة الوطنيين عليه ، ومن عدم رضا
جلالة عن الحركة التحريرية القائمة ، وقد لمست في شخصية سيدي محمد
ابن يوسف الملك العظيم الذي ظهرت آثار عظيمته بمدى هذا الكفاح المستميت
الذي لم يزل يحفظه الله بواليه لمصلحة الأمة واستقلال البلاد برعاية جاش وثبت
قلب وأطمئنان نفس ونبل روح ، ولما شرحت بجلالته الغاية من حركتنا صرح
لي بأنه راض كل الرضى عن كل ما من شأنه أن يساعد على تقدم البلاد
وانزدهارها ، وقال لي : « إن ما ضاع من حقوقنا ناشئ عن عدم معرفة من مضى
من المسئولين بالأساليب التي يجب أن تتبع ، ومنذ الآن لن يضيع للبلاد حق ،
بل سأعمل على استرجاع كل ما ضاع » .

وكان السيد طارديو قد شكل الحكومة الفرنسية ، وجعل في جملته وزاراتها
وزارة صحاها (فرنسا التي من وراء البحر) ، فأعلنى جلالة أنه بمثل يمتنع إزاء
الخارجية الفرنسية على هذه الوزارة وقد ألميت هذه الوزارة بفضل الاحتجاج الملكي .

تأسيس عهد العرش المغربي

أومات آثما إلى أن الفرنسيين أخذوا يدسون بين الوطنيين وبين جلالة الملك ، ونا سافرت إلى فرنسا فرارا من اعتقالهم حاولوا أن يفتنوا القصر بأن سافرت معهم من الكتلة الوطنية للتفاوض على إرجاع المولى عبد الحفيظ لعرش مراکش ومع أن جلالة الملك أعقل من أن يصدق أمثال هذه القذرات فإن الكتلة الوطنية لم تقف موقف الانفراج من عمل الفرنسيين ، وقد أرادت أن تظهر عمليا مواطني الوطنيين الحقوقيمة نحو ما يمكنهم العظيم من جهة ، وتفضع الفرنسيين ونكشهم عن نفاتهم من جهة أخرى ، فاهتدت إلى فكرة جديدة هي تأسيس عهد العرش المغربي يوم ١٨ نوفمبر الذي هو يوم جلوس جلالة سيدي محمد ، وتبدأ على ذلك اليوم وبدأت البلاد تحتفل ، ولكن الإقامة وقعت موقف اللذهل الذي يريه منع الاحتفال ولكنه لا يستطع التجرد في التنفيذ ، فعلا لم تستطع الوطنية المغربية أن تجعل من الاحتفال الأول هيدا رسميا ، ولكنه على كل حال كان يوما تيميدا للعيد الرسمي الذي أسس في السنة الموالية أي سنة ١٩٣٤ ، وهكذا انكشف للجميع أن الكتلة الوطنية لا تمثل إلا الوفاء والإخلاص الذين يحملها الشعب المغربي نحو عرشه الجيد وملكه العظيم ، وأنت للمستمرين وحدهم هم الذين يأبون على الشعب أن يتطور أو يقوم بأي مظهر يمثل العزة والكرامة ولو كان هذا المظهر احتفالا ملك البلاد ، وفي يوم ٨ ماي سنة ١٩٣٤ كان موعد زيارة الملك السنوية لمدينة فاس ، فالتهرت الوطنية للمغربية هذه الفرصة لتظهر بلذاته ولاها في عاصمة ملكه الروحية ، فذهبت الاستقبالات الشائعة التي لم يسبق لها مثيل في شكلها الحديث ، ونصت أقواس النصر في سائر الجهات ، وحلقت الرايات المغربية في طول المدينة وعرضاها ، وتثنى الجمهور بنشيد جديد الملك

(من نظمي) يعبر عن آمال الأمة القومية في جلالته ، وأصدرت جريدة (عمل الشعب) عدداً خاصاً على بصورة لالك وصورة ولي العهد الذي أعطياه لقب (أمير الأطلس) ، وأظهر الجمهور ساعة وصول جلالته من الحاس والتأثر ما أطلق الألسنة بالهتافات الوعائية والأدعية الصادقة بحرية المغرب واستقلاله . ومن المند كان موعد زيارة جلالته لقرويين ومن الأضرحة المحترمة وفقاً لتقاليد البلاد ، وجرت العادة أن تكون هذه الزيارة في شكل مدى ؟ أي أن لا يصحب جلالته فيها غير الوزراء والسكك وبعض الحجاب والحشم ، أما الحرس الشريف والجند والمظاهر العسكرية فلا يبدو لها أثر احتراماً للأولياء والأبطال الذين يزورهم الملك ، وطعن أن الانحياز بين الشعب وبين سلطانة يكون أسهل في مثل هذه الحال ، ولذلك فإن الجمهور القاسي انتهر فرصة نزول الملك على معناته الصورة فكون من حوله مظاهرات عظيمة كلها هتافات بحبائه ، وإشعار جلالته بآمال الأمة في أن تنال في عهده ما تصبو إليه من استرجاع لحقوقها العتيقة وتوطيد السلوك ، وقد كانت هذه المظاهرات عظيمة حقاً وقومية صدقاً ، وانبعث لها قولا لانا الملك ، وأظهر من التواضع والديمقراطية ما اعتزت له أمدة شعبه وزاده حباً فيه واعتباطاً به .

ولكن أصدقاؤنا الفرنسيين لم يروا في هذا التظاهر العادي إلا اعتداء على حقوق فرنسا ومساساً بكرامتها ، وعرض عليهم أن يروا للمرة الثالثة جلالة الملك محموقاً بشعبه ، والكل يطالب هذا بالحربة ويدعو للاستقلال ، وأراد الجنرال ماركى جاك الناحية القاسية أن يمنع جلالته من أداء صلاة الجمعة يوم ١٠ مايو بمسجد القرويين وفقاً للبرنامج المقرر ، فادعى أن المتظاهرين بعدما رجعوا من حول الملك مروا بدار الجنرال وعضفوا هتافات بسقوط فرنسا ، وأن شاباً عمداً إلى يهودى رفع العلم الفرنسي بدكاهة فشقته ورعى بالعلم في الأرض ، وفي مساء اليوم التاسع قدم مسيو هيلار نائب المقيم العام (لأن المسيو بونصو كان بياريس) لقاس ، وانفقد تحت رئاسته مؤتمر حضره الولاة العسكريون والمدنيون وقرروا أن يمثلوا جلالة

السلطان استياعهم مما جرى ، وأن يطالبوا بته اعتقال زعماء (كتلة العمل الوطني)
والمدول من النزول لأداء الجمعة في القرويين والاكتفاء بالصلاة في مسجد
القصر أو السماح بالإدارة بأن تضع على طريق جلالة صفتين قوين من
جنود الحماية .

وفلا توجه مسيرهم للوجهية الجنرال حاكم الناحية للقصر العاصم ، ولما جلالة
الملك مطالب فرنسا من جلالاته بمناسبة زيارته لفاس ؛ وقد رفض جلالاته فوراً
المصادقة على اعتقال رجال الكتلة وواعدهما بالنظر في مسألة الصلاة بالقرويين .
وقد أمر جلالاته بعد خروج ممثل فرنسا بمقتد اجتماع مجلس الوزراء ، وعرض
على وزرائه الموضوع ، وكان جلالاته شديد التأثير ، ويريد المصادمة التامة
مع الفرنسيين نهائياً ، ولكن المجتمعين اتفقوا على أن يخرج جلالاته في صباح
يوم الجمعة باكراً من فاس احتجاجاً على تصرف الحماية دون أن يتم برنامج الزيارة
الملكية ؛ لأنه لا يمكن لجلالاته أن يمدل عن أداء الصلاة في القرويين ، وإذا
سمح للجبهوش بحراسته ربما انتهت الفرصة للتكامل بالأهالي على قادة الجنود
الفرنسيين ، وإذا امتنع عن قبول الحراسة ربما أوعزت الإدارة الفرنسية لبعض
أذنبها بارتكاب جريمة ضداً على جلالاته أو ارتكاب شيء أعظم من
المشكلة الأولى .

وفلا رجع جلالاته إلى الرباط ، وقد بعثت (كتلة العمل الوطني) لجلالاته
برقية تسان فيها نصامنها مع جلالاته ، وتعاتبها بعرضه الكريم ، كما أصدرت عدداً
حاجباً من (عمل الشعب) نشرح فيه الحقيقة عن (يوم ١٠ مايو) .

وفي يوم ١٤ مايو بعث جلالاته استدعاء لرجال الكتلة الموقمين على برقية
النظامين يدعوهم فيها للتقدم للعاصمة بقصد المفاوضة معهم في بعض المسائل المهمة ،
وقد توجهنا فسلام حيث اتفقنا وبين مجلس الوزراء اجتماع برئاسة الصدو
الأعظم حضره رئيس الديوان الماسكي الذي بلغنا باسم جلالاته أنه لم يخرج غاضباً
على مدينة فاس وفق ما أشاءه المفرضون ، بل خرج بالعكس مفتبطاً مسروراً ،

١
الكتلة

وقد قرر هذا الخروج شفقة على رعيته من أن تمتد إليها يد المستعمر بسوء ، ثم
 وقع استعراض عام للمسائل المغربية ، وأظهر الوزراء كلامهم ورجبتهم في تحقيق
 آماني البلاد ، وصرحوا لنا بأن الجميع يجب أن يتعاونوا على استرجاع السيادة
 المغربية المأسورة :

وإزاء هذا الموقف الملكي لم تهد السلطة الفرنسية شيئاً للانتقام به من
 (كتلة العمل الوطني) إلا توقيف جريدتها (عمل الشعب) ، ومنع مجلتها
 (المغرب) التي تصدر بباريس من الدخول لمراكش ، ومنع مجلة (السلام)
 وجريدة (الحياة) اللتين تصدرهما كتلة الشمال من الولوج في المنطقة
 السلطانية أيضاً .

وإذن فقد جردت الحركة الوطنية من جميع المدد التي كانت تستعملها
 للدعاية لمبادئها ، ولكن للحركة أساليب أخرى ووسائل متعددة ، ومن أهمها
 المحروس الدبلوماسية التي لم تنقطع أثناء غيبيتي بباريس ، إذ كان يقوم بها صديقنا
 الحاج حسن أبو عياد ، وصديقنا عبد العزيز ابن إدريس حتى منعاة وقد استأنفنا
 بعد عودتي ، فكان الإقبال عليها أكثر وأعظم ، ولكن ضغط السلطة كان
 أشد وأعظم عليها ، وقد بلغ الأمر بإدارة الشؤون الأهلية إلى ألا تكفي
 بهوايسها ، بل أخذت تكلف عدول المحاكم الشرعية بالحضور رسمياً وبطريق
 المناوبة مدبرين في كل أسبوع يستمعان لدروسي ويسجلان ملخصاً لها ويعضيانه
 ثم يصادق القاضي على شهادتهما طبقاً للمسطرة القضائية ، وتنفيذاً لنوع من
 الرقابة كان يستعمله نابليون على بعض الجامعيين ، وكانت الإدارة تناقش المدعين
 في شهادتهما ، الأمر الذي استوجب مني احتجاجات متوالية انتهت بطلب
 السلطة الفرنسية من الحكومة الشريفة منع دروسي ، ولكن جلالة الملك
 أمر على عدم المصادقة على المنع ، فانتظرت إدارة الشؤون الأهلية حتى واثتها فرصة
 حوادث ٦ فبراير سنة ١٩٣٤ التي جرت فيها المصادمات بين حزب الصليب الناري
 وأحزاب اليسار في فرنسا ، وأصدرت في جوها أصراً تايغونيا عسكرياً لشيخ

القرويين على من التدريس .

وموازاة للحملات الصحفية والدعاية الوطنية قامت الكتلة بعوجيه عدة مذكرات واستكتاب عرائض ورفع تقارير في مختلف الدواهي التي تتداولها الحماية طبقاً لسياستها ، ومن أهم ما قامت به معارضتها المطالب الموقظين الفرنسيين ، وانتهازها فرصة إضرابهم للمطالبة بإحلال المقاربة الأكفأ محل الأجانب في الوظائف الثرية ، وتحميل الميزانية الفرنسية النفقات الراجعة لما يسمونه بلوازم النفوذ الفرنسي ، وعدم أداء الميزانية المغربية للمعويض الذي تقدمه الدولة لجيش الاستقلال ، وإسقاط الثلث الاستعماري ، وبصفة عامة الانتقاد للرئاسة الحماية المالية والاقتصادية المبنية على الاستقلال والميز المنصرى .

برنامج الإصلاحات المغربية

وإذن فقد انجبت الحركة الوطنية في هذه المرحلة إلى انتقاد الحماية والتشليم على سياستها في جميع مظاهرها ، وإلى العمل لإصلاح شؤون البلاد وتحسين حالة أبنائها ، وطبسي أن يؤدي ذلك إلى مقارنة العمل الفرنسي بالمغرب بالوجود التي أعطتها فرنسا والتي ذيلتها بامضاء الشرف والكرامة ؛ فالحماية التي لم يقبلها المغرب إلا مجبوراً تزعم أنها لم تفرض إلا لمساعدة المغرب على التقدم والارتقاء مع الاحتفاظ له بمقوماته وسيادته ، والاحترام الكامل لحيته وتقاليدته ، وأما قال ليوطي في تحديد الحماية سنة ١٩٢٠ : « فكرة الحماية تعني أن البلاد محفوظة بمؤسساتها تحكم نفسها وتدير شؤونها بنفسها تحت مجرد رقابة أوروبية ، والتي يملك ويكيف هذه الفكرة هو للرقابة الممارسة تماماً للحكم المباشر » .

ولكن العمل الذي سادت فيه الحماية هو الحكم المباشر الذي يتنافى تماماً مع مجرد رقابة المفروضة ، ولذلك فقد كان الملم لأ كبر للوطنية المغربية هو تنبيه الفرنسيين أنفسهم لضرورة المدول عن هذا الأسلوب الذي يتنافى معى مع الحماية نفسها ، ولكن الإنتقادات وتبيين مواطن الضعف في خطط الحماية ظهر للكثيرين من الفرنسيين كعمل سلمي يدل على استياء من النظام القائم ، ولكنه لا يفسر الرغبات الحقيقية التي يراد تعويضه بها ، ولذلك أخذت الصحافة الفرنسية تنهم الوطنيين المناربة بالتهيج من أجل أشياء لا يستطيعون هم أنفسهم تحديدها ، فقررت كتلة العمل الوطني أن تصع حداً لنقولات الفرنسيين ، وتتحدي السلطة بقديم برنامج إصلاح تعتبره كمرحلة أولى قبل الاستقلال ، وهكذا وضعت برنامج الإصلاحات المغربية أو (مطالب الشعب المغربي) وقد رفضه في شهر نوفمبر سنة ١٩٣٤ وفد الكتلة المتركب من الأساتذة محمد غازي وأحمد الشرفاوي

هو عبد العزيز ابن ادريس وأبو بكر القادري إلى جلالة الملك بقصره في الدار البيضاء .
وقدمه حلال الفاسي ومحمد اليزيدي ومحمد الديوري للإقامة العامة بالرباط ، وفي الوقت
نفسه قدمه وفد الكتلة بباريس المتركب من الأستاذين عمر عبد الجليل ومحمد
الوزاني للخارجية الفرنسية .

وقد استطاع وفد الكتلة بباريس أن يؤسس لجنة رعاية من أصدقاء مجلة
(المغرب) وغيرهم من رجال اليسار الذين أظهروا عطفهم على برنامجنا وتقديمهم
للروح التحريرية والتقدمية التي يمتدحونها عليها .

ويشتمل برنامج الإصلاحات المغربية على ١٥ فصلا هي :

- ١ — الإصلاحات السياسية .
- ٢ — الحريات الشخصية والعامة .
- ٣ — الجنسية المغربية والحالة المدنية .
- ٤ — الإصلاحات المحلية .
- ٥ — الإصلاحات الاجتماعية .
- ٦ — الأوقاف الإسلامية .
- ٧ — الصحة العامة والإسعاف الاجتماعي .
- ٨ — شؤون العمل .
- ٩ — الإصلاحات الاقتصادية والمالية .
- ١٠ — الاستعمار والفلاحة المغربية .
- ١١ — النظام القاري .
- ١٢ — الضرائب والاداءات .
- ١٣ — الإصلاحات المتفرقة .
- ١٤ — العربية كصفة رسمية للبلاد .
- ١٥ — العلم المغربي والأعيان الرسمية والتشريعات .

وبكل فصل من هذه الفصول بمود عديدة تتضمن ما يلزم تنفيذ هذه الإصلاح

حق يمكن استخلاص الشعب لحقوقه بطريق التطور والتجاوب الذي بين شعور الملك وشعور الشعب مع الأخذ بقربية الأمة مربية ديمقراطية عن طريق المجالس البلدية والإقليمية :

ومن جهة أخرى فإن الروح التي كانت تحكم سياستنا في هذه المرحلة ، هي القضاء على الحكم المباشر ، وذلك باسترجاع كل مظاهر السلطة ليد جلالة الملك ورجال حكومته معتقدين أن مسألة الدستور أمر هين علينا متى أصبحت المسألة بيننا وبين مليكتنا ، ولم تكن هناك حواجز أجنبية في الموضوع .

وقد بينت الكتلة في المقدمة : أن هذا البرنامج لم يكن إلا تمهيداً عما سبق للشعب أن طسب به في مختلف المناسبات ، وقد استخلصته من (مجموعة الرائس والشكايات الجزئية التي رافقها الشعب في أوقات مختلفة لجلالة السلطان والحكومة) « وقبل إعطائها صيغتها النهائية عملت (الكتلة) على الاتصال بسائر طبقات الأمة في حواضرها وباديها ، وهكذا استطاعت أن تدرس نفسية الشعب وأن تعرف الفكرة العامة لمعرفة تامة ، وعلاوة على ذلك فقد وردت عليها شتى الرسائل للأعراب عن حاجة البلاد الماسة إلى نظام صالح يحفظ حقوق المغاربة ومصالحهم أمة وأفراداً ، ويسير بهم في صراط التقدم المستقيم » .

والخلاصة كما لاحظت الإقامة العامة في تقريرها المرفوع للجنة البحر الأبيض المتوسط : « أن دور الحماية يجب أن يمحصر مقتضى برنامج الإصلاحات القومية في المساعدة التقنية ريثما يتمكن الغرب من حكم نفسه بنفسه » .



لقد اشتمل برنامج الإصلاحات المغربية على هندسة سياسية في عرض المطالب والتوفيق بين المعاهدات القائمة ومصالح البلاد يدل على مجهود عظيم في محاولة التوفيق التي رمت إليه الكتلة بين وجهة النظر المغربية ووجهة النظر الفرنسية ، فلننظر مثلاً للباب الاقتصادي نجد أن الكتلة تطالب بالاحتفاظ بالباب المفتوح في الميدان التجاري طبقاً لما أقره مؤتمر الجزيرة

الحضراء ، وهذا ما يستوجب تأييد أجزاب اليسار في فرنسا ويطامئن الدول
الموقفة على المقد ، وفي الوقت نفسه يتناسب مع مصلحة المغرب في الظروف
الحاضرة ؛ لأنه ما دامت البلاد لا تملك من الصناعة والعامل ما تستطيع به
مزاولة التوريد الأجنبي وما يقتضى حماية الانتاج المحلي فالباب المفتوح أوفق ،
لأنها تفتح باب المزاولة لسوردين الذين يستطيعون أن يتنافسوا في كسب رضى
المستهلك الأهل من طريق الجودة أو رخص الأثمان ، وهذا بالطبع ما يجمل
الخارج من المال القومى أقل مما يخرج عادة لو لم تكن الباب التجارية مفتوحة
للجميع ، كما هو الحال في تونس مثلاً . ولكن هناك صنائع مغربية قديمة ،
فبرنامج الإصلاحات اعتبرها من جهة حاضرها مطالب بحمايتها من المزاولة
الخارجية ، وذلك مع دخول المواد التي تقلد أو تحاكي المصنوع الأهل بالمرء ،
كما طالب بحمايتها من تقليد المصانع المصرية الكبرى في الداخل ، وهذا
لا يندفى صلياً مع معاهدة الجريزة لأن كل ما تفرضه علينا هذه المعاهدة هو
ألا نفصل دولة على أخرى في المعاملات التجارية ، ومعنى هذا أن نفتح الباب
للجميع أو نغلقه في وجه الجميع ؛ فإذا نحن طابنا بحماية الصناعة القومية من كل
مزاولة أجنبية مما كان أصحابها لم نكن خارجين عن لفظ الميثاق ولا روحه ،
ولاحظ البرنامج أن هذه الحماية للانتاج الأهل لا يمكن أن تستمر بصفة عملية ؛
لأن حاجيات البلاد تتطور ، فأنهم يوضع مطالب خاصة بالعمل على تطوير
الصناعة الأهلية والمخرج بها رويداً من شكها الضيق إلى شكل مصرى
نستطيع به أن نسد حاجة البلاد وتطالب حقها في الأسواق الداخلية والخارجية .
وهكذا نجد أيضاً البرنامج ينص على وحب تأميم الحكومة المغربية لسائر
المناجم الطبيعية ، ومقايض النفط ، والمياه المعدنية ، والسكك الحديدية ، والقوات
الكهربائية ، والمرافئ البحرية ، وهو ما يتفق بالطبع مع المصلحة القومية
المغربية ، خصوصاً وأنه ليست لهم من الرأسمالية الأهلية ما يغولهم استثمار هذه
الأشياء لفائدتهم . ووضعها في يد الرأسمالية الأجنبية يؤدي لا محالة لامتلاك

الأجنبي للتراث القومي ، وإقبال الباب في وجه الجميع بطريق التأميم هو الممر الوحيد من سياسة الباب المفتوح ، وهذا المطلوب أيضاً ينال رضى اليساريين ، ولا يمكن للحماية أن ترفضه لأنه وحده الذي يمنع المغرب من مزاحمة الدول التي لها الحق بمقتضى معاهدة الجزيرة ، تلك المزاحمة التي ترى فيها فرنسا خطراً على قنوتها ، ويمكن لمن يدرس برنامجنا بإمعان أن يجد أمثلة كثيرة من هذه الهندسة الدقيقة في مرض رغائبنا وتسكوف حاجياتنا .

وهذا الأسلوب هو الذي يسر لنا مساعدة الكثيرين من رجال فرنسا ، وهو الشيء الذي يفسر تأييد أحزاب اليسار لنا ؛ ذلك التأييد الذي لم يتجاوز الحدود اللغوية ، ولسكنه كانت في وقت ما معيناً لنا على قطع هذه الرحلة من تاريخ حركتنا .



واقعد كان لإعلان مطالب الشعب المغربي صدى عظيم في الأوساط الفرنسية والمغربية ، وقد أصدرت الحكومة الفرنسية أمرها للإقامة العامة بضرورة دراسة البرنامج وإمداها بوجهة نظرها فيه ، وفعل طبعاً الإقامة أصوله منفردة ، ووزعتها على الإدارات المختصة ، وهذه أكتبت على دراسة القسم الموجه لها في لجان خاصة مع أخذ رأى جميع فروعها . وقد استطاع الاطلاع على أجوبة الكثير من الأقسام التي كانت تهدي إجاباتها بالدقة التي في البرنامج ، وتعلن بعض الملاحظات التي تراها مناسبة وفقاً لتصورها الخاص ، ولقد أقرت إدارة الصحة مثلاً كل ما ورد في فصل الصحة والإسعاف الاجتماعي برمته ، وقالت إنه أقل ما يجب أن ينفذ من أجل المخابرة . وهكذا فقد استطعنا أن نضع نظام الحبة الداخلي على بساط البحث ، ونبين للفرنسيين أنفسهم أن هناك وسيلة صالحة للحكم لم يهتدوا إليها هم ، أو لم يريدوا عن سوء نية سلوكها ، وقد ظلت المطالب برغم كل هذه الدراسة ورغم القبول الحسن الذي ظفرت به موطن التردد من طرف الحماية ، ولم تحظ بالتنفيذ إلا في القليل من جزئياتها .

مسألة الممثلين الفرنسيين

إنهم لا يريدون الجلاء عن المغرب من تلقاء أنفسهم ، ولكنهم يريدون بكل إخلاص أن يتبنوا دعائم نفوذهم في البلاد بالوسائل الممكنة ، ولذلك فهم لم يقبلوا تفويض الخارجية حق تأسيس مجلس نيابي يمكنهم من مراقبة أعمال الإدارة والنظر في سياستها المالية والاقتصادية ، ولكنهم أسسوا خرقاً لكل ما تقتضيه الالتزامات والتمهيدات نيابات الفرنسيين المقيمين بالمغرب ، ومع أن هذه النيابات لم يقبلها المفارقة قط ، ولم يصادق عليها جلالة الملك بحال ، فقد ظلت معمولاً بها وأصبحت حجة للبعالية الفرنسية تطالب بتطويرها إلى شكل برلمان فرنسي في داخل المغرب ، وقد حدث أن وقع اصطدام بين ممثلي القسم الثالث الفرنسي وبين المقيم العام المسيو بونصو (في نوفمبر سنة ١٩٣٥) فأعلن المثلثون احتجاجاتهم وأخذوا يطالبون باسمونه الحقوق الديمقراطية للمثارة ، وطبقاً أن تقدم الكتلة للدفاع عن السيادة المغربية مرة أخرى ، وتطالب بحل هذه المنظمات الفرنسية التي لا محل لوجودها في بلد غير فرنسي ، وتأسيس مجلس وطني من المفارقة وحدهم طبقاً للمطالب التي أرمأنا إليها .

وقد اجتمعت الغرف التجارية والفلاحية الفرنسية وأعضاء القسم الانتخابي الثالث ، في أوائل ديسمبر سنة ١٩٣٥ وقرروا بالإجماع عدم التعاون مع الإقامة السامة مدعين أن اتخاذ الإدارة لقرارات مهمة تتعلق بالسواحة الاقتصادية والاجتماعية دون عرض سابق عليهم يدل على أنها تنوى الاستغناء عن مشاركتهم في اللجان والمجالس ، ولذلك فهم يطالبون :

أولاً — جمع المجالس العليا للتجارة والفلاحة في أوقات معينة ، وعرض كل مشروع تشريعي له علاقة بالتجارة والفلاحة على الهيئة المختصة .

ثانياً — إحداث مجلس أعلى للنفس الثالث الانتخابي مثل ما هو واقع في التجارة والفلاحة ، مع إعطائه ما لفوره من الحقوق والاستصاصات .

ثالثاً — أن يجتمع ما يسونه بمجلس شوري الحكومة (الفرنسي) مرة في كل ثلاثة أشهر بعد اجتماعات المجالس العليا ، وأن تعرض على المجلس جميع المسائل التشريعية التي لا تتعلق بالسياسة العامة والسيادة ، وكذلك جميع القضايا التي أخرجت المجالس العليا درسها .

رابعاً — إعطاء مجلس شوري الحكومة (الفرنسي) بدل حق الاستشارة الذي له الآن حق التقرير في كل ما يتعلق بالميزانية باستثناء بعض الفصول المتعلقة بالمصروفات السياسية والسيادة ، مع إصلاح كبير لقوائم التمثيل داخل المجلس وقد ألف المحتجون الفرنسيون هيئة للإشراف على حركتهم الاحتجاجية ، ووضعت برنامجاً للإصلاحات الاقتصادية رفعته الإقامة العامة مع شروط التعاون معها .

أما (كدة العمل الوطني) فقد دفت يوم ١٤ و ١٨ ديسمبر سنة ١٩٣٥ جلالة السلطان وللقائم العام ووزير الخارجية الفرنسية ورئيس الجمهورية ورئيس لجنتي الخارجية في مجلس النواب والشيوخ عدة برقيات تتضمن الاحتجاجات الصارخة على هذه الحركات الباطلة التي يقوم بها للمستعمرون الفرنسيون مقتادون الشعب المغربي وحقوقه الطبيعية ، وطالبت الكتلة بإلغاء المجالس الفرنسية بالمغرب وتأسيس مجالس مغربية ، وتشكيل هيئة فنية فرنسية مغربية لدراسة الوسائل الصالحة لتنفيذ مطالب الشعب المغربي .

وقد كان جواب وزير الخارجية للجنة الفرنسية يتضمن التصريح الآتي :
« إن الحكومة الفرنسية لا تصرف عنايتها عن الحالة الاقتصادية والاجتماعية الخاصة بالفرنسيين المقيمين بالمغرب ولا برغبة جلالة السلطان ، وما أنها تلتزم مدة اقتراحات بواسطة الإقامة العامة فهي عازمة على أن تعمل في المستقبل بواسطة الإقامة العامة عدة تدابير من شأنها أن تعطي رهناء جديداً على عناية

محرر
١٤ ديسمبر

وإمل الرأي الصحيح للحياة في شأنها هو ما صرح لي به مسيو جهرار دان
 المستشار السابق بلالة السلطان ، فقد قال لي : (إن مطالبكم تشتمل على ثلاثة
 أقسام ! قسم يمكن تنفيذه من الآن ، وقسم يمكن تنفيذه ولكن بعد حين ،
 أما القسم الثالث فلا يمكن تنفيذه لأننا لا نريد الجلاء من المغرب من
 قلقاء أنفسنا)

فرنسا بشؤون البلاد المغربية

وعبر ما اطلعت السكتلة على هذا التصريح عاودت بحث برقية المراجع المذكورة في يناير سنة ١٩٣٦ مسجلة التصريح ، ومطالبة بأن تتخذ التدابير المحققة لمطالب الشعب كما استكرت ادعاء المجالس الفرنسية حق الكلام باسم الشعب المغربي ، وحذرت الحكومة الفرنسية من الإقدام على تقرير أى شئ يمس بسيادة المغرب ، وأعلنت أنها ساهمة بناية الحذر والتحفظ على سير الحوادث الحالية لما تتضمنه من الأخطار المهددة لحقوق البلاد .

ثم قدم المغرب في يناير نفسه وكيل رئيس اللجنة الخارجية بمجلس الشيوخ المسيو كرنيدى موفداً من قبل اللجنة المذكورة للبحث عن أسباب الخلاف القائم ، فقدم إليه وفد من السكتلة لمخبرته في الموضوع ، وشرح له وجهة النظر المغربية ، وقدم إليه الوثائق التي تهمة .

وفي يوم ١٥ يناير سنة ١٩٣٦ وقع اجتماع في لجنة الشؤون الخارجية بمجلس النواب الفرنسي ، فرضت مسألة الخلاف بتطويل ، وتولى الدفاع عن النظرية الفرنسية أحد أعضائها باسم الجالية الفرنسية في صراكش ، ثم تصدى وكيل رئيس اللجنة صديقنا الأستاذ جان لويجي فرض وجهة نظر السكتلة ، ودافع عن حق الشعب المغربي ، ومن جهة أخرى فقد رفضا مذكرة ثابته في يناير أيضاً لجلالة الملك ونسخة منها لمستشار الفرنسي ، وقد صرح لنا المصدر الأعظم بأن الحكومة الشريفة متضامنة معنا في أنه لا حق للفرنسيين في نيل نيات بالمغرب الأقصى ، كيفما كان لونها ، وقد بلغ جلالة السلطان لتشارد الفرنسي وطلب منه تبليغ الحكومة الفرنسية أن الإقدام على مساعدة المستعمرين الفرنسيين في مطالبهم يعتبر خيانة من فرنسا لعهودها ، وأن جلالاته لا يمكن أن يوافق على مطالب الفرنسيين ، وهدد بالتنازل عن العرش إذا نفذ شئ من ذلك .

ووجهة النظر المغربية أن الفرنسيين المقيمين في المغرب هم كسائر الأجانب الآخرين لا حق لهم في التمتع بشئ مما هو من اختصاص المواطنين المغربية ،

ووجود الحماية في البلاد لا يعني أن وطننا قد أصبح محابا فرنسيا ، والمعاهدة التي فرضت هذه الحماية هي في أوسع معانيها عقد بين الدولة الشريفة وبين الدولة الفرنسية ، وإذن فالعلاقات بين الدولتين كانت ويجب أن تبقى بواسطة الوسائل الدبلوماسية الممهودة ، أما الشعب المغربي فلا علاقة له بالحكومة الفرنسية ، كما أن الشعب الفرنسي لا علاقة له بالحكومة المغربية ، ووجود نيابات فرنسية في المجالس المغربية معناه امتلاك المواطنين الفرنسيين لسيادة الشعبية التي هي من حق المواطنين المغاربة وحدهم ، ولا تقبل أن تتقدم أو تقوت عليهم .

وإذا كانت فرنسا قد طبقت نوعاً من التمثيل المختلط في تونس والجزائر فذلك تحكم منها لم يقبله التونسيون ولا الجزائريون ، والتجربة التونسية الجزائرية لا محل لتطبيقها في بلادنا مادام لم نقلها لأول يوم ، وما دام مليكتنا قد رفضت في سائر الأوقات المصادقة عليها .

وقد التزمت فرنسا في معاهدة الحماية باحترام الدستور المغربي وحقوق الشعب والمرش ، وعليه فشكل عمل يتنافى مع هذه المبادئ . يعتبر حرقاً حتى للحماية التي فرضت علينا فرضاً .

ولئن كنا نحن غير متعدين بما تتضمنه المعاهدات التي غضبنا حقنا والتي أجبرنا على توقيعها تحت الضغط العسكري والإكراه السياسي فإن فرنسا متقدمة بما التزمت فهو لنا طاعة محتارة ، وليس في استطاعتها أن تنفي الحماية إلا بما هو أوسع من مدلولها في حبة الاستقلال ؛ أي يمكنها أن تتخلى عن بعض ما حصلت عليه بطريق الإكراه ، أما أن تأخذ شيئاً آخر زائداً عما في المقد فلا . وقد أكد هذه المعنى المارشال ليوطي في أحد تصريحاته حين قال : « وهناك نقطة أخرى لا يمكنني إغفالها ، وهي مسألة مبدأ الحماية ؛ فقد حملت من باريس تأكيدها بين وقع التصريح به على السنة من لم أعظم الاحتصاص يقضى بأن مبدأ الحماية يجب أن يبقى خارجاً عن كل جدل ؛ فنظام الحماية ليس بمسألة شخصية ولا محلية ولا فرنسية وهو حقيقة جاءت بضبطها المعاهدات ، وهو مكفول باتفاقات دولية ليس

في مقدور أي واحد منا ولا في استطاعة الحكومة الفرنسية ألا تعتبرها ، ويستنتج من هذا أن المغرب دولة مستقلة تقوم فرنسا بمجاورتها ، ولكنها تهتفي تحت سيادة السلطان ولها دستورها الخارجي ، فمن الشروط الأولية حفظ وحدة هذا النظام واحترام هذا الدستور . »

« ومن نتائج هذه الحالة الواقعة أن التنظيمات السياسية الفرنسية ليس لها محل بالمغرب ؛ فمن الممكن أن توجد للمواطنين الفرنسيين بعض الهيئات ونوع من التمثيل الفنى ، ولكن ليس في الإمكان أن يسكون لهم تمثيل سياسى ، فالمطالبات والمطالبات في هذا الباب ليست إلا حبراً على ورق ووقتاً ضائعاً ، وأزيد دون أن أؤكد في البيان أنه بناء على هذه الحقيقة نفسها — وهى أن الدستور المغربي مضمون بالمعاهدات الدوائية — فالمطالبة الخاصة بهذه المسألة ليست مجردة من كل فائدة فقط ، بل إنها أخطر الأشياء ، والحكومة الفرنسية ستكون أول من يتقطع دابرها . »

لقد وقعت هذه التصريحات بعد الحرب الكبرى الأولى حينما أراد الفرنسيون انتعالية بنيات في المغرب ، وأبدى مولاي يوسف كامل المارضة لظالمهم ، فأحب ليوطى أن يطعن للشعب المغربي وما يملكه على احترام فرنسا لحقوقهم ، ولكن الفرنسيين أسسوا أملاً بحال دون أن يصادق عليها سلطان البلاد ولا حكومته ، ولولا وجودها لما أسكن الفرنسيين أن يثيروا ضجة كبرى رغبة في تحويلها إلى ما هو أعظم منها وأصدق تمثيلاً ، ولكن الشعب المغربي الذي لم يقبل ولم يعترف بالتأسيس الأول لم يقصر في إعلان الاستقلال للاعتداء الفرنسي الجديد ، وسنرى أنه ليست هذه هى المرة الأخيرة التى تجرى فيها معركة عنيفة بينا وبين الفرنسيين من أجل التمثيل الفرنسي في المغرب .

وحينما اشغلت المصومة في هذا الموضوع ، وتجزئ ميو برصو عن قضية الفرنسيين وقع الماربة قررت الحكومة الفرنسية إعفاء المقيم العام والسكوت عن قضية المجالس مؤقتاً (فبراير سنة ١٩٣٦) .

المسيو بيروتون :

وإذن فقد أرادت الحكومة الفرنسية أن ترضي الفرنسيين المقيمين في المغرب بهزل المسيو بونصو وتعيين شخصية استعمارية محبوبة لديهم ! تلك الشخصية هي بيروتون الذي سبق أن كان مقبلاً عاماً في تونس ، وقام بقمع الدستوريين وإرضاء المستعمرين ، وبمجرد ما بلغ نبأ تعيينه البلاد توجه للقاء بتونس الكولونيل بينازي مدير الشؤون الأهلية الذي كان أحد الناقين على سياسة بونصو الذي لم يرد أن يفرق الوطنيين بيد من حديد حتى يحول بينهم وبين معارضة مطالب المستعمرين الطائلة ، وقد نظم بينازي مع بيروتون خطة هجوم عنيف على الوطنيين للثأر لإرغامهم على الخضوع عن طريق الإرهاب بشخصية المقيم الجديد ، فقبل أن يغادر المقيم العام مرصلياً للدار البيضاء في أبريل سنة ١٩٣٦ م صرح للمصحفين بأنه يفخر بكونه قسماً على حزب الدستور في تونس ، وأنه كذلك سيقضي على الكتلة الوطنية في المغرب ، وأن القوة والعنف هما الشعار الذي يجب أن يلبس في السياسة الأهلية بشمال أفريقيا ، وقد رددت صدى هذا التصريح الصحف الاستعمارية كلها ، والتهم الفرصة السنيور موابس الذي كان قبل ذلك بقليل قد عاد المرة الثانية مقبلاً عاماً للجمهورية الأسبانية في المنطقة الخليفة فاستدعى الصحافيين وصرح لهم بأن ما قاله مسيو بيروتون هو الدستور الذي سيعتبه هو أيضاً في السياسة المغربية ، وأن التجربة علمته أن كل نهان في الموضوع لا يؤدي إلا إلى استفحال أسوأ للويعين الوطنيين ، ولم يقف أمر بيروتون عند حد الكلام ، بل استقرض في الحين مبالغ طائلة الميزانية ، وأعطى منها للمستعمرين ما رفضه بونصو ، كما أقرض بعض كبار القواد ستة ملايين من الفرنكات .

ولكنه لم يكف بذلك بل وصل للرباط حتى كانت حكومة بلوم قد شكلت بعد انتصار الجبهة الشعبية الفرنسية في انتخابات مايو من السنة نفسها ، ثم قامت

ثورة فرانكو بالمنطقة الخليجية في يوليو من نفس العام أيضاً ، وسنتكلم على موقف الحركة الوطنية إزاء كل منها ، ولكن قبل ذلك تم ما كان من شأننا مع مسيو بيرون .

لم نرد أن نعلن عن رأينا في تصريحات بيرون ولا في سياسته ، بل أحببنا أن نتقدم أولاً لمقابته وعرض رقبائنا عليه ، ثم نرى بماذا يريد أن يفعل فنقابله بما يناسب ، وبعد أن تردد قليلاً قبلنا (في آخر جولة) بمقابلته من كتلة العمل الوطني ، ومن الحق أن نسجل أن هذه أول مرة يقابل فيها رئيسي عام قروبي ممثل حزب سياسي أهل براكش ، وبعد أن بين لنا أن لا حاجة لوجودنا في قصر القناية من زيارتنا ، وأنها هي استمجال الإقامة العامة في عترة الشهب الغربي الشمب الغربي طلب بيرون الكلام راجعاً منا ألا نتكلم إلا بعد أن يخرج ، وكان جالساً على الكرسي ذي الدوائر الأولية ، فاستمر في حديث ثلاث ساعات يدور فيه كما يدور هو على كرسيه يمينا ويساراً ، ولم يترك كلمة قذرة في شتم المدعورين التونسيين وشم رجال الجبهة الشعبية بفرنسا إلا نطق بها ، ولكنه اعترف بأننا مخلصون في حركتنا أكثر من غورنا ، ومع ذلك فهو يخاف أن نخدعه كما خدعه التونسيون !

أما نحن فلم نر مجالاً للكلام مع رجل أحق بهرف بما لا يعرف ، وكل ما فعلناه أننا ودهناه وذهبنا للمالج شأنه بما يقتضيه الواجب ، وانقد كان ذلك سهلاً علينا بعد أن نطق بكل هراء ، فلم نزد على أن سجلنا بحضور الجلسة معه حرفياً وطبعنا على الآلة الكاتبة ، وهشاً نوزعه على الصحافيين والنواب ورجال الجبهة الشعبية الذين شتمهم ، وما اطلع الرأي العام الفرنسي على أحداث بيرون وتصريحاته حتى تولى بنفسه القيام بحملة شعراء ضداً عليه في صحف الديموقراطيين واليساريين ، ثم اكتشفت (كتلة العمل الوطني) نص البرقية التي وجهها بيرون لمدير البنك الحزبي بتطوان على أثر الانقلاب الفاشي في شهر يوليو سنة ١٩٣٦ يأذنه فيها بدفع خمسمائة ألف فرنك للتلافح الأسباني ،

فتشرتها وتندبت بينهم الجهة الشعبية الذي يؤيد الفاشية الفرنسية بحال الدولة
الخربية .

والحق أن الكتلة قررت أن تعمل كل ما في استطاعتها لعزل يروتون
لأنه ما دام قد وصل المغرب عن طريق الترضية للفرنسيين ، وما دام قد ارتكب
أعماله الشقاء مع التونسيين فلن يمكننا أن نلطف الكرامة الوطنية إلا بإعلان
تضامنا مع التونسيين ضدك عليه ، وإظهار قدرتنا على إسقاط المقيم الفرنسي
حق لا تبقى قوة للمستمرين بارزة للهديد أي مقبم يحاول التخفيف من
غطرستهم ، ولذلك لم نترك فرصة ممكنة إلا انتهزناها للشهر بشخصية يروتون
ونصوره في صورة الرجعية الشقية .

صورة الصورة

وحدث أن كان دور انعقاد مؤتمر الطلبة التابع للجمعية (طلبة شمال أفريقيا
للدين) في فرنسا قد حل ، وكان مقرراً أن يتم في المغرب في سبتمبر سنة ١٩٣٦
فتشكلت لجنة تحضيرية لذلك ، وقدم إلى الرماط نيابة عن الجمعية رئيسها الأستاذ
المنجي سليم عضو الديوان السياسي للحزب الدستوري اليوم ، وهو من خيرة
شباب تونس ، فانصل بنا واتفقنا على مساكنة يروتون فيما سيرضه من الشئون ،
وقد حاول هو أن يتخذ من المؤتمر فرصة يرض فيها ضمن خطاب يلقيه بحفلة
الافتتاحية ما سماه برنامج عمله في التعليم ، وبعد أن أخطرنا كذايكا ، وقيل أن
نحيبه نولي هو إعلان برنامج المؤتمر ، وحفلة الافتتاح ، والخطاب الذي سيلقيه
فيها ، والإستقبال الذي سيقمه له مؤتمرين بدار الإقامة العامة ، فكتبنا إليه
اللجنة التحضيرية رسالة أمضاها رئيسها الأستاذ إبراهيم السكتاني ، وأممى معه
المنجي سليم نيابة عن الجمعية تعلن فيها رفض الطلبة الأفارقة حضور مسيو يروتون
في حفلة الافتتاح ، وإلقائه خطاباً بها ؛ لأن مسيو يروتون شخصية سياسية ،
والجمعية مؤسسة علمية ، وهي لذلك لا تريد أن تتدخل في السياسة سلباً ولا إيجاباً ،
كما أن المؤتمر يرفض حملة الشاي التي يريد للمقيم العام إقامتها له .
وقد عصب مسيو يروتون لهذا الموقف ، وقرر منع انعقاد المؤتمر ، فقامت

الكتلة بمقد مؤتمرات احتجاجية ، وبمشتا للسيو يروتون برقية نعلن فيها أن موقفه جهنم وما بدأ به عمله في المغرب لم يترك في قوادنا محلا يسمح لنا بالجلوس معه على مائدة شاي واحدة .

أقد كان الموقف صارماً حقاً ، ولكنه كان ضرورياً للقضاء على غمارسة يروتون وسوء أدبه مع قومنا ، ولما رأت الحكومة الفرنسية أن البلوتوزر إلى هذا الحد قررت إعفاء السيو يروتون وتمييز الجنرال فوجيس تخليفاً عنه .

الحرب الأهلية الأسبانية

لم يرض شهران على انتصار الجبهة الشعبية بفرنسا وبلشها في توحيد العمل مع الجبهة الشعبية الأسبانية حتى تمرد الجيش الأسباني في المغرب الأقصى بقيادة الجنرال فرانكو ، وديننا كان السفير موليس الذي ينتمى للحزب الراديكالي يؤكد من الإقامة العامة الأسبانية بقطران تعاضد مع الليبراليين ، واستعداده لتوحيد الخط مع ، وديننا كان سائراً في سياسة ليزر والمنصرية في معاملة الأهالي محروماً ، وخصوصاً طبقة العمال الذين كان جيشه يشتبه في الوقت الذي يستقبل فيه العمال الأسبانيين ويخطب عليهم مرحباً ومظهراً كامل العطف الاجتماعي محروم -- إذا إدارة المنطقة المدنية والعسكرية قلب له ظهر الحن ، وتعلن انفصالها عن أسبانيا الجمهورية وإبداءها الثورة الفاشية التي تعمل على تحرير أسبانيا من الاستعمار الأحمر . (١٤ يولييه سنة ١٩٣٦)

ولقد كانت كتلة الشمال عرفت في الوقت المناسب ما يبيت للجمهورية الأسبانية في المنطقة ، وكانت تخاف من حدوث انقلاب يؤدي إلى المساس بسيادة البلاد ، فتمت وفداً حل رجال مدريد مذكرة تنذره بخطورة الحال وتطالب بتنفيذ لفنارة بالحرية الديمقراطية التي تخولم حق تنظيم أنفسهم للدفاع عن كل ما من شأنه أن يهدد مسيرهم أو حرياتهم ، ولكن الجمهورية الأسبانية لم تعتبر بالإنذار ، وظلته مجرد تهريج من قوميين يتلهزون كل فرصة لمقاومة المستعمرين والتشهير بأعمالهم .

لذلك لا عرامة إذا رأينا فرانكو ينتدئ عمله باعتقال بعض للعرفين من المناربة بمحورم القباية ، والتصديق على رجال الحركة الوطنية وحراستهم في منازلهم حصوصاً بمد أن احتج سمو الخليفة السلطاني على هذه الثورة الأجنبية

في بلاد مغربية في اليوم الاولى لوقوعها ؛ لأن الخلافات الذهبية الأسبانية مثل الحريات الفرنسية يجب ألا يكون لها مجال في المغرب الذي هو أرض أجنبية عن كل من أسبانيا وفرنسا وغيرها .

أما في سائر المغرب العربي ، فقد زالت ثورة فرانسكو بردا وسلاما على المستعمرين الفرنسيين الذين أصبحوا يهتثون أسبانيا بدعوى مجلس لها من بير الشيوعية ، وأخذ كلهم يرمق في المسير يديرون المسيح المنتظر للجبهة الحرة في فرنسا على غرار فرانسكو ومنهجه ، وتوحشت الوفود من فرنسي وهران وقسنطينة وغيرها للاتصال بفرانسكو وتنسيق العمل معه ، وبدأ الجمهوريون الفرنسيون يشخرون من جو الشمال الإفريقي ويتوقسون حدوث ثورة فاشية من الرجميين الفرنسيين الذين تنقل فيهم البلاد ، وفكر الكثيرون منهم في ضرورة التقرب من الوطنيين والتعاون معهم لرفع كل ما من شأنه أن يعس الديمقراطية ، واقترح اليساريون في فرنسا بأن (كتلة العمل الثوري) هي وحدها التي تستطيع أن تقوم بعمل إيجابي في الموضوع ، وقد اتفق الاشتراكيون والشيوعيون على أن يوجهوا لنا وقدأ يجس النبض ويدرس ما يمكنه أن تفعله ، وجاء الوفد لقاس (في أغسطس سنة ١٩٣٦) بعد أن أخذ الضمان السكاني من طرف المسير فيينو ومسير بلوم وبيركوط على مساعدته في تحقيق ما يتفق معنا عليه ، وفي الوقت نفسه كان وفد من الجمهوريين الأسبانيين قد سافر إلى جنيف للاتصال بهاتفية الأمير شكيب أرسلان في الموضوع ، ولقد رده الأمر إليهم مؤكداً أن كتلتنا هي وحدها القادرة على أن تفعل إذا نالت الغرضيات القومية الكافية .

أما نحن فقد حرصنا مع المدعوين الفرنسيين والأسبانيين الأسر ، وقدمنا لهم مذكرة تفاهص في إستعدادنا للعمل على تخليص الديمقراطية الأسبانية بالشروط الآتية :

- ١ - أن تعلن أسبانيا الجمهورية استقلال المنطقة الحليفية عنها وعن فرنسا
- ٢ - أن تصون الحكومتان هذا الاستقلال ، وتقدمنا المغرب الحر

إلى عضوية جمعية الأمم .

٣ — أن تعقد أسبانيا مع سمو الخليفة السلطاني معاهدة تؤكد الاستقلال وتنظم العلاقات الودية بين الطرفين .

٤ — أن تمدد الجمهورية الأسبانية بالأسلحة والمتاريس للاتومنين .

والوصول لتحقيق هذه الأشياء نطالب :

١ — بأن تفض فرنسا الطرف من حركتنا العسكرية هذا

المنطقة الفرنسية .

٢ — وأن تعجل في المنطقة السلطانية بتنفيذ الإصلاحات الضرورية وخصوصاً الحريات العامة .

ومن جهة أخرى فقد بحثت (كتلة العمل الوطني) إلى ، برشلونة وفدأ للاتصال بالأسبانيين الجمهوريين والاتفاق معهم على هذه الأسس ، وقد استقبل وفدنا في سبتمبر ١٩٣٦ من طرف الحكومة الكتالانية استقبال السراء المرحبين ، وجرت بينهم وبين رجال كاتالانيا مذاكرات مليئة بالنفاهم والتقدير المتبادل ، واستندمت كاتالانيا ممثلاً في حكومة مدريد بجاء مهمة وزير الخارجية الأسبانية ، وبعد مداوالات بين الطرفين كان فيها تمثل الخارجية المدريدية شديد التحفظ ، طلب تأخير البت في الموضوع إلى ما بعد استشارة فرنسا ، وقد علمنا من بعد أن وزير الخارجية الأسبانية استشار الحكومة الفرنسية ، وأن هذه استشارات مقيماً العام بالمغرب الجنرال توجيس الذي رفض بكل موافقة على هذا المشروع الخطير ، وأن مسيو هيريو حدد بأعمال عظيمة إذا وافقت أسبانيا على عمل مثل هذا هو جوتي في رأيه .

وقد باتت حكومة مدريد وفدنا اعتذارها شفاهياً عن التصريح بالاستقلال في الظروف القائمة ، وطالبت أن يقبل وفد الكتلة مبلغ أربعين مليوناً من البسيطة للدعاية للديمقراطية الأسبانية ، مع الوعد بأنه متى تم انتصار الجمهورية فإنها ستعمل تلجير للغرب ، وقد احتج وفدنا على هذا العرض لدفء ، وانسحب

من قاعة الحديث مستذكرا .

لكن أصدقاءنا الكاتالانيين دعوا وفدنا لقد اتفق مع أحزابهم بتكافؤ
وزير كاتالانيا في مدريد بالدفاع عنه أمام الحكومة الاتحادية باسم حكومة
كاتالانيا ، وفلا عقد اتفاق بين (كتلة العمل الوطني) وبين سائر أحزاب
كاتالانيا يتضمن الاستقلال التام والتعاون المتبادل بين المغرب وأسبانيا على قدم
المساواة ، وهذا الاتفاق خال من كل ما من شأنه أن يدع لأسبانيا حق التدخل
في شؤون المغرب أو احتلال أراضيه في وقت ما ، ولو في وقت الحرب ، ولكن
بجهود المثل الكاتالاني كانت حثا ، وبقي هذا الاتفاق حبرا على ورق
أو مشروعا لم يصادق عليه .

ولكن هذا المجهود الذي بذلته الكتلة في هذه الظروف الصعبة كان له
وقته الحسن في أوساط اليساريين في فرنسا الذين قاموا بمحملة شواء على الحكومة
الفرنسية ومثلها لرفضهم مد المساعدة للديمقراطية الأسبانية الحريضة ، وفي الوقت
نفسه كان له أثره الفعال في تخويف فرانكو والصنط عليه لينزع سياسته
مع أصدقائنا في الشمال .

ولم تكن هذه المحاولات خافية على أحد ، ولذلك فإن الجنرال فرانكو أراد
أن يصل على طائفة للشارية ؛ فغير سياسته وبث المغرب شخصية أسبانية تفتخر
بأنها من تلاميذ ليوطي ، هي شخصية السنيور بيك بيدير .

كان أول من اتصل بالسنيور بيك بيدير هو الأستاذ لكي الناصري ، وهذا أن
تذاكره أعليا في الموقف الحاضر كانه مدير الشؤون الوطنية بقطيع رجال الكتلة الشهابية
أن أسبانيا القريبة مستعدة لمساعدة الماربة بالحريات الديمقراطية التي منهم
منها الجمهوريون ، ثم اتصل إخواننا فضلا بالإقامة العامة الأسبانية وسمحت لهم
بإصدار جريدة (الزيف) التي كان يديرها الأستاذ السيد التهامي الوزاني ،
وجريدة (الحريية) التي كان يشرف على تحريرها الأستاذ عبد الحفيظ الطريس .
وقد سافر الأستاذ لكي الناصري لارباط ليلفضا التطورات التي دخلت على

للوقوف في المنطقة الفلسطينية ، قررت كتلتنا بحث الأستاذ الحاج الحسن أبي عياد
لهذا كرم مع إخواننا في الشمال في الحملة التي يجب اتباعها .

وبما أن الحدود أصبحت مقفلة بيننا وبين منطقة الشمال من بلادنا ، وبما
أن الرقابة اشتدت على الرسائل للتبادلة فلم يعد من الممكن أن تستمر الحركة
الوطنية ذات مركز واحد مثلما كان عليه الحال قبل ثورة ١٩٤٨ ، ولذلك اتفقا
على أن يتبع الوطنيون في الشمال الحملة التي يرونها ^{للعليا} صالحة ^{للسود} لوضع الظروف
الطارئة متعلمين وحدم مسؤولياتها ، كما تحصل كتلتنا نحن المسؤولين ^{للسود} بالمشورة
لخطتها التي تختارها في الجنوب ، مع ضرورة المحافظة على اللبادي . الأتية يجب
١ - العمل لمهنية للغرب واستقلاله .

٢ - وحدة التراب المغربي في ظل العرش العلوي .

٣ - الإسلام والعروبة .

٤ - الوفاء للعرش العلوي وجلالة الملك سيدي محمد بن يوسف .

وهكذا استمرت كتلة الشمال في عملها ، وبدأت نشاطها الجديد بتأسيس
(العهد الحر) وعقد مؤتمر للطبقة المناربة جميعاً وغير ذلك من الأعمال .

انقسام في كتلة الشمال :

لم تمض على سياسة السفيور بليك بيدير بضعة أسابيع حتى أحداث أسالبيه
انشقاقاً في وسط الإخوان أدى إلى انحياز الأستاذ لكي الناصري ليؤسس حزب
(الوحدة المغربية) الذي رمى منذ الساعة للقيام بدعاية واسعة النطاق لتوحيد
الناطقين المغربية ، وقد أصدر الأستاذ لكي جريدة باسم حزبه بالمربية ، ومثلها
بالأسبانية ، وبدأ يبدل نشاطه مشجعاً في المدن والقرى لجمع الأنصار ، وأسس
الأستاذ المطريس وأصدقائه بعد وفاة زعيم كتلة الشمال الحاج عبد السلام بدونة
حزباً جديداً هو (حزب الإصلاح الوطني) ومع أن هذا الخلاف لم يمتد إلى
المهادي ، فقد أدى إلى تضارب صفاتي أمكن معه لأسبانيا أن تلعب أدواراً

شديدة ومؤلمة ، والحق أن كلا من الحزبين وجد في سياسة بيك بيدير مشجعاً على المضي في خطته ، ولكن سرعان ما تقلب (حزب الإصلاح) بانضمام الأغلبية من وطنيي المنطقة الخبيثة إليه ، فنظم نفسه وفتح فروجه ، وأسس هيئة للشبيبة على غرار الفلاح الأساني لم تمهاها السلطة إلا بضعة أشهر ثم منعتها .

صاحب السمر السلطاني يعمل :

ومن الحظ أن حكمة سمو الخليفة السلطاني مولاي الحسن ونظامه لإنقاذ بلاده جعلته يتهمز فرصة الجمالة التي يقوم بها السنيور بيك بيدير ، ويطالب ببعض الحقوق الضرورية ، وقد استطاع سموه أن يعلن في حمل تاريخي استقلال وزارتي العدل والأوقاف الإسلاميتين عن إدارة الحماية الألمانية ، ثم دعا الأستاذ الطريس لمنصب وزير الأحباس ، كما دعا الأستاذ داود لمنصب مفتش المعارف ، ووجه بعثات علمية لمصر ولبلدريد ، ولكن لم يتقدم الأستاذ الطريس عمله في الوزارة حتى لمصطدم بحقيقة مرعبة وهي أن إدارة الشؤون الأهلية التي تمتد من إدارات الحماية الرئيسية تريد أن تأخذ بالشمال ما أعطته باليمن ، وذلك بوضع نموذجها على الصدر الأعظم الذي كاتب يأتمر بأمرها ، وهكذا أخذت تضيق بواسطته على وزير الأحباس المستقل ، وتطالبه بالصوصح للأصدارة العظمى بصفتها رئاسة الوزارة ، وهي في الحقيقة خاضعة لتعاليم الحماية في كل شؤونها ، أي إن مدير الشؤون الأهلية يريد أن يستبدل أوامره التي كانت تصدر مباشرة لوزير الأحباس الوطني بأوامر يصعدها هو نفسه ، ولكن بواسطة وزير منبري ما زال تحت رقابته ، وقد أدى الأمر إلى مصادم بين وجهة النظر الوطنية والحكومية فدانت الحركة الوطنية عن فسكرة استقلال الأوقاف وعدم خضوعها لأي سيطرة ما تزال تحت رقابة الحياة ، مؤكدة أن ما كان في يد الحماية وتنازلت عنه أو أخرج من يدها يصبح في يد الشعب نفسه ، وإن يعود للسلطة المغربية التي ضيعته من قبل ، وعليه فالحل الوحيد هو وجوب تأسيس مجالس أعلى

للأوقاف منتخب لبشراف على أعمال وزير الأوقاف الذي يكون مسؤولاً أمامه ،
أما المديرية العظمى فقد تمسكت بموقفها ، وانتهى الأمر باستعفاء الرئيس من
وزارة الأوقاف وعودته لرئاسة حزب الإصلاح ، وأما الأستاذ داود فقد بقي في
العارف حيث توجه إلى مصر يقصد دراسة مناهج التعليم فيها ، ثم عاد يحاول
تنفيذ برنامجه ، وبالرغم من أنه استطاع أن يصل قليلاً وأن يستخرج قراراً
بالتعليم الإجباري في المنطقة ، فقد اضطر آخر الأمر إلى تقديم تقرير للحكومة
يعلن له فيه المراقيل العظيمة التي وضعتها الحماية في طريقه . وهكذا تبين لإحسانا
أن الدخول للحكومة في دائرة الحماية مجرد تضييق للوقت ، ومساعدة على تخريب
جيش القسم التي تجد في موظفي الوطنيين ما يورثها على المناصب بكل
ما يمكن من أسباب .

المغرب والجهة الشعبية الفرنسية

بينما نوع العلاقات التي كانت بين (كتلة العمل الوطني) وبين أحزاب اليسار في فرنسا ، وقد كان هؤلاء يعدوننا دائماً بأنهم متى علموا الحكم سيفقدون لنا مطالبنا التي ساعدونا على تقديمها للحكومة والدعاية لها ، ولم تكن الجهة الشعبية في انتخابات مايو سنة ١٩٣٦ بفرنسا حتى ظننا أننا إذا لم نلجأ لكل ما نريد فسنحصل في الأقل على بعض الحريات الديمقراطية التي تسمح لنا بقرينة الشعب والإصرار من وجهة نظره ، ولذلك سجلنا بتوجيه وقد متروك من الآخرين عمر عبد الجليل ومحمد الوزاني إلى باريس حيث عملاً بمساعدة إخواننا هناك على الاتصال برجال الحكومة اليوم وأصدقائنا بالأمس وتذكيرهم بالوعود المعلقة ، وقد قام الوفد بدعاية مفيدة ، ورجع لبلاد دون أن يعمل معه غير الوعود والأمان ، ومصادف يوم رجوعه انقاد مهرجان كبير بفاس هيأته الكتلة ، وحضره آلاف الوطنيين ، وألتهت فيه خطاباً طويلاً عن الوطنية المغربية وما ترمى إليه ، ثم جمعت منه عرائض تأييد الكتلة التي حملها الراقدون على للمهرجان من كل جهات المغرب .

وفي يوم ١٢٥ أكتوبر سنة ١٩٣٦ انعقد المؤتمر انشقاق للعادة لكتلة العمل الوطني بدار الوجيه السيد الحفيان الشرفاوي في الرباط ، وقد افتتحته بإلقاء خطاب عرضت فيه أعمال الكتلة في الفترات السانقة كلها ، ثم سردت التوجهات التي تتقدمها الكتلة على أعضائها بشكل العمل في المستقبل ، ومنها وضع مطالب مستعجلة ، وجعل قضية الحريات الديمقراطية كأساس أولى في نشاطنا ، حتى نتمكن من خلق جو يسهل على جميع الشعب العمل لتحقيق الإصلاحات المتعلقة بجميع نواحي الحياة المغربية ، وبعد ما سرد بمشروع المطالب المستعجلة

ونوقش فقرة فقرة ألقى الأستاذ محمد الزبيدي تصريح الكتلة للتعلم بالجملة السياسية التي تريد أن تنهجها ، و بعد ما أدخل المؤتمرون عليه تعديلات صادقوا عليه ، وقد كان في جملة المقرر الطواف بالمدن والبلدات المغربية لعرض برنامج الكتلة كله أو بعض فصوله ضمن مهرجانات عامة لتقوية الرأي العام واستكتاب شرائط التأييد التي ترفع للمراجع العليا بالرباط وباريس .

وما وصل الجنرال نوجيس لارباط في أكتوبر سنة ١٩٣٦ حتى قدمت له الكتلة المطالب المستعجلة وتصريح المؤتمر صحيفة كتاب تقديم أجاب عنه بأنه سبافر لفرنسا أولا ، ثم بمجرد رجوعه يستأنف العمل على تحقيق ما يمكنه من رغبات الشعب المغربي .

المطالب المستعجلة :

وتشتمل المطالب المستعجلة على الفصول الآتية :

١ — الحريات الديمقراطية (الصحافة والاحتجاج والتجمعات والتعليم والتعبير في أنحاء البلاد والنفقات) .

٢ — التعليم (توحيد البرامج في جميع أقاليم المغرب ، تكثير عدد المدارس الابتدائية ، تكميل حاجيات التعليم الثانوي ، تأسيس مدارس المعلمين والمعلمات الخ) .

٣ — العدل (اكتتاب النخبة بطريق المساواة ، أن يضمن لجميع القضاة راتب كاف من الميزانية العامة لآمن أداءات المتداعين والمحكومين ، فصل السلطة الإدارية عن المدنية والتنفيذية ، محو سياسة القواد الكبار) .

٤ — الملاحمة (تأسيس ملك عائلي لا يقبل الصويت عن طريق توزيع أملاك الجحطات ، توسيع القرض الملاحى للفلاح ، تسوية الفلاح مع المعمر في الضرائب ، حماية الفلاح من الحكام والممرين والمرايين) .

٥ — العملة والصناع (تطبيق قوانين العمل القروى على العمال المغاربة ،

تجديد للصناعة المغربية وحمايتها من المزاوجة الأجنبية ، مساعدة الماطلين المغربية)
٦ - الضرائب (إسقاط بعض الضرائب والتسوية في الباقي بين
المغاربة وبين الفرنسيين ، إلغاء حق الأبواب ومكس الأسواق وحق الرعي
في الغابات) .

٧ - الصحة العامة (تكثير عدد المؤسسات الصحية ، وتوزيع الأدوية
على المحتاجين ، الكفاح القوي للنم ضد الساكن القثرة ، مقاومة البقاع السرى
والملق ، بناء قلعو كاف من ملاجيء الهجرة والمحتاجين ، وتوسيع المساعدات
الحكومية للمنظمات الخيرية العامة المغربية) .

وقد كنا نظن أن هذه المطالب التي هي أول ما تمكن به البداية من برنامج
الإصلاحات المغربية العامة التي هي في الواقع مستعجلة كلها لن تجد صدى في
تحقيقها ، وقد قررنا أن نقيم المهرجان الأول للدعاية للمطالب المستعجلة في مدينة صلا
وفلاسر الاجتماع في جو عادي وحضره جمهور كبير من أعضاء الكتلة وأنصارها
ومن دون وقوع حادث ما ،

وفي ١٧ من شهر نوفمبر سنة ١٩٣٦ كان مقرراً إقامة مؤتمر بالدار البيضاء
خاص بالمطالبة بالصحافة المغربية ، وقد كان برنامج إقامة مهرجان بإحدى
القاعات الكبرى يدعى له آلاف الأنصار وغيرهم من مسكن الدار البيضاء
الفرنسيين والأجانب لنشرح لهم الحالة التي عليها المغرب فيما يرجع لخلفى حرية
الكلام ، والحيلولة بين الأمة وبين إصدار الصحف باللغة العربية ، ثم إقامة
مادة للصحافة الفرنسية في اليوم الثاني يأتي فيها على الدعويين تصريح من الكتلة
في موضوع الصحافة بالمغرب .

وما أرف موعده الاجتماع الأول حتى احتشد آلاف المغاربة ، وإذا بهم
يجدون باب الدار المقرر انعقاد المؤتمر بها محاطاً بالبوليس والجندرية المسلحة ،
وبينما نحن نتناول العشاء في مكان قريب إذا بأحد شباب الكتلة يتكلم ك
معلماً بما جرى ، فتعجلنا الذهاب امين المسكان حيث توجدنا ولاية الناحية من

مدنيين وعسكريين ومعهم البوليس وسيارات الإسعاف وكل ما يلزم للكنج ، ثم تقدم إينا خليفة باشا (محافظ) الدار البيضاء ، وباننا شفويًا منع المؤتمر باسم جلالة السلطان الذي كان يومئذ في الدار البيضاء ، فأجبت على الدور : إن جلالة الملك ظهيراً (مرسوماً) يتعلق بالاجتماعات ، ومؤتمرنا الليلة سائر وفق ما يقتضيه الظهير ؛ فإذا كان عندكم أمر ملكي خاص فباغوه لنا رسمياً وكتابة ، فأجابنا الخليفة بأن الحق معنا ، وأنه سيذهب ليهيئ الأمر المكتابي .

بقينا ننتظر الأمر المكتوب ، وأخذ شهاب الكتلة ينظم الجمهور المتزايد على طرفي الشارع الكبير حتى يرق المبر العام حراً ، ونخرج بذلك من دهوى الظاهر في نفس الشارع ، وطال الانتظار ، فقررنا الانسحاب وعدم اقتحام الدار المحروسة بالجند المسلح ، فتقدمنا ومن ورائنا آلاف المتجهرين يهبط بهم صفوف الشهاب الكلى من اليمن واليسار ، وهم يهتفون بحياة الحرية والمطاب الفريية ، ولما وصلنا لساحة الحرية ، حملى بعض الإخوان على الأكتاف حيث أقيمت خطاباً نددت فيه باستبداد الإدارة الفرنسية ، وطلبت من الجمهور أن يتفرق بانتظام ، ويضع ثقته في رجال الكتلة الذين لم يتأخروا عن القيام بواجبهم ، فتفرق الجمهور وهو يهتف بالاستعداد لقبلة نداء الكتلة ، والتضحية في سبيل الحريات المرجوة ، ثم ألقى القبض على وعلى محمد اليزيدى ومحمد الوزاني .

ومن الغد اجتمع الباقون من زعماء الكتلة وأقاموا مؤتمراً لرجال الصحافة الفرنسية في الدار البيضاء ، حضره زهاء مائة وخمسين ممثلاً صحافياً ، وخطب الحاج عمر عبد الجليل خطاباً احتج فيه على تصرفات الإدارة ، وأعلن أن الكتلة ستتخذ موقفها الحاسم إزاء اعتقال الزعماء الثلاثة ، ثم خطب ممثلو الأحزاب الفرنسية الحاضرة ، ونددوا بسياسة الحماية في حق الحريات ، وطالبوا بإطلاق سراحنا وإعطائنا الحق في إصدار الصحف التي نطلبها ، ثم طالب الفرنسيون الحاضرون من أعضاء الكتلة أن يسمحوا لهم بالتدخل مع إدارة الناحية صاهبا تقتنم بالدول عن الناطقة التي أثبتتها حباً في السلام وتهدة الأفسكار العامة ،

وسلا توجه وفد من ممثلي الجبهة الشعبية الفرنسية بالدار البيضاء لمقابلة لسيو
اورتايب رئيس الناحية الذي أحضرهم غاطة في الكلام واحتقاراً في الاعتبار ،
لأمر الذي جعلهم يستعجبون من مجلسه محتجين .

أما الكتلة فقد قررت أن توفد الأخ الحاج عمر بن عبد الحليم إلى باريس
للاتصال برجال الحكومة ، وشرح الحالة للرأي العام الفرنسي في الوقت نفسه
قررت القيام بمظاهرات تضامنية في جميع أنحاء المملكة للتربية
وفي يوم الجمعة الأخيرة من نوفمبر سنة ١٩٣٦ وقعت مظاهرات في

الدار البيضاء وفاس والرباط وسلا وجدة وتازا وغيرها من المدن والقرى
واشتبك فيها البوليس بالمتظاهرين لجرح الكثيرين ، وضرب بعضهم بخيلته البوليسية
الفرنسية بالبيضاء ، وألقي القبض على بعض أعضاء مكتب الكتلة ، وعلى
مئات العاملين من رجالها ، وتكون المكتب الثاني المؤقت من الحاج الحسن
أبي عيساد والسيد محمد الديوري وعبد العزيز ابن ادريس والمهاشمي الفيلالي ،
وواصل العمل للقيام بمظاهرات متوالية ، كما أذاع نشرات عن سير الحركة في
الداخل ولطم إضرابات طامة .

وقد أظهر المعتقلون ثباتاً قوياً وحزماً كبيراً ، وانكشف للإدارة ما كانت
تجهل من أثر القربة الوطنية التي قامت بها الكتلة في أوساط أنصارها ، فقد
كانوا كلهم على بيئة مما يطالبون ، وكانت أجوبتهم للولاة الفرنسيين الذين
ما تشوم في برصع الإصلاح وما يحتوي عليه من فصول مثيرة اندهاش للإقامة
العامة ورجالها ، وقد حكم عليهم بعدد تتراوح بين الستة أشهر والخمسة أعوام ،
وكانوا يتنافسون في اللدد التي سيحكم عليهم بها .

وصل الحاج عمر لباريس فذهب أولاً لمقابلة مسيو فيدينو وكيل الخارجية
الفرنسية لشؤون الشمال الإفريقي ، فأظهر له الوزير طاعة مما حدث ، وحاول
أن يبرئ الجنرال نوجيس من مسؤولية الوقائع ، وطلب منه العودة للبلاد لتهدئة
الخواطر ، فأجابه الحاج عمر بأنه لا يمكن للخواطر أن تهدأ ما دام زعماء الكتلة

وأَنْصارها معتقلين ، وقد نظم الحاج عمر مكتبا لـ مكتبة العمل الوطني بباريس ،
وتنفيذ إصدار نشرة دورية بعنوان (الخبر للنزدي) تحمل محل مجلة « مغرب »
الفرنسية ، وأخذ ينشر الحوادث ويعلق عليها بما ألقى الأوساط اليسارية التي لم
ترد أن تمتنع حكومة الجبهة الشعبية عملها بما يبدو للفتاوة كهيئة لأعلمهم فيها ،
وفسلا أصدر رئيس الحكومة الفرنسية المسير بلوم أسره للجنرال نوجيس
بتحرير المعتقلين وتغيير سياسته للرجعة .

بقى على الجنرال نوجيس أن يتخذ الوسائل التي تمكنه من تنفيذ أوامر
الحكومة دون المساس بما يسمونه بنقود الحياة وهيبتها في النعوس ، ولذلك
ذهب توكا لمدينة فاس ، واجتمع أولا بمنظمة من أعيانها الذين أعربوا له عن
تضامنهم مع الكتلة ، ثم اجتمع مع ممثلي الجامعة القروية ، وأخيرا حل بالجلس
البلدي حيث كان في انتظاره ممثلو الحرف والصناعات والعملة للعارفة ، وقد
تذاكر معهم مليا في مختلف الموضوعات ، وكانت محاولاته كلها لإقناعهم بضرورة
الحل المباشر لقضاياهم ، فكانوا جميعا يردونه في صغرى المسائل وكبراهها للزعماء
الثلاثة المعتقلين وبقية رجال الكتلة ؛ لأنهم هم الذين يمثلون الشعب ويمكن
أن يتكلموا باسمه ، وقد عاد الجنرال من فاس متأثرا وناقيا على إدارة الشؤون
الأهلية التي جعلته يخطئ التقدير من أول يوم ، ثم استقبل في الرباط وفودا
حديثة ، وتفاوض مع جلالة الملك ، وأخيرا بدأ بأسر بإطلاق سراح المعتقلين
زمرة بعد زمرة ، ولما بقينا نحن الثلاثة الأولين فكر في عرضنا على المحكمة
العليا لها كتنا بدعوى التيسيع والإثارة ، فقدمت القضية للمحكمة ورغم محاولات
المدوب الحزبي الفرنسي فقد كان المأمرون للفتاوة الذين عينهم رئيس المحكمة وخبروا
بمقتضى انتقاد المدوب صراحا بصرون على التفرير الدال على تبرير عملنا وتبرئتنا
واند نسبنا ثلاثة محامين ، واحد منهم فرنسي ، واتصل المحامون بالنيام العام أولا ،
ثم لا رأى إصرارنا على الدفاع وأن المحاكمة ستعطينا فرصة لمرض أشياء كثيرة
أراد أن يطلب منا إصاء التزام بدم الإثارة مرة أخرى ، فرفضنا طلبا ، كما

رفض إخواننا من رجال الكتلة البارزين بناس والرباط ، وبعد تردد كبير من اللقيم العام قرر إطلاق سراحنا بعد أن قضينا في معتقل البيضاء شهراً كاملاً هذا وقد قام إخواننا في اللندنة الخليفة بكل ما يجب للتضامن معنا ، فكتبوا وخطبوا واحتجوا في الشرق والغرب ، كما أن أصدقائنا في تونس والجزائر أعلنوا تضامنهم بالاعتراف والتأييد ، وقد كتب الأستاذ توفيق المدني في أحد أعداد (الشهاب) مقالة ممتازة فصل فيه هذه الحوادث وما احتوته من حماس ووعي عظيم .

والحق أن حركتنا قفرت قفزة كبيرة بهذه المظاهرات التي سمات فيها دماء كثيرة ، وظهر من جرائها تضامن شعبي كبير ، وأند كتب إلى الأمير شكيب أرسلان يهتفي بالتمرد ، ويؤكد أن حركتنا أصبحت لا تقل عن الحركات القومية العربية الأخرى في مصر والشام .

الجنرال نوجيس :

اعتبر تعيين الجنرال نوجيس في وظيفة لقيم العام خيبة للشارية ، ولم يكن اختياره لسكابة له أولاً بزعومته من معرفته بالروح المغربية ، وإنما هي سياسة درها بلوم ليردع بها المعمرين بعد أن عزل يروتون الشخصية المحبوبة لديهم . ومما يقل عن نوجيس فالعيب الأكبر الذي عرفناه فيه من أول يوم — وهو العيب الذي شهد به الجميع مد ما رأوا موقفه في الحرب الأخيرة — هو أنه رجل ضعيف المزجة ، سقيم الوجدان ، كثير التردد ، شديد الأمانية ، ولقد بحثنا له بمجرد تعيينه ملفاً يشتمل على وثائق الكتلة وأعمالها ، فأجاب الأخ محمد اليزيدي بأنه طارم بمجرد ما يصل للمغرب على تنفيذ مطالب الأمة المغربية . ثم كلف — وهو بباريس — الجنرال ريشار الذي كان حاكماً بالنيابة في فاس بالاتصال بي وبمست الأمال الكبيرة في نفسي وحمل على الثقة بشخص اللقيم العام الجديد .

ولكنه ما وصل المغرب ، واتصل بإدارة الشؤون الأهلية حتى انقلب ،
ولما دخل مدينة فاس دخولاً للناجين خطب فيها مددًا بالوطنيين للثأر ،
مشبهًا لهم بالفراخ التي تريد مفادرة الأعشاش قبل أن تكتسب بالأجنحة ،
فيمكن حفظها السقوط والانكسار . ولما رأى من أجوبة الكتلة السلبية ما أظهر
له خطاه في الاستهتار والتسرع حاول أن يصلح الأمر ولو مؤقتًا ، فنادى يستعمل
سياسة الأمن بعد أن جرب الشدة فلم تنفعه ، ولكننا سنرى إلى أي حد يثق
الجنرال العموية في يد الأهواء ، وإلى أي مدى سيرته أمانته الشخصية حتى
انتهى بضرب الوطنيين ضربة شديدة ماتت روحها دون أن يؤثر في الوطنية
للغربة أو يفلح عن خزيمة وجلال .

ولقد كانت أول ما قام به بعد أن خرجنا من السجن أن بحث يفرينا
بواسطة شخصيات شبيهة بالسمية للاتصال به والعمل على المناورة معه في شؤون
المطالب ، وكنا نقر بشي قليلًا ، وأخيرًا اتفقا على أن نوجه لمقاتلته الحاج عمر
عبد الجليل أولاً ، ثم نذهب عنده بعد ذلك ، وقد استقبل الأبخ صر بالاحترام
والإثارة ، وذاكره في جو يدعو للتنازل ، ثم قبل أن يستقبلنا نحن كوفد لكتلة
العمل الوطني بعد أن كان مصرًا على عدم اقتبالنا إلا بصفتنا الشخصية ؛ لأنه
لا يترف بالكتلة ، ولا يقر أن للثأر حق تأسيس الأحزاب السياسية ،
مدعيًا أن وجود السلطان بالمغرب يمنع من تأسيس الأحزاب ؛ لأنه هو الذي
يتوسط لتقديم مطالب البلاد لفرنسا وبوابها ، وهي طلة عليلة ، ومع ذلك فلم
يتسك بها بهدأ رأى من تشدد سيدي محمد بن يوسف في المطالبة بحقوق وطنه .
اجتمعنا مع الجنرال نوجيس ضمن مائدة مستديرة ، وتناوانا بالنرس للمطالب
للمستحقة فصلًا فصلًا ، وكان بعدنا بالامل المتعيقها جميعًا ، وأهم ما خرجنا به من
عنده هو الإذن بإصدار جريدة (الأطلس) الاسبوعية التي تقرر أن تكون
لسان (كتلة العمل الوطني) ، وإصدار جريدة (المغرب) اليومية التي كان
صديقنا المرحوم سعيد حجي رئيس فرع الكتلة بمدينة سلا قد طالب بإصدارها

ونسرح جريدة (عمل الشعب) من عقابها ، كل ذلك في دائرة قانون الصحافة
للأثرية الصادر في ٢٧ إبريل سنة ١٩١٩ وفي ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٢٠ أي دون
تحمين ما لحالة الصحافة ولا توسيع ~~نطاقها~~ .
ومن جهة أخرى فإن الأحزاب اليسارية الفرنسية التي سبق أن قاومتنا واتهمتنا
بالأفكار الرجعية رأت في المظاهرات التي قام بها الشعب المغربي دليلاً على أننا
نمثله أصداق تمثيل ، ولذلك قرر اتحاد خمسة عشر فرعا من فروع الحزب
الاشتراكي تأييد مطالب الشعب للمغربي ، والتعاون مع رجال الكتلة على الكفاح
من أجل تحقيقها .

استقفاه من الكتلة :

وهكذا تكون بالحصول على بعض الجرائد وبشأييد الأحزاب الفرنسية التي
في الحكم جر أصبحنا نعتقد منه في إمكانية تنظيم حركتنا على غرار الأحزاب
المنظمة الكبرى ، ولذلك عقدت للكتلة اجتماعاً عاماً بغاس وقررت أن تفتح لها
مكاتب ، وتضع قانوناً جديداً يمكن من مشاركة أنصار الحركة وأعضائها في
اختيار ماسيرين ومراقبة أعمالهم ، ووكلت اللجنة لي ولأوزاني وضع مشروع
لقوانين الكتلة الجديدة ، فاجتمعنا نحن الاثنين ووضعنا الأصول التي نعتد
عليها في وضع القوانين ، وتكلفت بتحريرها ، وبعد أن انتهينا من مهمتنا عرضنا
على الكتلة في اجتماع عام فإن مشروعنا ، ودافعنا عنه عادة مادة ، حتى أقره
الجميع بصيغته النهائية مع إدخال بعض التعديلات الخفيفة ، وخلاصة القانون أن
الكتلة تتركب من لجنة تنفيذية ، ومجلس وطني ، ولجان فنية ، وفروع ،
ولكل من هذه الهيئات لائحتها الداخلية الخاصة بها ، وهي حزب ديموقراطي
ينتخب مسيره بمقتضى التصويت السري في مؤتمر عام يمثل الفروع والشعب
على نسبة معينة .

وقد قررت الكتلة أن تنتخب لجنة تنفيذية مؤقتة تشرف على فتح المكاتب

وتسجيل المخطوطات بصفة رسمية ، وتستمر في عملها حتى تسمح لها الظروف بمقد
للؤتمر العام الذي يقضى به القانون .

وفعلا اجتمعنا في يناير سنة ١٩٣٧ بمقتضى ما اتفقنا عليه ، ووفقا لاتوانين
التي وضعناها بأغلبية حرجت نتيجة الاقتراع السري على تكوين اللجنة
كما يلي : -

رئيس	جلال القاسم
أمين عام	محمد حسن الوزاني
أمين صندوق	أحمد مكوار
أعضاء	محمد اليزيدي
	محمد عبد المليل
	عبد العزيز ابن إدريس
	محمد غاري

وبمجرد ما أعلنت النتيجة ، أعلن الأستاذ الوزاني استعفاءه من الكتلة ،
ولا يريد أن تدخل في تفاصيل هذا الاشتاق الذي حدث وما نتج عنه ،
وكل ما هنالك أن الأستاذ الوزاني أخذ يعمل لاكتساب أنصار جدد باسم
(الحركة القومية) بينما استمر مسائر الذين كانوا بالاجتماع العام في عملهم
ضمن الكتلة .

هل الكتلة :

مضت اللجنة التنفيذية المؤقتة في عملها ، وجعلت من جريدة (الأطلس)
لسان حالها العربي ، ومن جريدة (العمل الشعبي) لسان حالها باللغة الفرنسية ،
وجعلت أمينها العام مسكان الوزاني المنسحب الأستاذ أحمد بلاغريج ،
نم فتحت مركزها العام بمدينة لاس ، وأخذت تسجل المخطوطات الذين انتهلوا
عليها بالآلاف من وادي القرب وحواضره ، ولكن الإقامة العامة لم يرقها هذا

الانتصار الياسر ، فادعت أننا نريد أن نقوم بمؤامرة على الملك ؛ لأننا نلزم
 المنحرفين أداء يمين على الإخلاص لله والمغرب والملك ، والعمل في دائرة
 (كتلة العمل الوطني) . وبمقتضى ذلك فقد استصدرت الإقامة العامة قراراً
 بحل الكتلة يوم ١٨ مارس سنة ١٩٣٧ . ومن الفد أقفلت السلطة دار المركز
 العام ، ووزعت بيانات تعلن فيها المنع ، كما كلفت منادين في جميع أسواق
 البوادي يعلنون نهاية شأن الوطنيين وإتقال إدارتهم .

الحركة الوطنية لتحقيق المطالب

وإزاء هذا القرار لم نتأخر عن المضي في خطتنا بعملنا كناحنا الوطني كما هو ، وواصفنا انصالاتنا بفروعنا وأنصارنا ، ووالينا المصيرياتنا وجرأنا جمعاً لحركتنا هذا الاسم الموقت « الحركة الوطنية لتحقيق المطالب » ، واتبعنا بضمة أيام على تاريخ قرار المنع حتى وجهنا للإقامة العامة وقد حاولت التحرك مع الجنرال نوجيس في شأن تأسيس حزب جديد ، ولكن رتبنا لغيرنا أن لا نعذر من مقابلة الجنرال لا وقد وقال له : « يمكنكم أن تقدموا له المصادقة عليه » ، وقد رفضنا نحن تقديم مشروع مكتوب ، وقررنا أن نعمل ونجمل من عملنا مشروعاً واقعياً ، وكان اتجاه المقيم العام واتجاه للسيوفينا أن يطلبنا منا تأسيس هيئة ذات لون خاص ترجع للبحث والدراسة في الشؤون العامة وتتضمن بضع عشرات من الوطنيين المثقفين ولا نتمدد إلى غيرهم ، وقد حاول غيبتو تبرير هذا الاقتراح بأن كتبنا أفادت كثيراً من جهة للباحث التي قدمتها والدراسات التي قامت بها لختلف للسائل ، مع الشكل الملئ الذي كس كل احتجاجاتنا وانتقاداتنا ، وأنه بهذا سنتمكن من مقدمة قصصنا دون الوقوع في اضطرابات أو ارتباكات سياسية ، ولطبي ألا نقبل نحن هذا الحل ؛ لأنه يفصلنا عن عاية عطية لنا هي تربية الشعب وتوحيد الجماهير المغربية من حول حركتنا للدفاع عن حقوقنا المنتصبة ، ولذلك فقد قررنا قطع الصلة مع الإقامة العامة وتوجيهه وقد لباريس .

سافر وفدنا المتركب من الحاج عمر عبد الجليل والحاج أحمد بلا فريج ليشرحوا للرأي العام الفرنسي الظروف التي حلت بها كتبنا ، وكان قد مضى على الجنرال نوجيس عام كامل بالمغرب صرح فيه بمود كثيرة دون أن يفعل

شيثا ، فعمل الوفد لوزارة الخارجية الفرنسية تقريراً وافياً عن مهازل الجنرال وضعت عزيمته ، فاقبله وكيل الخارجية الفرنسية للشئون العربية ميسور اسوادى تيسان الذى كان من أعضاء اللجنة الفرنسية لرعاية المطالب العربية ولجنة (مغرب) سابقاً ، وقد أظهر استنكاره لما سماه بذبذبة نوجيس ، وواعد الوفد بتحصين الحال لم تكن الناية من هذا الوفد إلا تهينة المسؤولين بفرنسا والمغرب لقبول ما ستقوم به من إعلان الحرب الجديد ، وقد كان الجنرال نوجيس يعلم هذا ، وحاول أن يفرى صديقيها الوفدين إلى فرنسا بالاتصال به وهو في فرنسا ليقدمهما لأصدقاء له وشخصيات غير الشخصيات التي تعرفها نحن ، ولكن الوفد رفض كل تفاه مع الجنرال نوجيس بعد أن اتخذ خطته الحاسمة محل الكتابة والتهديد باعتقال رجالها .

الحزب الوطني :

وبينا الوفد يولى نشاطه في باريس إذ هفتت الحركة الوطنية مؤتمراً يمثل جميع عروج الكتلة ورجالها بالرباط في إبريل سنة ١٩٣٧ ، وعندما تبادل الحاضرون الأفكار قرروا أن يطلقوا على حركتهم اسماً جديداً هو « الحزب الوطنى لتحقيق المطالب المغربية » ، وقد روى في التسمية امتداد فكرة الكتلة والاتصال بأعمالها ووراثتها برنامجها الذى هو فى الحقيقة عمل لا يدعى للحرب أن يصيحه ، ومن الغد أعلنت عن تأسيس الحزب بدلاغ نشرته جريدة (المغرب) . وبعد بضعة أيام أخرى طارداً مجمع المركز العام بناس في نفس المكان الذى سبق أن أقيمت الإدارة الفرنسية ، وبدأنا نقبل للمخرطين كالمادة ، ولكنا أدخلنا تعديلاً واحداً هو عدم إلزامهم بالقسم .

ولما كان من الضروري أن يعلن من هذا التأسيس الجديد فقد انتهزنا فرصة رجوع جلالة الملك من فرنسا في أواخر شهر إبريل لنذكور ، وبمنذنا إليه ببرقيات باسم (الحزب الوطنى) في سائر المملكة ونشرت البرقيات في الصحف .

حينئذ تحركات الإدارة للعمل ، وبث الجنرال بلان جاك الناحية القاسية
يستقدمي إليه .

وفي دار الناحية بفاس اجتمعت بالجنرال بمحضر الكولونيل نويل رئيس
الشئون السياسية بفاس ، وهشا (محط) المدينة السيد محمد النازي ، ورئيس قلم
الترجمة العام السلطان شاربوني . وقد استهل الجنرال الحديث قائلا :

« بمناسبة رجوع جلالة السلطان لعاصمة ملكه قرأنا في الصحف عدة
برقيات وجهت إليه بقصد التهينة من طرف (الحزب الوطني) ، ومن بينها
برقية باسم المركز العام للحزب بمضادة منكم ، ومعنى هذا أنكم أعدتم تأسيس
الحزب الممنوع » .

فأجبت مبينا أن (الحزب الوطني) شكليا ليس هو (كتلة العمل الوطني) ،
وأن قرار المنع الصادر لا يمكن أن ينطبق على ما أسماه من بعده .

فقال : « ولكن المركز الذي كان للكتلة هو نفس المركز الذي وضع
فيه الحزب ، ورئيس الكتلة هو رئيس الحزب ، وأصارها هم أنصاره ،
غاي فرق هناك ؟ » .

قلت له : « إن المركز والرئيس والأنصار — كل ذلك لا يميز شيئا من
حقيقة واحدة ، وهي أن الحزب الجديد يحمل اسم (الحزب الوطني) ، بينما كان
الآخر يحمل اسم (كتلة العمل الوطني) ، وبين التسميتين فرق كبير ، وعلى
كل حال فقد حاولنا الاتصال بالجنرال نوجيس لتتفق تسمية على هذا التأسيس ،
وايكن رئيس ديوانه مطلب مد أن تقدم مشروعاً لها نحن أولاء تقدم مشروع
الحزب الوطني بمركزه وفروعه ، وإذا كانت لكم عليه ملاحظة فإني مستعد
لدراستها » .

فقال الجنرال : « إن هذا ليس بمشروع ، ولكنه استئناف شيء ممنوع »
قلت له : « كلا . . . لقد قدما قرار المنع من تلقاء أنفسنا ، وهذا

عمل جديد » .

قالت : « وأي فرق بين ما كان وبين ما علمتم اليوم ؟ »
قلت : « لا تنسوا — يا سعادة الجنرال — أن ثمة فرقاً كبيراً ، هو عدم وجود القسم في انخراطات الحزب الوطني ، ألم يكن القسم هو ما برزتم به مع الكتلة ؟ »

قالت : « الحق أنني لا أرى في ذلك فرقاً كبيراً »
قلت : « بلى » . . . والتفت إلى السكولونيل نوبل وسألته : « ألم تعتبروا القسم شيئاً كبيراً عند اتخاذكم قرار للمع ؟ »
قال السكولونيل : « بلى وإن القسم لفرق كبير كما قلتم ، إلا أنه لا يكفي »
وقال الجنرال : « إن كرامة الدولة الآن ممسوسة ، لأن الجمهور يرى أمرها قد خرق دون أن تقوم هي بعمل ما ، ولذلك يجب إقتال المركز الجديد ، وأنا كما تعلمون قائد عسكري ، لا أعرف إلا تنفيذ الأوامر الصادرة إلى من الرباط »

قلت له : « صحيح أنك عسكري ، ولكنكم في الوقت نفسه رئيس ناحية مهمة ، أوجب أن تنبهوا الإقامة العامة إلى أننا لن نقبل هذه المأزاة إقتال المركز دون أن نقابله بما يستحقه من مظاهرات سنؤدي دعماً إلى اضطراب الأمن العام ، وأما إذا كان مهمكم فقط مسألة الكرامة فأنا مستعد لتسوية أمرها إذا قبلتم اقتراحي »

قالت : « ما هو الاقتراح ؟ »
قلت له : « بما أنه يظهر لي أنكم تأثرتم بوجود مركز (الحزب الوطني) في عين الدار التي كانت مركزاً لاكتلة فأنا مستعد لنقل المركز لمكان آخر ، وفي هذا النقل كفاية لإظهار فرق جديد من شأنه أن يحفظ كرامة الدولة »
فساد الجو صمت خفيف ، ثم قال الجنرال : « إذن أستشير إدارة الشؤون السياسية في الرباط ، ولها وحدها حق الفصل في الموضوع »
تلفن الجنرال في الحين للرباط ؟ فأجابوه بطلب الإمهال ساعة ريثما يتداولون .

في الموضوع ، وبعد نحو الساعة والنصف دق التليفون ، وإذا بالإقامة العامة توافق على حل المشكلة بمقتضى اقتراحى ، أى نقل المركز إلى مكان آخر كشرط لاعتراف الإدارة بالحزب الوطنى وحركها له .

لقد رويت ملخص الحديث الذى دار بينى وبين الجنرال بلان ليطالع القارئ على لون من ألوان السياسة التى تسير فى بلادنا ، ولينهم من خلاله شكل التراوح الموجود فى العلاقة بين الممارية وبين الفرنسيين ، ونحن فى الحقيقة كنا قد فهمنا أن الإقامة لا يمكنها أن تترك الحزب دون عمل ما ، ولو من أجل المبدأ ، كما يقولون ، لذلك اتفقتنا على تغيير المسكان ، ولم أذهب عند الجنرال إلا بعد أن هيأنا الحل الذى سلتنقل إليه ، وفى هذا العمل ما يدل على فهمنا انقضية الفرنسيين ومعرفتنا لما أسميه دائماً بالملفسة الفرنسية .

استأنف الحزب الوطنى أعماله محضناً كل أعضاء الكتلة السابقة وأمارها ومجدداً فى قبول المتخرفطين وتأسيس لقروع والشعب فى سائر الوادى والخواضر واستمرت جريدة (الأطلس) برئاسة صديقنا محمد اليزيدى أهم جرائده ولسان حاله الرسمى ، وأصدر عدة جرائد بالفرنسية مرعان ما كانت الإقامة العامة تقفلها بالتوالى ، وقد جعل من (مطالب الشعب المغربى) برنامجاً الذى يدافع عنه والغاية الأولى له ، وإذن فقد كان الحزب الذى يجهاد من أجل الاستقلال أولاً والإصلاح والتجديد ثانياً ، ولكنه استمر فى سياسة (الكتلة) التى كانت تقبل الوصول للاستقلال عن طريق تطويق معاهدة الحماية أولاً ، أو ما نسميه بسياسة المراحل التى ظهر لنا بعد حقها وتضييعنا للوقت فى المطالبة بها ، وربما كان من الضرورى أن تمر حركتنا بهذه التجربة التى عرفتنا عقابية المستعمرين وعدم استعدادهم لأى تقام ما دما يستطيعون المطالبة وكسب الوقت لاستمرار ما كان على ما كان .

جهااد الحزب الوطني :

ولكن المظهر العظيم الذي ظهر به الحزب الوطني هو جهاده المستميت من أجل الحريات الديمقراطية ، وكفاحه في صيقل الدفاع عن الطبقات المستغنىة من الشعب ، وقيمه في أنه لم يحصر عمله في الدفاع السياسي ، بل بذل جهوداً حثيثة في تنظيم الجمهور وتربيته ، وتوجيه الجماعة المغربية نحو الحياة الحرة وقد كانت الأسس التي بنى عليها عمله التجديدي والتحديثي هي :

١ - المغرب يطور نفسه كدولة مستقلة بالاعتماد على نفسه :

تجديد الأنظمة السياسية والاقتصادية لا يمكن أن يتنافى مع الأصول الدينية ، أي أن الإسلام يخاطب الفرد لا سيما كمصطفى جماعة ، ولهذا فهو مهم بما تحتاج إليه الحياة وسط الجماعة التي أثقلت الأجيال بأنواع من الجلود يجب أن يتحرر منها ، وعليه ففصل السلطات ، ومشاركة الشعب في تدبير مصالح الدولة والانتخابات ، والمساواة في الحقوق والواجبات الخ ... كلها مبادئ ليست جديدة بالنسبة للمسلمين ، بل هي عقائد جاء بها القرآن وأكثرتها السنة .

٢ - المغرب مستقل بالنظام الملكي :

لم يعرف المغرب مدة أربعة عشر قرناً شكلاً للحكم غير الملكية ، فالعرش متى رمز وحدته ودليل ماضيه ، والذي سيكون في المستقبل عامل التوازن الاجتماعي فيه ، ولكن هذا لا يعني أبداً أن الملكية لا تتطور إلى شكل دستوري على غرار ما يجري في إنجلترا أو في بعض البلدان الإسلامية اليوم . وهكذا أصبحت الوطنية المغربية مجسدة في عقيدة دينية ، هي تحرير المغرب في دائرة دينه ، ومع الإخلاص لمرثته الجيد ، ونشر هذه المبادئ التي لم تكن إلا تسييراً عما يجيش بأفكار الشعب كله فقد نظمت عدة دروس شعبية

ومحاضرات عامة في المدارس والمساجد والاجتماعات الخاصة كنت أشرف عليها
بنفسي ، وأشارك فيها بما أستطيعه من كنية وإلقاء ، وهكذا حصل (الحزب
الوطني) على فوز باهر وشعبية أخافت المستعمرين في كل جهات البلاد .
وسار الحزب الوطني في تنظيمه على فرار المشروع الذي وضعناه للكتلة ،
فكانت له لجنة تنفيذية ، ومجلس وطني ، وفروع ، وشعب ، وخلايا ، ولجنة
التنفيذية عدة لجان فنية تقوم بالدروس والإشراف على تنفيذ الأفراد الموكلة
إليها ، وهذه اللجان الفنية فروع في جانب كل مكاتب الفروع تأتمر بأمر
اللجان المركزية تحت إشراف مكتب الفروع ومن أهم هذه اللجان :

- ١ - لجنة لتعليم .
- ٢ - لجنة الإصلاح الديني والاجتماعي .
- ٣ - لجنة الإغاثة الوطنية .
- ٤ - لجنة التقويم الخلقى .
- ٥ - لجنة الصحافة .
- ٦ - لجنة الدعاية والنشر .
- ٧ - لجنة الشباب الوطني .
- ٨ - لجنة حماية فلسطين والأماكن المقدسة .
- ٩ - لجنة الشؤون الاقتصادية .

وقد قامت كل واحدة من هذه اللجان بما يجب عليها في المدة القصيرة التي
أعمل فيها (الحزب الوطني) ، وكنا نرى قبل كل شيء هذه اللجان إلى تكوين
اختصاصيين في فروع النشاط الوطني ينسب لهم أن يواجهوا الموضوعات التي
تعرض لهم عن معرفة واستحقاق ، كما كنا نرى إلى فسح المجال للشباب العامل
المتدرب لينسب له أن يجد ميادين يبدل فيها نشاطه وينمي فيها استبداده ، وأيضاً
جائني كنت أرى - وما أزال أعتقد ذلك - أن جزئنا يجب أن يسانق كل
كل شيء في البلاد ليتمكن له أن يسير الأمة في الاتجاه الصحيح الذي يراه ،

وأن يهيئ وسائل التحقيق ونابجه الوطني بعد الاستقلال دون أن يجد من
الجهود معارضة أو مقاومة لأنه سيكون حينئذ قد هيء وأنضج .

وقد أسست لجنة التعليم عدة مدارس في المدن والقرى برغم الصعوبات التي
تعرض عادة في تأسيس مثل هذه المدارس ، كما عملت بمختلف جهودها على
تنظيم القرويين تنظيمًا صحيحًا وحشد طلبتها في صعيد واحد لمقاومة كل تيار يضر
بالروح التقدمية في الجامعة الدينية العتيقة ، واستطاعت كذلك أن تبذل جهوداً
جهرية في تكوين بعض للمعاهد الدينية في وجدة وفضالة مثلاً ، أو بعضها من سرقتها
كما قامت بدعوة واسعة النطاق لتعليم البنات وتمهيزهن ، ودعت كذلك لتوجيه
بنات مصر والمغرب ، وذلك بالوسط لدى الآباء والاستجداء بالأغنياء وإقناع
الطلبة الأذكى ، وساعدت جمعية طلبة شمال أفريقيا المسلمين بفولسا على السير
في مجهودها مادياً وأدبياً ، كما ساعدت على تنظيم مؤتمرها وانتعاده مراراً ، وعملت
على تأسيس بعض جمعيات قدامى التلاميذ بالمدارس العربية الفرنسية وبالقرويين
ولكن الحمية كانت ترفض الطلبات المقدمة بها ، وأرادت لجنة التعليم أن تؤسس
(جمعية أسدقاء الطلبة) عدت لذلك وجمعت المهتمين بالتعليم ووضعت البرنامج
وبدأت العمل ، ولكن الحمية أوقفت عملهم ، ورفضت الإذن لهم بالجمعية ،
واهتمت بمحو الأمية اهتماماً لا نظير له ، ففتحت الدروس الليلية في مختلف
الأوساط ، خاصة بفاس ومراكش حيث بلغت هذه الدروس درجة عليها في
عدد المتربين عليها ، واستخدمت من أبناء المدارس البربرية أراداً كانت
تطعمهم العربية وقراتها المتنوعة عنهم في مدارس السيادة البربرية ، وأثبت
الرأي العام للدفاع عن الطلبة الذين اضطهدوا بالحجرات وغيرها في سبتمبر .
سنة ١٩٣٧ كما ألقت طلبة القرويين الاضراب للدفاع عن مطالبهم الحيوية ،
وأسست للطلبة دوراً يجتمعون بها للمعاصرة والمذاكرة بفاس والرباط وسلا ووجدة
وغربها من المحلات كانت تجمع بين طلبة المعارف القديمة وطلبة المدارس العربية
الفرنسية الذين يتبادلون الرأي والمشورة ، ويكمل بعضهم الآخر فيما ينقصه من

معرفة أو تدريب .

وراصات لجنة الإصلاح الديني والاجتماعي العمل لتثبيت دعائم السلفية ومقاومة أدهياء التصوف ، ونزع الخرافات من الأذهان ، وشككت لجنة تابعة لها لتنظيم الوعظ الديني والدعوة للإصلاح ؛ فوضعت خطباً عصرية ، وسعت لتعيين بعض المنحدرين من الشباب المصلح لقول مناصب دينية ، واهتمت بجبهات المحافظين على القرآن الكريم ، بلجمت أشقاتهم ، في ألقابهم منهم لجانا منظمة تركز كلها في يد (لجنة الإصلاح الديني) . وهدت إلى التوجه إلى المساجد ، وحدثت القراءة بصوت واحد في المساجد ، ودعت إلى التوجه إلى المساجد ، وأنشأت عدة خزائن ممتلئة بالمصاحف في كل مكان ، وقد كان لها دور كبير في الدعاية لنشر المذكرة الوطنية وإعلاء سمعة الوطنيين في وسطنا المؤمن بالله . قامت بالدعوة لعصيان حالة العائلة ومقاومة عادة التمسري ، وإذاعة مقالات ومحاضرات عن معنى الاطمئنان الزوجي بالانسان ، ونشرت بعض الرسائل التي تدعو لارحوع للسلفية الأولى ، أو تهدي إلى اتباع روح التربية العصرية في العقل والبدن .

وأدخلت تحسينات على نظام احتفالات الرسمية وغيرها في الموعد النبوي ؛ فأصبحت موجهة توجيهاً صحيحاً تابق هذه الذكرى العظيمة وصاحبها الأكبر ، وأسست حفلات الهجرة النبوية وعظائرها ، ونشرت لأناشيد الدينية التي تتفق مع حاجة الوقت وروحه ، وسعت للتخفيف من كثير من المظاهر المنافية للدين والتي كانت تقع بمناسبة ذكريات نبوية كتقديم النعائر وأنواع الهدى بأشرطة بعض الصالحين ، وقد وجهت الأمة في ذلك توجيهاً صحيحاً يحفظ في نفسها روح الاحترام لذكرى أبطالها وأوليائها في الوقت الذي يمررها مما التصق بها من خرافات وأوهام .

وفي الدعاية الاجتماعية جاهدت اللجنة جهاد الأبطال لتمتيع المسلمة

ببعض الحقوق الضرورية ، وحصر العمل في ثمان ساعات ورفع أجورهم ، ودعت

دعوة قوية لتأسيس يوم العملة الأسبوعية رغم المراقيل التي وجدت لها من
الحكومة ومن الجامدين ، وقد نجحت في جعل مدينة طاس وبعض المدن
الأخرى تنقل كلها يوم الجمعة عن شهود بروح التضامن وإيمان بضرورة
التنظيم الاجتماعي .

وقد حملنا كل ما نستطيع لتكوين حركة نقابية بالمعنى الصحيح للكلمة ،
وعلابي العملة دعوتنا وأخطوا بما عذرنا في سبيل حقوقهم بالمطالبة تارة
والتظاهر حيناً والإضراب آتية ، ولكن السلطة كانت تتولى قمعهم في كل
الأوقات دون أن تسمح لهم بالدفاع عن مصالحهم أو تتولى هي الدفاع عنها ، وقد
توصل العمال الفرنسيون بالمغرب للحصول على حق تأسيس فروع الاتحاد النقابي
الفرنسي ، ولم تسمح الإدارة المغربية بهذا الحق ولا تزال معصرة على منهم منه
إلى اليوم ، فوجد العملة المغربية أنفسهم ووجدنا معهم في كفاح مزدوج : هو
مقاومة المنع الحكومي للحق النقابي المغربية في الوقت الذي تقدم فيه تأسيس
نقابة أجنبية في البلاد تريد أن تجمع في دائرتها كل العملة المغربية ، وتنظمهم
وتعبرهم لخدمة أغراض غير أغراضنا ، ومصالح ليست في كل حين هي عين
مصالحنا ، ولذلك قد جرت بيننا وبين وابل س . ج . ط . الفرنسية مشادة
عنيفة ، ومناقشة قوية للحيلولة بينهم وبين جلب العمال المغربية لمنظمتهم ،
ولكنهم في الحقيقة كانوا مؤيدين بصفة غير مقصودة من طرف الإقامة العامة
التي كانت تصمد لكل مطالباتنا بالحق النقابي في الوقت الذي تعترف لنا بأنه
لاحق للفرنسيين بأن يقبلوا المغربية في النقابة الفرنسية ، وأن المعارضة الحق في
أن يطالبوا بتأسيس نقاباتهم القومية ، ولكن اعتبارات سياسية تحمل الإقامة
« بزعمها » سرغمة على تأخير الاعتراف بهذا الحق

وكانت وجهة نظرنا أن العملة المغربية والعملة الموجودين في المغرب يجب أن
يؤسسوا نقابات مصرية تتجمع كلها ضمن اتحاد مغربي خاص على غرار الاتحاد
النقابي الفرنسي ، ولكنه ليس جراً منه ، ويمكن للاتحاد المغربي أن ينظم

بأنفسه للاتحاد الدولي العام كما ينضم إليه الاتحاد الفرنسي ، ويجب أن يكون
الاتحاد المغربي بعيداً عن المناقشات الدينية والسياسية كي ينفى لجميع الأيدي
المائلة الاشتراك فيه والارتباط برابطة واحدة هي رابطة الشغل ، أما الفرنسيون
فكانوا يريدون تقوية أعضاء الاتحاد الفرنسي للشغل الذي يسيطر عليه
اليساريون ليتمكنوا من استعمال العملة المخاربة ~~للدفع بها~~ ~~للمصارف~~ له اليساريون
في فرنسا ، مع أنه ليس من المقبول أن يصدر ليون ~~للمصارف~~ أوامر
ناجمة عن اعتبارات محلية ويتفذاها المخاربة في بلادهم التي كانت من فرنسا
ويجب أن تظل بعيدة عن التأثير بالعوامل الداخلية الفرنسية ~~التي كانت من فرنسا~~
الحكومة في مقاومتنا حاولنا أن نوضح النقابات بتأسيس جمعيات ~~للمصارف~~
لعمال المخاربة ، فشكلنا عدة جمعيات للمراقبين المخاربة ولبعض المهن ~~التي كانت من فرنسا~~
ولكن الجواب كان الرفض الدائم ، فبقينا نعمل رغم ذلك في شكل لجان
غير معترف بها كل منها هو تأييد العمال ودفعهم للمطالبة بحقوقهم ، ونوجيههم
في ذلك التوجيه الصحيح ، وصري من بعد أن الحق النقي ما يزال سرفوحاً
إلى اليوم في المغرب الأقصى .

ولطرت حالة الصناعة المغربية فأبنت رجالها ودمتهم لخلق روح تعاونية
بينهم ، ودافعت عن مصالحهم دفاعاً قوياً ، وهيأت لهم أسباب تجديد منظماتهم
وحق اختيار أمنائها ، وسهلت لهم كل الأساليب التي مكنتهم من رفع صوتهم
حالياً ، وقد كنت رفعت باسمها تقرراً للحكومة يبين الشكل الذي يجب أن
ينظم به التعاون الصناعي لإنعاش الصناعة المغربية وتطورها ، وقررت بين
ما يجب أن يكون عليه تنظيم العملة في المعامل الكبرى وبين ما يجب أن يكون
عليه حال صغار الصناع التقليدي ، وبألجنة تقدمت لثاية واحدة هي التقليل
من الفروق بين الطبقات لتقصاء عنها نهائياً .

وقد بذلت اللجنة جهوداً جبارة للعمل على إقرار الملك العائلي الذي لا يقل
التصويت ، وحماية الملاحين من عبث القواد والمراقبين وأدعياء الطرق والمرايين .

وكانت في البلاد أزمة خائفة نشأت عن بؤس الفلاحين والصناع وكساد التجارة ، وزادها استفحالا الوبس الذي أصاب البلاد في سنة ١٩٣٦ وما بعدها ؛
 قامت لجنة الإغاثة الوطنية بتوجيه العاملين لتشكيل اللجان والجمعيات والهيئات المتعددة لإطعام الجائعين وإيواء اللاجئين ، وقد كان مركز اللجنة بفاس يقدم ٣٥٠٠ أكلة في اليوم ، وهكذا غيره من الفروع التي أُنشئت في سائر أنحاء المملكة وكانت تؤيدها خطب الزعماء ومقالات الكتاب التي تنشرها (الأطلس) عن حالة البؤس المغربي ، فتوجه فطر الشعب والإدارة لمطورة الحال ، ولم تكن هذه الإسعافات التي هي محض صدقة وإحسان ، التي تمال تأييد الحماية أو غض النظر عنها ، بل لقد كانت نجد في مقاومتها الفعالة التي طالما حالت بينها وبين قيامها بمهمتها . واقد تعاونت لجنة الإصلاح الديني والاجتماعي ولجنة الإغاثة على القيام بأعمال جبارة ، وتوسيعات صحيحة ، وتناولت مسائل كبرى كقائمة (مدن للتقدير) والدعوة إلى تعويضها بمحارات جديدة ، ودعوة الأجنبياء لبناء مساكن رخيصة لإيجارها للفقراء ، والمطالبة بإسقاط الضرائب المفروضة على المواطنين ، وتأسيس مراكز لتثقيفهم وغير ذلك من الأعمال التي لا يمكننا حصرها ، كما تناولت المسائل البسيطة كطبائخ ختان أبناء الفقراء ، وتحسين حالة الحمامات العمومية وغيرها ، وكانت للجنة الإغاثة مهمة أخرى تقوم بها في الظروف الحرجة ، وهي إسعاف عائلات المكويين في القضية الوطنية من مسجونين ومنفيين وأيامي ، وقد استمرت في عملها بعد اعتقالنا فأدت للحركة خدمة عظيمة لا يمكن أن ننسى .

وأما لجنة التثقيف التي قد كانت مشكلة من طلبة القرويين وتلامذة المدرسة الثانوية بفاس ، وكان لها مروع من طلبة المعاهد الدينية والمدنية بسائر المدن المغربية ، وكانت ترمي لمقاومة الأخلاق السيئة في وسط الشباب وغيره من أبناء الشعب ، وذلك بإقامة اجتماعات وإلقاء محاضرات ونشر مقالات تبين خطورة بعض الماديات الشائنة على الأخلاق القومية ، وأكثر من ذلك أن

شباب هذه اللجنة كانوا ينبشون في كل المجال العامة يلهون الناس للمدول عن شرب الخمر وتعاطي المخدرات ، ويعملون على إقتال الحانات في الأحياء الإسلامية وقد أدى عملهم إلى نتائج محسوسة في أنفسهم وفي غيرهم ؛ إذ أخذوا يشعرون بضرورة تحرير أنفسهم وتربيتها حتى يكونوا محصل القوة الصالحة لغيرهم ، في الوقت الذي استطاعوا أن يقنعوا الكثيرين رجال الشعب بضرورة المدول عن بعض الأفعال السافطة ، وأهم من ذلك أيضاً أنهم تعودوا على الانصال بصميم الشعب ودراسة أسواله وملاحظة أسراضه والبحث عن ما يحتاج إليه من عناية وإصلاح فاقنعوا بضرورة التفكير بالغير ، الأمر القبي كون منهم رجالاً يعملون اليوم في حقل (حزب الاستقلال) لفائدة البلاد وغيرها .

وقامت لجنة الصحافة بتركيز أعمال الصحف الوطنية وتوجيهها وتنسيق دعواتها ، والدفاع عن مصالحها وربطها بشيورها من الصحف الأجنبية ، والاهتمام بحالها ، وجمع المستندات وتنسيق المقامات التي تداول القضية المغربية من جميع جهاتها وقامت إلى جانبها لجنة الدعاية والاستخبارات بتوجيه عام لخدمات أنواع الدعاية الوطنية في الداخل والخارج ، وتحرير البلاغات الحربية ، ومقاومة الدعاية المعادية والكتابة عن حياة الحزب ، وتعميل أعماله ، وتحرير خططه ، وتنظيم المهرجانات العامة والخاصة ، ومؤتمرات الحزب وشبابه ، والإشراف على صناعة التشكيلات الحزبية والميئات التابعة لها والتجول بينها والحديث إلى أفرادها ، والاستخبار عن كل أعمال الإدارة ، مراكزها وفروعها ، والتحسن لوجهة نظرها في كل مسألة قائمة ، والبحث عن تيارات الآراء الشعبية والأجنبية ، وأثرها الموافق أو الماكس في الداخل ، وكانت تشرف على نشرات الحزب الخاصة (من غير الجرائد) وتحررها وتوجيهها ، ثم تطبعها وتوزيعها ، وقد تبين بعد التجربة أن لجنة الاستخبارات والدعاية قدمت للحزب الوطني خدمات جليلة يجب أن تذكر لرئيسها الأستاذ الحاشمي الفيلاحي بما تستحقه من تنويه وتقدير .

وقامت لجنة الشباب الوطني ببذل كل ما يمكن لتنظيم الشبيبة المغربية

ضمن فرق رياضية وجمعيات كشفية بعد أن لم تتمكن من تنظيمها ضمن مؤسسة خاصة أشبهية بالحرب كما كانت تريد ، لأن السلطة الفرنسية لم تسمح بذلك على عاداتها في الخيولة بيننا وبين كل عمل تقدمي ، على أن هذه الفرق الرياضية والكشفية نفسها لم تحظ قط بمصادقة الحكومة ، وإنا كنا نهرس صملا بتقديم مشروعات التأسيس للإدارة ، ونمضي في العمل منتظرين الجواب الذي يفي عادة شهرين حتى إذا انتهى جاء الرد التقليدي بالرفض ، فتشكل لجنة إدارية جديدة وتقدم مشروعاً جديداً واهماً جديداً ونمضي في خطتنا حتى يصل الجواب ، وهكذا دواليك . وبالرغم من ذلك فقد استطعنا أن نخلق في الشباب جو الحب للرياضة والتدريب عليها والتربي على مبادئ الكشفية الصحيحة . وقد استمرت هذه الحركة قائمة حتى انحلال (الحزب الوطني) الرسمي واعتقال زعمائه ، ثم بلغت منتهى الازدهار الآن في (حزب الاستقلال) على ما ينبغي ، ولكنها لم تحظ قط باعتراف رسمي ولا إباحة أكثر من غنى الطرف في بعض الأوقات ، مع استثناء المصاف الذي تغطي به من صاحب الجلالة راعي كل حركة إصلاحية وقامت اللجنة أيضاً بتأسيس جمعية الشبان المسلمين والهداية الإسلامية وهما من المنظمات التي منعتها الحماية الفرنسية منعاً باتاً .

وبذلك لجنة حماية فلسطين والأماكن المقدسة بمحوريات جارية في العمل لأشبه ما رأى العام المغربي بخطر الصهيونية على العروة كلها وإذاعة كل منشورات اللجنة العربية العليا وفتح المكتبات وبحث احتياجات والقيام بإحياء يوم فلسطين من كل سنة وغير ذلك من الأعمال التي كنا نشارك بها العالم العربي والإسلامي ، وقد استطعنا أن ننشر الدعاية ضداً على الصهيونية حتى في أوساط اليهود المتطرفة إلى حد أنهم أمضوا معاً وثيقة مشتركة وجهناها للخارجية الإنجليزية احتجاجاً على قرار اللجنة الملكية التي قررت تقسيم فلسطين ثلاث مناطق ، وكان ملائقاً الحصة في ذلك مع الاشتراكيين الفرنسيين أثرها في موقف فرنسا حين عرض قرار اللجنة المذكورة لدى جمعية الأمم ، فقد اتصلنا بالسيو

فيديو والمسيو دوتيسان في الموضوع ، كما اتصل بهما الأمير شكيب وأقنعهما
بضرورة اتخاذ سياسة فرنسية ترمي للتقارب مع العرب في صالح الطرفين .

وقامت لجنة الشؤون الاقتصادية بكتابة عدة مذكرات ورفضها للحكومة بما
يرجع المسائل المتعلقة بالسياسة المالية والفلاحية ، وعارضت جميعات النقاب الصغير
في الدفاع عن حقوق الدقاليين وتبرير مطالبهم في الصحافة وغيرها ، كما طالبت
بتأسيس معارض زراعية وصناعية ، ونشرت دعاية واسعة النطاق تحث فيها على
تأسيس الشركات والجمعيات التعاونية ، وهي وإن لم تنجح كثيراً بقدر ما نجحت
اليوم أخيراً في حزب الاستقلال فقد وضعت الاتجاه الصالح الذي تسير عليه اليوم .

ولما نريد أن نسجل هنا كل ما قامت به هذه اللجان وغيرها من اللجان
المؤقتة في بضعة أشهر ، فنحن لم نتكلم عن الحفلات الأدبية ورجالها ولا على
أحواق التمثيل والموسيقى وغيرها مما تأسس تحت عامل الحرب ونشيطه ، وإنما
نريد أن نصور بهذا العرض الموحز ضروباً من ألوان المقاومة التي نظمها شعب
يبحث رغبة في الحياة والتحرر ، وردود النفس التي قام بها نظام استعماري جبان
ومخيل ، وفي ذلك من المظة والاعتبار الشيء الكثير ، وعلى رأس هذه اللجنة
كانت تشرف اللجنة التنفيذية بالتوجيه والتدبير إلى جانب ما تقوم به من عمل
سياسي خطير ، وأمل أهم ما قامت به في هذا الميدان هو دعايتها القوية في الداخل
والخارج لعائدة برنامج الإصلاحات للفرنسية ، فقد استطاعت أن توحد من حوله
الامة كلها مسلميها ويهوديها ، واليهود بالمغرب لم يكونوا يميلون للحركات الوطنية
بل كانوا يتأثرون أثر يهودي الجزائر وتونس فيطالبون بالتجنيس أو بغير ذلك
من الاختصاصات التي تجعلهم خارج النطاق الأهلي وتحشروا في الاعتبار مع
الفرنسيين والأوروبيين ، فبذلت اللجنة التنفيذية جهوداً جبارة لإقناعهم
بأنهم مواطنون يجب ألا يسكروا في حل لمشاكلهم خارج الدائرة المغربية ، وقد
طلبت من اللورد لوكاش رئيس العصبة الدولية لمقاومة الحركات العدائية للساميين
والتي تضم أكثر من سبعمائة ألف عضو يهودي أو صديق لليهود أن يمتد مؤتمراً

لصيته بالمغرب الأقصى للدراسة حال اليهود انظاره وتقرير مصيرهم النهائي ،
وفعلا انعقد المؤتمر بالرباط وحضره عصبة ملاحظ عن حزبنا الأستاذ أحمد بلا فريج
والأستاذ محمد اليزيدي ، واتخذ المؤتمر قراراً يقضي بأن برنامج الإصلاحات
للغربية هو برنامج العصبة نفسها التي تطالب به الفائدة اليهود المعاربة ، وقرر
للوجودون هناك تحسكهم الدائم بجنسية البلاد ورعوية جلالة الملك وتأبيدهم
لمطالب الشعب العربي والحركة التي يقوم بها الحزب الوطني من أجل تحقيقها .
وفي الوقت نفسه حصلت على إقناع أحزاب الشمال هربنا اعتبرت من مطالب
الشعب العربي مطالب الطبقة المستضمة لعائدة العملة المعاربة ، وهكذا قرر ممثلو
الحريين الاشتراكي الفرنسي والشيوعي الفرنسي بالمغرب مصادقتهم على برنامجنا
وتأبيدهم لمطالبها ، ولما اجتمع المؤتمر الاشتراكي العام عمرسيليا في يولييه سنة ١٩٣٧
قدم له ميو شينيو تقريراً مستمداً كله من برنامجنا ، وقد حضر في هذا المؤتمر
بصفة ملاحظين صديقنا الحاج عمر عبد الجليل وصديقنا الحاج أحمد بلا فريج .
وأما الحزب الحر الدستوري وحزب الشعب الجزائري وجمعية العلماء المسلمين
وغيرهم فقد انعقد بيننا وبينها اتفاق متين وارتباط أكيد قوى تضامن الشمال
الأفريقي وتماضيه في مقاومة الاستعمار الأجنبي ، وأما معاصرة العالم العربي
والإسلامي فكانت لا تزدد إلا قوة بما تبديه من الاهتمام الزائد وبما كان يقوم به
الطلبة المغاربة في المشرق مع العون المعنوي الذي أسداه لحركتهما صاحب العظيمة
الأمير شكيب أرسلان رحمه الله وأصدقائه الميامين أمثال الأستاذ محمد علي الصاغر
الذي وقف بمر بدته «الشورى» أولاً «والشباب» ثانياً على بشر فطائع للمستعمرين
وفضائل رجال الحركة العربية المخلصين .

وللحزب الوطني مواقفه الحازمة في مقاومة الرجعية الحاكمة وتأبيد الحريات
اسامة وحشد الشعب للدفاع عنها ، وقد كان في مقدمة الحملات التي نظمها حملته
على القواد الكبار الذين سغروا أنفسهم بخدمة الاستعمار وتأبيد رجاله وتسييف
مفرداته وأعماله ، وأمل أحط ما قام به في ذلك كفاحه المستميت لأمنا الجلاوي

ونصرفاته في الجنوب ؛ تلك لمقاومة التي حررت سكان المدينة المركشية من
حرية لدور التي كان يفرحها عليهم الجلاوي أمداً طويلاً ، وحتمهم من مدينة
التي التي انفق الجلاوي مع بعض الشركات الأجنبية على تأسيسها ، وبشت
في نفوسهم الشعور بالمرّة والإحساس بالكرامة ، وأعطتهم الفرصة التي يخرجون بها
من دور خائف وحكم خائف ، وأرتهم كيف يجب أن يحاسب الشعب للتصرفين
في أعماله حين مددت بالثأين على الجمعية الخيرية والشئون البلدية . وقد بذل
إحواسا رجال الجنوب مجهوداً جباراً في خدمة مبادئ الحزب والدفاع عن الطبقة
المستضعفة التي استعبدها كبرؤها وأذلها حكامها ، ومن الحق أن نقول هنا بموقف
صديقنا الأستاذ المختار السوسي والبطل الرخوم السيد محمد الملاح دون أنفي فهي
فصل العاملين الكبارين الأستاذ عبد الله إبراهيم وعبد القادر حسن ، ولما
حاولنا تسجيل كل عمل جليل قامت به حركتنا في هذه للرحلة لاحتجنا إلى
وقت طويل وتدقيق لا نملك من ومثله اليوم إلا البسر ، ولكن لا يمكن أن
نقص عن ذكر بعض الأحداث الهامة التي تدل على ما يشايرها وتعرف بالروح
الوثابة التي كانت تملأ نفوسنا . وسنقتصر على ثلاث نقط أساسية ، هي الدفاع
عن الفلاح ، ومقاومة اليأس والدفاع عن الدين

الدفاع عن الفلاح :

وقد نجلى علينا في سبيل الفلاح بمظاهر مختلفة أشرفها لبعضها حين سجدنا
عمل الإصلاح الديني والاجتماعي ، ومنها دفاعنا عن أراضيهم ومقاومة مبدأ نزع
الملكية لمصلحة الاستثمار ، وقد وصلنا إلى تسخيع الظهير (المرسوم) الذي يمتنعها
عن للمصالح العامة ، ووقف الحزب الوطني موقفاً عظيماً بدفاعه المستميت عن
للسائتي ألف هكتار من أراضي تادلة التي كان مقرراً نزعها منذ أمد طويل ،
ثم قاومت ذلك حركتنا فتأخر التنفيذ ، وحاول الجنرال توجيس أن يعاود
تنفيذ المشروع فجند الحزب الوطني القبيلة كلها للدفاع عن حقها ، وأيدها واصل

عن مبدأ حرية التملك الشرعي ، وانتهى الأمر إلى اعتقالات كثيرة للوطنيين
التداعيين ، ولكن مشروع الإقامة أوقف ووزعت بعض الأوراق على الفلاحين
المعاربة فضلا . . .

وحاول المستعمرون أن يستبدوا بوادي إيمور بنواحي سراكش في سنة لم
ينزل بها لخطر الكافي ، فاشتكت القبيلة دون أن يسمع لها شكوى ، ولكن
الحركة الوطنية تقدمت للدفاع عن حقها ونظامت لها مظاهرة عظيمة احتشد فيها
أعيان القبيلة ووجهاتها بدار الناحية ، ورغما عن كل المحاولات التي قام بها
الجلالوي والجنرال دولوستال للتصامن مع المستعمرين فقد صممت القبيلة على نيل
حقها ولو بالاستماتة في سبيلها ، وقد انتهى الأمر بإرضاء سبي لايت إيمور يضمن لها
سقي أراضيها من الوادي ويترك بعض أيام الأسبوع لسقي أراضي المستعمرين .
وكثر استبداد الإدارة بقبيلة بني يارعة من أحواز مدينة صفرو بناحية فاس
واستطاع بعض المستعمرين وبعض أعيان اليهود أن يستولوا على الوادي الذي يسقي
القبيلة كلها من أعلاه ، فأخذوا يقبضونه عن القبيلة كلما شاءوا ، وكان في القبيلة
فرع قوى للحزب الوطني يبدى معارضة كبيرة لقائدها البرغي الذي كان أداة
مستخرة للاستعمار ، معظم على الجنرال بلان حاكم الناحية الفاسية أن يرى الوطنية
تستكسح بوادي الغرب كما حمت مدنه ، فتارم الوطنيين بمختلف الأشكال ،
ومن جعلها منعم من السقي ، ونفذ للمستعمرين رغبة الجنرال واشتكي الفلاحون .
لدى المراقبة طردوا من أبوابها وبشوا وفداً للإقامة العسامة يشرح مظلمتهم
فبكان حظهم الاعتقال بعد الزرع ، ووقعت مظاهرة من إخوانهم بدار
المراقبة بصفرو شتمها البوليس ، ثم قرر الفرع الوطني القيام بمصيان مدني ضد
أراسر الإدارة وأداءاتها ، واستدعت المراقبة رجال الفرع فرفضوا تلبية الدعوة ،
فتوجه إليهم القائد محبة كوكبة من الحياطة فاعتصموا بيوتهم ، وأطلق القائد
النار على بعضهم بهاجوا وهجموا عليه ، وجرت معركة أسفرت عن جرح القائد
وبعض وجاله .

واهتم الجنرال بلان حاكم الناحية ، واهتم معه الجنرال نوجيس وأصدر
بصفته القائد لأهل الجيش أسره للفرقة الثامنة للفرسان بمدينة فاس أن توجه
لبنى يارعة وتم احم القبيلة التي ليس بيدها سلاح ، وذعب الفرسان وفعلا بالمخارطة
المرل مالا يتصور من أنواع الوحشية ؛ إذ قتلوا الرجال وقتلوا بالأعراس ،
ونهبوا اللواتي ، وكسروا حتى أثاث البيوت ، وأقامت الفرقة بالقبيلة عشرة أيام
تأخذ منها مؤناتها وتمتقل من سلم من القتل من أمراءها ، ولم رفضنا الاحتجاجات
الصارمة وطالبنا بإطلاق المعتقلين وأداء التعويض للقبيلة عما ضيحه الجنود من مالها
أصدر الجنرال تمويها عسكريا بما قامت به الفرقة الثامنة في بني يارعة من أعمال
تشكر عليها ؛ إذ كانت عنوان الطاعة ومثال الاحتفال !

وفي نهاية أغسطس سنة ١٩٣٧ ؛ أصدرت إدارة الأشغال التابعة للاقامة العامة
أمرا بتحويل ماء (أني فكران) وهو النهر الذي يروي مكناس وأرباضها بماء
السقي والشرب الكافي ، وقد حاولت الإدارة أن تحول كلة لمصلحة أربعة
مدرسين فرسيين ، وادعت أولا أن النهر ملك للدولة ، فأثبت الأهالي برسوم
قديمة تملك المكناسيين له ، وتقسيمه بين بساينهم ومنازلهم عقمى وفاق عرف
بينهم ، لمحاولات الإدارة اعتباره من أملاك الأوقاف الإسلامية التي قبلت أن تعوض
عنه من طرف بلدية مكناس بموضع تقدي ، ولكن المحكمة الشرعية التي نظرت
في رسوم الماء رفضت اعتباره وقفا ، فلم يبق إلا استعمال القوة في اغتصاب الحق
من ذويه ، وقد احتجبت المدينة سائر الأساليب السلمية ، وكنتنا في صف
(الأطلس) و (المغرب) و (العمل الشعبي) عدة مقالات توضح الحق وتطالب
الحماية بالإنصاف ، ولكن الحماية رفضت اعتبار مطالبنا أو قبول احتجاجاتنا .

وفي أول سبتمبر احتشد جمهور من المكناسيين لتسجيل تعرضهم على
مشروع تحويل الوادي بباب الإدارة البلدية ، فاعتقل المراقب المدني عددا من
الوطنيين ، وفي العدد وقعت مظاهرة أشد احتشاد فيها أكثر من عشرة آلاف
شخص ملابن تصاميمهم مع معتقلي الأمس ، ووقعت هتافات ضد الاستعمار

ومطالبة بإحلاء للمعمرين الملاحيين ، وقد أصدر الجنرال حاكم الساحية أمراً باستقدام جندل كبير من الفداف الأجنبي والفرنسيين ، فاستمر المظاهرون وأطلق الجيش عليهم الرصاص فقابلوه بالرعى بالحجارة ، وقتل ١٥ شخصاً من الماربة وجرح مائة من الدريقين ، واستمر انهياج والتظاهر ، وكنت حرائد (العمل الشعبي) و (الأطلس) و (المغرب) مقالات تطالب فيها بالبحث عن المسؤولين ومعاقبتهم ..

وفي القدر توجه وفد من الحزب الوطني لمقابلة مدير الشؤون السياسية الميسر سريكو ومطالبتة بإطلاق المعتقلين للسكنداسيين وترك الوادى لأصحابه ومعاقبة المسؤولين في إطلاق الرصاص على متظاهرين محتجين ، ورغم الجأمة التي أبدتها مسيو سيكو فإن موقف الإقامة لم يكن ريفاً ، ولذلك فقد وقعت يوم ٨ نوفمبر مظاهرة أخرى وإضراب عام بمدينة مكناس : الأمر الذي حل الجنرال فوجيس على التوجه بنفسه إلى المدينة ومقابلة ممثلى الحركة بها ورودهم بالنظر العاجل في قضية الماء .

وقد نظم (الحزب الوطني) مظاهرات تضامنية في سائر المغرب ، وأعلن الإضراب السكامل في سائر المدن المغربية لمدة يوم واحد احتجاجاً على سياسة القمع التي انتهتها الإقامة ، كما نظم صلوات عامة في مساحد المغرب ترحماً على الشهداء ، وضاعت الصحف الوطنية حملتها ، فأوقفت الإقامة السامة حريدة (العمل الشعبي) وحجزت أعداداً من (الأطلس) و (المغرب) و بررت بالجو المتوتر ملصقا من عقد مؤتمر جمعة طلبة شمال أفريقيا المسلمين الذي كان موعد انعقاده بالمغرب هذه المرة أيضاً .

وحدث في المنطقة الحايكية أن حاولت بديلة تطوان الاستيلاء على حص غيرها لفائدة المعمرين أيضاً فاحتج ذور المصالح المغربية ، وأدى الأمر إلى اعتقال ثلاثة من الشباب الوطني ، منظم (حزب الإصلاح) مظاهرة كبيرة تراجعت أمامها الإقامة العامة الأسبانية ، وأصافت سراح الشان الثلاثة ، وأوقفت تنفيذ

القرار الصادر في شأن العين .

لقد كانت كل هذه الحوادث وأمثالها عنواناً على اهتمام الحركة الوطنية بالدفاع عن حقوق المخاربة أفراداً وجماعات ، وبالأخص على اهتمامها بالفلاحين الذين أصبحوا موطن استغلال الفرنسيين وأدناهم ، وهذه الحوادث المحلية ألزمت لإقامة العامة باعتبار ما كتبتناه في عدة مذكرات منذ عهد (الكتلة الوطنية) الأولى مطالبين باتخاذ سياسة مبنية تنظم الأنهار المغربية ونضع لها ما يلزم من السدود ، وترسم السواقي التي تنتشر كثيراً من الماء ، وقد بدأ الجنرال موجدس في تنفيذ هذه السياسة ، وراح تادئة في الجنوب ، ولكنها لحد الآن لم تؤت النتيجة المقصودة ، مع أنها هي الحل الوحيد الذي يصمن سقى الأراضي والخروج من حالات اليأس التي تطرأ على البلاد ، وبها من الماء ما يكفي ريشي

مقاومة البؤس :

لم يقف (الحرب الوطنية) عند العمل الإيجابي الذي قامت به لجنة الإغاثة لتأهية له ، ولكنها وإلى دفاعه من الموزين ، فكان لا يخلو عدد من (الأطلس) من مقالة في لبؤس المغرب وتبين أسبابه وضرورة الاهتمام به ، وكان الرأي الذي دأبنا عنه هو وجوب الاهتمام بالطبقات الفقيرة وتحسين حالها عن طريق إيجاد عمل لها أو تمتيعها بالملك السائل ، لأن الشعب لا يمكن أن يعيش على الصدقة والإحسان ، ولأن لكل واحد من أفراد الأمة الحق في الحصول على الأقل الحيوي ، والحكومة هي المسؤولة عن تهيئة الوسائل التي يستطيع بها الكل الحصول على هذا الأقل الحيوي عن طريقة شريفة تشعره بأنه إنسان محترم .

ولقد اشتدت وطأة البؤس في البلاد إلى حد أصبحت معه الإقامة العامة تشعر بالحجل وتخلف من اطلاع الرأي العام بفرنسا وغيرها على حقيقة الحال ، ولذلك لم يتأخر الحرب عن عشر صور متعددة عن حالة البؤساء ، ولما زار المسير رامادي وزير الأشغال العامة مدينة مراكش بحبة الجنرال جوان يوم ٢٤ سبتمبر

سنة ١٩٣٧ نظمت له الإقامة استقبالا باهرا أزيلت منه كل مظاهر البؤس التي مر بها ، واسكن فرع الحزب الوطني بالمدينة قام بعد العمل الفرنسي ، فحشد أكثر من خمسة آلاف من البائسين الجائعين المرأة نساء ورجالا وأطفالا هتفوا كلهم بسقوط نظام الحماية الذي أباسهم بانتزاع أراضيهم وتسليط أبناء الاستعمار عليهم ، وقد أحاطوا كلهم بالوزير الفرنسي الذي لم يجد محطاً إلا التماس صحة المقيم العام ، ولكن الجمهور تبسبه يجذبه من وراء ويطالبة بسباع حقيقة الحال من أبناء الشعب لا من الجلادى وأضرابه ، وقد ذهب مسيو رامادى بعد ما ترك في يد المظاهرين قطعاً من جيبته وسراويله ، ثم محمد وليم لقصر الحماية ، وسارت الجماهير هاتفة بسقوط الاستعمار الناشم ومطالبة بالتحرير والحرية ، واعتقلت السلطة في هذه الحادثة مئات المظاهرين .

وفي يوم ٢٦ سبتمبر استؤقت المظاهرات بمدينة مراکش بقيادة أعضاء فرع الحزب بالمدينة ، وسار فيها جمهور كبير من مختلف طبقات الأمة مسلمين تضامنهم مع أولئك البائسين فأطلق الجند الرصاص عليهم وحرق منهم العشرات واعتقل المئات ، كما قبض على خمسة من قادة الحزب بالجنوب ، ونقلوا للأشغال الشاقة بمدينة تارودانت ..

وقد عقد الحزب عدة مهرجانات تضامنية مع مكافئ مدينة مراکش من أهمها مهرجان الدار البيضاء الذي حشد آلاف المجتمعين ، وأقيمت فيه عدة خطاب ، ووجهت رقيات الاحتجاج للخرجية الفرنسية وللإقامة العامة ، وأقام المركز العام للحزب الوطني بمدينة فاس مؤتمراً أقيمت به خطبة ضافية ، وارتجل الأخ عمر عبد الجليل كلمة رائعة ، وشارك فيه ممثلون من جميع الجهات المغربية التي رفضت احتجاجها ضداً على سياسة الفرنسية والإفقار والتجهيل ، وعلى إثر المؤتمر وقعت مظاهرة سلمية كبيرة بالمدينة أعلن أصحابها تضامنهم مع إخوانهم بمدينة مراکش ، وقد حيزت (الأملس) و (الغرب) مرة أخرى من أجل مقالاتهما وأبناء المظاهرات التي أذاعتها .

الدفاع عنه الدين :

ولم يكلف الحزب بهذا النضال عن الحريات الإنسانية التي نحميها للفرد والجماعة الأمريكية ملكها وحققها في الكلام والنشكي ، بل وجه عمله لتقرير الحرية الدينية التي حاربت السياسة البربرية فصعها من المغاربة ، فلم تترك فرصة تمر إلا انتهزتها لمطالبة الإدارة بالمدول من خطتها ، وترك البربر المسلمين يستمعون بحريتهم الدينية ومساعدتهم على استمرار طغيانهم الروحي الذي لم يجدوه إلا في العقيدة الإسلامية ، وقد أرادت الحماية أن تقيم حجاباً رسمياً في مدينة (الخيسات) للقديسة سانت تيريز رعية العناية الكاثوليكية ، ومن المعلوم أن (الخيسات) مدينة بربرية ، وأن واضعي الظهير البربري قرروا أن تكون هي المركز الأول لتحقيق سياستهم التي شرحناها من قبل ، ومن المعلوم أنه لا يوجد بها حتى اليوم مسيحي واحد ، فمقدحج لكبيمتها التبشيرية لم يقصد به إلا إقامة مظاهرة من مظاهرات السياسة البربرية ، ولذلك احتج الحزب الوطني أمام الإقامة العامة برسالة رسمية ، وسكن المراقبة للمدينة المحلية زادت الطين بلة ، فتمت إقامة موسم إسلامي تعود أساتذة للدارس القرآنية بتسني زموور وزايمان أن يقوموه كل عام في شهر نوفمبر ، وبعد احتجاج الأساتذة صرح لهم المراقب الفرنسي بأنه لا يسمح لهم الاجتماع إلا إذا كانوا سيقنعون على مجرد النزهة دون أن يقرأوا القرآن بصوت واحد كما أنهم .

وإزاء هذا قرر فرع الحزب الوطني في الخيسات أن يقيم مظاهرة كبرى احتجاجاً على السياسة البربرية التي تعتبر هذه المظاهر من آثارها ، وقد احتشد آلاف المتظاهرين من قبيلة زموور بالمسجد الكبير بالمدينة ، وحطبت بهم رئيس الفرع السيد عبد الحميد الزموري من حريمجي مدرسة أزرو ، ثم سار الجمهور بعد الصلاة متظاهراً في شوارع المدينة البربرية ، فاستقدم المراقب الجيش من الرباط ، ووصل الجنرال نوحيس بنفسه بالطائرة ، واشتباك الجند مع المتظاهرين

قتل أفراد وسرح الكثيرون ، وألقي القبض على أعضاء مكتب الفرع ، وعلى مئات من رجال البربر ، ولكن وقع العدول عن مظاهره سائت تبرز على الشكل الذي أريد منها .

مهرجان ١٣ أكتوبر بفاس :

ومقابل المظاهرة التبشيرية التي دبرتها الإقامة أقام الوطنيون بمدينة فاس مهرجانات خارقة للعادة يوم ١٣ أكتوبر بمناسبة الموسم السنوي للمولى إدريس راعي المدينة ومجل إدريس الأكبر مؤسس أول دولة عربية إسلامية مستقلة بالمغرب ، وقام المجتمعون بالفريخ الإدريسي وغيره بصلوات تحم على أرواح الشهداء بمكاس والخميسات وبدى بارعة وغيرها ، وأعلن الكل أن مهمة الحركة الوطنية لم تعد مقاومة الغانيان الفرنسي والمطالبة بالحريات السياسية والاجتماعية فقط ، بل أصبحت تمتد إلى مقاومة التهجيات الأجنبية على الإسلام وتجهيد الدولة المغربية المستقلة التي أسسها المولى إدريس الأكبر .

وقد أرتوالى هذه الحوادث في نفس الجنرال نوجيس وموظفيه إلى حد فقدوا معه كل بداهة وتدير ، فاشتعلت مهاجمة الوطنيين في أنحاء البلاد وأصبح المراقبون المدنيون يقاسفون في اعتقال أفراد الحزب والمنخرطين به خاصة في الجبال البربرية التي لم يتحمل الفرنسيون أن يصبح سكانها منظمين ضمن حرب منبري مكين ، وقد اعتقل مدد كبير في (بنى مجيلد) و (آيت يوسى) وعذب مئات من الوطنيين في (بنى درين) ورغم ذلك فقد رفضوا إعطاء بطاقة تعلن خروجهم من الحزب الوطني ، ولم ينتصف شهراً كثيراً حتى كان المعتقلون يتجاوزون العشرة آلاف ، وصافت الحامية ذرها بالمصنف الوطنية ، وأكثر من حجز أعدادها ، وأخيراً قررت مع جريدة (الأطلس) لسان الحرب الوطني ، وفكرت في وضع رقابة على الصحف قبل طبعها ، فقررت الصحف الوطنية أن تحتجب تضامناً مع (الأطلس) وامتناعاً عن الصدور في عهد الرقابة .

المؤتمر العام للحزب الوطني

لم يعد من الممكن لقيادة الحزب الوطني أن تكتفى بتوجيه العاملين المخاربة في مختلف السواحى ، ولا أن تظل مكتوفة الأيدى إزاء الاعتداءات المدينة التى تصيب أوصار الحزب وأعضائه فى أقاصى المناطق المغربية ، لذلك قررت اللجنة التنفيذية للحزب أن تعقد مؤتمراً عاماً خارقاً للعادة لدراسة الموقف وإحصول على حق توجيه الحزب فى سياسة صريحة العداء للحماية ونصرفاتها ، وقملاً لسمعة المؤتمر بمدينة الرباط بمنزل الأستاذ أحمد الشرقاوى عضو المجلس الوطنى للحزب ورئيس مكتب المروع الرباطى مساء يوم ١٣ أكتوبر سنة ١٩٣٧ وقد فتحتته بخطاب شرحت فيه الحالة التى وصل إليها الاضطهاد الأجيبى فى المغرب ، وطلبت من المؤتمرين أن يدرسوا القضية المغربية على ضوء الحوادث القائمة ، ثم تكلم الأستاذ عمر عبد الحيل عضو اللجنة التنفيذية وبين حوامل استفعال الحركة الوطنية فى الظروف الجارية ، وبعد أن جرت مناقشات عديدة شارك فيها جميع المشين بحماس ونيقظ ألقى الأستاذ محمد البزىلى صيغة الميثاق الذى تطلب اللجنة التنفيذية أن يقره المؤتمر لتمكين من السير بالحركة الوطنية فى نهج المقاومة النعالة لسياسة الحماية الجائرة ، وقد وقعت المداولة العادية فى المشروع ، وأدخلت عليه التعديلات المطالبة ، ثم أقر على الصيغة النهائية الآتية :

مؤلفها من الأسفار

الميثاق الوطني

إن المؤتمرين المحتشمين بسلم الأخ السيد أحمد للشرقاوي بالرباط مساء يوم الأربعاء ٧ شعبان سنة ١٣٥٦ هـ الموافق ١٣ أكتوبر سنة ١٩٣٧ المثلين لقروع الحزب الوطني بأقاليم وجدة وتازة وبركان وفاس ومكناس ووزان وسيدي قاسم وسيدي يحيى والقيطرة وسلا والرباط والدار البيضاء والجديدة وآسفي والصويرة وسطا وسها كش نظراً للازمات الحادة وللعدوى التي تبتليها بلادنا المغربية في الوقت الحاضر والتي نتجت من سياسة الميز والإرهاق التي تديرها صهيها الإقامة العامة .

ونظراً لكون الحماية لم تحقق ما وعدت به في الكثير من المناسبات من تنفيذ مطالب المغرب المستمجة بالرغم مما تتطلبه حالة البلاد في ميادين الإسعاف والاجتماع والعدالة .

ونظراً لحادثة مكناس المؤلة التي أهرقت فيها دماء الشهداء الأحرار ودمى فيها الجمهور الأعزل بطلقات الرصاص واعتقل فيها العديد من الأبرياء ليعرضوا على المحاكم العسكرية ، والكل لجرد تضامنهم مع للسجونيين للقاومين لنزاع ملكية الماء .

ونظراً للاضطرابات التي تقوم بها السلطة في بوادي المغرب لكل من ينصى لحركتنا أو يتصل بنا حيث سجنتم للثأث وهذبتم أشد العذاب وأقتلهم بالحديد والأغلال وشردت (للداسر) وفوتت المقاربات والأمتعة .

ونظراً لكون الإدارة سلطت فريقاً من الجيش للنظم (الصهاينة الثامنة) على مدشر المطرنافة من (بنى بازغة) حيث أباحت لهم السبيل فارتكبوا أشنع النطائع من هدم النيام ونهب الأموال والأسام والفتك بالأعراض وتمذيب البراء

ونظراً لكون السلطة أطلقت اليد للبياز والجلادى وأهواتهما ليرهبوا
للراشدين فسبحوا ونقوا وهذبوا وكلموا واشكوا الحرمات فاعتدوا على
علماء الشريعة ورجال الدين وأقتلوا ديار الصناع والوطنيين بعدما طردوا سكانها
وبددوا أمتعتها وهجسوا على المدارس القرآنية فشرذوا تلاميذها ونفوا أساتذتها
وأهانوا الكتب والألواح والدفاتر ثم أقتلوها ، وصادروا الصحافة الوطنية وفرضوا
العقوبات والفرامات على من يقرأها .

وبما أن المسؤولين من الولاية سمحوا بأنظيم حج تبشيري لكنيسة سانت نيرير
بصفته قديسة البعثات التبشيرية بالقيسات ، ومنع الطلبة بآيت أوريل من
قبلة رمور من عقد موسمهم القرآنى السفوى إلا بشرط عدم قراءة القرآن وعدم
الدعاء لجلالة مولانا السلطان ، كما سمحوا من قبل بمنع الاحتفال بالمولد النبوى
بحرا كش مما يدل على أن روح السياسة البربرية ما تزال مسيطرة على إدارة الحماية .
ونظراً لنخيق الصحافة الغربية بالحجز والتعطيل والمراقبة .

ونظراً لرفض الطلبات الموجهة للحكومة فى شأن تأسيس جمعيات مختلفة .
ونظراً للاتهامات التى توجهها الصحف الاستعمارية للأجورة لحركتنا
وتصويرها بصورة مخالفة للواقع .

وبعد أن استمع المؤتمر لبيانات الحرب الوطنى بكل ما تقدم ، ودرسوا
الموقف من جميع وجوهه قرروا ما يأتى :

١ - يستنكر المؤتمر باسم الشعب الفرنسى جميع أنواع الاضطهادات
المقبحة بمكاس وسرا كش وبنى يازغة والبوداي الفرنجية ، ويحتجون على تلك
الأعمال الممجية التى تمثل روح الصور المظلمة ، وبطالبون بإطلاق سراح جميع
المعتقلين وإعطاء تعويضات عاجلة لسائر المنكوبين وطائلهم مما غصب منهم .

٢ - يحتج المؤتمر بصفة خاصة على مقاومة الصحافة الفرنسية ويقررون
محاربة كل التذابر والمحاولات المراد منها تطييب الصحف أو حجبها أو وضع مراقبة
عليها وبطالبون للصحافة الفرنسية بالحقوق التى تتمتع بها للصحافة الأجنبية بالمغرب

٣ - يستذكرون إصرار الإقامة على رفض السماح للمعارضة بتأسيس الجمعيات كما كانت فائتها .

٤ - يعتبر المؤتمر مسؤولية هذه السياسة ملقاة على الروح الرجعية التي تسيطر على دوائر الحياة والتي سبق لها أن أثارَت سخط المغرب والعالم الإسلامي في القضية للتربية .

٥ - يلزم المؤتمر بمقاومة هذه التصرفات الجائرة بكل الطرق المجدية للشريعة ، ويكفلون اختيار الوسائل والطرق للمسؤولين في الحزب الوطني .

٦ - يستذكرون كل التهم الباطلة والافتراءات المصطنعة التي تلاحقها الدوائر الرجعية والصحف الاستعمارية بحركتنا ، ويسنون أن حركتنا ليست لها صلة بأي عامل خارجي ، ولا تعتبر أبداً مسؤولة إلا عما يصدر من طرفها للمسؤولين في الحزب الوطني .

٧ - يقررون أن كل تقاض مع الحكومة لا يمكن إلا بعد التداول من خلق الحريات ولاصطفاوات وبعد تنفيذ مطالب المغرب المستعجلة ويعتبرون أن في رعاية حالة مولانا للمصور بالله لشعبه الكريم وفي عطف الآخرين من رجال الديمقراطية العرسية ما يسهل الوصول لذلك .

٨ - يماهد المؤتمر الله على تمييز محتويات هذا الميثاق ، ويعطون استمدادهم لتقديم التصحية اللازمة لذلك .

وإذن فقد قرر المؤتمر العمل المباشر لمقاومة سياسة الخنزال وجديس ولدهاع من حريات العربية ، وقد كانت الأجمة المتعيزية الأستاذ محمد اليربدي بتبليغ نص الميثاق للإقامة العامة ، فسلمه دافع لرئيس الديوان المدي مدير جاليا الذي طهر قلبه لمجرد قراءته ، وبعد ساعتين من استلامه للميثاق سار بالطيارة إلى باريس معروفاً من طرف المقيم العام ، كما كان قد سافر من قبل البشا الجلاوي للاشتراك مع الإقامة العامة لإقناع السلطات الفرنسية بخطر الحركة الوطنية

وهكذا استطاعت الرجعية الاقطاعية أن تتحد مع الاستعمار لمقاومة حركة
التجديد والتحرير الوطني ، وفي يوم العشرين من أكتوبر اتصل بي في قاس
الكومندان كوجي باسم الإقامة العامة وحاكم الناحية الناسية للبحث عن حل
أخير للمشكلة ، أو عبارة صحيحة للتهديد بقرب الفاجعة ، ولكنني رفضت أن
اجتمع به إلا في مكتبه ، وقبل ذلك واجتمعنا أولاً مع حضر أحد أعوان الإدارة
عبد الجليل الوزاني الذي كان يظن كوجي أن حضوره سيكون شاهداً مدلاً
على أن الحماية قد بذلت كل جهودها لإرضائنا قبل أن تأخذ قرارها النهائي
للإبعاد ، غير أنني لم أكن في جو يسمح لي بقبول أدنى ملاطفة أو تصنع ،
ولذلك فإن حديثي معه كان كله حديث الصرامة والفضب والانتهاكات للإقامة
العامة والحماية والاستنكار لأعمالها ضد الدين وضد الوطن والإنسانية .

وفي يوم ٢٥ أكتوبر أصدر المقيم العام قراراً بإلقاء القبض على وعلى
الأستاذة محمد اليربدي وهر عبد الجليل وأحمد مكار .

وقد التقينا في مدينة (ميدلت) حيث بقنا جميعاً ، ثم تقلنا في الصباح
قصر السوق ووضعنا في خلايا مقفلة بالحصن العسكري تحت حراسة
الجنود الفرنسيين .

وفي يوم ٣ نوفمبر نقلت في طائرة خاصة من (قصر السوق) إلى الصحراء ،
ومنها إلى الجارون في أفريقيا الاستوائية على ما سأبينه بعد ، ونقل إخواني
الأخرون إلى مراكز مختلفة في الصحراء المغربية .

الثورة الوطنية

وقد كان لهذا العمل الظالم رد فعل قوى فى نفوس المغاربة جميعاً ، فما علم الناس بخبر اعتقاله حتى قامت مظاهرات كبيرة فى سائر المدن والقرى المغربية من مراكش إلى وجدة ، وكان للمتظاهرون يهربون بكل ما يستطيعون من قوة وحس من تضامنهم مع قادة الحرب المتفليين ، وبطلانهم بالحقائق التى اعتقلوا من أجلها ، وقد اعتقلت السلطة فى كل الجهات مئات المتظاهرين ، ووقع اعتقالهم عنيف فى (القنيطرة) يوم ٢٧ أكتوبر أثناء التظاهر بين الوطنيين واليهوديين أدى إلى موت ١٤ شخصاً وجرح عشرات من المغاربة ، وقد اعتقل إثر ذلك رئيس مكتب الفرع بالقنيطرة صديقاً السيد محمد الديورى وحكم عليه بالسجن سنتين ، ووقع بعد ذلك إصراب عنيف ونظاهرة مستمرة ، كما وقع سب لم يعرف أصحابه لمستودع السلاح بالمدينة قدر بخسائر فادحة .

وفى فاس عاصمة المغرب الفكرية ومقر المركز العام للحزب الوطنى كان التظاهر على أشد ما يتصور ، فصدرت أوامر القيادة العليا العسكرية للجندال بالان حاكم الساحية باحتلال المدينة والدفاع عنها ، فكان التصادم قوياً بين الجيش والمتظاهرين استمر أياماً كان يمان فيها الجنرال بالان ببلاعات عسكرية مراحل احتلاله لمراكز التجميع الوطنى بفاس ، وبعد صراع شديد وصفوف عدة موفى وجرحى توصلى الجنرال لاحتلال مقر المركز العام للحزب ببحى النواحيين ، ولا يزال محتلاً بمسكن (القوم) إلى الآن أى بعد عشر سنتين من هذه الواقعة .

وبعد محاصرة المدينة واحتلال الجند لسائر أحيائها لم يبق للمتظاهرين مركز إلا جامع القرويين الذى أخذوا يحتشدون به بالآلاف للتظاهر وإعلان التضامن مع الزعماء ، فصدر أمر من الحكومة بإقتال جميع المساجد فى المغرب

العرب

ولكن الوطنيين استطاعوا أن يستمروا في التجمع بجامع القرويين مستعملين جميع الوسائل للوصول إليه ، وتدخل الجيش وأخرجهم من الجامع بطريق القوة إلى الشارع ، حيث كان عسكر (القوم) ينتظرونهم ، ووقعت معارك دامية اعتقل فيها ١١٥٠ وطنياً سيقوا للسجن كلهم ، كما اعتقل الأستاذان عبد العزيز ابن ادريس والمهاشمي القيلالي وغيرهما من رجال الحركة البارزين .

وفي مساء ٢٩ أكتوبر استهدمت الإدارة الأستاذ محمد حسن الوزاني لتصرف موقفه مما جرى ، وأعلن تضامنه مع الحزب الوطني وسبق هو للسجن أيضاً ، وفي الوقت نفسه وقع اعتقال الأستاذ الحاج الحسن أبي عياد عضو المجلس الوطني بحزبنا والأستاذ إبراهيم السكتاني ، واستمرت المظاهرات بمختلف جهات المغرب عدة أسابيع كانت الإدارة فيها مثال الشدة في التسع والوحشية في الزجر ، وأعقب المظاهرات عمل إرهابي لم يعرف أصحابه كان من مظاهره مهاجمة إدارات بعض الصحف الأجنبية ومستودع البترول بمكناس ، وغير ذلك من علامات المهاج الشبي غير المحدود .

وقد هومل المعتقلون الذين سيقوا لختلف السجون العسكرية والمدنية بمعاملة الجرمين الماديين ، ونقل قسم كبير من مثقفهم وقادتهم إلى (بودنيب) وغيرها من صحار الصحراء الدائية حيث كانوا بأشغال شاقة قضت على صحتهم وأفقدت الكثيرين منهم حياتهم ، ونحن لا نريد أن نسجل هنا ما عاناه إخواننا رجال الحركة القربية في هذه المرحلة من أجل التضامن معنا ؛ فإن ذلك ليس من مقتول هذا الكتاب ، وقد خصص بعض أصدقائنا من المعتقلين في هذه الموقمة كتاباً خاصاً حكى فيه بالتفصيل في أكثر من مائة وخمسين صحيفة كل ما هومل به الوطنيون في أكتوبر عام ١٩٣٧ .

مرفوعة
من كاسطار
السيطار

وقد ظن الجنرال نوجيس أنه انتقم من الوطنية القربية وقضى عليها ، فزار مدينة فاس والدم يجري بها ، والشعب في مظاهراته ، حيث أعلن الصحفيين يوم ٣١ أكتوبر أنه : « إن بعض الطرف أبداً عن أعمال الوطنيين » ، وقال :

« إنني أعلم جيداً الآن أن لي تأييد جميع الأحزاب الفرنسية التي أدركت مقدار الخطر ، والتي رأت شيئاً فشيئاً أن برنامج الثورة قاد في شهر واحد باسم (الحزب الوطني) إلى تدمير البلاد كلها من أقصاها إلى أقصاها ، ولكي نقضي على خطط الوطنيين كان واجباً أن نستعمل — متى لزم — قوة جيشنا ، إن هذه قضية سلامة عامة ، إذن فقد قمنا بواجبنا واستعملنا القوة وسنستمر في استعمالها . »
وهكذا شهد الجنرال في تصريحه بقوة الثورة الوطنية وشمولها تحت قيادة الحزب الوطني الذي عرف كيف يجند الشعب كله في صعيد واحد للدفاع عن حقوق الأمة وحريات أفرادها .

تضامنه المنطقة الخليجية :

ولم تكن حركة التضامن قاصرة على منطقة النفوذ الفرنسي فقط ، بل تجارزتها إلى المنطقة الدولية والأسبانية ، فبعد يوم ٢٩ أكتوبر قامت في تطوان مظاهرات عظيمة تهدف بالحربة وحياة وحدة المغرب في ظل العرش وحياة الزعماء المعتقلين ، وقد ألقى الجمهور دعوة الأستاذ عبد الحلق الطريس ونداء الأستاذ المسكي المصري للاحتشاد في المساجد وإقتال الأسواق ، وخطاب كل من الأستاذين خطباً عديدة ألهمت حماسة الكثيرين المحتشدين .

وفي مدينة العرائش اجتمع آلاف من القادمين من سائر قبائل المنطقة الخليجية في شكل مؤتمر خطب به الأستاذ المسكي المصري ووجهوا رسائل الاحتجاج للرئيس شوتان وسارو ولعمير ديلبوس وزير الخارجية الفرنسية والجنرال نوجيس مملين لم يحرم القذائل المغربية على الدفاع عن الحركة المغربية بكل الوسائل ومع كل التضحيات ، والعمل على تحقيق برنامجها المقدس كما وجه المؤتمرون برقية إخلاص وولاء لجلالة السلطان .

وقد استمرت صحافة المنطقة الخليجية في حملتها على أعمال السلطة الفرنسية ونشرت تفاصيل الحركة الوطنية ونصحياتها والمطالبة بتدمير زعمائها وأنصارها .

عكاز والدمعة
الكبرياء والكرام

وقد قامت الجزائر وتونس بإعلان تضامنها مع الشعب المغربي في الدفاع عن
حرية وحقوقه المنصوبة برغم أن الصف قد امتد للجزائر نفسها ، وقرر مؤتمر
الحزب الدستوري المنعقد بقصر هلال التضامن المطلق مع الوطنيين المعاربة ،
وأعلنت تونس إضراباً عاماً لمدة ثلاثة أيام ووجهت احتجاجات شديدة
للدوائر المختصة .

أما في الشرق العربي وفي سائر العالم الإسلامي فقد تدهشوا الصحف
والهيئات الخواص بكل تفصيل ، وحلفت عليها تعاليف التضامن والإعجاب ،
ووجهت سائر الهيئات والأحزاب باحتجاجاتها وامتنعاراتها للدوائر الفرنسية .
وكان لثورة المغربية صدها السكبر في الصحف الأخرى ومراكر الإذاعة
الأمر الذي أدى إلى حرب أعصاب كبيرة بين إذاعات فرنسا وبين إذاعات
إيطاليا وألمانيا والبلدان العربية التي لم تتأخر عن التشجيع بقطائع الفرنسيين
وسوء أعمالهم .

محرمة
محرمة
محرمة

وقام الأمين العام للحزب الحاج أحمد بلاليج في فرنسا وسويسرا بالدعاية
اللازمة برغم إجماع الأحزاب الفرنسية على التضامن مع الجزائر وحبس ، وقد
أدى نشاطه إلى مطالبة الإقامة العامة للحكومة الفرنسية بتسليمه لها ، ولكنها
لم تقبل طلبها ، فظل سكرتير الحزب الوطني يعمل حتى أصيب بمرض عضال
كاد يودي به لولا عملية طيبة ناجحة .

ومن الحق أن أسجل هنا احتجاج الأستاذ ماسينيون وجماعة من رفقائه
أستاذة السوربون وكوليج دي فرانس على قرار إبعادى من المغرب لأفريقيا
الاستوائية برغم الجوار السلمي الرئيسي الذي كان ضدًا علينا وعلى حركتنا .

المغربى وهرضت قضيتها على محكة لاهى الدوية حتى تحرك الوطنيون يملنون
عدم قبولهم استيلاء إيطاليا ولا فرنسا ولا غيرها على التراث المغربى ، وأن سيادة
القائم للمرافق الحيوية للبلاد ستظل هى الخطوة الوطنية كما قررها الحزب
الوطنى وناضل عنها .

وموازية للحركة السياسية فقد كان لجماعات المحافظة على القرآن الكريم
دور كبير فى تثبيت دعائم الحركة أيام غيبة الزعماء ، وإذا كنا نعلم أن هذه
الجماعات ظلت الميثاق الوحيدة العلنية فى البلاد استطاعنا أن نفهم للذى الذى
تطورت إليه فى مواصفاتها الدعوة الروحية والاجتماعية ، وفى ما أسكنها من عقد
اجتماعات يحضرها سائر أنصار الحزب ، ويتناولون فيها ما يشاءون من قضايا ، على
أن رجال الحزب لم ينفخوا إقامة سائر الاحتفالات والذكريات التى أسسها الحزب
الوطنى ، وهكذا طلت الحركة مستمرة برغم الحديد والنار ، وظلت التضحية من
أجل القضية مستمرة كذلك ، والبيانات توزع والخطب تلقى والاحتجاجات
ترفع والمظاهرات تعقد والتشهير بأعمال المستعمرين فى الداخل والخارج لا ينتهى .
وكون الطلبة الموجودون فى فرنسا (هيئة الدفاع عن المغرب الأقصى)
وظلوا يعملون بدورهم فى سبيل مبادئ الحزب وأهكاره ، ولم يتركوا مؤتمراً
إلا أعلنوا فيه صوت المغرب عالياً ، ولا اجتماعاً إلا مددوا فيه بغفائغ المستمر
وطالبوا بقوة الزعماء .

مشرق
من الأسفل

وفى مصر قامت بشة الطلبة التى وجهها الحزب الوطنى بعمل جليل تحمد
عليه ؛ فقد بثت دعوة البلاد فى المشرق بعد أن عفى عليها النسيان وأدانت فى
الصحف والأندية كل ما وصلها من أبناء الحركة فى الداخل والخارج ، وكانت
تتردد على الأندية للخطابة بها وإلقاء المحاضرات شارحة للرأى العام العربى
ما تعابه مرا كش من ضغط وإرهاق ، وما يعانیه رهاؤها من تشريد
وإعسات ، وسرى كيف استطاعت أن تتطور بمجهودها إلى المرحلة التى وصلت
إليها حركة المغرب العربى فى مصر وغيرها من بلاد المشرق العربى .

مصر

في المنطقة الخلفية :

وفي سنة ١٩٣٨ فكر حزب الإصلاح الوطني بالمنطقة الخلفية في ضرورة وضع برنامج للإصلاح الوطني للمنطقة على غرار برنامجنا الذي وضعناه سنة ١٩٣٣ ، وقد اجتمعت هيئة العلماء ودرست الموضوع وقررت أن تتخذ من نفس مطالب الشعب المغربي برنامجاً لحزب الإصلاح مع إدخال بعض التعديلات الخفيفة التي تناسب ظروف المنطقة وما يجزبها ، وقد جاء في المقدمة التي وضعها حزب الإصلاح لبرنامجها ما يأتي : « وقد شمر النازية بوجودهم المستقل ووجوب الاحتفاظ بهذا الوجود ، وأن أرز مشخصات بلادنا : الإسلام والعروبة والمغربية ، ولهذا نريد أن نسجل في هذه المقدمة أننا مغاربة مسلمون ديننا الإسلام ولغتنا الرسمية اللغة العربية وقوميتنا قومية عربية مسلمة تعمل لتعاون مع الدول المسلمة ، وأن المغرب بسائر مناطقه وحدة لا تتجزأ ، وأن مبدأنا في حكم البلاد حكم ملكي إسلامي على أساس الشورى ونظم الشريعة الإسلامية ، وعلى ضوء النظم الحديثة التي برهن نطبيتها على صلاحيتها للمجتمع البشري ، وأما لا ننسى الخدمة الجليلة التي قدمتها العائلة العلوية الشريفة بالمغرب ، لذلك نحن متشبثون بالعرش العلوي الشريف » .

« ونحن بصفتنا (السكينة الوطنية) في شمال المغرب أولاً و (حزب الإصلاح الوطني) أخيراً كثيراً ما دافعنا عن وحدة المغرب ، وكثيراً ما رغبتنا أن يكون عماداً مشتركاً موحداً لرفع شأنه ، وقد اطلعنا على (مطالب الشعب المغربي) قبل تقديمها بالصيغة الرسمية لجلالة السطان والحكومة الفرنسية ، فأيدناها ودافعنا عنها في كثير من الأحيان على صحفنا لسان حالنا إذ ذاك (الحياة) القراء لأن (مطالب الشعب المغربي) في جنوبه هي في الحقيقة حاجيات شمال المغرب » .

« نعم وقد وقع بعض التعديل في المطالب التي تقدمها عن (مطالب الشعب المغربي) ، ولكن هذا التعديل تفرضه الحالة في هذه المنطقة وتشريعاتها الجديدة

المتخلفة أحياناً مع تشريعات المدطنة السلطانية .

وقد رفعت هذه المطالب لسمو الخليفة السلطاني ، كما قدمت لممثل الحماية الأسبانية ، وطلبتها للمطبعة الهندية في كراسة خاصة أخذت حرب الإصلاح بنشرها ويدعو الشعب للتجمع من حولها .

وبينما كان الوطنيون يهيمون بمطالبهم كانت الجالية الأسبانية تدبر مؤامراتها ضدًا على سمو الخليفة الذي كان قد ظهر بظهور الوطنية الصريح ، واستطاع أن يحصل على بعض الحقوق التي أشرنا إليها من قبل ، فأخذت الجالية الأسبانية تطالب بسلب الخليفة سائر نفوذه والرجوع إلى سياسة النفع التي كانت متبعة قبل بيك بيدير ، وقد استجبت حكومة فرانكو لشكاوى الجالية الأسبانية ، وعشرات بيك بيدير سنة ١٩٣٨ من منصبه ، وعينت مكانه الجنرال اسينسيو فتقدمت إليه الجالية بمطالبها فتقبلها ، ولكنه اشترط التنفيذ التدريجي لها ، وفعلًا سنت عدة قوانين استثنائية ، وأخذت الإقامة تضيق على حكومة الخليفة وتقاوم الحركة الوطنية .



وقبل أن ينتهي من هذا الفصل يجب أن نلاحظ أن المغرب بقي منذ بدء الحركة الوطنية حتى إعلان الحرب تحت نظام الإنذرة والتهبيج من حقوق للحريات واعتقال إداري وإبعاد ، كل ذلك لا رضاء طائفة من الحكام الذين لا يخضعون لأية مراقبة .

ولم تحقق الحماية أي مطلب من المطالبين الأكثر استعجالاً التي قدمتها الحركة الوطنية سنة ١٩٣٦ بمد برنامج الإصلاحات ، وقد تصافر على هذا الموقف وزراء اليمين مع وزراء أقصى اليسار في الجمهورية الثالثة ، وطبعاً أن يؤدي ذلك إلى إقناع الوطنيين المغاربة بأنه من العبث البحث عن طريق للتعاون مع نظام رفض أن يمد إليهم اليد ، وتجاهل تصرف الإدارة التي لم تعتبر حتى مقتضيات عقد سنة ١٩١٢ .

في الحرب العالمية الثانية

ومع كل ما كابدته الوطنية المغربية ، ومع كل ما طرأ عليها من الإهانة العامة
فعله من ظلم وإرهاب ، فإن الحرب الوطنية أوى إلا أن يومئذ يجرى من
حسن رواياه ، وأرسل ومداً للمقيم العام يعلن له نصامين الوطنيين للحرية والجلالة
السلطان في رغبته في هدم وقوع أى شئ يمس بمصلحة النصير في الحرب ،
ويذكر المقيم العام بضرورة اتخاذ سياسة رشيدة لمصلحة النصير في الحرب ،
والحق أن موقف جلالة الملك كان له الأثر الفعال في توجيه السياسة الوطنية
في وقت الحرب ، وقد أظهر جلالته رغبته الأكيدة في أن يظهر المغرب في
مظهر الحليف الوفي ، ولم يرد جلالته أن يكون الجيش المغربي مجرد جيش مقاتل
في صف الخصوم ، بل أحب أن يعتبر للمغرب كدولة مقاتلة من أجل مقاومة
العنصرية واضطهاد الشعوب حتى يتسنى له أن يطالب باسم هذا المبدأ فيما بعد
الحرب ، وقد ظهرت شخصية جلالة ملك المغرب عظيمة في مواقفها المتجسدة ،
ولم تدع فرصة تمر إلا انتهزتها للدفاع عن المبادئ المغربية ومطالبها ، وقد كان
ذلك في أول الحرب ، كما كان في وقت الهدنة القيشية وبعد زول الحباء باليهاء
المغربية لم تؤثر فيه عوامل النصر أو الهزيمة ولا مؤثرات الاختلاف في النظم
أو الحكومات ، ولقد صرح جلالته غير مرة بأن المغرب مستعد للحرب
إذا فكرت ألمانيا أو إيطاليا في احتلاله ، كما قاوم النزعات العنصرية التي حاول
الجنرال فوحيش تعذيبها على اليهود المرافعة في إجلاء المقيمين منهم في الأحياء
الأوربية منها ، ولما طلب منه المقيم العام الخروج من الرباط بعد هجوم الحلفاء
رفض إجابة الطلب ، وقال إنه قدوة للمثابرة جميعاً ، ولذلك لا يمكنه أن يخرج
من عاصمة مملكته ولو كان ما كان ، وغال بنصره العاسر والتعابر تعجواب

أصدائها في أنحاء العاصمة كلها .

ولقد حاول الألمان أن يمدوا في رجال (الحزب الوطني) مساعداً لهم على مهامهم فلم يظفروا بأحد ، وولوا الدعاية المباشرة بقرب عهد الطفر الألماني الذي يفسح المجال لئيل المغرب نظاماً أكثر حرية وعدلاً ، فلم يفر الوطنيين ذلك ، ولا أثر في نفوسهم ، وقد استطاع الوطنيون أن يكتشفوا بويا الألمان ويعرفوا حقيقة مرامهم ، واستطاع أنصار الحزب بباريس وغيرها من المدن الأوروبية أن يتعرفوا بالحقيقة على وجهها ، ويطلعوا الزعماء عليها ، وهي أن ألمانيا لا تريد إلا تشييد إمبراطورية مبنية على التفوق الجنسي الآري ، وذهب الأمين العام للحزب الوطني الأستاذ أحمد بلالريج بنفسه يتحسس الاتجاهات الحورية ، فلم تفر مواقف بعض الزعماء العرب ولا بعض دعايات الأجانب ، وكتب لإخوانه يحذروهم من أكاذيب الخور ورجاله ، وهكذا استطاع (الحزب الوطني) أن يثب لنفسه الطريق في وسط الدعايات المختلفة ، ويقف موقف المؤيد لمبادئ الديمقراطية في الوقت الذي يدافع عن المغرب وعن حريته ، ويتحفظ ليخطو بالحركة خطواتها المظلمة التي سفتحدث عنها .

ومنذ سنة ١٩٤٠ أخذ تيار عام يجري في أواسط الحزبيين كما يسموهم ، يذكروهم بما قامت به فرنسا من فطائع ، وكيف أنها لم تتأثر بالمعروف ولا انضمت بالأحداث ولا راحت الدماء المغربية التي تسيل في صفوفها ، وانجذبت الأنظار إلى ضرورة الخروج من نظام الحياة والموت عن وسائل التحرر والانفاق .

ولم تكن سياسة الحرب التي اتبعها الجنرال نوجيس إلا سياسة التسع وإعلان الأحكام العرفية واتهام الأبرياء والخوف من الشخصية التي ظهر بها جلالة الملك ، واللباقة التي برز بها مديرو الحزب الوطني .

وإذا أضفنا لهذا الصنف الممدوي الذي استبان للبكل من صنع الجنرال نوجيس وقدراته السكل قدرة على المقاومة برغم المركز الذي كان يشغله فمما مقدار الاحتقار الذي وحده المعاربة في نفوسهم صوماً انظام بترأسه أمثال نوجيس

الذى يتحكم في مصير المغرب، الشجاع ورجاله الأوفياء .

وإذا كانت الإقامة العامة قد برزت قمها لرجال (الحزب الوطنى) بادعاء
تطرفهم في مطالبهم ، وفي وسائل العمل لتحقيقها فإن موقفها من جمعيات قدماء
التلاميذ التى تضم النخبة المتخرجة من المعاهد الفرنسية والتى ظن في وقت ما
أنها حصلت على نوع من ثقة الجنرال بوجيس لأنها تعمل تحت مظلة مستشارين
فنيين فرنسيين تعيينهم الحماية طبقاً لأوامرها المفروضة في ~~الأنظمة~~ الحماية
قد كشف عن وجه الحماية وبوايا ورجاها ؛ فإن هذه الجماعات ~~التي كانت تعمل~~
لأنظمة الحماية نفسها لم تستطع أن تقتلع من الإقامة العامة ولا حتى ~~من~~
مطاسها التى لم تعد شئناً عامة ومستعجلة ، والتقرير الذى رفعتها للإقامة فيما يخص
تنظيم المحاكم المغربية أو التعليم مثلاً لم تحظ قط بأى اعتبار من طرف المسؤولين
في الحماية ، وقد أدى ذلك إلى أن رفض القدماء الحضور في ما يسمونه (مجلس
شورى الحكومة) لأنهم أبوا أن يكونوا مجرد نماثيل لا تعمل ولا يقبل لها
كلام حتى في أمس المسائل بأحياء الحاضرة في ظروف الحرب كالمون والمسكن
وغير ذلك من الضروريات .

وقد استمرت الحماية في خطتها حتى بعد نزول الحلفاء بشمال أفريقيا ،
ولم تفكر حتى في مداخلة مئات الآلاف من الأوربيين والأمريكيين الذين
شاهدوا حالة المغرب وسجلوا ما يلاقيه أبناءه من عصف واضطهاد ، بل اتخذت
من وجود هؤلاء الأجانب سبباً للاضطهاد مرة أخرى لتثبت أنها لا تخاف أحداً
وأن في استطاعتها أن تستمر في قمها برغم كل الاعتبارات حتى تقتل في نفوس
الأحالي كل أمل في عون الديمقراطية ورجاها .

وإذن لا عربة إذا ريد الشعب المغربي يتجه الاتجاه الصحيح ، وإذا
رأينا (الحزب الوطنى) يعلن الرغبة في الخروج من سياسة المراحل إلى سياسة
العمل من أجل الاستقلال العاجل الحاجز .

المرحلة القبلية :

لم يتغير موقف الإقامة العامة في داخل الغرب بعد احتلال الألمان لعاصمة فرنسا واستيلاء الساريسال بيتان على الحكم ، وكل ما عاين أن لجنة الهدنة زارت البلاد فلم تجد في الأوساط الوطنية أدنى صدى لدعايتها ، وظهرت شخصية جلالة الملك في الدفاع عن الماركة على وفق ما سبق أن بيناه ، لكن فكرة الاستعداد للقيام بحركة جديدة أخذت تعمل عملها في أوساط الوطنيين الذين كانوا ينتظرون الفرصة لإعلان صوتهم عاليًا .

وفي هذه السنة (١٩٤٠) احتلت أسبانيا منطقة طنجة الدولية ، وقام الحزب القاشي الأسباني بمظاهرات في جميع أنحاء أسبانيا للمطالبة بالاستيلاء عسكريًا على منطقة الحماية الفرنسية ، وقد أخذ فرانسوا فون باستيجس لرغبة الأسبانيين في السماح للألمان بالتدريس في المنطقة التعليمية واحتلال بعض الموانئ للمربية ، وكان الشعور الوطني في طنجة وبقية المغرب ضداً على العمل الأسباني ، وقد تأثر الوطنيون الماربة لطرد مندوب جلالة ملك سبانيا كشر واحتلال السفارة الألمانية لفصر اللندوبية بطنجة ، فانتعشت في النفوس روح الوعي القومي الذي يرغب في الاستقلال عن كل من فرنسا وأسبانيا حتى لا تبقى البلاد عرصة لتهاكما على السلطة وتنافسهما في إشغال المغرب .

ولما نزل الحلفاء في المغرب يوم ٨ نوفمبر سنة ١٩٤٣ طمأننت النفوس من جانب التوسع الأسباني والاحتلال الألماني ، فأخذ الوطنيون يتحركون بكيفية أقوى برغم عناد الفرنسيين وسوء معاملتهم ، وقد جدد الحزب الوطني تنظيم عروحه ، فانضم إليه كثير من الوطنيين الذين طردوا محايدين إلى اليوم ، وأصدر الحزب مجلة (رسالة المغرب) التي سمحت لأقلام الأدباء الوطنيين بأن تلمس في جمع الأمة كلها من حول الاتجاه الذي سيظهر بيننا بعد ستة أشهر .

وقد الحزب الوطني في الشرق :

في سنة ١٩٣٧ توجهت بعثة من الطلبة إلى مصر تتكون من الأساتذة عبد الكريم ابن ثابت وعبد الجيد ابن حلون وأحمد ابن المليح وعبد الكريم علاب والعربي بناني لإتمام دراستهم ، ولما تخرج أفرادها من كلية الآداب كونوا منهم وفداً يعمل لصالح القضية المغربية ونشر دعايتها ، وكان لأفرادها جولات للقيام بالواجب في الظروف الصعبة التي أصابت ثورة سنة ١٩٣٧ للمربية .

وفي سنة ١٩٤٣ رأى أعضاء الوفد أن الخير في ضم الكتلة المغربية الموحدة بمصر إليهم لينتسب لهم العمل في جو مقرب بعيد عن كل اختلافات فأسسوا هيئة استقر رأيهم أخيراً على أن يعطوها هذا الاسم (رابطة الدفاع عن سراكش في مصر) .

وقد وفق الإخوان في إقناع ممثلي الهيئات المغربية بمصر للانضمام إليهم وقبول البرنامج الذي وضعوه وهو :

- ١ - المطالبة باستقلال سراكش تحت رعاية جلالة الملك المفدى .
- ٢ - ضمان وحدة الأراضي المراكشية وعدم اقتطاع أى جزء منها .
- ٣ - الانضمام لجامعة الدول العربية .
- ٤ - التعريف بقضية سراكش الوطنية وعرضها على رأى العام العربى ولدى الحكومات العربية ودوائر الخلفاء .
- ٥ - الدفاع عن رجال الحركة الوطنية في سراكش والمطالبة بإرجاع المهجرين منهم وإطلاق سراح المعتقلين فوراً .

وهكذا عرفت وفد الحزب الوطنى لنفس الغاية التي اقترحتها الحزب في الداخل برغم الحواجز التي وضعتها الحرب بين الجانبين .

وقد قامت الرابطة منذ تأسيسها في أواخر سنة ١٩٤٣ بأعمال جبيلة ، فأنشئت مراکز خاصة للدعاية الوطنية وتوزيع نشرات دورية وإصدار كراسات

عن المسألة المغربية والانفصال بمختلف الهيئات والحكومات العربية ورمودها .
وقد انتهزت فرصة المشاورات الى وقعت في القاهرة في قضية الوحدة العربية
بين وفود الدول العربية وبين حكومة مصر فالتصفت برفعة النحاس باشا وبرؤساء
الوفود وقدمت لهم المذكرات والبيانات التي تشرح لهم فيها آماني مراکش في
الحرية والاستقلال وقد استطاعت أن تحصل على عطف واضح من الدول العربية
التي بدأت تهتم شديداً فشيئاً بشئون البلاد المغربية وتنافس في خدمتها .

وقد وصل للقاهرة عديد من اللاجئين من الدستور التونسي وحزب الشعب
الجزائري وجمعية علماء المسلمين بالخراتر ، وأخذ كل يعمل لوطنه ويبذل الجهد
لتحقيق أهدافه . ولتوحيد هذه الجهود والاستفادة من جميعها قبل الإخوان
الانضمام لجهة شمال أفريقيا التي أسست في نوفمبر سنة ١٩٤٤ برئاسة الشيخ
محمد الحضري الحسين أحد العلماء الزيتونيين اللاجئين لمصر منذ الحرب الكبرى
الأولى ، وتقوى جمعهم بوصول الأستاذ الحبيب أبو رقية ، وقد استمر العمل
للتحد ضمن الجهة حتى اسفد مؤتمر المغرب العربي على ما سنبينه .

وحينما وقعت حوادث (الاستقلال) بالمغرب الأقصى نهياً لإخواننا أن
يرددوا صدى البلاد بكيفية أقوى مما كان يتسنى لهم من قبل بفضل ما كانوا
قد وصلوا إليه من تنظيم تصاميمهم وتوحيد الصفوف المغربية كلها .

وقد كانت رسل الحزب الوطني ثم حرب الاستقلال تتوالى عليهم منذ أمكن
وصول الحجاج المغربية للشرق ، فتقوى ذلك عزيمتهم ، وأعاد تدقيق عملهم مع رجال
الحركة في الداخل ، وإن كان الانفصال الذي أرغم عليه الجميع بسبب ظروف
الحرب أثبتت الاسجاس الكامل بين أعضاء الحزب الوطني في الداخل والخارج
حتى في أدق مراحله التي تتطور في مواجهة المسائل وتوجيه الأعمال .

مجهودات المنفى

ولم يكن هذا التطور الذي طرأ على إخواننا في المغرب إلا نفس ما أدركته في مواجهة الحقيقة وأنا في متفاني القصص بالنسبة لهم ثم بالتحديد من أفريقيا الاستوائية الفرنسية ، فبالرغم من النظام الضيق الذي وضعته في المغرب من أننى ظلت منذئذ حتى الآن في بلد من كل اتصال بالحياة العالمية ، وفي مقدم كامل من الاجتماع بالناس وقراءة الصحف والاستماع للأخبار من كل من كل ذلك فإن اتصال المنفى بروح التطور الوطني في البلاد ظل قوياً ، وقد فكرت في أن الحركة المغربية بعد أن شئت الوعي القومي في نفوس الناس يجب أن تسير بكل قواها للحصول على الاستقلال ، وأن نصرف جهودها وتخصصها على هذا الاستقلال ، لأنه وحده الذي يفسح المجال للهوض بأمتنا وتحررها مما وقعت فيه من فقر وجوع ومرض ، وكنت أعود بنفسى إلى تاريخ الحياة وسياساتها فأحس أن نظامها لم يكن إلا حجر عثرة في سبيل تقدم المغرب والتطور الشعبي الذي بدأ منذ سنتين حاماً ، ولذلك ظلت أبحث عن الوسائل التي تعنى لي — في ظروف المعيشة — الفرصة التي أعلن بها رأيي ، وأتفر بالحركة معها إلى الذي أريده لاستكمال القضية المغربية وإنجاحها .

واتخذ فكر الجنرال فوجيس في كل شيء ، واسكنه لم يفكر أبداً في أن مدني الثابون أو الكونتو سيكون مجالاً للقيام بحركة تحريرية لقائدة البلاد ، واتخذ بمنى لهذا للنبي القصص وهو لا يمتد إلا أنه قد دفنى على الأقل إلى أمد طويل ، ولم يخطر بباله أبداً أننى سأتيح لنفسى الفرصة التي أطلب فيها الحق ، وأعمل لوطني في وقت اشتدت به وطأته القاسية على الوطنيين ، وحانت بينهم وبين أي عمل على في سبيل البلاد .

والحق أنني منذ اعتقلت حتى إعلان ثورة دي جول لم يكن بالممكن لي أن أقوم بأي عمل إلا الاحتجاج على سوء المعاملة ، والمطالبة بحقوق المسجون السياسى ، وما يقع في مناقشاتي العادية مع الصحابى الدين كانوا يتعاقبون على حراستى ، والسكن المدة الفيشية وثورة الجنرال دي جول أتاحا لي سبيلا لرفع صوت للغرب ويدل بمجهود متواضع في خدمته .

وفي شهر يولية سنة ١٩٤٠ احتلت جيوش دي جول قرية مويلا الواقعة في جنوب الجابون وهي مقر اعتقال منذ نوفمبر سنة ١٩٣٧ إلى يولية سنة ١٩٤١ وسارت في طريقها لمهاجمة العاصمة الجابونية (ليبرفيل أو المدينة الحرة) ، وعينت الولاية العامة رئيسا للمهالة الكومندان روجى أحد السكرتيرين الرسميين الذين يهتمون بالسياسة الإسلامية ، وقد نقطمت الصلة مع العرب وسائر الشمال الأفريقى لأن ولايته ظلوا في تصادم مع المار يثال بيتان ، وذهب ليونان شوقا لانجبر الذى كان مكلنا بشئون من طرف الإقامة العامة لينضم للثوار الجوليين ، وبقيت تحت نظر ولاية أفريقيا الاستوائية وأفريقيا الاستوائية في هذا العهد مركزا لالتجاء الفرنسى وتنظيم المقاومة للاحتلال الألمانى ، ورازافيل هي العاصمة التى حلت مؤقتا محل باريس وإليها يلتجئ دي جول كلما صاف بمعاملة الانجيز والحلفاء في لندن . وكانت السياسة التى اتبعتها ولاية أفريقيا الاستوائية مع الأوروبيين الموحدين بها هي دعوتهم للاضمام إلى دي جول وإمضاء رسالة تأييد له ، أو الاعتقال في أماكن خاصة بأنصار فيشى ، وهكذا دطاني ذات يوم الكومندان روجى وتحدث معي مائة في الشئون الحاضرة ، وبشرى بأن الحال سيتبدل ، وأن الثورة الجواية ستعمل عملها في قلب السياسة الاستعمارية الفرنسية ، وطلب مني أن أكتب للولاية العامة برأى في موضوعها ، فتملصت من الموقف ، وقلت له يمكنك أن تكتب بنفسك وتخبرهم بأبى كرتيس للحزب الوطنى لا أريد إلا الوصول لما يصبو إليه الحزب من تطور ونحوير ، ومضت أيام كتب فيها الكومندان روجى للولاية العامة وسافر ليرازافيل ثم عاد فقال لي كلاما يدل

على أنه لم يجد في الولاة المحليين نشاطاً واستعداداً لأن يكونوا على غرار ليونلي
 — حسب تعبيره — في العمل لصالح فرنسا .

ثم تحدثنا ملياً في الحالة الدولية العامة ، وكنت في حديثي معه ضارباً على
 النور الذي يحميه الفرنسيون ، فطلب مني بصراحة أن أكتب رسالة للجنرال
 دي جول وقدم لي مشروع رسالة على مثال الرسائل التي يقدمها الفرنسيين ،
 فأجبتته بأن قضية الخلاف الحادث بين فيشي ودي جول قضية فرنسية بحتة
 لا حق لي ولا لسائر المعارضة في التدخل فيها . ثم فيما يرجع لمقاومة الألمان
 أن أؤكد أنه ليس في المعارضة أحد يريد أن يصبح محكوماً لألمانيا أو لفرنسا
 على أنه من الوجهة المنطقية ما قامت فرنسا قد دخلت الحرب ، وما الذي
 استطاعتها أن تقاوم فليس من الوفاء أن تفنن حلفاءها وتلقى بهم في أحضان
 الألمان ، ونخس بذمهم وهم في أشد الحاجة إليها . وأما فيما يخص القضية للتربية
 فأنا كممثل للحزب الوطني اعتبرها قضية ، وأنا مستعد للتعاون مع الجنرال
 دي جول إذا كان راعياً في أن يحقق آماني الشعب الفرنسي ، ولذلك فمرفق
 سياسة الثورة الجولية فيما يخص فرنسا لا يكفي ، بل يجب أن أعرف سياسة
 دي جول للتربية ، وحينئذ يمكن أن أعمل على ضوء استنتاجاتي منها ، ثم
 أفصت له القول في سوء حال للتربية والجهودات التي بذلها الحزب الوطني في
 سبيل التوفيق بين حاجيات البلاد وبين الصداقة الفرنسية ، فأظهر اقتناعه
 بأمسكاري وطلب مني أن أكتبها بنفسها في رسالة خاصة يتكلف هو بتبليغها
 للجنرال دي جول بمناسبة حلوله ببرازافيل في شهر مايو ، وقد كان الجنرال
 دولاومينا هو القائد الأعلى للجيش في أفريقيا الاستوائية وهو القوميسير الأعلى
 بها ، بينما كان الجنرال سيدي مديراً لمصلحة الصحة العمومية ومهتماً في أوساط
 أفريقيا الاستوائية كالمضو الأم في انضمام الكونشو لديبول ، والوالي العام
 ابيوي والكاتب العام لورانسي كالمعلمين الأساسيين في انضمام إقليم تشاد .
 وبين دولارمينا وديبول نوع تناقض كبير ، بينما يعتبر الآخرون أنفسهم

مريد بن أوفياء لهيجول .

كتبت رسالة للجنرال لهيجول بواسطة الجنرال ميسي أقص عليه بعض ما جرى بيني وبين القومندان روجي وأقول له :

« إن المغرب الأقصى المرغم على استمراره في نظام من المصور الوسطى ، والذي يرغب في تطور شبيه بما وصلت إليه مصر والعراق لا يمكنه أن يقبل تجديد الاحتلال من ألمانيا أو إيطاليا ، وهو يعتقد أن حكومة حقيقية لفرنسا الحقيقية جديرة بأن ترضيه بتحقيق أمانه القومية .

لست أريد أيها الجنرال أن أحدد في هذه الرسالة مطالبنا ، ولكنني أريد أن أؤكد أنني شخصياً لا أرغب في جلاء ولا مال ، وإنما أرغب في مصالح وطني وحقوقه .

ورئيس الحزب الوطني المبعد منذ خمسة أعوام لا يريد إلا أن يعرف السياسة الجديدة التي ستدشنونها فيما يخص المغرب الأقصى

إنني لا أمثل شيئاً من ذاتي ، وإنما قمتي فيما ألتزم به من ثقة الشعب ، وبما سأحمله لأمتي من نتائج حكمكم الرسمي .

إن ليوطي الذي تخلفه لم يرتكب أخطاء نوجيس وأمثاله ، وقد أعرب عن ندمه على كثير من أنواع السياسة التي اتبناها بنفسه .

ولقد أبدى الكثير من الفرنسيين حركتنا ، فإذا كانت سياسة معادتنا تتفق مع سياستنا نحن فإنه من الممكن لي أن أقبل .

حل القومندان روجي هذه الرسالة إلى برازايل حيث سلمها للجنرال ميسي ، وهذا الأخير سلمها مباشرة للجنرال دي جول الذي وعده بدراساتها مع الجنرال كاترو في سوريا الذي كان ذاهباً لحايعان الاستقلال ... ورجع روجي لقرع عماله فحدثني بما جرى وهو متعائل من دي جول ، ومتشائم من دولارمينا وأمثاله . ولكنه أكد لي أن الجنرال ميسي سيحل محل دولارمينا فتحسن الحال ، فغلا سافر ميسي إلى سوريا مع الموكب الجولي ثم عاد إلى برازايل قوميسيرا

عاماً لاتحاد أفريقيا الاستوائية .

ومضت أيام دعى بعدها روجي لبرارافيل ، وأنها منى معاونة السيور بوراسكي
أن القضية سائرة سيرها الطبيعي ، وأنها كانت من أسباب استدعاء روجي ،
وبعد ما رجع هذا الأخير أخذ يهيء الجو باستدعائى لمنزله والحديث معي بأكثر
ما يمكن من الأفكار الحرة ، وكان يبعث في نفسي من الآمال الشيء الكثير ،
وإن كنت أعترف أن الفرنسيين لا يتغيرون عن موقفهم ولو حدث من الوقائع
أكثر مما حدث ، لأنهم محافظون في أفكارهم وعن الصعب أن يتطوروا
بالسهولة التي نملن .

ثم قدم لويل مبعوث خاص من طرف الشعبين السياسية بأفريقيا
الاستوائية هوايونتان البحري دولوجران أحد المستعمرين الذين كانوا يشتغلون
في سوريا مع للسيور بونسو ، وأحد الذين حكم عليهم الألمان بالإعدام للانضمام
للمجنرال دى جول ، وقد اجتمعت به في عدة جلسات تناولنا فيها بتفصيل دراسة
الحالة الحاضرة ، ثم بلغنى أن الولاية العامة كانت قد أن بتخابر معي باسم أفريقيا
الحرة في شأن الغرب وسائر الشمال الإفريقي ؛ لأن الحركة الفرنسية الحرة بهذه
أن ترضى الأهالي المستعمرين بهم على منع احتلال ألمانيا لشمال أفريقيا ومساعدة
فرنسا على تحرير بلادها من الأخرى ، وقد بينت له استمدادى للتوسط بين
فرنسا الحرة وبين الوطنيين التونسيين والجزائريين فيما يخص تونس والجزائر ،
وأما فيما يخص الغرب فقد أكدت له استمدادى أن أهل ومعي رجال الحزب
الوطني لتحرير الغرب من الصغف الألماني متعاوناً في ذلك مع فرنسا الحرة ،
ولكن هذا التعاون لا يمكن إلا بشرط واحد صريح ، هو أن يملن الجنرال
ديجول استقلال الغرب منذ الآن ، ثم بعد التحرير يشكل جلاله السلطان
حكومة وطنية تعتمد مع فرنسا معاهدة تحالف وصداقة ، وقد استمرت محاوراتنا
الثنائية التي لم يتدخل فيها الجنرال روجي إلا ببعض الملاحظات ثلاثة أيام ،
شرحت فيها كل آرائي في مصير الغرب والنظام الديمقراطي الذي سيسود بعد

إعلان الاستقلال ، وكنت أحمل بعض النقاط التي يمكن التجادل فيها إلى وقت
للاذكرة الرسمية التي تجرى لعقد معاهدة التحالف بعد الاستقلال والتحرير ،
وقد اتفقتنا أخيراً على أن يوجه ليو تسان برقية لحكومة فرنسا الحرة يبلغها فيها
خلاصة مداكراتنا ، وقد بحث البرقية التالية :

« تذاوشت مع الأستاذ علال لفاسي ، وهو يقبل للتعاون مع فرنسا الحرة
على تحرير شمال أفريقيا من ضغط المحور بشرط الاعتراف الناجز باستقلال
المغرب ، والسيد علال صريح ويتكلم في استقامة ووضوح ، ويتمتع ريادة على
ثقافته في المغرب بثقة كثير من رجاء العرب » .

ومن الصد تلقى دى لوجران برقية تطلب مني السفر لبرازافيل عاصمة
الكونغو الفرنسي لتتبع للذاكرة مع إدارة الشؤون السياسية .

وقد لبثت الاستدعاء وسافرت صحبة الصابط المذكور إلى برازافيل حيث
اجتمعنا بمجرد وصولنا بالمسيو لوراسيه الكاتب العام بالولاية العامة وأحد الذين
حصلوا على ثقة كبرى من وزير المستعمرات المسيو بلوفان ومن الجنرال دى حول
بمقره ، وكان معنا مدير الشؤون السياسية لأفريقيا الاستوائية ، واستمرت
للاذكرة يدينا في جو هادي مدة ثلاث ساعات تناولنا أثناءها كل الموضوعات
للغربية ، وكان محور حديثي يدور كله على ضرورة إعلان الاستقلال لإرجاع
الثقة بفرنسا ، وعلى أن ثورة الجنرال دى جول يجب أن تكون في الوقت نفسه
ثورة للمغرب الأقصى لتحريره في ظل العرش العلوي الشريف من النظام
الاستعماري الحاضر .

ثم أقيمت في برازافيل سبعة أشهر كنت أجمع أثناءها بمختلف الشخصيات
الرسمية التي ترد على عاصمة الكونغو ، وأدافع أمامهم بكل حرارة عن الفكرة
الوطنية التي اعتضت من أجلها ، كما أشرح لهم وجهة النظر العربية في تونس
والجزائر وسوريا ولبنان وأدافع عنها بقدر المستطاع .

وفي يولييه سنة ١٩٤١ وصلت برقية من الجنرال دى جول للولاية العامة

يقول فيها : « لقد درست قضية النامى والغرب وسأحل معى الملف ليرازافيل » .
وقد وصل الجنرال إلى برازافيل للحضور فى حفلات الذكرى الأولى لانضمام
مستعمرات أفريقيا الاستوائية إليه ، أود ذكرى الأيام الثلاثة المجيدة كما يسمونها
وجاء معه سفير فرنسا الحرة فى أنيويبيا ، وهو كولونيل من إدارة الشؤون الأهلية
بمراكش سبق أن اشغل بالإقامة العامة ، وكان سكناً من قبل المارشال ليوطى
بالشئون الغربية ، وقد اجتمعت بالكولونيل فى جلسة خاصة بمنزل الميسو
لورانسييه وقال لى : « إن الجنرال حدثه عنى فى الطائرة ، وطلب منى أن أجمع لى
وبتذاكرى » ، وقد تحدث فى موضوع مهم وعبرت لى عن حاجتى لى
ضرورة استقلال البلاد بكل صراحة ووضوح ، وفهمت من حديث لى
لا يتفق مع الاستقلال ، واسكن مع القيام بإصلاحات عملية ومفيدة .
ثم اجتمعت مع الجنرال ميسى بمكتبه بالتوميسارية العليا بحضور الميسو
لورانسييه أيضاً ، فرأيت منه تردداً يثنانى مع ما أخبرنى به عنه التوميدان ووجهيه .
وقد حاول إقناعى بضرورة استمرار المساعدة الفرنسية للغرب ؛ لأن المغرب
لم يزل فى نظره غير كامل النضوج للحصول على الاستقلال ، فقرأنت أمامه
مدة ساعتين مداً من ضرورة الاستقلال وكونه الحل الوحيد للمشكلة المغربية .
وجدتنى هكذا فى جو غامض ببرازافيل وفى حالة التنفى الراقب باستمرار ،
ولكنه المكاثع باستمرار أيضاً ، وقد أكون بحول عزبان متناقضان من الرجال
الرسميين ؛ حزب الالى العام وكاتبه العام وكان رأيهما ضرورة التعاون معى ومع
الحزب الوطنى والاستفادة من قوتنا المعنوية وإن لم يكونا بمن يريدون إعلان
الاستقلال على الصفة التى أرغب فيها بل كانا يقولان بضرورة التوسيع فى نظام
الحماية وإعطائه بشكل استقلال نوعى يرضى المغاربة ويضمن للفرنسيين مصالحهم ،
وحزب الميسو جيلور رئيس ديوان التوميسارية العليا الذى استطاع أن يضم إليه
الجنرال ميسى وكان من رأيه ترك الوطنيين وشأنهم والاستغناء عن كل مساعدة
ترجى منهم لأنها تتطلب من فرنسا تضحية ليست هى فى حاجة إليها .

وعلى أن يجر هذا التخالف في التفكير إلى المناقض في التدبير ، وإلى القيام بمقاومات من هذه الجهة أو تلك استغفيتها منها أحياناً وأكون ضحيتهما مرة أخرى ، ولكهما مع ذلك خرجت بي من طور الهدوء للنصب إلى الحركة والكفاح ، وقد أدى الأمر بالمسيو جيرو إلى أن زور على رسالة ادعى أنني كتبتها للباريشال بيتان أوكد له فيها أن أمل المغرب كله موقوف عليه ، ولكن من الحق أن أميحل أني للمسيو لورانسيه وقف من هذه التهمة موقفاً مشرقاً ؛ إذ دافع عن دفاع الأبطال ولا كذاً أمانتي وعرف القول والسلوك الذي شهد به كل من تول شئوني من الموظفين في لاني ، وقد أدت هذه المناقضات وغيرها إلى أن كان القوميسار الأعلى يعطى أوامر تتعلق بي لبعض الموظفين فينقصها لورانسيه أو يعطى هو الآخر أوامر ينقصها الأول ، وانتهى الأمر بوضع للمسيو لورانسيه أمام مجلس الموظفين التأديبي ولكنه خرج منتصراً .

ولما رأت اللجنة الوطنية التي يرأسها الجنرال ديمبول اشتداد الخلاف بين القوميسارية العليا والولاية العامة في جميع المسائل القائمة ، ومنها قضية المغرب ، وجهت البروفيسور كاسا المفوض الوطني في المعارف والمدل للقيام ببحث عام والاتصال بمختلف الأوساط في رازافيل ، وقد استدعاني إليه واستفسرني عن آرائي في الموضوع المغربي ، فشرحت له فكرتي ، كما شرحتها لغيره من قبل ، وقدم له مسيو لورانسيه باسم الحكومة العامة — على ما أحبرني هو به — تقريراً يتعلق بقضية المغرب يؤيد إلى حد بعيد وجهة نظري ، وإن كان لا يحتضنها برمتها ، وعلى ما فزمته من حديثي مع المسيو لورانسيه فإن تقريره يقول بضرورة إعطاء المغرب نوعاً من الاستقلال الذاتي وإسعافه عاجلاً بجهة إصلاحات اجتماعية واقتصادية مهمة ، وكان يفسر هذا بأن تسميض فرنسا عن وصايتها السكاملة بنوع من النفوذ المعنوي تحتفظ به على الحكومة الشريفة التي ستكون محل ثقة فرنسا بما تمدها به هذه من العون الخالص والمساعدة الصادقة .

وكان يشغل بقضية الشمال الأمريكي في طاحمة الكونغرس وخليفة قنصل إنجلترا

العام المسترنيين ، فاسترشد به المسيو كاسا أيضاً ، فأعطاه رأيه الذي يتلخص — على ما روي لي موظف كبير في الولاية العامة — في ضرورة إعلان استقلال نوعي للمغرب .

وإذا كان ما حدثني به مسيو لورانسبييه بعد نزول الحلفاء في إفريقيا الشمالية واحتجاجي على المعاملة التي ظلمت موضوعها منذ وصولي للتكوتو صحيحاً — فإن وزارتي الخارجية الإنجليزية والأمريكية طلبتا من الجنرال دي جول إطلاق سراح رسمي وتركي أدخل مع جيوش الحلفاء مع قبول شرطي في إعلان الاستقلال ، وقد قال المسيو لورانسبييه بالحرف : « إن الجنرال دي جول فضول الخلق ، فقد كان يريد وضع حل للقضية المغربية باتفاق معكم ، ولكن طلب السيادة والأمريكان إطلاق سراحكم وإعلان استقلال المغرب أحدث في نفسه تحوُّلاً ، وبعث روح الرجل الذي لا يحب أن يعمل تحت الضغط » .

ومهما يكن فإن الجنرال دي جول لم يعان في القضية المغربية شيئاً ، والحركة التي قمت بها لم تكن أكثر من محاولة الخطو بالقضية المغربية إلى المدى الذي سارت إليه بفصل جهود إخواني في المغرب من بعد ، وإذا كان حلي وصراحتي في الدفاع عن وجهة نظري قد أخرا إطلاق سراحي مدة ثلاثة أعوام على الأقل ووضعاني في نظام أضيق من نظام السنين الأولى ، فإنني على كل حال أرضيت ضميري بتحقيق ما كنت أصبو إليه في منفي لم يكن — والحق يقال — لي يقين في الخروج منه ، كما أنني اقتنعت جيداً بأن المستعمرين مفتقون على اختلاف نزعاتهم وفي سائر ظروفهم على التخوف من الاستقلال ، ووجوب الاحتفاظ بالمستعمرات ، وإن كانوا يبيعون لأنفسهم ولأذنافهم استعمال لفظ الاستقلال في كثير من الأحيان ، وهم لا يقصدون إلا التوجيه نحو الإدماج أو ما يفاربه من أساليب . ولما تم نزول الحلفاء بشمال إفريقيا أدركت أن دور فرنسا الحرة قد انتهى ، وأن الظروف ستسمح لا محالة باستئناف إخواني للجهاد لا محالة ، فاقنعت بأن واحي في تبليغ صوت المغرب للفرنسيين الأحرار قد كل

أدائه ، وأن الخير في ترك المجال للذين بالمغرب ليقولوا كلمتهم ، فيرى الفرنسيون
 صحة ما تنبأت به من تطور في الفكرة التي اختتمت في نفوس المغاربة
 جميعاً ، وأعلنت في محادثاتي مع الولاة الرسميين أن كل مفاوضة يلزم أن
 تقع الآن مع ممثلي الحزب الوطني بالمغرب ، وأنتى متضامن معهم في كل
 ما يفعلون .

حزب الاستقلال

من الحزب الوطني لحزب الاستقلال

وهكذا رأينا كيف أن تجارب السنين الماضية في تنظيم الحماية وتجاوب رجال الحركة الوطنية في سياسة الراحل بشت كلها في نهوض الوطنيين في الداخل والخارج شعوراً بالحاجة إلى عمل حاسم ومصارحة ظاهرة في مختلف الأشياء ولئن كان من الطبيعي أن تمر الحركة في مراحلها الأولى لتتبع الحجة والنظام القديم ورجالها فليس من الطبيعي أن يستمر اتجاه الزعماء في سياسة الجبروت لا يراعون من أجل الاستعمار قربي ، ولقد اتضح منذ سنة ١٩٣٧ أن طلائعنا قد وقع بين الشعب وبين ممثلي الحماية ونظامها ، وأن للنازية لم يعودوا يرون في أسلوب الحماية إلا الاستعباد الواضح البين الذي لم تحفه عنهم شعوذة إدارة الشؤون الأهلية ولا سياسة الابتسامة الصفراء التي أورثها ليوطي كأغلوطة مقدسة ومن المبعث أن يتذكر تأثير أجواء الحرب وإعلان وثيقة المحيط الأطلسي ونزول الحلفاء بالمغرب واستقلال سوريا ولبنان — من المبعث أن تتذكر ما أحدثته ذلك من تفاعل في نفوس الوطنيين شجعهم على اتخاذ السياسة الصريحة في مطالبهم ولكن مهما يكن لذلك كله من أثر فإن الباعث الحقيقي ظل في التجربة المرة التي قامت بها الوطنية المغربية ، تلك الوطنية التي كانت تحتاج لمجهود كبير كي تنفع نفسها بضرورة اتباع خطة الجمالة والخضوع لسياسة المراحل ، ومن الحق أن نعرف بأنها كثيراً ما كانت تحس وخز من ضميرها تتملص منه بأن الأسلوب غير المبدأ ، وأن الاستفادة من الواقع كثيراً ما يكون في صالح المآل ، ولسكنها رأت بنفسها ما أياها اليأس كله من ولادة الحماية الذين كانوا يقاتلون مرضها الخاص للتعاون بظلمة استتارية نأب أن تعترف حتى بنبل الغاية التي تعمل لها وأيا ما كان فقد شعر السكل بضرورة الخروج من سياسة محكوم عليها بالفشل

عاشق الوطن
الحزب الوطني

إلى خطة لا نلصق فيها ولا نفوض ، هي إعلان الاستقلال ، والاستقلال قبل كل شيء ، وقد علم جلالة مولانا الملك استثناء هذه المرحلة بما أدلى به من تصريحات المناسبات مختلفة لأعلام ممثلي خرسا وممثلي الحلفاء ، والتي تتلخص في أن المغرب قد ظل صبوراً مدة الحرب ، ونحى في سبيل انتصار الحرية الإنسانية فيجب أن يدال حقه منها « إنكم تعلمون أن قيام المغرب بواجباته كلها أعطاه سبباً آخر ليستعجل الحصول على سائر حقوقه » .

والحصول على كامل هذه الحقوق ولتأكيد التصريحات التي قام بها أعظم ممثل للشعب تأسس حزب الاستقلال .

ويرجع الفصل الأول في تأسيس الحزب الجديد إلى الحزب الوطني نفسه ، فقد فسكرت لجنته التنفيذية في ضرورة السير في هذا الاتجاه الحسن ، ولتأكيد من أن فكرتها متفقة عملياً مع رغبات سائر الطبقات الشعبية دعت لعقد مؤتمر عام تقتل فيه جميع النزعات السياسية والاجتماعية للبلاد ، وأنه قد هذا المؤتمر بالرباط في ١١ يناير سنة ١٩٤٤ حيث نشأ (حزب الاستقلال) كحزب مهمته الأولى هي التحرير القومي .

وقد تكتل في حزب الاستقلال :

١ - الحزب الوطني الذي كان يضم الأغلبية الساحقة من الفلاحين والصناع والطبقة العاملة والتجار وغالبية النخبة المثقفة في البلاد .

٢ - رؤساء وأعضاء المجالس الإدارية لجمعية قدامى تلاميذ مدن الرباط وفاس ومكناس وسلا وسراكنش وأزرو ووجدة وآسفي ، ولهذه الجمعيات أهمية كبيرة في توجيه التلامذة ، وقد كانت ممثلة رسمياً في مايسمونه بمجلس شورى الحكومة .

٣ - هديده من الشخصيات البارزة في (الحركة القومية) .

٤ - هديد من الشخصيات البارزة الثورية كالفنمين والقضاة الشرعيين والمدنيين وكبار الموظفين الحزبيين وأساتذة الجامعة القروية والمعاهد الكبرى

وأستاذة المدارس الثانوية ومعلمي المدارس الحكومية والحرة .

وبذلك تكثرت الأمة كلها في هذا الحرب ، فتقدم يعمل الناية التي أسس من أجلها فرفع يوم ١١ يناير سنة ١٩٤٤ جلالة ملك المغرب والممثل فرنسا وحلفائها ميثاقاً تعرض لتعليقه قبل ذكر نصه :

(أ) إن الحماية نظام معروض بالقوة على الأمة المغربية في ظروف استثنائية وليس أدل على ذلك من المقاومة الحربية التي وانطب عليها الشك من سنة ١٩٠٧ إلى سنة ١٩٣٤ .

(ب) أثناء تطبيق معاهدة الحماية المفروضة وقع خرقها انظماً ومن طرف الذين التزموا ريثماً باحترامها ، فأصبحت السيادة المغربية غير ملمومة (أ) .
(ج) وقد كانت الناية التي اتبعتها الحماية لأعمالها هي تقوية مصالح المستعمرين الأوروبيين وتأخير تطور العناصر المغربية أو عرقلة .

(د) وانتمت حق الشعوب في أن تختار مصيرها حسباً أكدته مختلف التصريحات التي أدلى بها الحلفاء في وقت الحرب وبالأخص في الميثاق الأطلسي وكذلك وجود جيوش مغربية في الجهة لغربية — كل ذلك يفول المخاربة الحق في مصير حر .

ولهذه الأسباب كلها يرى (حزب الاستقلال) أن يطالب — معبراً عن رغبات الشعب — بما يأتي :

أولاً — الاستقلال والوحدة التامة لجميع مناطق المغرب .

ثانياً — تكوين نظام ديموقراطي شبيه بالأنظمة التي اتبعتها مختلف الحكومات الإسلامية بضمن حقوق سائر العناصر والطبقات التي تتكون منها الأمة المغربية .

ميثاق ١١ يناير سنة ١٩٤٤

ميثاق

النص الرسمي

« إن حزب الاستقلال الذي يضم أعضاء الحزب الوطني السابق وشخصيات حرة .

حيث إن الدولة المغربية تعتمد دائماً بحريتها وسيادتها الوطنية ، وحافظت على استقلالها طيلة ثلاثة عشر قرناً إلى أن فرض عليها نظام الحماية في ظروف خاصة .
وحيث إن الناية من هذا النظام والمبرر لوجوده هما إدخال الإصلاحات التي يحتاج إليها المغرب في ميادين الإدارة والعلمية والثقافة والاقتصاد والمالية والمسلحة دون أن يمس ذلك بسيادة الشعب المغربي التاريخية وغرود جلالة الملك وحيث إن سلطات الحماية بدأت هذا النظام بنظام مبنى على الحكم المباشر والاستبداد لعائدة الجالية الفرنسية ، ومنها جيش الموظفين الذي لا يتوقف المغرب إلا على جزء يسير منه ، وإسها لم تحاول التوفيق بين مصالح مختلف العناصر في البلاد .

وحيث إن الجالية الفرنسية توصلت بهذا النظام إلى الاستعواذ على مقاليد الحكم ، واحتكرت خيرات البلاد دون أممها .

وحيث إن هذا النظام حاول بشئ الوسائل تعظيم الوحدة المغربية ومنع المزاربة من المشاركة الفعلية في تسيير شئون بلادهم ومعهم من كل حرية خاصة أو عامة وحيث إن الظروف التي يجتازها العالم هي غير الظروف التي أسست فيها الحماية وحيث إن المغرب شارك مشاركة فعالة في الحروب العالمية بمجنوب الحلفاء ، وقام رجاله أخيراً بأعمال أثار إعجاب الجميع في فرنسا وتونس وصقلية وكورسيكا

وإيطاليا ، و ينتظر منهم مشاركة أوسع في ميادين أخرى ، وبالأخص لمساعدة فرنسا على تحريرها .

وحيث إن الحلفاء الذين يهزقون دماءهم في سبيل الحرية اعتقدوا في وثيقة الأطلسي بحق الشعوب في حكم نفسها بنفسها ، وأعلنوا أخيراً في مؤتمر طهران سخطهم على المذهب الذي بقتضاء يزعم القوى حق الاستيلاء على الضعيف .
وحيث إن الحلفاء أظهروا في شتى المناسبات عطفهم على الشعوب الإسلامية ومنحروا الاستقلال لشعوب غيرها ، منها من هو دون شعبنا في ماضيه وفي حاضره .
وحيث إن الأمة العربية التي تكون وحدة متناسقة الأجزاء تشعر بمالها وما عليها من واجبات داخل البلاد وخارجها تحت رعاية ملكها المحبوب ،
وتقدر حق قدرها الحريات الديمقراطية التي توافق في جوهرها مبادئ ديننا الحنيف والتي كانت الأساس في وضع نظام الحكم بالبلاد الإسلامية الشقيقة .
قرر ما يأتي :

١ - فيما يرجع للسياسة العامة :

أولاً - أن يطالب باستقلال المغرب ووحدة ترابه تحت ظل صاحب الجلالة ملك البلاد المعدي سيدنا محمد بن مولانا يوسف نصره الله وأيده .

ثانياً - أن يتنص من جلالاته السمي لدى الدول التي يهمها الأمر للاعتراف بهذا الاستقلال وضمائه .

ثالثاً - أن يطالب انضمام المغرب للدول المراقبة على ميثاق الأطلسي والمشاركة في مؤتمر الصلح .

٢ - فيما يرجع للسياسة الداخلية :

رابعاً - أن يتنص من جلالاته أن يشمل برعايته حركة الإصلاح الذي يتوقف عليها المغرب .

حزب الاستقلال كهدف وكعقيدة

١ - الحزب بربر الاستقلال :

الشرط الأساسي لإنهاض المغرب هو استقلاله ؟ لأن الاستقلال لا ينعش
بمظاهر سيادتها القومية مائة حتما لأن بقي مستعبدة للذين يستغلون
الاستيلاء عليها .

وهذا الاستقلال يقتضى طهراً الوحدة والتحرر لجميع المناطق المغربية .

٢ - الحزب يناهض الحرية :

نشاط الفرد في الحياة الاجتماعية يستلزم الحصول على الحرية الكاملة التي
لا تعرف حداً إلا حد الحماية لمصلحة الآخرين أو للمصلحة للمقولة لكل ، (إن
الحرية وحدها هي التي تجعل المرء يدرك الحرية) .

٣ - مسألة النظام - الدستور :

مسألة النظام لا محل لها في المغرب ؛ لأن هناك عائلة مالكة محبوبة من
الشعب الذي يدين بالولاء للعرش ولجلالة ملكه الحالي سيدي محمد بن يوسف ،
وجلالة الملك الذي يحمل من النظام عدة من أعمدة الوحدة والانسجام
لمعاني الأمة .

وطبقاً لمبادئ الإسلام التي تتفق بصفة محسوسة مع الأصول الديمقراطية
فإن المغرب يجب أن يمد في ضمن الأم الإسلامية والشرقية الحرة الراقية .
وحزب الاستقلال يطالب مع ذلك بإعلان دستور ديمقراطي يعترف بحقوق
الإنسان والمواطنين ، ويراعي في وضعه ما تتوقف عليه حياة القارة وحاجياتهم .

ويجب أن يدعى فيه على أن اللغة العربية هي لغة البلاد الرسمية ، كما أن الإسلام هو الدين الرسمي للدولة المصرية ، ولكن مع ضمان حرية العقيدة والفكر للجميع .

ويجب أن يعتبر حائر الغاربية متساوين أمام القانون ، يتمتعون بحقوق واحدة ، ويؤدون واجبات واحدة من غير امتياز ديني أو عنصري .
والسألة اليهودية لا وجود لها بالمغرب لأن يهود البلاد أعضاء في العائلة المغربية على غرار الأقباط المصريين ، وسيبقون متمسكين مثل ما كانوا بحريتهم الدينية ، وبخصوص ما يرجع للسلبية الدينية في الحالات المعتادة كمناظر للغاربية .

٤ - التربية والبعث الديمقراطي :

لحزب الاستقلال إذن من أنصار الملكية الدستورية واللبادى الديمقراطية ، ولكن الديمقراطية ليست شيئاً جديداً بالنسبة لمراكش ، بل هي شيء واقع منذ القديم في كثير من أنظمةنا الشعبية ، ولذلك يرى الحزب وجوب بعث للأنظمة الديمقراطية وتنظيمها كالجاعات القبلية التي حولت الحياة منها من مجالس بلدية إلى محاكم عرفية .

ولكن ما يريده الحزب هو الديمقراطية كما تفهمها الدول الغربية الكبيرة ، ولا يكفي بعث الأنظمة القديمة لإقرارها في البلاد ، ولذلك يرى الحزب من مهمته القيام بتربية ديمقراطية مستمرة أسائر أفراد الشعب ، والمطالبة بالتعليم الإجبارى في الحواضر والوادي للبين والبنات ، وتوحيد الأمة على الحياة الدستورية بمختلف الأوساط التي تربها وتساعد على تذوق المعاني التي تعجبو إليها في مظاهر النظام الديمقراطي الذي يترتدريجياً في البلاد .

• - مسألة الإطار :

لا يجهل (حزب الاستقلال) أن المغرب لا يمكن أن ينظم حكومة وشعباً على أحدث أنواع الأنظمة الغربية بمحض وسائله الخاصة ، ولكنه يحمل مسؤولية فقدان الإطار الكافي لسياسة الحماية التي عرقلت تطوراً هاماً ، كما أنها وضعت من اللسان الفرنسي اللغة التي تسير بها مختلف الإدارات التي بيدها دوليب الحكم ، ولذلك أهدت من مقاليدها نخبة البلاد للشقة بالغة .

فإرجاع الشيء لنصابه بعودة اللغة العربية لما كانت عليه من لغة رسمية هو البداية فقط بل في العمل يزبل تقريباً مشكلة الإطار خصوصاً في ما يتعلق بالتنظيم الإداري والقضائي والثقافي واللالي ، ومعنى هذا أن الإطار القديم سيستعمل بعد نوع من التمهين ، بينما يقع إعداد الإطار الجديد وإحلاله محل القديم تدريجياً .

وأما فيما يخص للصالح الفنية فإن المغرب يختار من خارج البلاد من يستعمل في الإرشاد الفني في الإدارات التي لا يوجد بها فنيون مغاربة ، وأما كان للحزب لا يرى أن مسألة الإطار من شأنها أن توقف البلاد عن ليها استقلالها العاجل ، بل يعتبرها حاجة داخلية يمكن للحكومة القومية أن تحلها بالوسائل التي ترى فيها خير البلاد ومصحتها ، يجب أن يستقل المغرب ويسير ولو بإطار حقيق ليهتمكن من تكوين أداة عصرية لحكمه ، وإلا فإنه لن يدرك أبداً ما يصبو إليه ، وثلاثة أجيال الحماية كلها دليل على أن نظاماً يسيره الأجنبي لا يمكن أن يؤدي لتطور منشود موافق للأمانى القومية والاجتماعية للبلاد .

٦ - مسألة العدل :

يمكن للغرب أن يتابع نظاماً قضائياً متجداً ، وقد سارت البلاد منذ عهد جيد على نظام المحاكم الجزئية والشرعية ؛ فالحزب يطالب بسن قانون متحد مستمد من أصول الشريعة الإسلامية ومراعى فيه توجهات العمل الغربي وتطورات القانون الأجنبي ، مع تأسيس المحاكم وإعداد القضاة الذين يفتقدونه ، وأياً ما كان فلا محل في المغرب للمحاكم الأجنبية أو المحفظة ، ويجب أن يخضع الكل للقوانين الغربية والمحاكم الجزئية ، وأن يقضى على كل أثر للاعتزازات الأجنبية .

٧ - السياسة الاجتماعية : التعليم - الإسكان :

يرى الحزب وجوب سن قوانين اجتماعية في المغرب من أجل رفع المستوى المادي والخلقي والتمثل للجمهور المغربي ، وتمهين حالة العملة في المدن والقرى ، وإعطاء الشكل التربوي الحقيقية ، وإنشائهم على الأسس التي تشعرون بالكرامة والحرمة الإنسانية .

وبما أن جمهور الصناع الصغار في المدن والقرى سيبقى في عداد العوامل الضرورية لتوازن الاجتماع إلى وقت غير قصير فنلزم واجب مساعدتهم وحمايتهم وتنظيم هيئتهم وتوجيههم نحو أسلوب تعاوني .

أما المسألة للزوجة فهي حالة البروليتارية الفلاحية ، ويرى الحزب وجوب حلها بتقسيم عادل للثروات الفلاحية للمغرب ؛ كدققتي لأبناء القرية أن يحصلوا على ملكية صغيرة ومتوسطة .

ويجب أن يفرض التعليم الإجباري لسائر الأطفال الذين في سن مدرسي ذكوراً وإناثاً بالسادة والحاضرة ، وأن يكون مجاناً للجميع ، كما يجب تنظيم دروس عامة مجانية لمقاومة الأمية .

وتفائدة الكل يجب تصنيع البلاد وتوجيهها التوجيه الاقتصادي النافع ،
وتأمين المرافق العمومية ومناخ التراث القومى .
ويجب على الحكومة المصرية المستقلة أن تضع فى مقدمة أعمالها الإحسان
الاجتماعى ولا سيما فيما يرجع لحماية المرأة والمطلقة ، ورعاية الصحة العامة .

٨ - الدفاع الوطنى والأسس المرافقى :

معها ادعى المرجفون عن حالة الأمن فى المغرب بلادنا لم تكن فى يوم
من الأيام مقراً للفوضى ، وإذا كانت معدتنا الحربية قد تدهورت فى القرن العشرين
غير موافقة لما تقتضيه حاجيات المصر فقد كانت لنا مراكز عسكرية رئيسية ،
ومراكز قبلية كفت لضمان الأمن الداخلى والخارجى مدة أجيال كثيرة ؛
بل استطاعت أحياناً أن تنشر السلام المراكشى على مواطن بعيدة ممتدة من
شمال المغرب وحوضه وشرقيه ؛ لكن هذه القوات لم تعد كافية فى هذا المصر ،
ولم يعد من الممكن أن نتمسك بها على دسائس الأجانب الذين كانوا يتمتعون
الفرص لانتضاء على بلادنا ، وعليه فإصلاح النظام المراكشى واجب .
وقد زعمت الحماية أنها نشرت الأمن ، وأوجدت أحسن السبل لاستمراره
ولكن أى أمن هو ذلك الذى لا يعرف إلا القوة واستعمال وسائل الإرهاب
للإنسانية سبيلاً ؟! إن أمن الحماية لم يبذل أى جهد لإقرار الحق ، ولم يكن ذلك
ذنبه لحسب ، بل إنه سخر سائر أدواته للظلم والدفاع عن مصالح طبقة استغلالية
محتكرة من أصحاب رؤوس الأموال الأجانب ومن المستعمرين الفاضلين .
ثم هو بعد ذلك أداة مسخرة للقمع السياسى وحماية نظام مفروض على
البلاد ضداً على الثورات التى ظلت ممكنة حتى بعد مرور ثمانية وثلاثين سنة
على الحماية ، أما فيما يخص المغرب فإن (حزب الاستقلال) يريد نظاماً جاداً
أكثر بساطة وأقل تعقيداً ؛ فبقيا يتعلق بالدفاع الخارجى . يجب أن يبذل المغرب
كل مساعداته لنظام الدفاع الأسمى طبقاً للأصول التى تقرها الأمم المتحدة .

وفيما يخص الاطمئنان الداخلي يجب تكوين فرقة إدارية لا تعمل إلا لما تقتضيه حاجة الأمن الإقليمي ، دون أن يكون لها أدنى حراسة للتيارات السياسية ؛ إذ لا يحتاج المغرب إلى جيش عرمرم كالذي وضعت له الحماية خصوصاً بعد الإصلاح الاجتماعي والثقافي الذي تقوم به الحكومة القومية ، وإنما يحتاج القوة معجولة تشعر الشعب بأن الأمن العام حراساً متيقظين ، وإلى جانب هذه القوة للمعجولة تؤسس فرق (لقبوى السلاح) تركز هنا وهناك في الأراضى الخزنية أو أراضى الجماعات للمساعدة على نشر السكينة عند الحاجة ، والقيام بتصميم الوسائل المصرية للحراسة والاستغلال الزراعي .

٩ - السياسة الاقتصادية والمالية :

نظام الباب المفتوح وتساوى الدول الأجنبية فيما يرجع لشئون الاقتصادية وفق ما اقتضته معاهدة الجزيرة سبقت إلى وقت ما المنهاج للتبغ في نظام البلاد الاقتصادي ؛ لكن الحزب يرى من الضرورة إدخال بعض التعديلات عليه ؛ فمسكرة الباب للمفتوح يجب أن تقتنع بوجود معاملة الدول التي تستفيد منه للمغرب بالمثل ، وأيضاً فإنه لا بد من استعمال بعض التدابير المالية ، ولا سيما رفع قيمة الأدوات الحركية مع احترام مبدأ المساواة في الأداء .

سياسة الحماية في الجهات أدت إلى جمع الكثير من رؤوس الأموال الأجنبية في المغرب ؛ لكن هذا التسهيل الذي استفادته الرأسمالية الأجنبية لم يكن إلا على ظهر المستهلكين الذين يكون الأهالي أغلبيةهم الساحقة ؛ لأنهم هم الذين تحملوا إكمال هيكل الليزانية بالضرائب غير مباشرة ، فتعبرر المستهلكين من الحمل الثقيل بفرض الضرائب على الذين يستحقونها من أول ما يجب عليه ، وكذلك المساواة في الضرائب تقضى على الميز الذي اتبته الحماية لتسكن الممربين من أداء مثل ما يؤديه الفلاح للمغرب .

وفيما يرجع لشئون المالية يرى (حزب الاستقلال) أن استغلال التراث

المعدنى الذى هو ملك للدولة ولا يقبل التطويت يجب أن يكون من الدولة مباشرة ، أو بواسطة وحس مخزنية (حكومية) مشتركة النفع حتى يمكن للبلاد أن تحقق حاجياتها دون الاضطرار لأداءات باهظة ، كما يرى من الواجب تأميم كثير من المرافق العامة لتحقيق هس الهدف . .

ولسلامة مالية الدولة يجب على الحكومة أن يتقاعم بتضخم النقد ، والحصول على استقرار العملة فى دائرة الاتفاقات الدولية ، وعلى استقلال الفرنك الفرنسى عن فرنك فرنسا ومصراتها .

والخلاصة أن الحزب لا يفتحل فى سياسته المالية والاقتصادية إلى حزب من المذاهب المعروفة ، ولا يقصر دفاعه على أية طبقة اجتماعية وحدها ، ~~وإن كان~~ عطفه مع ذلك يتوجه بصفة خاصة للطبقة الفقيرة التى يرى وجوب رفع مستواها معيشتها ومستوى ثقافتها ومعنوياتها لتسكن لها حرمتها الخاصة التى فصل بالمكان اللائق بها فى الهيئة الاجتماعية المغربية .

١٠ - السياسة الخارجية :

لئن اضطر الحزب للأنزواء على نفسه فى العهد الأخير للدفاع عن حريته فإن التاريخ يثبت أنه كان كلما أحسن القوة من نفسه اتبع سياسة خارجية حرة وربط علاقات حسنة مع مختلف الشعوب الأجنبية .

وفى حسن الضيافة التى قدمها لليهود المطرودين من الأندلس ما يدل على روح التحرر التى سمحت لأوثك اليهود بالمحافظة على ديانتهم وأموالهم وقضائهم للشرعى ، مع تمتعهم بالرعية المغربية التى خواتهم أحيانا الحصول على المناصب الكبرى فى الدولة ، وفى ذلك ما يبنى كل اتهام بالتعصب الدينى أو العنصرى ، وما يعرب عن استعداد المغاربة لتعاون مخلص مع غيرهم من الدول والطوائف . لكن هذا التعاون والتساند لا يراهما (حزب الاستقلال) ممكنين إلا فى دائرة الاعتراف للغرب بكامل حقوقه وبمقتضى أصول العلاقات الدولية

التي وضمتها وثيقة الأطلسي ومقررات الأمم المتحدة .

ويرى أن علاقات البلاد يجب أن تكون أحكم وأوفق مع الدول العربية
التي تربطنا بها روابط تاريخية وثقافية وعنصرية لا حصر لها ، وهذه العلاقة
يجب أن تنتهي بالانضمام للاتحاد الذي يجمع سائر الدول العربية في عائلة العروبة
الكبرى ليتسنى للغرب والعرب جميعاً أن يشتركوا في بناء صرح سلام عالمي ،
ويستلهم نظام إنساني للخير العالم بأموره .

المطالبة بالاستقلال

١٩١٤ - ١٩١٥

١٩١٤ - ١٩١٥

تلك هي للبادئ التي جمع فيها (حزب الاستقلال) والحزب الوطني والحركات التي سبقته ، وافقد صدى ، ومن حوله الشعبين العرب والكرد (بكارة الأمة النهائية في المطالبة بالاعتراف باستقلالها التاجريمة)

وفي يوم ١١ يناير سنة ١٩١٤ رفع الحزب ميثاق الاستقلال إلى الملك كما قدم نسخة منه لمقيم فرنسا العام ويمثل الدول الكبرى . وقد كان الابدعاش عفايا في نفوس ولاية الحاية ، ولكنهم لم يستطعوا القمل إلا بعد أن اعلماوا على حياد حيوش الحلفاء المربطة في البلاد .

أما جلالة الملك فقد استدعى يوم ١٣ يناير المجلس الوزاري للاستعداد في شكل مؤتمر يضم كثيراً من رؤساء البلاد وأعيانها ، خصوصاً رؤساء المقاطعات وعلماء الدين وأمم القضاة الشرعيين والمدنيين وأبرز أفراد العائلة المالكة ، وقد اعتنع جلالاته هذا الاجتماع مخبرا الحاضرين بالميثاق الذي رفعه بجلالاته (حزب الاستقلال) واستوخم رأى كل واحد في الموضوع ، فأبدى الكل مصادفته على الميثاق ، وأعلن استنكاره العظيم لسياسة الحاية التي أثبتت فشلها وعجزها عن التوفيق بين رغبات الشعب ومصالح الدولتين .

ثم قرر المؤمنون تكوين لجنة من وزيرين ومن رؤساء الشريعات الملكية لتتصل باللجنة التنفيذية للحزب ، وتبحث معها الطرق التي تراها لتنفيذ الاستقلال مساها تنفع ممثل الإقامة العامة بأخذها حتى تحمل المشكاة المترتبة دون الاضطرار لتفصيات كبرى .

وقد اجتمعت هذه اللجنة مع أقطاب الحزب ، وبعد أن أعلن الكل موافقتهم على وجوب إلغاء الحاية أخذوا يدرسون وسائل التوفيق بين الاستقلال

المنشود وحالة الملاقات الفرنسية المغربية ، وقد استمرت هذه للذاكرات والانصالات مع الإقامة العامة ثلاثة أيام أبدى فيها متكلم بلسان الحماية أنها لا تقبل أى تعديل لما تقتضيه معاهدة ١٩١٢ واسكتها مستعدة لتعطيق إصلاحات سياسية واجتماعية مرضية ، وطوى أن ممثلى الحزب وممثلى المؤتمر المسمى رفضوا المدلول من المطالبة بالاستقلال ، فأبدت الإقامة رغبته فى قطع للذاكرات وإنهاء عمل هذه اللجنة .

أما ميثاق الاستقلال فقد استمر ثابتاً ، وعاد المجلس الوزرى لاتخاذ يوم ١٨ يناير لمبحث عن وسائل تنفيذه .

وفى خلال هذه اللفة توالى الوفود الشعبية من كل نواحي المغرب ترفع جلالة الملك عرائض التأييد لطالب الاستقلال المرفوع من الحزب ، وقد شاركت فى هذا التأييد كل الطبقات الاجتماعية من أكره قضاة الشرع الإسلامى إلى أبسط رجال البوارجى السرى الذين لم تمنعهم ظروفهم من الاشتراك فى هذا التضامن الشعبى العام ، وحثت البلاد نشوة الحديث عن الاستقلال واليوم الذى يحتفل فيه بإنجازها .

ومن المهم الإشارة إلى أن فى عداد الوفود التى رفعت تأييدها لذلك وقد المجلس الملكى للترويين والمعاهد الدينية ، وأهمية هذا المجلس من ناحية الدور الذى يقوم به فى الحياة العامة بالمغرب عظيمة جداً .

وكذلك يجب أن نشير لوفود العيادات التى أعدت مفاصرة الحزب واستمدادها للتضحية فى سبيل الاستقلال .

وقد حازت الإدارة الفرنسية ظاهرة (أسبوع التضامن فى سبيل الاستقلال) على كامل تعظيمها ، ولم تتخذ أية وسيلة لمنع الوفود غير المنقطعة من الوصول للقصر العاصى بالرباط .

وفى يوم ١٨ يناير توجه المقيم العام المسيو بيبو للقصر العاصى فقبل انعقاد المجلس الوزارى الموسع طائلاً . مقابلة جلالة الملك للذاكرة معه فى أمر مستعجل

وقد بلغ جلالة أنه اتصل من اللجنة الوطنية للفرنسية للتحرير الوطني التي كانت مستقرة بالجزائر بتعليمات تقضى عليه ألا يدخل في أي محادثات تدعو لتغيير نظام الحماية ، وزعم أن لفرنسا وحدها الحق في اقتراح الإصلاحات التي تراها لازمة ، وأن لجنة التحرير تدوس هذه الإصلاحات على رؤسها ، وأنها بمجرد ما يتم درسها ترفع لمصادقة جلالة الملك عليها ، وأن كل مناقشة في موضوع معاهدة الحماية لا يمكن أن تسمح بها الحكومة الفرنسية.

وقد بلغ جلالة الملك نوزدائه قرار الحكومة الفرنسية بطلبها تأكيد استمراره في المطالبة بالاستقلال طلب من المجلس أن يؤخر إلى آخر الأمر وهكذا لم تستطع اللجنة للكلفة من المؤتمر الملكي بالاتفاق مع الحزب الذي كان للحزب على الشكل الذي يمكن به تنفيذ الرغبة الشعبية : أن يتراجع إلى الخلف التي كتبها الحزب لأصحاب المجلس الوزاري .

وبمجريه ما علم الحزب ببلاغ الإقامة العامة أذاع بياناً يؤكد فيه أن المطالبة بالاستقلال لا تنفي أبداً الهدوء لفرنسا ولا لغيرها ، وأن الحزب لا يفكر في الوصول لغايته إلا بالوسائل المشروعة .

رد الفعل عند العودة الفرنسية :

وفي السند بلغ الولاة الفرنسيون العديد من أقطاب الحزب الوافدين على الرباط أواسر بالخروج من العاصمة والرجوع لمقر إقامتهم .

وفي يوم ٢٢ يناير أصدرت الإقامة العامة بلاغاً رسمياً نشرته الصحف الفرنسية تعلن اتفاق الإقامة العامة مع جلالة الملك على إنجاز كثير من الإصلاحات التي تزيد في تقدم المغرب وازدهاره في دائرة الصداقة الفرنسية المغربية .

وقام الولاة الفرنسيون الحايون باستدعاء الأعيان ومعاتبتهم على تضامنهم مع الحزب في طلب الاستقلال ، وأوقف أثناء هذا اعتاب عديد منهم (عراكش وآسني ووجدة) ومع ذلك فقد استمر الشعب في هدوئه .

وقد توقع الكل أن حركة التمتع العام ستبتدىء ، ولكنه ظل يتساءل عن الأسباب التي ستثير بها الحياة عملها ، وقد وقعت كل المظاهرات أثناء تقديم الميثاق الوطني وأثناء تأييده في كامل المهدوء والسلام .

ولكن الاستعمار الفرنسي لا يعدم مذبأ ؛ فقد ادعى أن الحركة الاستقلالية مؤيدة ومشجعة من طرف المحور الذي يريد خلق صعوبات لجيوش الحلفاء ، وهكذا بعد بضع ساعات من إعلان السيو ما مييجلي المعروض الوطني في الخارجية الفرنسية في خطاب بمذبح الجرائد قبول اللجنة الفرنسية لتحرير الوطني مشروع إصلاح مستعجل بالمغرب كان الولاة العسكريون (مساء ٢٨ يناير) يقبضون على ١٨ مسورا من رجال الحركة الاستقلالية متهمين لم باتصالات مع العدو ، وكان في مقدمة هؤلاء المعتقلين الأمين العام للحزب الحاج أحمد بلالويج ومحمد اليزيدي عضو اللجنة التنفيذية .

ومنذ الساعة الأولى من صباح يوم ١٩ يناير عرف المغرب كله نيا لعنتال الأمين العام وغيره من قادة الحزب ، فم الاستياء ووقع إضراب عام شامل في مائر المدن المغربية .

الاضراب

وفي الرباط استشد الشعب في ساحة القصر الملكي للاحتجاج على هذه التدابير والمطالبة بتحرير الزعماء المعتقلين ، وبعد ما عجز مدير الشؤون السياسية الفرنسي من تشتيت المظاهرين أطلق سراح الأستاذ اليزيدي وسمح له بالدخول للقصر الملكي حيث تفاوض مع جلالة الملك ، ثم طلب من الجمهور أن يفرقوا مؤكدا لم اهتمام جلالة الملك بالقضية ، وقد استجاب الجمهور لنداء الزعيم اليزيدي الذي لم يكن مبرأ إلا عن خطة الحزب التي ترى وجوب عدم إعطاء الولاة الفرنسيين أي مبرر لما يروكبونه من خطورة وحسف .

ولكن مع ذلك وقع قتل أوربي بمدخل القصر الملكي قتل بعض المظاهرين الذين هاجتهم كلمة صدرت من المقتول ضد الماربة .

ولما وصل للتظاهرون ليل المدينة اندفعت نفوم كوكبة من الجندرمة

الثلة برئاسة الصابط أرابيير فجرت مشادة بين الفريقين ، وأمنت الجندرية
كوكبة من طابور الجنرال لوكاير ، فتسعى المتظاهرون عن شارع دار القزن ،
وانتهجوا نحو حي الإقامة العامة عن طريق الناحية المدنية ، فهاجمهم الجيش ،
متحيزوا نحو باب مربية وباب شالة ، فأرسلت السلطات العسكرية الأمر لمركز
الجندرية بباب شالة بالانضمام لكوكبة المقاتلة ، فاجتهد المتظاهرون لتجميع
والدفاع عن أنفسهم ، فأملطروا الجندرية وابلا من الحجارة واستعاضوا أن
يحترقوا بذلك سد الحصار ، ثم هاجمهم متصرف الميناء الذي كان يترصد
مدسه وقتلوه ، وقد أصابت الحجارة غير الجند كضحايا أخرى من كوكبة الميناء
التجارية الفرنسية .

وفي الساعة الثالثة والنصف من اليوم نفسه أرسلت الإقامة العامة للجندرية
الحماية (المباشرة) ، حيث استطاعت بعد صراع عنيف دام ساعتين أن تحتل
باب المدينة .

وقد كانت قائمة الخسائر الفرنسية كما يلي : —

٢ اثنان مدنيان هما بينيتري ورولومن رجال الإدارة .

١ متصرف بوليس من صاحبي الدراجات النارية .

٣ بريجادي واحد ، وجف بريجادي ، ومتصرف بوليس جرحوا
جرحاً شديداً .

٧ رئيس الكوكبة القومندان أرابيير ، والاجودان شاف ، والاجودان ،
والدارشال ديولوجيه ، وثلاثة من الجندرية جرحوا في رؤوسهم ضرباً بالحجارة .
أما المتظاهرون المناربة فقد قتل منهم ستة ، وجرح سبتون .

وفي عشية النهار احتشدت المدينة كلها لدفن شهداء الوطنيين في جوار
الأم والأسى ، وقد شاركت المرأة المغربية في هذه المظاهرات الوطنية مشاركة
عملية كبرى .

أما الولاة الفرنسيون فقد انتهزوا فرصة الليل والتهجد الأهالي لمضاجعتهم ،

مركز الميناء

غشّدوا جيوشاً جرارة لمحاصرة الأحياء الإسلامية ، والاستعداد لقمع أشد وأقصى
وما استيقظ الناس في الصباح حتى وجدوا المذنبات والمصفحات تحاصر سائر
الطرق المهمة وتنزل بعضها عن بعض ، وتبيع الناس من المرور ، فأقلت المدينة ،
وهاج الجمهور ، واضطرت السلطة لاستدعاء بعض الزعماء الذين كانوا لم يستقلوا
بعد ، واستعانت بهم في تهدئة الجو بعد ما بدأت تسحب حصارها ، ولكن
هذا الانسحاب لم يطل حتى عاد مرة ثانية ، وانشرت فرق الجيش في سائر
الأرقة حيث بدأت تمتلئ الجمهور جماعات ، وأخذ الجيش يعتدي على مختلف
المارة رجالاً ونساء وأطفالاً وشيوخاً وشباباً ، وقد حكمت السلطة العسكرية حينئذ
وبلا محاكمة على ثمانية شخص ، وبغضاب يتراوح بين ثلاثة أشهر وعامين ،
وعمل هؤلاء السجون بقسوة شديدة أدت إلى موت عديد من بينهم .

وانطلقت أيدي الجنود في المدينة بالسلب والنهب والضرب ، فلم يبق موق
ولا قصبة ولا منظمة مغربية إلا هوجت واعتدى على أصحابها ، واعتقل من
بينهم عدد كبير أيضاً .

ونمت ستار البحث عن المجرمين وتفتيش المنازل للعثور على مستودعات
السلاح والواد العسكرية التي جابها الوطنيون (بزعمهم) هوجت المائلات
ونسرب الجنود الفرنسيون لبيوت الماربة ينهبون ما بها من مال وعتاد .

وفي أثناء هذا كله قطعت كل المواصلات التليفونية ، ونزع الاشتراك من
كثير من المروّبين بأفكارهم الوطنية ، كما حوصرت منازل بعض رجال الحركة
وهزلت عن أن يتصل بها أحد .

وقد استمرت هذه الحالة ثلاثة أيام ، ولم تنفث إلا بسبب طارىء غير مقصود
ذلك أن شاباً مولفناً بالفرنسية العامة الأمريكية بالرباط اعتقله الجنود ، وخربه
ومزق أوراقه الرسمية ، فاحتج الممثل الأمريكي واضطر الفرنسيون إلى إعطاء
أوامر لإيلاء التعرض للناس وضربهم .

وفي نفس العاصمة الفكرية المغرب نظمت هذه مظاهرات خطيرة للاحتجاج

على اعتقال الزعماء وتدابير الولاة الفرنسيين ، وقد مرت مظاهرات فاس السليمة يوم ٢٩ دون أن تقوم الإدارة بحوها برد فعل ما ، لكن لم يمن التدسني أو وقف جميع أقطاب الحركة البارزين بالمدينة من أساتذة ومحامين وأطباء ، واستأنف الأهالي التظاهر بأشد مما كان عليه من قبل ، ومع ذلك فإن الاصطدام الكامل بين المتظاهرين والجيش لم يقع إلا يوم ٣١ يناير ، وقد اشتعلت في هذا اليوم ستون وطنيا ، وجرح نحو المائة ، وسجن ألفا شخص ، وهاجم الوطنيون حصن (تامدوت) الذي يربط فيه الجيش السنغالي ، وكذلك حومة الدوح (بومالو) وفي فاتح فبراير وقعت معركة عنيفة بين الوطنيين والجيش السنغالي الذي لم يستطع أن يقتحم باب أبي الجنود للوصول للمدينة الإسلامية ، وفي مساء اليوم الثاني قتل المتظاهرون جنديا سنغاليا ، فأدى الأمر إلى اشتداد المراك ، ثم حدث أن قتل الوطنيون المحشذون بالمسجد القروي جاسوسا مغربيا وصلت به الجراة إلى تسجيل أسماء بعض الخطباء داخل المسجد ، فذبحه مجهول بسكين ، فكلبت السلطة واشتدت على الشعب ، ولكن شدتها لم تزد الوطنيين الفاسيين إلا حاسة وإقداما ، وقد استمرت المقاومة والاصطدام بين أهالي فاس والجيش لأسبوعين كاملين عدت بهما الإدارة الفرنسية إلى أشد أساليب الطغيان ؛ فذلك أنها حاصرت الأحياء الأهلية وحرلت بعضها من بعض ، وقامت تيار الكهروماء وتيار الماء الذي يموت السكان ، كما ملعت عنهم حصص المون المخصصة لهم ، وهكذا أصبح الخاربة محرومين من كل اللواذ الضرورية للحياة .

ولكن المدافعين اليقظين من الحرية المغربية لم يخلوا ، بل كانت هذه التدابير الوحشية فرصة لإظهار روح التضامن الموجود الذي يوجد سائر طبقات الشعب المحتاجة وسرطان ما تكون من أعضاء الحزب لجنة للأغاثة ووضع المحتاطون من الأغنياء كل ما كان في خرائطهم تحت تصرفها حيث قامت بتنظيمه وإحسانه وتوزيعه على الطبقة الأكثر احتياجا ، وبما أن الأحياء محمية بالجنود ومعزول بعضها من بعض فقد وقع التوزيع بطريق (الجو) ؛ إذ أصبحت سطوح

للمدينة القاسية خير وسيلة للاتصال ، وبالطبع فإن هذه الروح زادت أعصاب
الفرنسيين توتراً ، فوجه الجنرال سوفران حاكم الناحية القاسية إنذاراً آخراً للمدينة
يحذر فيها من الاستمرار في الاضطراب الذي دام أسبوعين ، ويهدد بإعطاء
أوامر لاجتود بعدم احترام الأماكن للقدسة ، وبما أن الشعب لا يريد المساس
بمقدساته فقد قرر الوطنيون رفع الإضراب .

وفي يوم ٤ من الشهر أخبرت لجنة العلماء التي كانت تحاول تهدئة انطواطر
الجنرال حاكم الناحية بأنها متضامنة مع الزعماء المعتقلين ، وأنها تطلب قبل كل
شيء إطلاق سراح المسجونين ، وكان للشيخ محمد بن عبد الرحمن العراقي
موقف جليل نسجه له بمداة القهر ، وقد وقع القبض على هذه اللجنة وغيرها
من علماء الجامعة القروية وحلبها .

وفي يوم ٨ من الشهر نفسه وقع اعتقال ثلاثمائة شخص من المتظاهرين
الذين اجتمعوا بمسجد الرصيف .

وبأثناء الحوادث الأولى مساء يوم ٣١ يناير بينما كان الوطنيون يظنون
دفن شهدائهم أمر الجنرال سوفران الجيش بمحاصرة القبرة السوممية للحيلة
بينهم وبين دفن الضحايا خشية من أن يصبح مقرهم موطناً لحج وطني وقداصة
قومية ودليلاً ساعياً على فطائع أعمال الاستعمار الفرنسي ، وقد رفض رجال
المقاومة القاسية أن ينفذوا أوامر الجيش ، واستمروا في حفر القابر ، فحل الجنرال
سوفران محبة الكولونيل سلاتي را كبين على مصفحة بالمقبرة ، وأصدر أمره
للجيش برد القرب على الحماة ، وبعد ما تقذ الجيش أمر الجنرال بحجز هذا
الأخير بجث الشهداء ووضعهم في مستودع بمسجد الأندلس تحت الحراسة
المسكينة ، لكن أبطال الوطنية المغربية لم ينهزموا فقد ذهبت فرق الكشافة
الوطنية بالليل ونسربت من السطوح إلى داخل مسجد الأندلس ونقلت بجث
الشهداء من سطح إلى سطح ، ولم تمض ساعة حتى كانت أجسامهم في قبورها
التي ظلت سراً مكتوماً عن الاستعلامات الفرنسية .

كان الكفاح على أشده ولكنه لم يزل فرع لجنة الحماية التابعة للحزب
يفاس عن القيام بواجبها ، بل كانت توزع في المدينة الأوربية عدة منشورات
الأوربية موجبة لتسوير الرأي العام الأجنبي ضد فظائع رجال الحماية ، وقد وزع
الفرع يوم أول فبراير منشوراً يشرح الحالة كلها ، ويذكر بين أحقية المطالب
للغربية ، وفي يوم ٩ من الشهر نفسه وزع بياناً تحت عنوان « كسرة أم وحشية »
يشرح فيه أعمال الجيش الفرنسي ونظامه ، وفي ١٢ من الشهر نفسه أيضاً بياناً
يشرح أنواع الخيانة التي ارتكبتها الولاة الفرنسيون ضد الوطنيين ، وفي ١٤ من الشهر نفسه
على نفسها للحرب .

وفي مدينة سلا وقع نفس ما وقع بالرباط وفاس ، وأمرت التشكيلات
قتيلاً وعديد من الجرحى ، وثلاثمائة سجين ، كما وقع الجسم بالإعدام على
تلاميذ الإيسيه البالغ من السن سبعة عشر عاماً ، وقد خصصت (محلة جارتينية)
لاعتقال هؤلاء الوطنيين للتعصبيين .

أما في الرباط فقد أصدرت المحكمة الجنائية الفرنسية ١٤ حكماً بالإعدام ،
وقع تنفيذ ٤ منها يوم ٧ مارس ليلة عيد للوفد النبوي الشريف ليستمر المذبحة
في حزنهم العميق في هذا اليوم السعيد .

وأما النار البيضاء فقد أضربت أسواقها ومعالها وعمل مرسلها يوم ٣٠
يناير ، فاحتلت الجيوش سائر الأحياء ، وسأقت إليها أحدث أنواع الدبابات
والسيارات للصفحة ، وأطلقت النار على المذبحة العزل ، وقتل هروز في سن
السبعين ، وجرح ثلاثة من الشبان ، واعتقل عديد من الأفراد الذين أطلق
مراسمهم بعد بضعة أيام بعد تعذيب كاد يودي بحياتهم ، كما طرد تلاميذ الإيسيه
الفرنسي للمذبحة الذين شاركوا في الإضراب .

وهكذا عم الإرهاب سائر نواحي البلاد ، وأصبحت حالة الحرب قائمة في
أهم لادن المغربية ، وقد أدى كهر الإدارة بها إلى إضلال جميع المدارس
الابتدائية المغربية وثلاث مدارس ثانوية إسلامية من الأربعم الموجودة في سائر

المغرب ، وأقبل معهد جوسس المؤسسة الحرة التي أسسها الأستاذ أحمد بلافريج
بعد أن احتلها الجيش وحاصر أبنائها الصغار وجوعهم يومين قبل أن يهتفهم
تدريجاً إلى عائلاتهم ، كما طرد طلبة الليسيات الفرنسية وطلبة معهد الدروس
العلمية المغربية ، وأما للدرسة الثانوية بأزرو التي أسست ليطبق على أبنائها نظام
السماحة البربرية فقد أقيمت وسجن أغلب تلامذتها من أجل تضامنهم مع
إخوانهم وإعطائهم الدليل العملي على فشل السماحة البربرية ، وفي إنجران عزل
مدير المدرسة المغربي ، ثم أرسل للسجن ، وأشهرأ أقيمت جامعة القرويين وسجن
مديرها وثلاثة من أعضاء مجلسها الأعلى العلمي ، ثم تقوا ، وقد ظلت الدراسة
في القرويين غير منتظمة مدة ثلاثة أعوام .

أما في الناحية الإدارية المغربية فينبغي أن يذكر الاستفتاء الذي أجبر عليه
صاحب المال وزير العدل للصلح الكبير السيد محمد بن العربي العلوي الذي
أبعد إلى الصحراء ، وكذلك صاحب السعادة وزير المعارف السيد أحمد بركاش
باشا أزمور سابقاً الذي فرضت عليه الإقامة الإيجابية ، وكل من صاحب السعادة
باشا (محافظ) العاصمة الرباطية وخليفته .

ومن جهة أخرى فإن سائر الموظفين الذين أمضوا تضامنهم مع الحزب في
ميثاق الاستقلال عزلوا أو أوقفوا لأمد مختلفة ، ومن بينهم أساتذة المعهد الملكي
وقاضيان من المحكمة العليا ، وأربعة من سكرتيري الدولة الشريفة ، وعديد من
موظفي المالية والأملاك الخزينة والتسليم والمواصلات والبوليس ، وغيرها
من المصالح .

وفي الجنوب المغربي عزل ثلاثة من القواد لتأييدهم حركة الاستقلال المغربي
وفي ناس أتيهم عشرون شخصاً من أحيان الصناعات مشاركتهم في ذبح الجاسوس
فحكهم عليهم بالإعدام ، ثم أبدل بالأشغال الشاقة للزبدة ، وقد مات خمسة منهم
حتى الآن تحت التعذيب في سجن القنيطرة .

أما الوطنيون المتهمون بالاتصال بالأجانب ظناً وعدواناً فقد نكل بهم

أشد التشكيل ، وارتكب معهم من الفظائع ما لم تقم به حتى دوائر الجستابو الألمانية ، ومع ذلك فإن الحاكم لم تستطع إدارتهم ، وظهر أن معاملتهم كانت من ظرف الإدارة الفرنسية بالاتفاق مع الولاة العسكريين ، أما الحاكم فكانت تنتظر إثبات شيء ضدا عليهم ، ولكنها اضطرت إلى تقرير برائتهم ، وقد أطلق سراحهم جميعا إلا الأستاذ بلافريج الذي أبعد إلى جزيرة كورسيكا .

وإنه لمن الإنصاف أن ننوه بالصبر والثبات والشجاعة التي ظهر بها كل من الإخوان أحمد مكوار وعبد العزيز ابن إدريس والهاشمي الفيلاي وإبراهيم الكفتاني ورشيد الدرقاوي فقد استعقوا جميعا شكري الوطن وتندير المواطنين . وفي أواخر ديسمبر سنة ١٩٤٤ أشخرت إدارة المعارف آباء التلامذة الموجودين بالمدارس العربية الفرنسية بأنهم سيعدلون جميعا على المجالس التأديبية لطرد كل من ثبت عليه المشاركة في حوادث يناير وما بعدها ، فنظم التلامذة في سائر المدارس العربية حركة مقاومة منظمة نسفوها بمجالس محلية تخضع لمجلس مركزي بالرباط ، وأذاعوا عدة بيانات ونشرات ، ورفضوا احتجاجات ومذكرات ، وقاموا باضرابات اضطرت معها الإدارة في النهاية للعدول عن رأيها وإعادة فتح المدارس المغلقة وترك التلامذة هائنين .

وهكذا خطا (حزب الاستقلال) بالحوكة الوطنية خطرة عظيمة وحدث الأمة بأسرها ، وبشت في نفوس السكك وميما قوميا أصعب به الجميع . ونحن لا نستطيع أن نحصيها نتائج الحوادث التي وقعت في هذه الأيام الحيدة ولكن يمكن أن نسجل القسط الآتية :

١ - أن عشرات الوطنيين قتلوا في أثناء المظاهرات .

٢ - أن أكثر من خمسة آلاف قد سجنوا ، وأن الذين قتلوا منهم لمحة جازنييه وشاسور لاقوا من التشكيل والتعذيب ما لاقاه المختلون الأوريشون من الجستابو .

٣ - أن عديدا من الشباب حكم عليهم بالإعدام ، وعُد فيهم صبيحة

عيد المولد النبوي ، وأن عشرات من المواطنين حكم عليهم بالأسفغال الشاقة بصفة مؤبدة .

٤ - أن للدارس الثانوية بقيت مئة ألفه طلبة عام كامل ، كما بقيت للدارس الابتدائية في مدن كثيرة لمدة ثلاثة أشهر ، وأن جامعة القرويين التي نفي مديريها وعديد من رجالها بقيت غير منتظمة لمدة ثلاثة أعوام .

٥ - أن حديداً حتى المائتين للثانوية اعتقلوا تحكما في السجون العسكرية شهوراً عديدة بوجع النور ، ثم نقلوا لمحلة تنويب بالمادور (قرب الجديدة) .

٦ - أن وزيرين مغربيين عزلوا من مناصبيهما ووضعا في إقامة إجبارية .

٧ - أن حديداً من الموظفين عزلوا دون محاكمة ولا فتح ملف ... الخ



والخلاصة أن الحوادث التي أعقبت يوم ١١ يناير تميلنا نستنتج في غاية الانتباه ، أن التضحية العظيمة التي قبل الشعب تقديمها من تلقاء نفسه في سبيل القضية المغربية تدل على القوة الشعبية التي يتمتع بها (حزب الاستقلال) ، وأن التدابير التي اتخذتها الإقامة الثامنة ضداً على المواطنين قصت إلى حد بعيد على السمعة الفرنسية لا في المغرب فقط بل لحقتها في سائر العالم العربي ، وبالعكس فإن كل ما همم التي حاولت الإدارة الفرنسية أن تلصقها بأقطاب الحركة الاستقلالية لم تنسجم بسوء ، بل قصت هي نفسها بهرابة (الحزب الوطني) و (حزب الاستقلال) من بعده ونزل الناية التي يسلم لها رجالها الأوفياء الذين لا يهمهم إلا أن تتحرر بلادهم ، ويسعد أبنائهم في ظل السلم والقوت والحرية ولئن كان الحرب قد خرج من هذه المعركة متعباً فقد خرج كذلك متحصراً أشد أنواع الانتصار ؛ لأن الحركة بنت من الانتشار والذبول إلى درجة لم تبلغها قط قبل هذا العهد ، كما أن وجود الشهداء في سائر الأوساط علم الشعب معنى التضحية الحقيقية ، وأذاق الجمهور لذة الكشف من أجل الاستقلال الذي يصبر إليه ، وكثرة الضغط والمراقبة وامتلاء السجون ووفرة الضحايا ، كل ذلك

لم يجمع الحزب من الاستمرار في العمل .

وقد كان في مقدمة ما قام به تنظيمه على شكل شبيه بنظام الحزب الوطني ، إذا استثنينا بعض التفاصيل الراجعة لمفاتيح الناحية . وللتخفيف في هيئات الحزب الرئيسية ؛ فإن الحزب الوطني كان يعطى هذا الحق لكل منخرط في الحزب ، ولكن حزب الاستقلال قسم للمخرطين إلى قسمين ، القسم الأول الذي ينتخبون وينتخبون ولم شروط خاصة لا بد من توفرها ، والقسم الثاني الذي يمكن لكل نصير أن يترقى لدرجة مسير إذا ثبت استعداده وكنائس . (المجلس الوطني) باسم (المجلس الأعلى للحزب) ، وأحدثت هيئة (اللجنة التنفيذية) يرجع إليها للشؤون التي يختصون بالأقتدار ثمانية أعضاء مسؤولين من الحالة للمعوية والروحية في الحزب .

على أن ظروف البلاد والإرهاق النائم بهما يمنعا من أن تتخذ نظاما ديمقراطيا مستقرا بكل معنى الكلمة ، ولذلك فإن الاستقلاليين يقدرون الحالة ويتبادلون المسؤوليات والتضامن في العمل مؤمنين بأن إخلاص الكل وانسجام العقيدة ممن عن كثير من الشكليات التي لا تسمح ظروفنا الحالية بها . أما في الناحية الاجتماعية فإن الحزب لم يتأخر عن استئثار نشاطه ولا سيما في ميدان التعليم الذي سنرى مقدار الجهود التي يبذلها في إقامته والعمل على تنشيط مدارسه وطلبته ، مساهمًا بذلك جلالة مولانا مالك الذي يرجع له الفضل الأول في هذه النهضة العلمية التي أخذت تزداد بهيئة جلالته كل يوم نشاطًا وازدهارًا .

معارضة سياسة الإصلاحات

منذ حوادث الاستقلال أصبحت سياسة الحركة الوطنية معارضة كل ما
تسميه الإقامة العامة بالإصلاحات ، أو بصفة أوضح أصبح الحزب معارضا كل
المعارضة لسياسة التعاون مع الإقامة على أي شيء . يقع في دائرة الحماية وتحت توجيهها
والحقيقة أن التجربة دللتنا على أن الإصلاحات التي نضجها الإقامة ليست
إلا شيئا خياليا لا مصداق له ، أو أنها في المسق محض محاولات جديدة لغصب
البقية الباقية من مظاهر السيادة للفرنسية . أو التراث الوطني ، والحزب يرى أن
الخلافا بيننا وبين فرنسا خلافا أصلي ليس محلولا لفرط انطاسة التي يختلف
الجدل حولها باختلاف ما تقبى عليه من أساليب ، وهو يرى أن نقطة مهمة لا بد
من وجودها ليكون الإصلاح إصلاحا بالمعنى الحقيقي ، تلك هي امتلاك
الوطنيين للثابة لتوجيه هذه الإصلاحات ؛ لأنهم ما داموا في حالة الخلة هي التي
توجه وتقرر ما يريد من إصلاح فهي لا تفكر في تعديلها ، بل هي التي
عندها وهو توجيه للثرب نحو الإدماج في فرنسا . على أن هذا توجيه في
دائرة الاتحاد الفرنسي ، وهذا ما يختلف تماما عن التوجيه الذي يريه الوطنيون
والتي يريدون أن يضعوا الشئ في اتجاهها وهي تغيير الاستقلال التام ،
والانضمام إلى الجماعة العربية ، وتقديم التضامن مع الشعوب العربية على كل
تضامن سواء .

على أن هذا لا يمتى أبدا أن الحزب يمارس الإصلاح من أصله ، ولكن
يتميز هذا الإصلاح مسألة داخلية ترجع للمطالبة وحكومتهم ، ولذلك طلب
حيثما الاستقلال من جلالة الملك أن يرمي مسائل الإصلاح بعنايته ، وحينما
يصل جلالة الملك لاستخراج بعض الحق وبطلب من الحزب للمساعدة الفنية

على إنجازهم فإن رجال الحرب لا يتأخرون أبداً عن نهاية دهوة مليكهم متعاونين معه على تحقيق إصلاحاته العسكرية ، كما فعلوا في اللجنة الملكية التي وضعت ميثاق التعليم للتربوي .

والإقامة العامة التي تدعى أن لها وحدها الحق في اقتراح ما تراه مفيداً للمغرب من مشروعات إصلاحية طبق معاهدة الحماية يعتبرها الحزب متطاولاً على حقوق السيادة المغربية ، ولذلك فهو لا يقبل معها أي تعاون في دائرة النظام الداخلي ، ولكنه لا يرفض الإصلاحات التي تقترحها على خلاصة ذلك إذا لم تكن متنافية في حقيقتها وفي أسلوب عرضها لما تقتضيه هذه السيادة ، وإن كان لا يعترف لها أبداً بأحقية هذا العرض الذي تدعيه لنفسها .

وأخيراً فإن الحزب يرى من ضياع الوقت أن يصرف جهوده في مطالبة الحماية بشؤون جزئية ، ويفضل أن يبذل نشاطه ونضحيات أنصاره في خدمة المسألة العامة التي في حلها مفتاح كل المسائل الجزئية ونجاحها ، وسنرى أنه يسعى للإصلاح بطريقة مباشرة بإنجازه كل ما يمكن إنجازه من مدارس ومعاهد وشركات ومساكن إسكان وغير ذلك من الأشياء التي يرى أن تطبيقها العمل هو خير ضلع للوصول إليها .

وهذه السياسة التي اتبناها الحزب هي من الإيجاب لأنها هي التي تحقق آمالي الأمة ورغباتها ، أما سياسة المراحل والتفويض في الجزئيات فهي سياسة أثبتت العجربة سلبتها عملياً ، لأنها لم تؤد إلى نتيجة واضحة لا في المغرب ولا في الجزائر وتونس ، ولذلك فمن العبث دل من الإجماع للضي فيها بعد ظهور فشلها .

أحداث صبر جبريال بيرو :

بمجرد ما سرت بضعة أيام على حوادث الاستقلال أعلن للسيو جبريال بيرو مقيم فرنسا العام بالمغرب خزمه على إدخال إصلاحات عميقة في البلاد ، ثم جاء مسيو ماسيجلي منوط الخارجية في اللجنة الفرعية للتحرير الوطني للرباط

ليعلمن جلالة الملك على قبول فرنسا لتنفيذ هذه الإصلاحات .
 وفي يوم ٢٢ مارس سنة ١٩٤٤ ترأس للقيم العام مجلس الاستشارة للشؤون
 الإدارية ، وفي يوم ٢٤ منه ترأس لجنة التأمين والفلاحة واليد العاملة ، وفي يوم
 ٢٥ مارس ترأس لجنة المدلية ، وكان الصدر الأعظم من الحاضرين في كل
 هذه اللجان .

وقد قررت لجنة الفلاحة تأسيس الملك المائلي الذي لا ينوت ، كما قررت
 لجنة الشؤون الإدارية المساواة بين المناربة والفرنسيين في الوظائف العامة .
 وفي لجنة المدلية حصل نقاش قوي بين الأعضاء الفرنسيين والأعضاء
 المناربة ، إذ أراد الفرنسيون إدخال التنويع في اختصاصات المحاكم الفرنسية ،
 فعارض المناربة ذلك ، كما رفض ممثلو الحكومة الشريعة الواقعة عليه بالإجماع
 أما لجنة التعليم فقد قررت استمرار اللغتين الفرنسية في جانب العربية ،
 وفتح أبواب الليسيات الفرنسية للأبناء المناربة وتأسيس عدد كاف من
 المدارس الابتدائية للأهال .

وقد نلخص مرسوم أعمال المجلس في جملة ما يلي حين قال :
 « في هذا اليوم الذي يحتفل فيه المناربة بذكر الألفية أجدني سعيداً حين
 أعلن أنه باقتراح من حكومة الجمهورية الفرنسية التي جلاها الملك على مجموع
 تداير سيكون لها أثر تاريخي في تطور الملكة التي هي في طور التجدد
 الذي بذلته اللجان الفنية قال : « إن اهتمام حكومة الملكة في كذا » كان موجهاً
 إلى ثلاث نواحي :

١ - أن تسمح للمنارب بالتموجه تدريجياً إلى شكل الحكومة التي تتدفع
 بها الدول المصرية .

٢ - أن تعطي الانتخاب القادرة على مواصلة هذا التطور .

٣ - أن ترفع مستوى مجموع الشعب وبالمخصوص الفلاح الذي يكون
 أغلبية السكان الساحنة »

ثم أخذ للقيم يشرح هذا الإصلاح فبين أن قضية العدلية وجدت صعوبات كبيرة لأن فصل السلطات من بعضها خلق أورى من الصعب تطبيقه — بزعمه — في البلاد الإسلامية دفعة واحدة ، ولذلك فإن مراحل الانتقال ضرورية في الموضوع إلى حد أن هذا الإصلاح البسيط نفسه سيكون أولاً موضع تجريبية في بعض المدن الكبرى ، ولإتمام العمل فقد أسست لجنة لتحرير قانون العقوبات .

ثم أتت للقيم إلى أن جمعية المحاكم تستدعي تكوين قضاة مصريين ، ولذلك فقد اهتمت بما يرجع لاستخدام نخبة البلاد التي فتحت الحكومة في وجوها حبة إدارات منظمة على النهج الأوربي ، (للمالية ، والأشغال العامة ، والاقتصاد) ، كما سمحت بمساواتهم في الأجور مع الموظفين الفرنسيين الذين من طبقتهم (يعني في أصل الرواتب ، أما الفوارق الاستعمارية فلا تزال قائمة) ، ولكن تكثير عدد هذه النخبة متوقف على إعدادها ، ولذلك فإن تيسير التعليم وتكثير المدارس مما رأته الإقامة ضروريا لتحقيق أهدافها .

ثم حتم القيم خطابه الحديث عن ضرورة الاهتمام بالفلاح وتحسين حالته ، وعن إقرار الملك المائلي غير المنقوت ، وتأسيس مجلس أهل للاقتصاد الفلاحي الذي بهم بتطبيق برامج (البايسانه)

هذه هي الإصلاحات التي اشتهرت بها الإقامة العامة تديراً من شأنه أن يخفف وطأة المقاومة النورية ، وقبل أن نشرح وجهة نظر الأمة فيها نشير إلى أنها لم تطبق للمرة ، وما طبق منها حرف تحريفاً جملة عديم القيمة ، فبأنون العقوبات لجذ الآن لم يصدر ولم يوضع ، والملك المائلي حرف تطبيقه إلى حد جعل مصلحته معدومة أو قليلة الفائدة .

حزب الاستقلال بحبيب السبيعي :

ولذلك فقد اضطر (حزب الاستقلال) لشرح بتدقيق ما يطالبه الشعب المغربي منذ ١١ يناير سنة ١٩٤٤ مبدئاً أن الشرط الضروري (Sine qua no) لكل تقام هو تحرير السيادة المغربية، وأن كل تعاون قبل إكمال هذا الشرط غير مقبول .

وقد أذاع الحزب رده على ادعاءات للقيم العام في بيان وزعه على الجمهور ، ومما جاء فيه :

« فالإقامة العامة أعلنت بعد الحوادث المؤلمة تأسيس أربع لجان يوم ١٦ مارس سنة ١٩٤٤ ، ولكن بالأسف إذا نحن أعفينا الجمل للمسوة التي يحترق عليها البيان للقيسي والتحفظات العديدة التي نحصرها ونحملها غير قابلة للتسيب وحدها هذه التمردات مجرد كرات في غور محالها ؛ لأنها لا تهتم بحل عميق للأزمة المغربية بقدر ما تهتم بخلق جو غامض يفيد في استمرار سياسة التخدير والتهديئة المصممة حتى الآن .

« وبعد فإن الطبقة المتدورة في العرب لم تمر أدنى التعتات لقرار للقيم العام الصادر في ١٦ مارس سنة ١٩٤٤ لأنها تعرف عن طريق التجربة أنه لا يمكن انتظار شيء مهم من اللجان الرسمية التي هي وسيلة تقليدية لتبرير جميع مشروعات الإصلاح الحقيقي .

« ولكن بما أن هذه الإصلاحات نتيجة بحث استمر ستة أشهر فيجب أن ندرسها وننفذها بكل إخلاص :

المرحلة :

« يمثل تنظيم المدلية الشريفة كجزء من الإدارة العامة هذين الصفتين الزدوجتين : تهلون نظام هنيئ قضى عليه وغير عن شكله ، والسكوت أمام

للمصرف الفرنسي أو المراقب الذي يتحكم فيه كيف يشاء تحت ستار الرئيس
للمصرف السوري الذي يحتكر مادة من بين الأميين الطامعين الذين لا يقبلون
هذه السلطة الوهمية إلا ليجدوا وسيلة لاختلاس محكوميتهم .

«والسلطة السياسية التي من شأنها أن تقوى مركز الرئيس المخرى وتساعد
على العمل بضمتي بها للمراقب الفرنسي مقابل غرض هذا المراقب الطوف عنه
لقضاء مآربه الشخصية ، ويستفعل خضوع هؤلاء الرؤساء بفقدان قانون
المقوبات الذي يجعل المراقب يحكم كما يريد .

» ويعتبر كل باشا وكل قائد رئيساً مطلق النفوذ على مرقوميه ، ومن الطبيعي
أن يتحكم كيف يشاء فليس ملزماً بالبحث ولا بدراسة موضوع اللغات ولا بمق
النفع ولا حرية جانب المحامين ، وكل ما هو من شأن المدالة يمكن أن يحذف
أو يهدم برسالة من الحاكم الفرنسي أو بدقة تليفون ، وكل يتخلص الولاة (برسالة
الطابع) مدعين تنفيذ أوامر الحكومة العليا .

» فمجموع هذه الحالة هو الذي كان يجب أن تدرسه لجنة المدل لأجل
تقرير وسائل تحسينها :

١ — تأسست لجنة القانون لتحرير قانون المقوبات مهيب أن نسجل أنه
منذ صدور القرار للقيى لم تجتمع هذه اللجنة إلا مرة واحدة ، هي اجتماعها
الأساسي .

٢ — أما اللجنة الاستشارية للمعدل فقد كلفت بدراسة مسألة فصل
السلطات ، هذا الفصل الذي يمكننا أن نؤكد وجوده في الشريعة الإسلامية قبل
أن يعرفه لأشرعون الأوروبيون ، على خلاف ما زعمته الإقلام ، إذ الواقع أن
النانون الإسلامى العام يقضى بأن القاضي يستمد سلطته من الشريعة مباشرة ،
ويعتصم بكامل الاستقلال عن السلطة التنفيذية التي لا تتدخل إلا في شأن توليته
«ولكن اللجنة قد حصرت فصل السلطات في الشؤون المدنية والتجارية ،
كما قررت الاختصار في التطابق على المدن الكبرى ، واختصاص الباشا والقائد

الجنائي الذي يعتبر أشد فظائع النظام الحاضر بقي كما هو ، وهذا التحديد يزيل كل أهمية للإصلاح ؛ لأن القاضي الذي يمكنه أن يفعل بالشخص كل ما يشاء يمكنه دائماً من طريق هذا الحق أن يتحكم في ذلك أيضاً ، ولقد قال منتسكو الكبير : (ليس هناك حرية إذا لم تفصل قوائم الحكم من قوة التنفيذ والتشريع ؛ لأنها إذا انضمت إلى السلطة التشريعية أصبحت القوة التشريعية مشرعة ؛ وإذا انضمت إلى السلطة التنفيذية أصبحت القاضي قادراً على التحكم في السلطة التنفيذية) .

« فأغراض وأغراض الإصلاح القميص إذن وانظمة قضاية المحافظة على الوسائل التي تسهل عليهم دوام النظام بطريق القوة ، وإيجاز السلطة على الطاعة من سبيل الإرهاق أكثر مما يهتمون بإدخال تحسينات على القضاء (الترتيب) وعليه فانقاء التحكم بتحديد سلطة القاضي ، وإعطاء هذا الأخير الضمان (الكافي) من أثر كل ضغط أو اعتداء عليه من طرف السلطة التنفيذية ، وحماية الأفراد من سيطرة كل جستانو قادر على أن يسجنهم في كل لحظة أو يمسوهم إليهم من غير أدنى رقابة إلا التي ترجع إلى الإدارة غير المسؤولة — كل ذلك يؤدي ، في إدمائهم ، إلى زعزعة أساس النظام والطمأنينة العامة .

« ولستكن ما إذا بقي إذن إقرار السلطة القضائية المتز بتفويضها والوضوح لأشياء ، من بينها فصل السلطات ، واستقلال القضاء ، والمحافظة على كرامة القضاة ؛ إذا لم تتم حرية الشعب ، وبينة استقلال الإنسان لأخيه الإنسان ، ويندرج مبدأ الاستفتاء ١٩ . إنه من السهل — كما قال بعض المفكرين — على الأقوياء أن يقاوموا الضعفاء ، وليس كذلك للضعفاء حين يريدون مقاومة الأقوياء ، وحينما يضيع شهر الحكوميين على مصالحهم ويختل التوازن في صالح القوة لا يبقى للشعب أي اختيار إلا بين اثنين : الاستبداد ، أو الثورة ، لكن غالباً ما يكون اختلال التوازن مستغفلاً إما بصفة ظاهرة أو مقنعة بمصالح حيوية مزعومة ، وهكذا ينشأ السبيلون ، وهكذا تحدث الثورات .

الضرورة العامة :

« يمكننا أن نلخص للتدابير المتعلقة بالإدارة العامة فيما يأتي : إعطاء بعض الوظائف للنخبة المغربية وأى تقبل النخبة هذا المعطاء قرر لها التساوى في الأجور عند تساوى الكفايات .

« ولكن لم يكن من الضروري أن تشكل لجنة كاملة للوصول إلى هذه النتيجة لأن مسألة توغيف النخبة المغربية في الإدارة الشريفة الجديدة مسألة مفروغ منها بمقتضى ظهير سنة ١٩٣٨ ، وأيضاً فإن مسألة المساواة في الأجور وضمت على بساط البحث منذ أوائل عهد الحماية ، وقدم فيها الذين يهمهم الأمر أنفسهم عدة مطالب ودراسات ، وقد هيأ لها اتحاد الموظفين حلاً يجدر بالمقيم العام أن يوافق عليه اليوم ، لكن لا ينبغي للموظفين المتأخرة أن يطعنوا ؛ لأنه ليس للحل المقرر إلا أهمية محدودة ؛ إذ لا يستفيد منه إلا ذور الإطارات (الكادر) الخاصة للموازية للإطارات الفرنسية مثل التراجمة والكتاب التراجمة ومتصرفى البوليس وقضاة الضرائب والأدوات والكتاب المكرمين للحكومة وقضاة المحكمة العليا الشريفة وخلفاء الباشوات الخ ... فالتحيز وعدم المساواة ما يزال قائماً فيها إذا لم تكن للضرورة خمس الكفايات التى يقدمها الفرنسيون ، مع العلم بأن أغلبية المعارفة غير مختصة ، إن لم نقل ليست لهم تقديرة لا يستطيع الفرنسيون أنفسهم اقتناءها ، ولكن ألا يصدر القاضى المغربى أحكاماً ؟ ألا يقوم أحد كتاب الصدر الأعظم بوظيفة المحرز ؟ وبمباراة أخرى ألا يستحق المتخرجون من التعليم العربى الحاضر الاعتبار فى بلد كانت اللغة العربية اللغة الرسمية للدولة فى جميع الأوقات ؟ « ومن جهة أخرى أنيس من التحكم الإبقاء على عدم المساواة فيما يخص التعويضات بالنسبة لهذا الصنف من الموظفين ؟ ألم توضع هذه التعويضات لأجل مساعدة الموظفين فى تكاليفهم العائلية أو لتسجيدهم على بناء الأسرة ، وذلك بقطع النظر عن كل اعتبار للقيمة المادية ؟ »

« لقد استعدوا بسجز الإطار للفرابي ، ولكن من هو المسؤول عن ذلك ؟
 أليس من المثل أن يكون البلد الخصى بعد ثلاثة وثلاثين عاماً من الحماية قاصراً
 عن إعطاء الإطار اللازم لتطوره ؟ وليس من الممكن إبداء أن الحماية يوم أسست
 وجدت فراغاً كاملاً أمامها ، وأنها ليس من الممكن أن تملأ ذلك الفراغ في
 أقرب وقت ، فقد قال ليوسلى في تقريره للحكومة الفرنسية في ٣ ديسمبر سنة
 ١٩٢٠ : (لقد وجدنا هنا دولة وشعباً ، إنها حقيقة في الحقيقة) . لكن هذه
 الأزمة حديثة العهد ، وهي حكومية أكثر منها اجتماعية ، فإن الخزن قد بقي
 مجرد مظهر ، فإنه كان على الأقل قائم الذات ، ويمكن أن يظل قائماً قليلاً
 لنجد منه حكومة فعالة تمثل في العالم دولة موزائها الكبار وسبق أن
 اتصلوا برجال الدول الأوروبية ولا يزال البعض منهم حياً إلى الآن ، وإذا نظرنا
 النظر عن الخزن فإننا نجد أماناً منظمات لا تزال قائمة تختلف بحسب النواحي
 ولكنها تمثل حقيقة أشياء موجودة) .

« وإذا لم يقرب لم يكن متأخراً كما يريد البعض أن يدعى ، بل كان
 على العكس مستعداً لمسايرة أشكال الحكومات المصرية ، وإذا لم يمكن
 قد تطور الآن فذلك لأنه لم يجد أي مساعدة من طرف الحماية ، بل إن هذه
 الحماية قد انجذبت به إلى نظام الحكم المباشر .

« وأما فيما يرجع للإدارة العامة الحقيقية فقد ثبتت تفادير الإقامة العامة
 معدومة ، والحال أنها هي حش الأزمة الحاضرة .

« وقد كان واجباً على المراجعة أن تثبت في هذا الموضوع قيمتها ، وتعمل
 حقيقة شيئاً مفيداً ، ومهما يكن فإذا كانت النخبة للثروة لا نهتم كثيراً بالوظائف
 للثروة فذلك لأنها صحت جيداً أنها لا تدعى إلا للقيام بدور ثانوي ، كما أنها
 اتفقت بأن النظام الذي تطالب بخدمته ليس إلا مجموعة من المؤسسات المبنية
 على الصبغ والمحسوبية ، وعدم المسؤولية ، والإجفاف ، وأن عملها ليس لترشيد
 الشعب للفرابي ولكن لاستعباده .

ومن المفيد أن نقول هنا هذا النص الذي بشرح عيوب هذا النظام الأساسي ، قال ليوطي في تقريره المذكور :

(جميع النذائير الإدارية تصدر باسمه (يعني السلطان) فهو الذي ينفذ الظواهر ، ولكن ليس له في الواقع أي حدود عمل ، ولا علاقة له إلا بالمستشار السلطاني الذي يراه يومياً ، ولا يأخذ رأيه إلا بصفة شكلية ، أما المصدر الأعظم وبقية الوزراء فلا يشاركون في أية مذكرة تتعلق بالمسائل الهامة التي تدرس بسيدة عنهم في المصالح الفرنسية ، وليس هنالك اتصال بين رؤساء هذه الإدارات وبين الوزراء والآخرن الذي لا يتحرك ويكاد ينهمك في سبات لذيذ ، ويلاحظ بسهولة أن احتكار الولاية الفرنسيين لسلطة التشريعية جعلهم على أن يكونوا هم وحدهم للنفذين لقراراتهم ، وقد أدى ذلك إلى مزج السلطات وعدم وجود مسؤولية حكومية بالمرّة) .

• وقال رونيه فنلاند الناشر المشهور : إن أقل الناس انتباهاً يدرك أن الميزانية تفقد نفقاتها إذا كان حجمها مائة مليون من ميزانيتها البالغة ملياراً من الفرنك يصرف في نفقات الإدارة ، وثلاثمائة مليون على فائض الديون ، تلك هي حالة المغرب !

• لحكومة ذات عشرة آلاف موظف في بلاد سكانها ثمانية ملايين ، إن ذلك شيء غريب !

يوجد في المغرب ثلاثة وستون عنواناً لأجرام التصويرات ، ومن بينها ترويض التقنية والحصول ، مع أنهما السبب في تأجير الموظفين الذين شأنهم أن يعرفوا ويمارسوا مهنتهم ، والامتيازات والمعاملات والصلات هي التي ترفع الأرقام التي تحصلها الميزانية المغربية (ملخص من جريدة صدى باريس) .

التعليم :

« كيف يمكن أن نحل مشكلة التعليم في المستعمرات الفرنسية وبلاد الحماية ؟
 لقد أجاب على ذلك الاختصاصيون في السياسة الأهلية بأنه لا ينبغي تسميم التعليم
 بين الأهالي لما في ذلك من الخطر الذي يبعث في نفوسهم آمالاً سياسية تقضى
 يوماً ما على سيطرة المحتل نفسه ، لا ينبغي نشر التعليم بشتاء كما توزع الكينا ،
 ولكن يلزم أن يقدم ويوضع تحت تصرف المسلمين تكافؤ ونشر في تخصص
 به الأرستقراطية الأهلية ، ومن المفهوم عند الأمة القائمة أن الشباب المدرس
 المختار من بين أبناء الأعيان يلزم أن يمد إلى الوظائف الحكومية أو الإدارية
 إدارتنا . ذلك ما قاله مؤلف « موجز السياسة الإسلامية » المطبوع بمطبعة
 وزارة بباريس سنة ١٩٢٥ . »

« إن التعليم هنا ليس غاية لذاته ، وإنما هو وسيلة للحصول على التفتح
 المعنوي الذي هو الناية الكبرى للمدرسة الأهلية . وذلك ما قاله أيضاً الكراس
 الذي نشره المدير العام للتعليم العمومي سنة ١٩٣٠ . »

« وجاء في منشور لإدارة المطرب (نشرة التعليم رقم ٢٥ في سنة ١٩٢٠)
 التعريف الآتي للمدرسة :

المدرسة تكتفي برفع القيمة المعنوية لمقدرة الأهلي المهيبة ، وهي عامل
 للثروة والسلم والعدل ، أما السياسة بالمعنى الأوربي المصري للكلمة فلا يتفق مع
 العمل التقدمي الذي نقوم به هنا ، وعليه فلا ينبغي أن يذكر لا في ترشيد المواطنين
 المشاركة ولا في تحرير المرأة . »

« إذن فالتعليم في المغرب لم يعتبر إلا من جانب « صناعة الاستثمار القروي » ،
 وهذا شيء حقيقى إلى حد أن الإدارة في سبيل تقسيم البلاد وهرولة التقدم للثقافة
 المخاربة أظهرت كل خصوصيتها لشكل المدرسة الوحيدة التي يطبق في صائر
 العالم ، فأصبح المخاربة ملازمين بتقديم (الزمان) مختلف أشكال المدارس وهي :
 المدرسة الفرنسية العربية . »

المدرسة البربرية .

مدرسة أبناء الأعيان .

المدرسة الصناعية .

» القروية للمناطق الريفية .

» » » البربرية .

» الإسلامية لهبات الأعيان .

» » » لهبات .

» ولله لمن المتمعن أن هذا العزل سيستمر إذا لم يزد تنوعها بمقتضى الإصلاح

الذي أعلنه المقيم العام .

» وإن عمل الحاية بعد ثلاثة وثلاثين عاماً ليتفق مع المبادئ المذكورة سابقاً ،

فقد أصبحت ثلاثة أطباء وستة محامين وستة مهندسين زراعيين ، وعليه فلا يمكن أن

ننظر الآن من التعاميم القروية الإسلامي المبني على هذه الأسس أن يصل إلى تكوين

الإطار الذي يتوقف عليه المغرب في أحد قسور بمجرد زيادة خفيفة في عدد المدارس .

» وأيضاً فإن هذه الزيادة الصبيلة في برنامج الحاية لا تقتضي إلا تأسيس

مائة فصل تشتغل على حشرة آلاف تلميذ كل سنة وذلك لمدة بعض الأعوام ،

في حين أنه يوجد زهاء مليون من الأطفال في السن المدرسي ، منهم ثلاثون ألفاً

فقط منخرطون في المدارس الموجودة .

» فإذا اعتبرنا أن عدد السكان في بلد ما يتضاعف كل خمس وعشرين

سنة بمقتضى ناموس معروف فسجد أنفسنا في المدة المنتظرة إزاء ارتفاع محسوس

في عدد الأطفال المولودين .

» إن إدارة الحاية تمتدز أحياناً بفقد الاعتمادات ، وأحياناً بطروف الحرب

وما أدت إليه من فقد المواد البنائية ، ولكن هذه الصعوبات تغلب عليها

الإدارة حينما تحتاج لإرضاء السكان الأوروبيين الذين لا يؤدون إلا خمس

ميزانية المغرب .

النظام الفلاحي :

« أما فيما يرجع للبرنامج الاقتصادي فقد صكت مشروع الإصلاح المقيمي من العمال وصناع المدن الذين هم في حالة سيئة ، ولكنه يشتمل على بعض الأشياء فيما يرجع للفلاح ، ثم إن لجنة النظام الفلاحي قد اضطرت إلى الاعتراف بأن تطور العمال الزراعيين أساس لتطور جميع البلاد ، وهذا صحيح خصوصاً بالنسبة إلى شعب تكون القرية سعة أحشاه .

« ولكن الوسائل التي قررناها هذه الهيئة للرسمية جهوز الفلاحين للقرية ورفع مستوى حياتهم عديدة القيمة ، لأنها تقف عند تشكيل مجلس أهل للنظام الفلاحي ، وإنشاء مشروع زراعية إجماعية لما يبلغ ألفي هكتار من الأرض وأخيراً إحداث ملك عائلي غير قابل للتفويت .

« إن تجاربنا للأساليب الإلزامية جعلتنا أن نأسف مجلس ما يعادل تأجيل العمل لأجل غير مسمى ، وهكذا نفرض للفلاحين أن لا ينتظروا نتائج مدومة ومستعجلة من المجلس الأعلى للزراة الذي لا تتعدى مهمته حدود دراسة المسائل الراجعة إلى وضع ميثاق ينظم أعمال (الحاس) .

« وقليل من الناس من يعرف أن مشروع الزراة الإجماعية صيغ على ألفي هكتار ، وذلك شيء ضئيل جداً مقارنة بالمسألة فإن تأسيس ملك عائلي غير قابل للتفويت هو طبق باحتياط لموضع قبيل من أجناس القرية في مامن من البؤس ، وأرض في النهاية جميع الذين طالبوا بهذا الإصلاح منذ عشر سنوات عند ما كان الفلاح لم يضع بعد أذى تراثه غير المنقول .

« لكن إعطاء الفلاح للقرية قطعة من الأرض ليس كل شيء ؛ لأن حالة الفلاح تدعو إلى حلول أكثر حراً وعمقا ، والإصلاحات التي تتطلبها حالة الفلاح الوقتية تتناول بصفة عامة ما يسيد له كرامته الإنسانية ، ويحسن معيشته المادية وحالته المعنوية بالتضاء على الامتيازات الإقطاعية وضمان اطمئنانه

الشخص وحفظ ماله وحمايته من المرض والبؤس والجمل .

« إن البدو الخارجية الأدكياء لم يحصلوا في مجموعهم على أى تقدم أثناء الثلاث والثلاثين سنة الماضية ، ولم يبقوا فقط في الحالة المزرية التي كانوا عليها ، بل إنهم أصبحوا يكوّنون جيش الأرقاء المسخر لخدمة الرؤساء المغاربة أو المراقبين الفرنسيين أو المصمرين أو موظفي الجيانات ورجال إدارة الميساء والقبائل ... الخ »

« والسلطات التي كان يجب أن تخصي الفلاح من جهله ومن عدم احتياظه لم تقم بأداء مهمتها ، بل إنها شجعت أولئك الذين يستغلونه ويظلمونه ، وشاركت بكيفية غير مباشرة -- وحتى بكيفية مباشرة -- في تصليكه .

« وأكثّر من هذا فإن السلطات حينما رأت أن الفرصة قد أتتحت للفلاح لكي يسترجع البعض من ثرائه المنتزع منه لقائدة الاستعمار عملت بحزم لئلا من شراء الأملاك التي عرضها الأوربيون للبيع منذ سنة ١٩٤١ .

« وأيضاً فإن الفلاح قد أهمل حتى إنه ما زال يحرق أرضه بالأساليب المتبعة ، ومعنى هذا أن كل إصلاح لا يرمى إلى تكوين إطار فني مغربي بقصد تحسين وسائل الفلاحة الأهلية هو إصلاح يؤدي حتماً إلى الفشل .

الزفاح من سيادة الشعب :

وإذا كان هذا السكاح مستمراً منذاً على سياسة الإقامة السامة وأساليبها فإن الحركة الاستقلالية بمراكش لم تقصر عملها على ذلك ، بل وجدت نفسها مضطرة لمقاومة المجهودات التي يبذلها الفرنسيون على اختلاف أنوارهم وأحزابهم لاغتصاب السيادة الشعبية المغرب ، وقد امتعرت هذه المقاومة منذ عهد الكتلة ولا تزال دائبة إلى اليوم ، والحقيقة أن التمزّل لمطالب السكان الفرنسيين في البلاد يعتبر أكبر خطوة لفرنسة المغرب أو إدماجه في عائلة الاتحاد الفرنسي .

ولقد قارمت الكتلة الوطنية محاولة الفرنسيين تصكوين مجالس مغربية

بلا أن مقاعدها ويكون لهم فيها حق الاقتراع والنقد لأعمال الحكومة ، وحاول
الجنرال « نوجيس » أن يستث هذه المطالب بعد أن فشل أصحابها ، ولكن
الحزب الوطني أذرع في غير هواقة بأنه لا يقبل تنفيذ أى مشروع من هذا القبيل
ولو استوجب ذلك الثورة وإراقة الدماء .

ولكن دخول الجنرال دييجول إلى شمال أفريقيا ونداءاته للتوالية للجمالية
الفرنسية ، وسياساته التي كانت ترمي للاستعانة بفرنسي المستعمرات على معارضة
من أنصار فيشي وغيرهم ، وآمال الفرنسيين في تكوين نظام جديد خير من نظام
الجمهورية الثالثة الذي يندجون إليه كل أسباب الهزيمة في الحرب ، والقتل
في السياسة — كل ذلك جعل الفرنسيين يعيشون في جو امبراطوري واستعماري
(حسب تعبيرهم) لا ينظرون فرنسا ومستعمراتها والبلاد المحمية بها إلا كشيء
واحد لا يقبل التعجزة ، ولذلك فقد أخذوا يطالبون بقشريتهم في كل ما يرجع
للميراث فرنسا وشؤونها ، وقد تملى هذا الأمر في مظهرين :

الأول — المطالبة بتعيين نواب منهم في البرلمان الفرنسي

الثاني — فتحهم أبواب الأحزاب الفرنسية في الغرب لقبول

للمعزلات الغارية .

وقد وقف الحزب من هذين الأمرين موقف الكفاح القوي دفاعاً عن

سيادة الشعب الفرنسي ونضالاً في سبيل الوحدة الفكرية في البلاد .

وبهذا بدأت الحملة الانتخابية لتعيين أعضاء الجمعية الفرنسية قرر القسم

الفرنسي ما يسمى بمجلس شورى الحكومة بالباط في اجتماعه التامى المطالبة

بإشراك الفرنسيين في هذه الانتخابات ، ورفع الأستاذ اليزيدى باسم اللجنة

التنفيذية للحزب احتجاجاً بالسلالة الملك وللإقامة العامة ترى من القائمة

تلخيصه هنا :

« إن حزب الاستقلال للتأثر لادعاءات الجمالية الفرنسية أن لها الحق في

التمتع بالحقوق السياسية في الغرب .

• بعد أن اعتبر القرار الذي اتخذته القسم الفرنسي لمجلس شورى الحكومة
فيما يرجع لهذا المعنى .

• وبعد أن اعتبر كذلك أن مجلس الوزراء الفرنسي اتخذ تدابير لتطبيق هذا
القرار وأن الإقامة العامة أصدرت كذلك قراراً بهذا المعنى مؤرخاً بيوم
٤ أغسطس ١٩٤٥ .

• وحيث إن الحق الوحيد الذي يمكن أن يتمتع به الفرنسيون وغيرهم من
الأجانب بالمغرب هو الحق الشخصي المعترف به باعتضى ظهير ١٩ أغسطس
سنة ١٩١٥ الراجع للأحوال المدنية .

• وحيث إنه لا يمكن تقييد السيادة المغربية المؤكدة حق بالمعاهدات
القائمة ولا سيما معاهدة الجزيرة .

• وحيث إن المعاهدات المفروضة على المغرب برغم ما خصته من حقوق
ديبلوماسية مستندة ألفت المغرب بلاداً تتمتع بالحكم الذاتي وتعتبر أقاليمه أجنبية
عن الأراضي الفرنسية .

• وحيث إن عديداً من الأحكام الصادرة من الحاكم الفرنسية العليا قد
أكدت هذا المعنى وشرحت حتى المقصود من الحماية المفروضة .

• وحيث إن هذه النظرية هي التي تنبئ عليها أحكام سياسية وقضائية
أهمها بالنسبة للوقت الحاضر أن المؤسسات السياسية الفرنسية لا يمكن أن يكون لها
محل في المغرب الذي هو بلد أجنبي ؛ لأن النفع بالحقوق السياسية مرتبط تمام
الارتباط بمجنسية الإقليم ، وقد صرح الجنرال ليوطى في خطاب ألقاه بالرباط
يوم ٢٤ نوفمبر سنة ١٩١٨ بأن الفرنسيين يصفون وقتهم حين يطالبون بالحقوق
السياسية في المغرب ، وأنه لا يمكن أن يحصلوا على أى تمثيل سياسي .

• وحيث إن منع الجالية الفرنسية حق الدخول في الانتخابات الجمعية
التأسيسية أمر ارتكبه الحكومة الفرنسية خرقاً لكل التعهدات والالتزامات .

• وحيث إن السكوت على هذا الواقع يعد مشاركة في جريمة اقتطاع

الوطن وتمحيصه فإن الحزب :

- ١ - يحتاج بكل صرامة ومع اليقين الذي يكسبه الحق الثابت على قرار الحكومة الفرنسية المخالف للمساعدات والمصارف من غير أدنى إشارة للمفارقة .
- ٢ - يستند بجزء حركة المطالبة التي تقوم بها الجبهة الفرنسية والتي تعتبر خطراً يهدد الدولة الفرنسية والشعب الفرنسي .
- ٣ - يوجه نظر جلالة مولانا الملك للخطر الذي يشهد له فرنسا الفرنسية التي يعتبر مولانا حارسها الأمين .
- ٤ - يطالب الحكومة الفرنسية بإلغاء التدابير المتخذة في فرنسا المعنى والتي تذكر من قريب أو بعيد بسياسة التجسس والإدماع « (أن لا يترك) » (سنة ١٩٤٥) .

وقد كان لهذه المدركة أثرها الفعال ؛ إذ تقدم مولانا جلالة الملك نصرته على احتجاجه على تصرف الفرنسيين ، وطالب بإلغاء التدابير التي اتخذتها الإقامة العامة في الموضوع .

وقد اضطر المقيم العام إلى إصدار بلاغ يؤكد فيه أن الفرنسيين ان يهتموا بحقوق الانتخابات في البرلمان الفرنسي ، وأن انتخاب الجمعية التأسيسية ان يتكرر منهم ، وما أعطى لهم هذه المرة إلا بصفة استثنائية نظراً لاهتمامهم بالامر الفرنسي ، وهكذا أصبحت الحركة الوطنية بالمرتب في دفع اعداء جديد على سيادتنا الشعبية بفضل الموقف الحاسم الذي وقفه سيدنا نصره الله .

ولكن هذا لم يمنع الأحزاب الفرنسية من الاستمرار في خطتها من المطالبة ومحاولة قبول المفارقة في صفوفهم بدعوى الدفاع عن حق السيادة بين الأهالي والفرنسيين ، ولذلك اضطر الحزب لقيام بحملة كبيرة لمقاومة هذا الخطر الجديد وقد نجح مرة أخرى في إزاج أغلبية الأحزاب الفرنسية بدم قبول المفارقة فيها كما نجح من الوجهة الشعبية في تفهيم للمفارقة الخطر الذي يجر إليه انخراط المواطنين في أحزاب أجنبية منهم لا يمكنها أن تدافع للمفارقة عن أي

حق إلا بتضحية أقدس الحقوق الوطنية وأعظمها .

وفي الحالة الحاضرة فإن حزبا فرانسيا واحدا هو الذي احتال على الاستمرار في عمله وهو الحزب الشيوعي حيث أصبح يعتبر نفسه حزبا مغربيا ، ولكن تكوين الفرنسيين للأغلبية الساحقة من مسوريه وأنصاره لا يجعلنا نعترف به كحزب مغربي ، ولذلك رفض حزب الاستقلال استبداعات هذا الحزب المتوالية لتكوين جبهة قومية ، وحزب الاستقلال سائر في العمل على حماية الشعب المغربي من دعايات كل حزب أجنبي كينما كان شكله ، وذلك بطريقة المنارية وتنظيمهم وشرح الأخطار التي تهدد من الاستعمار المعنوي الذي يؤدي إليه انسحاب العقائد غر القومية ، ويجب أن نسجل هنا التسهيلات التي تعطيها الإلانة العامة للشعوبيين في البلاد لالشيء إلا لأنها اشترك وإياهم في مقاومة حزبنا العتيد الذي لن يضره شيء . تأمر المستعمرين ولا تضامن الخائنين ما دام معتمدا بثقة الشعب كله ورعى جلالة ملكه المحبوب .

سياسة المنسيو إيريك لابون

ذهب للسيو جابريل بيرو بعد ما ظهر مجزؤه عن تنظيم خطاه سواء بطريق الإرهاب أو بطريق القويه وباءت اقتراحاته كلها بالفشل ووعين مكانه السيو إيريك لابون أحد أقطاب الديبلوماسية الفرنسية في المغرب . ولم يكن سيو لابون حديث عهد بالمغرب والآن نرى من خلال أعماله ووظيفة السكرتارية العامة للحماية ، وأثبت فيها مقدرة إدارية كبيرة كما أثبت فيها نشاطه الكبير في ميدان الاقتصاد والسياسة المالية ، ثم هو يشهد بالرضا وحسن التقدير للأموور ، وقد كان تسيبته مقبلاً على المغرب في كل الظروف التي اجتازتها العلاقات الفرنسية المغربية ، فكان مفروضاً أنه يدخل في بلاد سياسة أكثر تحملاً من تقايد الحماية المتبعة ، وأنه سيسهل على تكوين تأثير عميق في النظام المنروض على المغرب ، هكذا ظن الناس أو هكذا على الأقل أذاعت الدعاية الفرنسية وصدق الناس .

وصل السيو لابون للمغرب فكان أول مظاهر ظهر به هو عدم اعتماده بالمعاونة الكبيرة التي ينظمها غيره من المقيمين ليستعملوا بها على الناس ، ويضاهاها بها للظواهر التي كان من الواجب أن تحفظ لمثل السيادة المغربية ملك البلاد نصره الله ، ثم الجمالة الكبيرة التي تقرب بها لاقتصر والوحد الطمينة التي لم يقتصر في بذلها لجلالة الملك خصوصاً فيما يتعلق بالتعليم والمثل وغيرها من الإصلاحات التي كان مولانا شديد الشغف للاطمئنان عليها .

وللامراب من حسن نيته وطهارة مولانا للملك وشعبه فقد استجاب للرجة التي لم يزل يهدىها لجلالة السلطان منذ عهد محمد إدراجي من منغاي القوي في أفريقيا الاستوائية بعد أن طال أسنة أهوام كاملة ، وإرجاع صديق الأمين العام

للحزب الأستاذ أحمد بلا فريخ من مبعده بكورسيكا ، والسباح للأستاذ
محمد حسن الوزاني بالدخول لقاس من مركز إقامته الإيجارية بقرية إيتزر
بنواحي قاس .

وقد حل حضرة الأمين العام بالرباط من قبلي ، وأطلق سراح الأستاذ
الوزاني في الوقت نفسه .

ثم اجتمع المجلس الأعلى للحزب الاستقلال وقرر أن يبعث الدكتور القباطي
القاسي مندوباً عنه لمصاحبي في السفر من السكوني إلى الدار البيضاء ، ولا أريد
أن أحدث هنا عن المسرة التي أدخلها علي الأخ القاسي بوصوله إلى ، ولا عن
الجمهور الذي خاطب نفسه حين علمت منه تفاصيل الحركة الاستقلالية في مهبها
الأخير ؛ تلك التفاصيل التي لم أكن أعلم عنها شيئاً .

كما أنني أترك لتدري الحديث عن الخفاوة التي قابل بها الحزب والشعب
بها إطلاق سراحى ووصولي لبلاد ؛ لأنه ليس من حقى أن أروى ذلك بنفسى ،
ولكننى لا أجده مندوحة عن الإشارة للحظة من لحظات التجل الروحاني التي
التفتت فيها أرواحنا نحن الإخوان العاملين بأرواح أصدقائنا وأنصارنا ؛ تلك
الساعة التي اجتمعت فيها رمود المتاربة من كل حشد وصوب وممثلو الفروع
والجان الحزبية وزعماء الحزب بدار الوجيه ابن جلون الفسيحة ، بطالمة قاس ،
وارتجكت فيها خطاباً صادراً من أعماق القاب ، ولذلك فقد دخل إلى أعماق قلوب
السامعين ، وامتلاً الجوبهات للسرة ودموع الفرح ، وتبادل العناق والانشاء
بلنة العمل من أجل الحرية والإخاء في ظل ذلك العمل ، حتى أصيب أخوانا
العاج حسن أبو عياد بنوبة انشاء مقطع بها من كرسية في غيبوبة انتقال
معيد ، وجدد الكل جهود الوفاء لذلك والإخلاص للبلاد والصحبة في سبيل
الوطن وتحرير أبنائه .

لم تكن هذه للظاهر التي ألقاها الشعب للفرى بمناسبة رجوع أحد رجائه
العاملين فالأحسناء في أعين ولاية الحساية ، ولذلك سرعان ما أخذوا يحاولون

الذين يعملون للإيقاع بيننا وبين جلالته ملكنا ، وقد جمعوا جهودهم ونظروا صفونهم وأخذوا يفتشون سمومهم بشتى الأشكال وعلى مختلف الأسنة ، ولكن دعاء مولانا الملك وحسن تقديره للأشياء وبقيته في الأمانة التي تحملها ونجربته الطويلة لأصاليب الحماية كل ذلك جعله لا يبق بالانسكلام ولا يبرر التضائعا لسمائهم .

ولقد تفصل على مولانا الملك فاستقضى في اليوم الثاني من وصوله قباله فأهريت لجلاله مما بعلمه في من إحلاص دائم وولاء أبدي ، وقهلا شرب لجلاله من المرحلة التي مرت بعد تقديم عريضة الاستقلال والجهود العظيمة التي بذلها مولانا ، ولم يكتم لجلاله على استعداده للتضحية بكل شيء ولو برشه لا غدر الله إذا كان في ذلك صالح القضية البشرية ، وخرجت من هذا الاقتبال الكريم وكلى يقين بأن للحزب سينال مبتغاه ويدرك مآله ما دام على رأسه ملك عظيم وبطل كبير مثل سيدي محمد نصر الله .



لقد كان إطلاق الزعماء مبعثاً لأمال الكثيرين وانتظارهم الخطوة الثانية التي يريد أن يخطوها المسلمون ، ولقد اجتمع سعادته سراراً عديدة بالأمين العام للحزب صبيحة وفد من اللجنة التنفيذية ، وكانت المذاكرات معه في جو من التقدير وحسن التفاهم ، ولكنها دائماً كانت تصطدم بالاختلاف في الاتجاه الأساسي للعمل ، بينما الحزب يريد تشييراً عميقاً يستبدل بنظام ، لحماية نظام استقلال ناجز بإذابة فكرة الإصلاحات للوجهة بمقتضى المفيدة الاستعمارية هي التي ملك على ممثل فرنسا سيده ، وقد حاول المنيع العام أن يقنع ممثلينا بمختلف الأساليب بضرورة قبول سياسة الإصلاح مع الاحتفاظ بفكرة المطالبة بالاستقلال ، ولقد بلغ الأمر أن طلب منهم أن يأخذوا لقشة من الحزب بالتعاون معه ، بينما يبقى الزعماء محتفظين بموقفهم القوي براه هو موقفاً سليماً ، وطبعاً أن الزعماء ليس من شأنهم أن يقبلوا هذه الحلول ، ويمكنهم أن يقوموا بأي أسلوب يرونه في صالح قضيتهم ، ولكنهم لا يسمعون

عورته
الحسن

لأنفسهم بأن يتولوا الأساليب التي تعلقهم إياها إدارة الحياة نفسها .

ولقد استطاع إخبارنا أن يحصلوا من المقيم العام على الإذن بإصدار صحف عربية بعدما ظل باب الإذن مسدوداً منذ الثورة الوطنية في أكتوبر سنة ١٩٣٧ وإن كانت الرقابة ما تزال قائمة منذ ذلك العهد إلى اليوم ، وهكذا أصدر الحزب جريدة (العلم) اليومية بالعربية وجريدة (رأى الشعب) الأسبوعية بالفرنسية . وفي يوم ٢٣ يولييه كان انعقاد القسم الفرنسي لما يسمى بمجلس شعوري الحكومة ، فألقى المقيم العام خطاباً فيها كشف فيه القناع عن برنامج السياسة وإصلاحاته كلها ، فانتفض الجميع أن الاستعمار واحد ، وأن السياسة التي وضعاها آخرون بالحديد والنار هي التي يريد المسيو لا بون تنفيذها باللفظ والمجاملة . كان اندعاش الجمهور المغربي لخطاب المقيم كبيراً إلى حد لا يمكن أن يخرج إلا بالخيبة ، خيبة أمة تريد الحرية وتطامح للانقلاب .

عرض المقيم العام في خطابه لمجموع المسائل المغربية ، ولكن الفكرة التي سادت توجيهه السياسي والاقتصادي لا تخرج عن التقاليد الاستعمارية ، كما أنها أثبتت عدم تحرر المسيو لا بون من تأثير أنصار السياسة الرجعية بفرنسا والمغرب إذ أن جميع الأفكار التي أعرب عنها تدل على أنه ما يزال يفكر في دائرة نظام الحماية الذي أثبتت تجربة ثلاث قرن أنه بما يشمل عليه من أوضاع وظروف هو السبب الرئيسي في مشكلة الإدارة المغربية وفي خيبة الشعب الذي لم يجد في ذلك النظام أمناً اجتماعياً ومواظبة خالقة وحماية محمصة لحرية هذه البلاد واستقلالها . على أن المقيم العام لم يوجه كلامه للشعب المغربي الذي لم يستشر قط في معيره والذي ظل محروماً حتى من الحريات الديمقراطية الأولية التي تخوله وسيلة الاغتراب عن فكره أو تباعف وخبائثه ، وإنما قصد حين تكلم عن ضرورة الاحتفاظ بالاطار الدولي عند تحقيق الإصلاحات التي يريد تطبيقها — تذكير بعض الدول الأجنبية بأن المغرب وخصيسته الدولية التي لا يمكن أن توضع على أساطير البحث الدولي من جديد .

ضرورة اتباع لامركزية في البلاد ، وكأما أبطل إدارة الشؤون السياسية لمصنع في كل جهة إدارة خاصة على صورتها ، واقد صرح المقيم بأنه يريد أن يعطى حقوق التقرير في كثير من النقط لرؤساء الجهات دون أن يرى في ذلك مساها بالسلطة المركزية للحكومة الشريفة ، بل إنه يقدر ذلك وينظمه ليتسنى للرؤساء الفرنسيين اغتصاب البقية الباقية من سيادة الملك وحقوق الشعب المغربي .

والتأمل في خطاب الميولايون يرى أن السياسة الفرنسية لم تتطور قط في أصولها الاستعمارية ، وأن السياسة المغربية بصفة خاصة غير موضوعة ضمن الإطار الدولي للغرب كما يزعم ، وإنما هي موضوعة ضمن الإطار التقليدي للسياسة الأميرالية التي ترمي للفرقة بين الأجناس والمناصر المحلية وتوزيع الأفكار وخلق النوارق للذهبية وإقناع الفرق الحديثة بتبانيها وتشاكسها ، وأن تجربتها القومية لم تنجح ، وأن الوطنية الوحيدة التي يمكنها أن تنجح تحت لواء الحرية دون أي فارق ديني أو عرقي هي وطنية الأمة الفاتحة وجامعة شعوبها المتعددة .

ولقد سكت المقيم العام في إصلاحاته عن الحريات العامة الضرورية ، وهي حرية الصحافة والاجتماع والجمعيات وغيرها .

أما النقابات فلم يعد فيها السفير بأكثر من السماح بتأسيس نقابات خاصة عابطة من العمال الاختصاصيين وفي العامل فقط (لم يطبق هذا الحق إلى الآن) ، أما البادية وعمالها ، وأما العاطبة غير المختصة فإن يكون لها أي حق في التكتل للدفاع عن مصالحها .

وإذن فالبرنامج السياسي للمقيم ينحصر :

١ - في تكوين إقطاعية جديدة بإحداث نظام اللامركزية لقرائية الحكام والمسلمين الفرنسيين .

٢ - في الاتجاه بالحكومة المغربية وإدارتها إلى أسلوب التعاون المباشر ؛

أى النظام المختلط في الحكم .

ساسة
السياسة

وسمى هذا أن أسلوب إدماج الغاربية في العائلة الفرنسية بتجديسهم وإعطاء
انفرنسيين المقيمين في المغرب وأهالي المغرب حق المواطن الفرنسي ، وتشريكهما
في تحمل المصالح المغربية بالبرلمان الفرنسي نفسه قد عدل عنه وعرض بإدماج
الفرنسيين أنفسهم في العائلة المغربية على أساس أن هناك جنسين متكافئين هما
المغاربة الأصلون والمغاربة الفرنسيون ، ويعتبر سلطان المغرب متكافئاً لهم جميعاً ،
وممثل فرنسا رئيس حكومتهم ، وهم مهوون لأن يعيشوا بعد التبادل القوي في
أمة مغربية جديدة هي عضو مشارك في الاتحاد الفرنسي .

على أن الذي شغل الجانب الأعظم من اهتمام المقيم ليس هو البرنامج
السياسي ، وإنما هو البرنامج الاقتصادي ؛ فالمسيولابون كان يعتقد أن للمغرب
سيحصل لاحالة على استقلاله ، وأن فرنسا هما ما طلت في إعطاء هذا الاستقلال
فلا بد يوماً ما من الاعتراف به وتثبيتته ، ولذلك يرى ضرورة غرس مصالح
اقتصادية تعيد المغرب لفرنسا آميداً حقيقياً حتى بعد استقلاله السياسي والقوي ،
وانتد كان يقول لأصدقائه إنني أريد أن أكون (ليوطي) الاقتصادي للمغرب
يعنى أنه سيؤسس امتلاكاً اقتصادياً في المغرب كما أسس المارشال ليوطي
امتلاكه السياسي .

ولم يكن للمسيولابون من أنصار الرأسمالية الفردية كما يقال عنه ، بل كان
اشتراكياً فرنسياً غامساً للحكومة الاشتراكية الفرنسية ، ولذلك فقد أعلن في
خطابه برنامجاً اقتصادياً قائم على تمليك الحكومة الفرنسية قسماً منها من
الثروات الثمينة ، وذلك بتأميم جانب من المعادن لا للحكومة المغربية بل للحكومة
الفرنسية ، وهذا من أغرب ما يتصوره العقل ويهدي إليه الفكر الاستعماري
الحديث ، ولكنه في الوقت نفسه وعد بتشجيع رؤوس الأموال الأجنبية على
الدخول للمغرب ، وإن كان لا يجهل خطورة وجودها دون نظام أو توجيه على
نظم النقد وغلاء المعيشة .

ولقد حاول المقيم أن يجبر برنجه بتكوين شركة للفهم تلك ثلثها الحكومة الفرنسية ، وثلثها الحكومة الشريفة ، والثالث الثالث لرؤوس الأموال الأجنبية والمغربية مع عقد فرض الحكومة الشريفة من فرنسا تستطيع أن تقول به الثالث المؤتم لها .

ولقد دعا المقيم العام الماليين المغاربة للمشاركة في مؤسساته الاقتصادية والتعاون معه على تنفيذ برنامجه الذي يزعم فائده المغرب وفرنسا .

معارضة سياسة لا بون :

لم ينشر خطاب المقيم العام حتى اجتمع المجلس الاعلى لحزب الاستقلال في الرباط ، وهو أول اجتماع له بعد رجوعه من المنفى . وبعد دراسة القضية من جميع وجوهها قرر المسائل الآتية :

١ - كتابة مذكرة بجلالة الملك يعلن فيها معارضة الحزب البرنامج السياسي للمقيم ، ويرفض شكل الاصلاحات التي عرضها خصوصاً نظام اللامركزية والمجالس المختلطة ، مجلساً حكراً (الحزب الوطني) والكتابة في عدم إعطاء الفرنسيين أى حق من حقوق المواطنين المغاربة .

٢ - كتابة بيان بهذا المعنى يوزع على الشعب .

٣ - كتابة مذكرة بجلالة الملك تبين خطر البرنامج الاقتصادي للسيد لا بون على البلاد ، وتطالب من بجلالته عدم العاقبة على أى تشريع يتعلق باغتصاب التراث المغربي أو جانب منه .

٤ - توجيه نداء من الحزب للمولدين المغاربة يطالب منهم رفض التعاون الاقتصادي الذي يطلبه المقيم العام وعدم الاشتراك في الشركات التي يؤسسها بتوجيه استعماري فرنسي .

٥ - تأسيس لجنة الاقتراح والتوجيه الاقتصادية التي تعمل على ابتكار

المؤسسات الخيرية وإرشادها وتوجيهها مقاومة مؤسسات الإقامة العامة للجنة التنفيذية للحزب .

٦ - إعلان الحزب استمداؤه فتوحيه الأمة نحو التضحية الكبرى إذا حاولت الإقامة العامة تطابق برنامجها بالقوة .

وقد قدم وفد الحزب هذه المذكرات لجلالة الملك الذي صرح بأن جلالة لا يتوانى في احتضان مصالح المغرب والدفاع عنها ، كما قامت اللجنة التنفيذية بطبع البيان والنداء المقررين وتوزيعهما على الجمهور المغربي .

* * *

استمد من المقيم العام أعضاء اللجنة التنفيذية وناقشهم في وجهة نظرهم مصرحاً بأن موقف الحزب مأس بالقضية المغربية ، ثم عرض على الأمين العام الحاج أحمد بلا فريج قبول رئاسة مجلس إحدى الشركات التي يؤسسها المقيم وقبول من يختارهم من أصدقائنا اسضوية المجالس العليا لأهم تلك الشركات ، ولكن الأمين العام صرح للقيام بأنه تنفيذاً لقرارات المجلس الأعلى للحزب لا يمكنه هو ولا غيره من الاستغلايين قبول أى تعاون مع الإقامة العامة في دائرة الحماية وعلى الأسس التي أعلنتها الخطاب للمقيس .

ولقد حاولت الإقامة العامة أن تعرض الأمر على غير أعضاء اللجنة التنفيذية من رجال الحزب وأنصاره فاستدعت الأمهاتين محمد الزقاري والحلياني وغيرهما وعرضت عليهم الدخول في المجالس العليا لشركاتها ، ولكنهما رفضا كما رفض سائر الشباب الوطني ذلك إجابة لنداء الحزب .

أما الممولون للثاربة فقد أضربوا كلهم عن ثراء أسهم الشركات المتبقية رغم الإلحاح الذي وجه إليهم المسيو لايون وممثلي الحماية بالنواحي ، وقد ظهرت بذلك قوة النفوذ المعنوي الذي يتمتع به حزب الاستقلال .

ولكن الحزب يعرف أن الإضراب لا يمكن أن يلبس إذا لم يهيء للثاربة النواحي التي يستعملون فيها رؤوس أموالهم ، ولذلك كون اللجنة الاقتصادية التي

أشرفاً إليها ، وقد كان لها الفضل في مساهمة كثير من الشركات وتوجيهها .
وقد أسس المنيم العام شركة لطيران فأسس المليون الوطنيون (شركة
النجوم) لنقل المدني الجوي ، وأسس المنيم العام شركة للأخراج السينمائي
فأسس الوطنيون شركة ستوديو المغرب ، وهكذا استطاع المغاربة على ضئالة
ما بيدهم من المال وعلى شدة الضغط الذين هم موضوعون فيه أن يفتقروا معاصرين
مع جلالة ملكهم ومستعجيين لنداء حزبهم حتى فشلت مشروعات لابون إلى
حد لم يكن متظراً .

ولكن الفضل الأكبر في هذا يرجع لجلالة مولانا الملك فهو الذي حقق
رغبة أمته فرفض رفضاً باتاً المصادقة على مشروعات الظواهر القاضية بتأسيس
شركة الفحم وأمثالها مما كان يرمى به المسيو لابون لتأسيس فرنسي لتراث المغرب .
وتتلخص وجهة نظر جلالة الشريعة ونظر الشعب المغربي كله في أن
مقدرات المغرب الأساسية يجب أن تبقى للمغاربة ، وأن خير ضمان لها في الظروف
الحاضرة هو تأميمها تأمياً مغربياً ، واستغلال الحكومة لها مباشرة أو بواسطة
وخص مع اشتراك الحكومة بواسطة مكاتبها الخاصة في فوائدها ورؤوس أموالها .

وقد حزب الاستقلال بفرنسا :

بينما كان المسيو لابون يلاحظ بنفسه فشله في سياسته المغربية كان هو
وأنصاره يملنون في فرنسا بواسطة أبراق الدعاية الاستعمارية أنه متفق مع جلالة
الملك على الخطة التي يريدونها ، وقد كان يرمى من وراء ذلك إلى إنجاح برامج التي
كان يلقي فيها بعض المعارضة من طرف الرأسماليين الذين لا يؤمنون بمبدأ
التأميم ولو كان يملك حكومتهم تراث أمة أخرى ، وإلى الترويج على الرأي العام
الفرنسي بعدم قيمة الحركة الوطنية في الداخل ، ولكن (حزب الاستقلال)
بفضل حذره لا يترك ناحية ضعف إلا عمل على إصلاحها ، ولذلك قرأ أن يبعث
فرنسا وفداً من رجاله ليشرح الحقيقة كما هي للحكومة الفرنسية ولرأي العام

الفرنسي حتى لا يبقى للفرنسيين عذر في استمرارهم في هذه السياسة التي حكم عليها التطور المغربي والعالمي بالفناء والاستحلال .

وقد تركب الوفد من رئيسه الحاج عمر عبد الجليل ، وعضويه الأستاذين عبد الكريم ابن جلون القاضي السابق بالمحكمة العليا بالرباط ، والأستاذ أحمد الحلياني المحامي بناس ، وكلهم من أعضاء المجلس الأعلى لحزب الاستقلال .

قام الوفد بأعمال جليلة ؛ إذ اتصل بشخصيات عظيمة ورفيع صوت البلاد عالمياً في سائر الأوساط ، وكان من أهم تصريحاته البيانات التي أدلى بها في المؤتمر الصحفي الذي حضره أكثر من مائة وخمسين صحافياً فرنسياً وأجنبياً ؛ فقد شرح رئيس الوفد للحاضرين حقيقة الحالة في المغرب ومطالب الشعب المغربي والكيفية التي يراها الحزب لتحقيق هذه المطالب ، ثم أجاب عن أسئلة كثيرة وجهها للوفد مختلف المراسلين الحاضرين .

وقد نقلت الصحف الفرنسية كلها أنباء المؤتمر والتصريحات التي أدلى بها الوفد وعلقت عليها تعليقات مختلفة ، ولكنها كلها تعفق في تقدير الحالة الراهنة في البلاد ، وأنها تدعو إلى عمل حاسم ومستعجل .

ولم يقصر الوفد عمله على العناية في الأوساط الفرنسية ، بل عمل على تنظيم الوطنيين للعبادة بفرنسا وفتح مركزاً رسمياً للتشيل الدائم للحزب كما قام بتنظيم الطلبة الاستقلاليين ، وتأسيس لجنة توجيهية لإرشادهم ومساعدتهم على إتمام الدراسة في جو تعاون وإخاء .

وقد نشر (مكتب الاستخبارات والدعاية) التابع لحزب الاستقلال بتوجيه ومساعدة إخواننا أعضاء الوفد رسالة عن (تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب الأقصى) ، كما طبع البيان والحديث الذي أدلى به الوفد في مؤتمر الصحافيين ، وجمع وثائق (حرب الاستقلال) ثم طبعها ضمن كراسة خاصة بالفرنسية وترجمها ونشرها باللغة الانجليزية أيضاً .

ومصادف وجود الوفد بباريس مرور صاحب السعادة عبد الرحمن عزام باشا

الحركة العربية

هو

الأمين العام للجامعة العربية ، فانتصل برجال الحزب وتفاوض معهم ملياً في شأن القضية العربية ، وكان من آثار هذه المناوصات التصريحات التي أدلى بها معاليه في باريس ، وكلها إشعار رسمي بتأييد الجامعة لأمم المغرب العربي في مطالبهم بالحرية والاستقلال والانضمام للجامعة العربية .

ثم أقام الوفد يوم ١٨ نوفمبر سنة ١٩٤٦ اجتماعاً ضخماً بمناسبة عيد العرش
للغربي ، حضره جم غفير من كبار الأوربيين والعرب الموحدين في العاصمة
الفرنسية على رأسهم سمو الأمير عبد الله سيف الاسلام ابن الملك يحيى عاهل اليمن
السابق ، وأقيمت فيه عدة خطب كان من بينها خطاب العلامة ماسينيون
والشيخ دراز ، وقد كانت كلها إجحلياً بجلالة الملك وتأييداً لحقوق المغرب التي
يرعاها جلالاته ، ولقد شهدت الصحافة الفرنسية بحسن التنظيم الذي قام به
الحزب في هذه الحفلة ، واستبجبت منه مقدرة المعارضة على تسيير شؤونهم
ماداموا قادرين على تنظيم الحركات واكتساب عطف المشرق والمغرب عليهما ،
أما نحن الناحية الرسمية فقد اتصل الوفد بتائب وزير خارجية فرنسا الذي تحدث
معه طويلاً في الأساليب الممكنة لحل المشكلة المغربية ، والذي أظهر أن
إحارجية إذ ذاك كانت ترمي ضرورة تعيين شخصية رسمية تتخاطب مع جلالة
الملك في شأن المصير المغربي في الوقت الذي يستمر فيه للقيم العام في مركزه
كرئيس للحماية ، فإذا أدت المفاوضات إلى نتيجة ما أعلنت حينئذ الحكومة
الفرنسية نهاية النظام الحاضر ، وبدأت في اتخاذ التدابير لتنفيذ ما يتفق عليه .
ولكن الحزب كان يرى أن هذه مجرد وسيلة من وسائل العمل لا أهمية لها
في الموضوع ، وأن النقطة الأساسية هي ماذا سيعرضه هذا المقروض الرسمي على
جلالة الملك ؟ والحق أن الذي استنتجناه مما بعثه لنا الوفد من تقارير وأحاديث
لا يدل إلا على أن السلطة الفرنسية تريد تبديل نظام الحماية أو استمرارها ،
ولسكن في دائرة الاتحاد الفرنسي .

ولكن الحزب كان يرى أن هذه مجرد وسيلة من وسائل العمل لا أهمية لها في الموضوع ، وأن النقطة الأساسية هي ماذا سيعرضه هذا المقروض الرسمي على جلالة الملك ؟ والحق أن الذي استنتجناه مما بعثه لنا الوفد من تقارير وأحاديث لا يدل إلا على أن السلطة الفرنسية تريد تبديل نظام الحماية أو استمرارها ، ولكن في دائرة الاتحاد الفرنسي .

وطبعي أن (حزب الاستقلال) لم يكن في يوم من الأيام نصيراً للوحدة

وطبى أن (حزب الاستقلال) لم يكن في يوم من الأيام نصيراً للوحدة

الفرنسية التي يرى فيها نظاماً أهدق في الاستعباد من نظام الحماية نفسه ، خصوصاً بعد انكشاف الغموض الذي كان يسود فكرة الاتحاد الفرنسي حين أعلن نظام المجلس الخاص بالاتحاد واعتبار رئيس الجمهورية الفرنسية (رئيساً عاماً لساائر البلاد المنتظمة أو المشاركة في الاتحاد ، وهذا ما يجعل الخلاف بيننا وبين الخارجية الفرنسية صيفاً إلى حد لا يمكن معه الوصول لنتيجة عملية إلا بتنازل أحد الطرفين من المبدأ الأساسي الذي يتسلك به .

ولقد بقي الحزب دائماً الرغبة في أن لا يرضى بهذه الحقيقة ، ولذلك عمل بكل مجهود لإقناع الحكومة الفرنسية بضرورة تعديل نظريتها ، خصوصاً وهي تعرف أن معاهدة الحماية نفسها لا تتيح لها ضم المغرب لحظيرة اتحاد لا يقبله ولا يرضى أمانيه القومية .

وسمع أن الوفد قد حظى باقتبال جميل وحفاوة طيبة من الرسميين الفرنسيين ومن رجال الصحافة والرأي العام ، فإنه لم يحصل على نتيجة عملية يكون لها الأثر الفعال في تغيير وجهة نظر الحكومة أو تعديل خطتها .

ولكن بالرغم من ذلك فقد أبى الحزب إلا أن يستمر في الإصرار عن حسن نيته بالتوجه للرأي العام الفرنسي ، ولذلك قرر أن يبعث أمينه العام الحاج أحمد بلافريج ليتأمن الوفد الثاني للحزب بعد رجوع الحاج عمر ورقية وقد واصل الأمين العام بمجهودات سابقة ، وقام بمسدة احتجاجات واتصالات قوية ، من أهمها حديثه مع رجال الحركة الشعبية الجمهورية ، وأدلى بتصريحات كان لها صدى كبير في الأوساط الرسمية .

وقد انتهز فرصة وجوده بفرنسا ، ففقد بباريس مؤتمراً عاماً لساائر طلبة المغرب بفرنسا كانت له الأثر الحسن في توحيد الشباب المغربي حول الحزب وتوجيهه الوجهة الصحيحة التي يروى فيها .

ولكن هذه النهاية التي أبداهها الحزب لم تلق من التقدير والاهتمام ما كان ينتظره المناربة من شعب كالشعب الفرنسي ، فإن النقطة السياسية لم تتبدل ،

بالحزب
الطريق
الجزيرة

والأساليب الاستعمارية لم تتحول ، وتآلب المستعمرين في داخل البلاد لا يزداد
 إلا شدة ، ومعاملتهم لرجال الحركة ومنظماتها ومظاهرها نشاطها لا يزداد إلا
 استضعالا ، وبالرغم من ذلك كله فقد قرر الحزب أن لا يحول عن خطته قبل
 أن يوجه الإحذار الأخير ؛ فقرر أن أسافر أنا أيضاً لفرنسا بعد أن أعطاني من
 الصلاحية ما يخولني حق السير بالحركة في الاتجاه الذي سارت فيه بعد انتقاله
 للشرق .

وقبل أن أتحدث عن رحلتي لفرنسا ثم لمصر يجب أن تم الحديث عن
 هذه المرحلة المهمة في تاريخ الحركة المغربية بالسكلام عن حوادث العام البوغاء
 ورحلة جلالة الملك لطليعة .

مأساة الدار البيضاء

٧ أبريل سنة ١٩٤٧

في المغرب

بينما كانت المغرب كله ينتهز زيارة جلالة الملك محمد الخامس ملك المغرب أفريقيوماسية ، وكانت للندن والقرى التي يسير منها اللوكب الملكي في جميع بعشاهدة ملكها في طريقه إلى مدينة لم يشكن من زيارتها ، وزيارة الملك في قوله - كانت الأوساط الاستعمارية تفل غليان للرجل لأن معلومتها لم تهللها في إرجاع جلالة الملك مما عزم عليه من هذه الزيارة ، ولأنها تعلم مطلقاً أن هذه الجولة ستكون مظهراً كبيراً من مظاهر الوحدة المغربية ، وستفتح الفرصة للوطنية كي تظهر موقفها للتصاميم ضد الاستعمار الفرنسي والأسباني والبولي .

وبالرغم مما أظهرته الصحافة الاستعمارية من تهمة على الشعب المغربي ومذكرة وزعمائه وبالرغم مما أظهرته بعض الحركات الفرنسية من مظاهر نشاط استثنائي عسكري ، وبالرغم من الإشاعات التي كانت تملأ ألبو من أن الجنرال ديغول ومعه سيبتونون فرصة سفر الملك ليطبقوا ثورتهم القومية من الدار البيضاء إلى باريس ، وأن الشيوعيين الفرنسيين يتهبثون لإعلان إضراب في حملة السكك الحديدية التي يمر منها جلالة الملك في يوم سفره - بالرغم من ذلك كله وعماء هذه من الإشاعات والتهجمات فقد استطاعت الوطنية المغربية أن تملك أعصابها ، وتحتفظ ببرودة دمها ليتم تحقيق البرنامج الملكي الذي تعتبره فوزاً كبيراً لقضية المغرب ، ولأنها تعودت سياسة الإثارة والتهيج التي ياتونها المستعمرون الفرنسيون كما رأوا تيسار انتصار للوطنية المغربية بثبة خلق الجو الذي يمكنهم من إرضاء نهيم للانفقال والتشقي .

ولكن الأسر الذي راع الجمهور الغربي هو مأساة الدار البيضاء التي وقعت
تماماً في ليلة السفارة الملكية بالذات .

فبينما كان بعض الأتقال يذهبون بحمي (ابن مسيك) مدينة المال بالدار البيضاء
إذا بثلاثة من السنغاليين يتجولون ، فطالبهم طفل بأن يعطوه هدية ، ولكن
السنغاليين شتموه ورموه بمقلاع كان بيدهم ، فأنار ذلك غضب أصدقائه الأطفال
فتابعوا الجنود الثلاثة بمحبيات صغيرة ، وذهب السنغاليون إلى الحصن القريب
من الحى ، ثم عادوا معهم فرقة من السنغاليين مسلحة بالبنادق والرشاشات
والمدافع الخفيفة ، وصحبها ضباط فراسيون ، وما وصلوا الحى حتى أعطى الضباط
يلفونهم الإذن بإطلاق الرصاص على الأهالي الدزل ، وطوقوا الأحياء الوطنية من
كل جانب ، وغلغوا المجرم عليها ، وقد احتلوا الشوارع وهاجموا المارة بالقتل
والتنكيل والتمثيل ، ثم دخلوا البيوت بيتاً بيتاً يقتلون من وجدوه فيها من طفل
أو امرأة أو رجل ، بل قتلوا حتى الدواجن من الحيوانات ، ونهبوا الأمتعة
وكسروا ما لم يقدروا على حمله .

ووصلت فرق الفرسان السنغاليين بقيادة ضباط فراسيين أيضاً ، وامتدت
المرحلة إلى مسافة عشرة كيلومترات من الأحياء العربية المجاورة ، واشتد
السنغاليون وانتقلوا إلى حيوانات متوحشة كلبية ، فشدخوا رؤوس الموتى وفصلوا
أعضائهم وبقروا بطونهم ، ففعلوا ذلك حتى بالصبي الصغير يحضر أمهاتهم اللاتي
أخروا قتلن إلى ما بعد التمثيل بأبنائهن على مرأى منهن .

واحتلت فرق أخرى من السنغاليين سطوح المنازل حيث سلطت نيران
رشاشاتها على كل من تحدته نفسه بالنفاز من الشارع أو تلفيه الفرصة ماراً به .
ولم تدخل السلطات الفرنسية المدينة لإيقاف المدوان الذي استمر أكثر
من عشر ساعات اختفى خلالها رجال البوليس بكيفية تلفت الأنظار ، بل إن
بعض الفرق المكلفة بحراسة المدينة لم يسمح لها قوادها العسكريون بالتدخل
لحماية السكان ، وهناك تكتة عسكرية فرنسية قريبة من موقع الحادثة كتب عليها

« مقر حراسة المدينة » جنودها كلهم من عساكر (الفوم) للعاربة برقاسة ضباط فراسيين ، توجه إلى ضابطها وقد من كبار حزب الاستقلال يعلمه بالحادث ويطلب منه الإذن من الجنرال للجند المغربي بالقيام بواجبه من إرجاع الأمن ، عذب منه القريث قليلا ، ثم تقابل مع الكولونيل وبعد دقائق عاد فأصدر الأمر بإتقال الثكنة وسجن جنوده جميعا بداخلها .

وفي اليوم التالي حشنت السلطة للجيش الترابية والكبتية بإسائر أحرار المدينة بكل الطرق المؤدية من الدار البيضاء إلى الرواق ~~التي كانت في يدهم ولا~~ جندي سرا كشي واحد ، وقد ثبت بعد التعمري ~~والجيش~~ أن ~~الجيش~~ ورجال الشرطة المغربية حردوا من كل سلاح قبل الحادثة ~~للملوك~~ الذي يدل على أن المأساة مدبرة وميثة بليل .

وقد بلغ مجموع القتلى والجرحى المغربية في هذه المأساة التي انتقم فيها الجيش الترابي من الوعي القوي التي شخص مغربي برى .

ولقد كان لهذه المأساة أثرها الميق على حالة الملك وعلى سائر أفراد أمة ، وقد توجه جلالة نفسه لنفسه للبيضاء حيث أشرف على بحث عرف منه حقيقة المأساة ، كما حمل على مواساة البائسين من عائلات الموتي ومساعدة الجرحى الذين تركتهم غطسة الجيوش الوحشية وهم ذماء .

وقد أظهرت فرق الشباب الرياضية والكشمية التابعة لحزب الاستقلال بطولة عظيمة ؛ إذ قامت بمجهود جبار لاحتطاف جثث الشهداء وإحصائهم ومعرفة أسمائهم ، ونقل الجرحى إلى المستشفيات وتصوير مشاهد التمثيل والتفكيك التي قام بها السلفيون ، والبحث عن عائلات الكل وإعلامه بحالة قريبه ، والتعمري في معرفة الحوادث والقائمين بها — الأمر الذي يستحق الإعجاب ويستوجب التقوية والإشادة .

أما الشعب المغربي فقد أعلن تضامنه مع البائسين بإضراب عام شمل مائر المدن المغربية واحتجاجات شديدة رفضها الهيئات والشخصيات المراجع العليا ،

عنه حرك سائلا

وبالافتتاح العام لمساعدة المسكوبين ، وقد طالب حزب الاستقلال بإجلاء الجنود السنغالية من المغرب ، وهو مصر على هذه المطالبة دائماً .

وقد قامت هيئة (سيدات وفتيات حزب الاستقلال) بالدار البيضاء بعمل جليل لإسعاف العائلات المنكوبة ، وأسست ليقاضى المأساة ملجأ ومدرسة ترفان بمنظمة (٧ ابريل) .

أما السلطة الفرنسية فإنها لم تبد اهتماماً كبيراً بالحدوث ، وكل ما فعلت أنها استذكرته زاعمة أنه وقع من السنغاليين من تلقاء أنفسهم ، واعتقلت بعض صفوف الضباط الذين اتهمهم الوطنيون ، ولبسكم سرعان ما أطلق سراحهم ، واتهمتهم بفرصة الرحلة الطنجية وتعيين الجنرال جوان من بعد اشتغل الرأي العام المغربي عن لأساة البيضاء .

ولكن شهداء ٧ ابريل يملأون قلب كل مغربي وروحه ، وإن الفطرسه التي أظهرها الجيش الفرنسي في هذه الموقعة والتفائل الذي سجلته ساحات الحماة لا يمكن أن ينساها الشعب المغربي الذي تعود الصبر ولسكنه لم يتعود نسيان الجريحة ولا مساحة الجرحى . وإذا رأى الفرنسيون حاس النار في المطالبة بالتعويض من سيطرتهم ، وإذا سمعوا في المستقبل بعض الحركات الانتقامية المغربية ، وإذا قرأوا أن النارية لم يسودوا قاذرين على تحمل طعناتهم ولا على الاستمرار في قبول التعويض السلمية حتى من زعمائهم ، فليس لهم أن يستغربوا ، وليس لهم أن يشعروا من نصب النارية أو من سوء فهمهم بل عليهم أن يذكروا أن جهوشهم لم تحمل لنا الأمن والسلام ، وإنما حملت لنا وحشية السود محبة إلى الجمهورية التي كان يجب أن لا يحمى غير الحرية والمساواة والإخاء .

يجب على الفرنسيين أن يذكروا أن تضحيتنا من أجل تحريرهم من خطرسة الألمان في الحربين الأولى والثانية ومشاركتنا لهم وتمتعهم بشعور النصر والكبرياء القوي لم يقابل من طرفهم بأى اعتراف بالجميل ، بل إن نهاية

الحرب الكبرى الأولى كانت مبدأ الحملات العسكرية على بلادنا التي نارت
على الحماية ونظامها ، وختمت الحرب العالمية الأخيرة كانت فائحة اضطهادات
مصلحة لأمتنا المزلاء وشبابنا الذي لا يريد غير السلم والأمن في ظل
الحرية .

الرحلة الملكية لطنجة

قبل السفر :

منذ عادت طنجة لنظامها الدولي. فكر جلالة الملك أن يلحق سلسلة رحلاته العظيمة في داخل مملكته الشريفة بالرحلة لطنجة التي تعتبر عاصمة المغرب الدولية وقد أصرب من رغبته هذه التسيو إيريك لابون الذي رأى فيها لأول مرة شيئاً مرحباً ، وبرغم المماثلة والاعتمادات التي استعملها المقيم العام لإقناع جلالة بالمدول عن مشروع يقلق هداة الحاية وهدوءها فقد أصر جلالة على تنفيذ فكرته ، وبعد مفاوضات كثيرة بين القصر والإقامة العامة أخذت المسألة طورها الدولي الهام ؛ فقد أصربت الحاية من موافقتها مهدئاً فيها يخص فرنسا ، وبكتها ادعت أنه لا بد من إشعار الدول المشاركة في نظام طنجة ، ثم أبانت الحلالة الشريفة أن كلام من أنجلترا وأمريكا لا تبهان رغبة في تحقيق المشروع الملكي ؛ لأنها تخافان من أن يؤدي إلى إحداث قلق سياسي واضطراب ديبلوماسي ، وقد أجاب جلالة الملك على هذا بأنه هو سيتقن للاحالة في بلاده ، وأنه إذا كانت لدولة ما اعتراضات على عمله الشرعي فعليها أن تكتب به إليه ، وهو يعرف الموقف الذي يتخذه إزاء كل ادعاء أجنبي يريد الحد من نفقة في ائتمتع بمظاهر سيادته على سائر المناطق المغربية ، ثم عادت الإقامة تتذرع بأن السكسوبيين يخافون من انهيار الروس فرصة الزيارة الملكية لبعث قطع من أسطولهم للبحر المتوسط تظاهراً بهملم من القوة ومن الحق في تعبئتها بهذا الجانب من اللياء التي تريد أنجلترا حمايتها ؛ فلم يعبأ جلالة بهذه التعاملات كلها ، وأصدر بلاغاً يحدد فيه موعد زيارته لطنجة واضماً بذلك الإقامة العامة ومن وراءها من الدول أمام الأمر الواقع ؛ لكن السفير لابون عاد يحمل لجلالة رغبة فرنسا في

محرث ريثما تتم الإجراءات الدبلوماسية في الموضوع ، وبعد عناء اقتنع جلالة
بأخير الرحلة بضعة أسابيع أخرى ، وأخيراً أعطاه السورلابون يقبول فرنسا
وإنجلترا وأمريكا للسكر ، ثم اقترح عليه السفر في البحر لئلا يجاز في المنطقة
الخليفية التي هي تحت حماية أسبانيا ، ولكن جلالة رفض الاقتراح وقال إنه
سيسافر في مناطق مملكته الشريفة ، وإذا كان لأسبانيا اعتراض على هذا الحق
فليها أن تواجه جلالة به ، وقد أبلت السلطات الأسبانية جلالة رسمياً أنها
لا ترى مانعاً من زيارة جلالة لجزء من مملكته ؛ بل تعتبر ذلك شيئاً طبيعياً ،
غير أنها تتخذ تحفظات من حتمها أن تطالب مراجعتها ، وأهم هذه التحفظات أن
المقيم العام الفرنسي لا يصحب جلالة في داخل حدود المنطقة الخليفة ، وأن
عليه أن يقف في (مربارة) حيث يصاحب الملك للنم العام الأسباني ، كما أن
الجنرال الخلفي لا الفرنسي هو الذي يقوم بمسألة الأمن في داخل الحدود الشمالية
للبلاد أثناء هذه الزيارة ، وقد قدمت للرباط لجنة خاصة أسبانية للمفاوضة مع
الإقامة العامة الفرنسية ، وتوصل المقيان بالاتفاق على النقط التي طلبتها أسبانيا .
وكان جلالة يريد النزول في سراقق رسمي بمدينة (أصيلا) فاقترح
الأسبانيون على جلالة النزول « بقصر الريسولي » الذي هو من أملاك أسبانيا
اليوم ، فرفض جلالة الاقتراح ، ورفض الاستمرار في مناقشة اقتراحات الأسبانيين
الخاصة بحركته داخل المغرب ، وكتب إلى سمو الخليفة يطلب منه توجيه لجنة
من طرفه لتقبل من جلالة التلميحات اللازمة التي يرى ضرورة اتباعها في برنامج
الرحلة ، وفلا وصل الوفد الخلفي للرباط حيث بلنسه جلالة الملك ما ينبغي
للخليفة القيام به من تدابير مصححاً على ضرورة النزول في سراقق خاص في
(أصيلا) وتناول الغذاء بها مع الخليفة وسائر القواد والباشوات الذين يجب أن
يحصروا من مختلف أنحاء المنطقة .

وبعد هذه الإعلامات اقترحت الإقامة العامة أن يخبر جلالة اللجنة
الدولية بطبيعة ، ولكن جلالة رفض هذا الإخبار الرسمي الذي يمكن

أن يدل على شبه استئذان غير مقبول .

وأحب جلالته أن لا يصل لطبقة حتى يعطى لأبنائها بعض الحق الذي يطالبون به ، فوضع تشريعا يحسن حالة النواب للذارية بالمجلس التشريعي ، أى يخرجهم من طور التعيين إلى طور الانتخاب من درجتين ، ومع بساطة هذا الإصلاح فإن المراتبة الفرنسية فى طبقة لم تخلص فى طبيعتها بعد ما عاكس رؤساؤها فى تشريعها ، وأخيرا قدم مسيو لاجون باحثا فى الحفلات الملك للمطالب الآتية :

١ - أن يصحبه فى رحلته ويحضر سائر الحفلات التى يعقدها جلالته فى طبقة .

٢ - أن يقوم المقيم العام الفرنسى بتقديم ممثل الدول الأجنبية لجلالته

٣ - أن يطلع المقيم العام على الخطب التى يلقاها جلالته وسمو ولى العهد والأميرة عائشة .

٤ - أن يتمتع جلالته عن إصدار بيانات مدة إقامته بطبقة .

وقد قبل جلالته للمطلب الأول ، ورفض جانا المطلب الثانى ، لأن طبقة لا تعتبر تحت الحماية الفرنسية ولا الأسبانية حتى يسمح للمقيم العام بالظهور فيها بمظهر المكلف بوزارة الخارجية حسب نظام الحماية ، وقد قرر جلالته أن مندوبه الشريف بالمنطقة الدولية هو الذى يقدم إليه السلك الدبلوماسى وغيره ، وأما الخطب فإن جلالته لم ير بأسا فى أن يطلع المقيم العام عليها ولكن بصفة شخصية واستثنائية ، وأما عن البيانات فقد أجاب جلالته بأنه ليس فى نيته إصدار أى بيان غير عادى .

وبعد أن اطلع المقيم العام على الخطب اقترح على جلالته أن يضيف لخطابه الرسمى كلمة تعرب عما قامواون الفرنسى للثرى من قيمة فى نظر جلالته ، وقد وعده الملك بالتفكير فى الموضوع ، وملا أخاف جملة فى آخر خطابه بحث فيها رعيته على الاستعانة من تجارب الغربيين وخصوصا الفرنسيين .

ولكن جلالته حذفها في آخر ساعة نظراً لتأثره العميق من حوادث البيضاء ومآسيها .

وقبل سفر جلالته تبلغ دعوات من سفيرى أمريكا والبرتغال وغيرها انحدار المشاء على مآذيتهم ، ولكن لماك اعتذر بأنه سيكون في بلاده وليس من المعقول أن يكون مدعواً بل هو الذى سيدهو ضيوفه الأجانب إلى مأدبة ملكية إكراماً لهم وإشعاراً بما للولم من الاعتبار عند جلالته .

وقد قررت بلدية طنجة خمسة ملايين من الفرنك لمصاريف الزيارة الرسمية ونظم الأهالى وسائل الزينة والأفراح طيلة تلك الزيارة التى كانوا يستبشرونها أسعد أوقاتهم وأطيب أيامهم .

أما (حزب الاستقلال) فقد أعد العدة الكاملة للمشاركة في هذه الأفراح الشعبية والإداعة عنها ، وأصدر من جريدته (العلم) عدداً خاصاً عن طنجة وموقعها وقيمة الزيارة الملكية لها كان يوزع مجاناً عند وصول القطار الملكى (امروسة النوسط) ، وكان مرع الحزب بطانجة وفرقة الكشافات الحسنية التابعة له هما اللذان يشرفان على المحفلات القومية والتنظيمات الشعبية ، وأصدر مكتب الاستخبارات والصحافة للحزب نشرة يومية باللغة الفرنسية كانت هي المصدر الوحيد للصحافة العالمية برمتها ، وكان مركزها بأوتيل المنزه مرجع جميع الصحفيين الذين اعترفوا للحزب بمجمل خدمته وعظيم أهميته ؛ كما التقط مبعوث الحزب السينمائي الأستاذ عبد الكبير القاسم شريطاً عاماً لجميع مظاهر الرحلة الملكية أخرجته بعد شركة ستديو المغرب فسكان شريطاً قومياً رائعاً

وقد اهتم انباء كل هذه الزيارة التاريخية ووصلت طنجة وفرد الصحفيين والمصورين من أقاليم الدنيا جميعها ، ومثل الصحافة المصرية الأستاذ إبراهيم موسى منذوب جريدة المصرى القدى كان المبعوث العربى الوحيد في هذه المظاهرة القومية الكبرى .

صاحب المهرية يغادر الرباط :

أصبحت مدينة الرباط مزدلفة كلها بالأعلام والزيينة ، والروح على وجوه سكانها الذين احتشدوا في الشوارع التي يمر منها القوكن في طريقه للقطار الذي ينقل الحنايا الشريف لطبيعة ، وما أوزنت الساعة الساعة والحسون دقيقة . من صباح يوم الأربعاء التاسع من شهر أبريل سنة ١٩٤٧ في الساعة ١٠:٠٠ من محطة بمناصفة من المتأف ، وكان في طليعة القوكن الشريف الأمير الحسن ولي العهد مولاي الحسن ، وصاحبة العمو الأميرة عائشة ، والأمير مولاي الحسن ، وقد نزل سيدنا نصره الله محبة ولي عهده من سيارته فتقدم للسلام على جميع الحاضرين والسكران العام للحماية والقائد الأعلى للجيش ، ثم صعدت للسيارة التي سيأتيها الملك ، وما وصل سيدنا لباب المحطة حتى تعالت المتأفات بحياة جلالة المحبة شعبة الأبى ، وهو نصره الله يحيى الجماهير بيده السكرية .

وكانت جدران المحطة مزدانة بالرايات والبسط السندسية ، والأرض مفروشة بالزراي للتنوعة ، ثم تقدمت الهيئة الوزارية لأداء تحية الإخلاص ، وتبها بعض باشوات المغرب وكبار قوادم فأعيان المدونين (الرباط وسلا) ثم بقية أفراد الحاشية الملكية التي رافقت جلالة الملك في رحلته ، وهي مركبة من ممثلي سائر طليقات الأمة ويبلغ عددها خمسة وستين عضواً .

وقبل أن يتحرك القطار أذنت الجوارح الشريف مراسم التحية ، ثم سارت القطار في وسط متأفات الجماهير الحارة ، وكانت المحطات التي يمر بها القطار كلها مهيئة بالرعايا الخاضعين الذين انتهروا فرصة مرور ملكهم لتحيته والإعجاب له من ولائهم وتعلقهم بهرشه الكريم .

وما وصل القوكن إلى صهارة (الحد السطحي بين جزئي المغرب) حتى امتلأ الجو تصفيقاً ومتأفاً من آلاف إخواننا الخاضعين لتحية عاهلهم العظيم ، وقد تقدم للسلام على مولانا مولاي محمد صمو الخليفة ، ووزير العدل بالمنطقة

الخليفية ، ورئيس التشريفات ، والجنرال لاريا ، ومدير الشؤون الوطنية ، والوزير
الأسباني المفوض ، ورئيس ديوان المندوب السامي الأسباني ، ثم وافق الكل
بجلالته إلى مدينة (أصيلة) حيث يلتقي القطار في الساعة الواحدة والعشر دقائق .

وراء المنطقة الخليفية :

وقد وجد جلالته الملك في استقباله سمو الخليفة ، ونجله مولاي المهدي ،
والمندوب السامي الأسباني ، والمسieur إيريك لابون مقيم فرنسا العام ، ووفود
القبائل والمدن المغربية . وكان سمو الخليفة قد أعد حفلة غداء فاجرة تجلت فيها
مظاهر الأبهة والعظمة ، وتفصل مولانا فلما تناول الغداء سمو الخليفة وعددًا
كبيراً من رجال الحرن بالمنطقة الخليفية من بينهم الأمير مولاي المهدي .

وبعد تناول الغداء استقبل جلالته رجال الصحافة العربية والأجنبية ،
وأففى لهم جلالته بالتمسرح الآتي : « ها أتم ترون أن المغرب أمة واحدة ،
بل جامعة واحدة ، وأن أمة الأمة المغربية التي ستحقق بون الله هي أمة جميع
للأم العربية ؛ إذ الشعوب العربية أمة واحدة » .

ثم تناول الموكب الملكي الشاي في قاعة أعدت لذلك ، فألقى الأستاذ إبراهيم الإتي
قسيمة بين يدي جلالته ، وفي نهاية المأدبة تقدم صاحب السمو الملكي الخليفة
مولاي الحسن فألقى خطاباً جاء فيه :

إن لهلادنا تاريخاً مجيداً ، وإن أمهر المؤمنين بالغ بحسن قيادته للمرضى
السامي الذي يسترجع مجدها النابrette نالي جلالته ؛ لأن المغرب أمة واحدة
لا تعترف إلا بعاهل واحد مستبعد في عهد جلالته مدارج الرقة ، فترجو الله
أن يمين جلالتهكم بما تقومون به من أعمال .

ثم عادر الملك (أصيلة) إلى الحطة حيث ودعته جماهير المنطقة الخليفية
وسمو الخليفة والولاة للتارية والأسبانيون وكذلك المسieur لابون الذي عاد للرباط .

ورود المغرب المنعم :

وفي الساعة الرابعة تحرك القطار فوصل إلى طنجة في الخامسة ، وما إن رسا الرتل الملكي حتى أرسلت ثلاث جوارح حربية برتقالية مائة طلقة وطلقة إبناناً بوصول الركب المولوي ، ثم صعد سعادة مندوب البلاط إلى القطار حيث صلم حل صاحب الجلالة وقدم لمقامه الكريم ممثل الولايات المتحدة ووزير بريطانيا الذي هو رئيس لجنة المراقبة ، وأعضاء اللجنة المرافقون ، والذين هم الآن بالبرتقالي والى المدينة .

وكانت الجماهير النادرة محتشدة في جوانب المحطة وساحات المدينة ، المؤدية إليها ، والمتنقات تتعالى من الأرض وترتفع من السطوح والمنافذ في سائر وانشاء ، وما إن ظهر محيا مولانا للعيان حتى امتزج هدير المدافع وألحان الموسيقى بزغاريد النساء وعتقات الجمود وتصفيقه ، ولم يستطع الموكب الشريف احتراق تلك الأمواج البشرية التي كانت تلوح بالرايات الحمر المحتومة والتي غمرت الشوارع المزخانة بالزراي والأعلام وأقواس النصر إلا بمجهود جهيد ، وكانت المحسوسون سيارة التي لوحظ من بينها سيارة (العلم) وسيارة (رأى الشعب) وسيارة (رسالة المغرب) تسير ببطء كبير وسط النسمات المتماوجة حتى وصلت لقصر سعادة المندوب .

وبالجملة فقد أعطى سكان طنجة المنارية البرهان الساطع على تعلقهم بالعرش المغربي وصاله العظيم ، وفي المساء أطلقت شهب اصطفاحية جديدة في حفلة نظمتها بلدية المدينة .

الوفيات :

وفي صباح يوم الخميس ١٠ ابريل كان موعد انقبال جلالة الملك لأعضاء
السلك الدبلوماسي وأعيان المدينة ووفود الجهات فاقبل أولا سفير الولايات
المتحدة الأمريكية ستر ألبس الذي أعرب لجلالته عن عواطف أمته ، ولما أدير
جلالته بأنه قد عين سفيراً لدولته في سوريا أجابه جلالة الملك بأنه سواء كان في
طنجة أو في دمشق فلن يكون إلا في بلاد عربية ، وأن جلالته يتمنى أن يكون
خير مثل امطف أمريكا الديمقراطية على العرب ، ثم اقبل جلالته بعد ذلك
ممثل إنجلترا فتحدث له ملك المغرب عن العلاقات القديمة التي كانت بين إنجلترا
وبين مراکش ، وأن مراکش التي تعمل للوصول إلى مبتغاها الذي هو مبتغى
جميع الشعوب نرجو أن تكون علاقتها مع إنجلترا في المستقبل مثل علاقتها معها
في الماضي ، فأكد السفير أن إنجلترا ستحافظ على صداقتها التقليدية للمغرب ،
وتتصرف بعد ذلك بالشوق بين يدي جلالة الملك - سفير أسبانيا فأبدى له جلالته
الشكر والاحترام الاستقبال العظيم الذي قامت به المنعامة الشاهية مذكراً بأن مراکش
وطن واحد ، وتكلم السفير الأسباني عن الصداقة التي تليق بين الأسبانيين مع المغاربة
منذ قديم .

وبعد ذلك تقدم أمام جلالته ممثل فرنسا فصرح له جلالته بما يأتي :
« يسترني وأنا بهذه المدينة القريبة حيث تمثل هنا جميع الدول الصديقة أن
أذكر بالصداقة الفرنسية المغربية التي تجلت في أخرج الظروف ، وإن المغرب
الذي شارك في الحرب يريد أن ينال نصيبه من السلم ، وذلك بالتمتع بحقوقه
التي يطمح إليها والتي سيحصل عليها بفضل صداقته مع فرنسا » .

وبعد هذا برز سيدنا لشعبه الكريم وبين يديه سمو ولي العهد مولاي
الحسن والأمير مولاي المهدي نجل خلوفته بقطران ، فألقى خطابه التاريفي الذي
كان يقطع في كل فقرة بالهتاف والتصفيق .

وعلى إثر ذلك استقبل جلالتهم وفد يمثل (حزب الإصلاح) والأمين العام
لحزب الاستقلال بركة الحاج عمر عبد الجليل ، ثم استقبل فرع حزب
الاستقلال بطبعة ، والأستاذ المكي الناصري باسم (الوحدة المغربية) وغيرهم
من أعيان المدينة والوفود .

وفي الساعة الثانية بعد الظهر زار صاحب السمو ولي عهد المملكة مولاي
الحسن مدرسة مرشان العربية الفرنسية والمدرسة الصنهاية .
وفي الساعة الثالثة من اليوم نفسه دشّن سموه باسم والده الكريم مدرسة
الأستاذ عبد الله جنون .

وفي الساعة الرابعة أقام الكشاف المسلمون حفلة شيقة لاستقبال صاحب
السمو الملكي مولاي الحسن بصمته الكشاف الأكبر .

وفي الساعة الرابعة والنصف ، زار سموه باسم والده الكريم مدرسة
مولاي الهدي .

وقد ألقى سموه في كل من مدرسة الأستاذ جنون ، ومسجد مولاي الهدي ،
وحفلة الكشاف ، خطاباً قيمة وسط مظاهر الإجلال والتكبير ومقام الجلوس
القوي للتدفق .

وقد أهدت الكشاف الحسنية لسموه مذلة كشاف رسمي بفنصّل سموه
وارتدائها بين مظاهر الحفاوة والإعجاب ، ثم ألقى بها خطبته العظيمة في جو
إخاء وحبه متبادل .

أما صاحبة السمو الملكي الأميرة عائشة فقد زارت مدرسة البنات بالنصبة
حيث أقيم لاستقبالها حفل منقطع الظير شاركت فيه المدينة برمنها برجالها
ونسائها ، كما حضره ممثلو الدول والجواري الأجنبية ، وألقت سموها في الجمهور
للتنمّ حولها خطاباً شيقاً بالعربية ، ثم بالفرنسية والإنجليزية ، دافعت فيه عن
مبادئها التحريرية التي رقت حياتها الناشئة على خدمتها مشيدة بالتهنّات
العربية في مصر والمشرق ، مؤكدة تعلق المرأة المغربية بالمثل العليا التي يعمل لها

العرب جميعاً ، وقد كان خطاها أضر عيق في نفوس الحاضرين ، وأيقن الكل بأن العائلة المالكة مصصة عزها على السور بالبلاد في معارج الرق والكمال .

البرهان بالجمود بالمسجد الأعظم :

وفي يوم الجمعة ١١ أبريل توجه جلالة الملك للصلاة بالمسجد الأعظم في موكب رسمي حافل ، وقد فاجأ رعيته السكرية بمدة عظيمة فألقى خطبة الجمعة وأم الناس بنصره ، محمياً بذلك سنة الخلفاء الراشدين التي اندثرت منذ عهد غير قريب ، وقد اهتزت لهذا المشهد أفئدة المؤمنين والتعشت أرواحهم وانطلقت أبستهم بالتكبير والتهليل .

وقد بين سيدنا نصره الله في خطابه الديني السر في نجاح السلف الصالح وهو تمسكهم بتعاليم الدين الحنيف الذي أطلع لهم أن يفقدوا العالم من مخالب الجهل ونير الاستبداد ، وأن يبينوا للإنسانية قيمة الحرية الشخصية وبقوة الحقوق البشرية ، ثم صرح نصره الله على ما لاقاه صلى الله عليه وسلم من مصائب وأعباء عليه السلام بزعامة كريمة ورئاسة جاش حتى اختار الحق وانصر ثم ذكر أيد الله ملكه أن الأمة الإسلامية لا تتحقق أمنيتها ولا تعيش حريتها الجانب إلا إذا اجتمعت سمكتها واتحدت قلوبها وعملت بتعاليم القرآن المبين ، ثم تلا قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) وفي الخطبة الثانية شرح الملك حديث (الدين النصيحة) ، ثم ختم بالدعاء لجميع ملوك المسلمين ورؤسائهم .

وهكذا بعد أن أكد مولانا سلطانه الامنية في طنبجة الحرية وولد دعائم سلطانه الروحية على هذا الجرم من مملكته الشريفة العربية المسلمة .

ولم يكن سيدنا نصره الله في هذا كله إلا مارجحاً عن الاتجاه الدعي لوعيته السكرية التي تريد أن تكون حركتها التجديدية شاملة كل مظاهر حياتها الروحية والمادية .

هروباً الشعب طلبكم :

وصف صلاة الجمعة نوجه الملك ومركبه الكريم للسوق البراني حيث
تقرر أن يكون حفل الهدية التهادي ، تقدم أولاً أهالي طنجة المسلمون سيفاً
نصله صيني وفشاؤه من ذهب وقد كتب عليه (الاخلاص والولاء) ، ومنه
هدية ثمينة لولي العهد هي كرة أرضية تحتوي على أجهزة تعديل الوقت والحرارة
والرطوبة ، وإلى سمو الأميرة عائشة عقد من الجواهر الفاخرة ، ولسمو الأمير
مولاي عبد الله ساعة بديعة .

وأهدت الطائفة الاسرائيلية المغربية بطنجة أواني شرب الشاي وكلها
من الفضة الخالصة ، وأعربت عن ولائها وإخلاصها للعرش العلوي وتلقاها
بجلالة الملك .

أما أهالي تطوان فقد تقدم وفدهم بهدية رمزية عظيمة هي خريطة المغرب
المتحد مصنوعة من الفضة الخالصة ، وكتابتها من ذهب خالص ، ومنها صندوق
من ذهب مليء بقراب أخذ من جبال المنطقة ، وكتب عليها الصبغات الآتية :
« بمناسبة زيارة الملك لطنجة يقدم أهالي تطوان هذا التراب الخصب بدماء
الشهداء الأبطال كرمز لوحدة المغرب تحت العرش العلوي الجيد » .

وقد تسلم الأستاذ عبد الخالق الطريس وسط الجماهير الحائرة بحياة المغرب
فقال : « إلى حامي الملة والدين باسم هذا الحيل القوي لا يتزعزع من عجلتكم
السيدة نتقدم بإجلالنا وتمنيينا وولائنا لأمر المؤمنين راجين من مولانا أبيه
الله ونصره أن يقبل هذه الهدية المتواضعة كرمز لحياتنا وإخلاصنا لعرش
أسلافكم الخالد ، يا مولاي إتناهكم نهتدي ، وبمثلكم نفتدي » .

وبأجللة قد كانت مظاهرات طنجة عظيمة الدلالة على وحدة المغرب الأقصى
الراسخة ، وعلى رغبته في الاستقلال التام والوصول إلى أمانه التحريرية برعاية
ملكه المهام القوي لا يألو جهداً في السير به إلى الأمام .

وفي صبيحة يوم السبت ١٢ إبريل زار سيدنا نصره الله مدرسة المصل
الشعبية حيث كان الجمهور محتشداً لاستقبال جلالاته ، وبعد أن ألقى كل من
للندوب الملكي وسمو ولي العهد خطاباً مناسباً تقدم سيدنا فوضع الحجر الأساسي
للبنية الجديدة التي يرمع الشعب على رفها .

وفي الساعة الواحدة تناول الغداء على اللامدة الملكية كل من وزير الولايات
المتحدة المفوض السمو إلين ومحميو إريك لابون وقنصل إنجلترا العام ، وقد تقدم
جلالاته وفد من الصحافيين يطلب مقابلة جلالاته فأمر سيدنا رئيس ديوانه أن
يأخذ منهم الأسئلة على أن يرجعوا في المساء لاستلام الجواب الملكي عنها ، وقد
سلم لهم رئيس الديوان الملكي التصريح التالي : « قبل أن نفاذر طليجة عاصمة
للغرب الديبلوماسية يصرنا أن نوجه شكراتنا لجميع سكانها لما أخرجوا عنه من
إخلاص وولاء ! فقد كانت طليجة في استقبالنا عند حسن الظن بها مغربة
متمسكة بعرش ملكها تمسكاً متيناً ، وبذلك ألامت الدليل على أن المغرب وحدة
ومزها العرش . وعسى أن تكون « الحاروجة من حوافز التجميل في قضية طليجة .
» وإنه « المغرب لخريض على أن تكون علاقاته في المستقبل حسنة لجميع
الدول التي ناضت من أجل الحرية ولا تزال ناضرها ، وهو شديد الرغبة في
نيل حقوقه كاملة .

« وخفى عن البيان أن المغرب بلاد عربية صلتها وثيقة بالشرق العربي ؛
فن الطامى أن يزداد هذا الاتصال متانة وقوة لا سيما وقد أصبحت الجامعة
العربية منظمة تقوم بدور مهم في السياسة العالمية .

« وإننا على يقين أن المسألة الثقافية لها مكانتها في تحقيق هذا الاتصال ،
ولذلك فإننا نعى في تقرير أذهان المماربة جاعلين هدفنا الأساسي إنشاء معاهد
للداسة العلمية موحدة الجرايح مع كليات مصر وسوريا ولبنان والعراق ، كما
أننا سمينا مند أقيمت إلينا مقاليد الملك في مكيين رعايانا من الحقوق الديمقراطية ،
وأملنا وطيد أن يتحقق كل ما نصبو إليه .

العودة للرباط :

وفي صبيحة يوم الأحد غادر المركب الملكي طنجة عائداً امّا صيغة الملك حودعاً بمثل ما قبل به من الحفاوة والإجلال ، وقد كان في انتظار مولانا ببرادة سمو الخليفة مولاي الحسن حيث تناول العشاء مع جلالته الملك محمد ، ثم دشّن جلالة السلطان مسجد عمرباوة ، ثم استطاع سيارته الملكية إلى الرباط وصل سوق أرساء المغرب حيث قام جلالاته بتدشين مدرستها في وسط مظهرها به شمسية منقطعة النظير شاركت فيها فرقة طارق بن زياد إحدى فرق الكشافات القارية لحزب الاستقلال ، وفي الساعة السادسة والخمسين دقيقة من مساء اليوم نفسه وصل صاحب الجلالة للرباط حيث وجد الشعب محتشداً لاستقبال عاهله العظيم ، وكله شوق لرؤية عهده البكريم .

مطلب طنجة :

سنستكمل بعد عن الأهمية الخاصة التي لهذه الزيارة الملكية لماصمة المغرب الدبلوماسية حسب معاهها جلالة الملك في خطابه ، ولكن الآن ينبغي أن نلقي نظرة على خطاب صاحب الجلالة وتصريحاته ، وخطاب الأمير مولاي الحسن والأميرة عائشة اللذين كانا يديران في الحقيقة عن رأي والدتهما المهام .

تتمتار خطبة الملك أمام جمهور الشعب بأسلوب الموعظة القويّة التي يختارها جلالاته دائماً ليكون مبعراً من صفته الدينية والزمنية في وقت واحد ، وتتلخص محتوياتها في التذكير أولاً بالمجد العظيم الذي كان عليه المسلمون الأولون وبالحالة السيئة التي وصل إليها الخلف والتي من مظاهرها هذه التجرّعة بين البلد الإسلامي الواحد الذي هو المغرب ، والبحث عن الأسباب التي نهضت بالمسلمين أولاً فجست منهم ملوك الدنيا وقادة الناس ، والموامل التي فتكت بمحتوياتهم حتى أوصلتهم لحالة الانحطاط التي يربحون تحتها اليوم . وقد أكد جلالاته أن اقتناء

تعاليم الإسلام الصحيح البعيد عن كل القويبات والخرافات ، واقدي يهدي
إلى سبيل السلف الصالح القائم على النظر والبحث والمدرسة والنظم ، وأن المغاربة
لا يمكنهم أن ينهضوا إلا إذا جددوا في نفوسهم العنويات التي كانت اسلقتهم كي
يسترجعوا مجدهم القديم ويندوا على أساسه مجداً جديداً ، وإصتشر جلالته
بالروح السائدة في العالم العربي والتي أدت إلى تأسيس الجامعة العربية ، مؤكداً
أن المغرب لهذا العربي تملأ نفسه المثل العليا التي تملأ نفوس العرب والمسلمين
جميعاً ، وأن ~~المغرب~~ جلالته في نشر التعليم وتثليف الناشئة يرى لدية بريدة
على ~~توجيه الوجهة المغربية~~ وذهبية الشعب مع الوحدة والديمقراطية العربية المريدون حتى
لا تغادر لذه عن ~~أختها~~ ، أو تتكيف على صفة غير الصفة العربية العامة لجميع
أفراد العرب ، ويحس جلالته بأن تحقيق هذه الغايات لا يمكن أن يتم إلا إذا
وصل المغرب لحريته ؛ فيؤكد جلالته أنه لا بأمر جهداً في الدفاع عن حقوق
رعيته والعمل على إحلالهم المحل اللائق بهم كأمة عربية مسلمة .

ويؤكد جلالته في التصريح الذي أدلى به للمجاهدين وضخته العميقة منذ
تولى جلالته الملك في تحقيق مبادئ الديمقراطية لشعبه ، وهكذا يمكننا أن
نحصر هذه النظريات الكريمة في النقاط الآتية :

١ — تأكيد صفة المغرب العربية الخالصة .

٢ — ضرورة تحقيق وحدة البلاد بإدماج سائر ممتلكاتها .

٣ — وحدة المثل العليا الثقافية والدينية المغربية مع مثل سائر المسلمين

والعرب .

٤ — ضرورة تحقيق سائر الأمن القومي المغربي .

٥ — ضرورة تأسيس نظام ديمقراطي للحكومة المغربية .

وبإداء جلالته الملك لصلاته الجمعة في المسجد الأعظم وتقدمه للخطابة

والإمامة أثبت ما يهتم به جلالته من البحث الروحي للمغاربة ، وما يريد

من تطور في أساليب الوعظ الديني والرعاية الحاقية خصوصاً بعد أن أمر

جلالته لأول مرة بإدخال مكبرات الصوت ليتمكن المصلون من سماع الخطبة والقراءة ، وهذا يعني أن التجديد الديني والمدني يجب أن يكونا محل رعاية الملك والمخلصين من مصلحي رعيته ، وقد حث جلالته في خطبة الجمعة على ضرورة التعاون في مظاهره المصرية ، ولا سيما في الميدان الاقتصادي ، وذلك بتأسيس الشركات ومزاولة النهر في ميادين الحياة ، ولعل في ذلك خير إمداد للجواب الصلي الذي ينبغي أن يقدمه الشعب لسياسة الاحتكار الاقتصادي الذي رى له السيد إريك لابون ؛ فجلالته لم ينفل عن الساحة المدنية في جهاده ، ولكنه يريدنا ناشئة عن صوفية روحية دائمة لتفويض إدارة أممنا الأرض وحماية الحق من الفاسدين ، وليس في خطاب الملك ما يقابل الكيلوات التي يعرضها للقيم العام بالقوات الدينية على ما أرادت بعض الجلات الفرنسية تأويله ، وكل ما هناك أن جلالة الملك يريد أن يستغل هذه الكيلوات المغاربة بأنفسهم لصالح بلادهم ، وهم يعتقدون أنهم يؤدون واجباً وطنياً ودينياً معاً ؛ بل إن جلالة الملك يريد ما هو أشبه من ذلك ، وهو أن يذكر مواطنيه ورعاياه بالقيمة للصوفية التي للإنسان ، وهي الرسالة التي سماها الخلافة الألوية على وجه هذه الأرض ، والإصائية المغربية لا يمكنها أن تقتصر عن أداء مهمتها في الجزء الذي وضعت العناية الإلهية تحت مسؤوليتها ، وهو بلاد المغرب ، وإلا كانت حديرة بالانقراض وترك المصلحين من النهر يحملون عبئها ، ولكنها لا يمكن أن تقوم بهذه المسؤولية إلا إذا تحررت من عراقيل الاستعمار وقيود الاستعباد الأجنبي ، ولذلك فإن كل الجهد يجب أن يخصص في سبيل تحقيق الأماني المغربية في المنهج بالحري التي نفشدنا .

لم يبق جلالة الملك الجللة التي اقترحها للقيم العام ، وقد رأى في ذلك المعلقون الفرنسيون زيادة على تناسي فرنسا وأعمالها حرقاً من جلالته لما تقتضيه وظيفة مسيو لاون كوزبر الخارجية جلالته ، ومعنى هذا أن تصرفه بهذا تلك الجللة يعتبر تأكيداً لاستقلاله عن رقابة القيم العام ، والحقيقة أنه كان من الممكن أن يذكر جلالة الملك شيئاً عن التعاون الفرنسي المغربي في خطابه كما ذكره في

تصريحه لممثل فرنسا أثناء الاقتراب الدبلوماسي ، ولكن ظروف حوادث النار البيضاء لم تترك محالاً لهذا الذكر ، خصوصاً وأن الخطاب موجه قبل كل شيء للجمهور المغربي في شكل وعظ لا يحمل فيه للبحث على التعاون أو عدمه مع فرنسا أو مع غيرها .

أما نظرية اتباع رأي وزارة الخارجية فهي لا تعتبر ، لا في بلاد ذي نظام ديموقراطي ، والمسيو لا بون حين قدم ملاحظته لجلالة الملك قدمها كممثل لفرنسا لا كوزير مغربي ، على أن اعتبار المقيم العام وزيراً للخارجية هو شيء لا يقضي به الدستور المغربي ولا حتى معاهدة الحماية التي تجعل حقيقة من مثل فرنسا الواسطة الوحيدة بين الملك وبين الدول الأجنبية ، ولكنها لا تفرص على جلالة الملك أن يجعل المقيم وزير خارجيته ولا حتى أن يكون لحالته وزير خارجية ما .

ثم إن هناك خطأ أساسياً هو أن مدينة طنجة تتمتع بنظام غير نظام الحماية الفرنسية ، ولذلك فليس من المقبول أن يتصر الملك تعاونه فيها مع فرنسا أو إسبانيا ، بينما لحة الرقابة بها تتكون من هؤلاء ومن غيرهم .

وتذكر مولاي الحسن بشخصية جده السلطان الأكبر مولاي الحسن رمز إلى معنى عميق هو الكفاح الذي قام به هذا الملك البطل في وجه الوأمرات الدبلوماسية الأجنبية ؛ ذلك الكفاح الذي استطاع أن يصد أنواع الهجوم الأجنبي عن المغرب أكثر من عشرين سنة ، إلى ما قام به من نشر الأمن وتوحيد البلاد حواضرها وبواديها ، وفي ذلك ما يذكر الأذهان بهذا الاستقلال الذي نعمت فيه البلاد بالوحدة والكرامة والأمن ، وعهد الاستعمار الأجنبي الذي وزع البلاد طرائق قسداً

وفي خطبة الأميرة عائشة استعراض وجيز لتاريخ البحث العربي وهوامل تنبهااته ؛ وذلك ما يؤكد تماماً وحدة المثل المغربية والعربية والتجاوب النفسي الحاصل من تموجات الآلام والآمال العربية .

أهمية الزيارة الملكية :

مضى نصف قرن كامل دون أن تخطى مدينة طنجة امربية زيارة ملك البلاد المشرقي ، واقد كانت السياسة الدولية تحول محلياً دون نزول جلالتة بهذا الجزء من تراب مملكته أو المرور بتراب المنطقة الحليفية ، واقد كانت أسعار سيدنا نصره الله لفرنسا وأوروبا كلها من ميناء الدار البيضاء ، وحينما كانت نعل البسفرة الشريفة ليناء طنجة كات الولاة المحايون يصعدون إليها للسلام على جلالتة .

وبعد أن قسمت فرنسا البلاد بينها وبين أسبانيا واقتضت أقصى جنوب المغرب الأقصى لقائدة أفريقيا الغربية ظلت طنجة تحت مظلم دولي يقوم بتدويرها لمصلحة الدول المشاركة فيها ، ولم تق حلالة الملك إلا سيادة اسمية بعيدة برمزاً إليها وجود مندوب مخزني لا يت في قرار ما ، ولكه يحض رسماً كل ما يمر من عليه من المشروعات ، ثم ظلت انجاسوا تبذل جهودها لتقليل حق من السيادة المغربية الاسمية ، ووافقت فرنسا نفسها عام ١٩٢٦ موقف الدفاع عن حق المغرب ، وأما أسبانيا فلم تفرك فرصة تحرر إلا وطالبت بالحق طنجة بمنصة نفوذها ، وبمجرد ما وقع انهزام فرنسا وحلفائها عام ١٩٤٠ ظنت أسبانيا أن الفرصة سانحة ؛ فدخعت للمدينة الدولية وألحقها بحمايتها ، كما طردت مندوب الجلالة الشريفة وصلت قصر المندوبية لامتير الألمان الذي اتخذ مركز سفارته ، وقد أمست انجلترا موافقتها المؤقتة على عمل أسبانيا ، بينما ظلل المناربة مطالبين بوحدة البلاد وتحريرها .

وحينما تم انتصار الحلفاء ، وعادت طنجة للنظام الدولي السابق ، وصرح الحلفاء بأن نظامها مؤقت ، وأن نظاماً أحسن سيقع حرسه بعد بضعة أشهر — بحث جلالة الملك مندوبه من جديد ، فاستقبله الشعب استقبال الفرح المستبشر ، ثم أظهر جلالة الساحل رغبته في زيارة المدينة بنفسه ، والروور بالمطقة ليؤكد

سيادة الشعب المغربي الذي يمثلوا عرشه الكريم في جميع مناطق البلاد ، وليقدم بذلك حق المناربة في أن يختاروا للصير الذي يريدونه لوطنهم .

وإذا كانت طنجة غير داخلية في مملكة الحماية الفرنسية ولا الأسبانية فمن الممكن أن يبحث لها من نظام المدينة الحرة التي تسوق في تحريرها بقية أحزاء الوطن الأخرى في ظل جلالة الملك ويمتص النظام الإداري والمالي الذي يعطيه لها بجلالته ، ولذلك فإن زيارة الملك لطنجة كانت عظيمة الأهمية بالنسبة للموقف الدبلوماسي الذي وقفته الحكومة الشريفة معبرة على لسان جلالة الملك عن وجهة نظر المناربة وعن تعلقهم بحبهم في تقرير المصير .

حاولت الدبلوماسية الفرنسية أن تجعل من حضور المقيم العام محبة بجلالته في هذه الرحلة تحويلا للفائدة التي يبدئها إلى جهة الدبلوماسية الفرنسية نفسها ، ولكن تقديم الدوب الخزني لسفراء الدول أعطى الدليل الصلي على أن نفوذ فرنسا لا يمتد إلى الحدود المتعاقبة ، وعلى أن المغرب مهما يكن نظامه فهو مستقل عن فرنسا ، وهناك بجانب من سيادة الملك محرم من حماية فرنسا ، ومعنى هذا أن القضية المغربية لا يمكن أن تحل بمجرد اتفاق مع فرنسا نفسها ، وأن الوضعية الدولية بالمغرب هي غير الحماية الفرنسية أو الأسبانية أو الدولية ؛ بل هي المعاهدات العامة التي أدت إلى ظروف الأنظمة القائمة في البلاد .

وإذا كانت أسبانيا قد حلت في يوم من الأيام أن تعمل على ضم المغرب كله تحت حابيتها مفكرة في إقصاء الملك نفسه والتآمر مع سواء ، فإن من حق الوطنية المغربية أن تثبت لها تعلق شعب المنطقة الحليفية والطنجية بالعرش المسمى فقط بل بجلالة الملك سيدي محمد الذي يدين له الشعب المغربي كله بالولاء والطاعة .

وأخيراً فإن المظاهرات التي وقعت في طنجة لم تكن قاصرة على الوحدة المغربية بل تجاوزتها إلى وضع حد حاسم لكل غموض يتعلق بانخراط المغرب في اتحاد فرنسي أو إسباني ؛ فقد أعلن بذلك وصادق الشعب على أن المغرب

لا يمكن أن يتطور ولا أن يتم تحريره واستقلاله إلا في دائرة الأمم العربية المتحدة
وبالجملة يمكن أن أختتم هذا الفصل بهذه الشهادة التي صرح لي بها
للسير جبريل المبحوث الخاص لجريدة (لوموند) الباريسية : إن زيارة
السلطان الممنوعة تستر قطعاً وبدون أدنى نزاع نصراً عالياً للوطنية المغربية
وحركتها الاستقلالية .

أمر الزيارة الملكية في المسؤولين الفرنسيين :
بمجرد ما أعلنت المصحف تفاصيل الرحلة الملكية وبمجرد ما أعلن أن
ألفاها جلالة السلطان على شعبه حدث احتمال نفسي في وسط المسؤولين الفرنسيين
ونعى بهم المقيم العام المسوولون ورئيس الوزارة الفرنسية المسوولون
فقد حاول رئيس الوزارة أن يعالج التصريحات الملكية بشكل أبدي ما يكون
من الحقيقة والصواب ، ولكنه يدل على ارتجال في الآلة السيكولوجية أفقدت
الرئيس الفرنسي بدهاءة الفصل في الموضوع .

صرح الرئيس راماديه بأن جلالة السلطان منحدر من سلالة شريفة ،
وأن المغرب لم يتعرف قط بالخلافة العثمانية ، ولذلك فمن حقه أن يتسكّم مع
وصيته كخليفة مسلم ، وإذا كان لم يطالب بهد بحقه في الخلافة فإن شخصيته
الشريفة تحوله الحديث باسمها .

ويمكننا أن نقول من صدقنا إن طائفة من الفرنسيين تحدثت في الحرب الكبرى
الأولى عن إمكان المناداة بجلالة مولانا الإمام يوسف كخليفة مسلم على ما سمعوه
بالإسلام الفرنسي ، فهل أراد المسوول راماديه أن يؤول مقاصد الملك النبوية بهذا
للعنى الذي هو أبدي ما يكون عن تفكير ملك المغرب ؟

أو أن تصرّح الملك بتمجيد الجامعة العربية واختيار المغرب جزءاً منها
بحث في نفس المسوول راماديه رغبة الإيقاع بين ملوك العرب الذين يمكن أن
يفاروا من أي شخص يريد نصب نفسه خليفة على الأرض المسلمة ؟

وما يمكن فإن دعاء مولانا في خطبة الجمعة غداة هذا التصريح لا لنفسه بل اسائر ملوك الإسلام ورؤسائه قد قطع كل مقال ؛ كما أن الأمة العربية ملوكا ورؤساء وشموخا أعقل من أن يتخذ مثل هذه الترهات التي لم تنهأ بها أيضاً حتى الصحافة الفرنسية التي نشرتها في ضوء من التردد وعدم الاهتمام .

أما مسيو لايون فقد أتى أمام الجالية الفرنسية بماتجة خطبها قال فيه : « إن السكل في المغرب من جازلة الملك ومن جمع الدين يتحملون أعباء السلطة يعلم أن الشرط الأساسي الأول للتقدم هو في النظام وفي التطور ، وكل ما يقع خارج النظام لا يؤدي إلا للانحلال والآلام والتأخر والتخدير أو الهلاك » . ثم تكلم عن التعاون المغربي الفرنسي ما كد قائلا : « لتعاون فرنسا والمغرب آثار هذه المعرفة والتآخي الذين هما صراطنا في هذه البلاد ، والذين يلتزمان بكامل التناسق مع العمل والدكاء والفصاحة للعربية الأخرى ، إن كل أم الأرض تصادق على هذا ونعترف به ، وليس هناك أحد لا يصرح به ولا يمتنع من قلبه دونه » .

لكن الموضوع الأساسي الذي تكلم عنه الملك هو وحدة البلاد وتحريرها وتمسكها بالشخصية العربية الإسلامية .

ويجب أن لا ننسى . فإن محاولة المسير لايون التوفيق بين ما يريد به وبين ما يجب أن يقوله لم تكن إلا لسكب الوقت ربما يقضى له السفر إباريس كما يعلن للحكومة الفرنسية مخطاه على حوادث طنجة ، ثم يغادر المغرب بعد تعيين خلفه دون أن يوجه جلالة السلطان حتى تحية التقليدية التي تعود المقيمون بها بجلالته عند مغادرتهم لقر وفليفتهم .

مصرى الزمارة في الصحف الفرنسية والأجنبية :

تابعت الصحف الفرنسية والأجنبية نبأ الزيارة الملكية باهتمام عظيم ، فنشرت تفاصيلها وسجلت تصريحات جلالة الملك والأمراء ، وعلمت عليها

بمختلف التحالفات حسب نزعاتها السياسية والاجتماعية ، وقد أجمعت كلها على اعتبار الحادث ذا أهمية عظيمة بالنسبة لتثبيت سيادة ملك المغرب على جميع مناطق مملكته ، كما صرحت بأن مظاهرات طنجة تعد فوزاً ميبكاً للحركة الاستقلالية المغربية .

واستمرت الصحف الفرنسية زهاء شهرين تكتب عن ارتقاعات الزلزال في نفوس المغاربة وفي نفوس الأجانب وتبدي أسفاً لشديد لحالة الملائق الفرنسية بالمغرب ، وحملت صحف اليمين على اليساريين واتهمته بدمم الإرادة وضعف الزعامة ، إذ ترك نفسه يتخددع بأساليب السلطان القبيحة وإرادته الحارمة ، كما أجمعت كلها على استنكار ما فعله جلالة الملك من عدم ذكر فرنسا في خطابه ومات ذلك بسبب تخلف بحسب أغراض أصحابها ، ولم تتأخر بعض الصحف لتطرفة عن النيل من شخصية جلالة الملك والمن عليه بمهاجمة فرنسا ومساعدتها . وتنازلت الصحف الفرنسية بهذه المناسبة حالة الجامعة المغربية وأغراضها وتأثير رجالها في نفوس الزعماء للمغاربة ، وسأولت أن تبحث عن وسائل للتوازن بينها وبين الاتحاد الفرنسي ، ولم تغفل عوامل السياسة الداخلية الفرنسية وتأثيرها في توجيه الوطنيين للمغاربة . وهكذا استمرت قضية طنجة شغل الصحافة الفرنسية مدة شهرين إلى أن عين الجنرال جوان مقياً عاماً بالمغرب على ما سيجيء . . .

النشاط الوطني في المنطقة الخليفية

بعد أن انتصر الخلفاء وأرغمت إسبانيا على الانسحاب من طنجة اعتقد الناس أن هذا الدرس القاسي سيدخل على السياسة الأسبانية تصديلاً ، ولكن المقيم العام الجديد الجنرال فاريللا استمر في سياسة العنف ، وضاعف الضلوع لفتح باب الهجرة للمستعمرين الأسبانيين على مصراعها . وقد حاول سمو الخليفة مقاومة سياسته في عين المكان ، ولكن إصراره هو على خطته الاستثمارية وتميجه لـ كل اختصاصات الخليفة نفسه حمل صاحب السمو على السفر لمديريد ليتصل بحكومتها ويقنعها بإدخال تعديل بين على سياسة الهجرة التي تهدد البلاد وقد تبين سموه أن هذه السياسة مصادق عليها من طرف الجنرال فرانكو نفسه ، وأن الجنرال فاريللا ليس إلا ممثلاً للحكومة مدريد التي ترى أن استمرار نظامها لا يمكن إلا بالبقاء في صرا كش الشالية ، وأن هذا البقاء لا يكون مفيداً إلا إذا أصبحت أغلبية هذا الجزء الغربي من الأسبانيين الفرنسيين ، ولذلك قررت فتح باب الهجرة لمن ترشحهم لها من أنصارها وجنودها ، وكانت فاريللا بحمة العمل على إرجاء المهاجرين وتيسير السبل لميشهم .

وطالب أن يحول صاحب السمو وجهته صوب الجامعة العربية ؛ فقد صرح سموه لسفير مصر المفوض برغبته في إرسال من يمثل المنطقة الخليفية لدى رجال الجامعة العربية ، وقد تقبل رجال الجامعة هذه الرغبة السامية بالخاوة والترحيب وفي ٧ فبراير سنة ١٩٤٦ حل وفد المنطقة الخليفية لدى رجال الجامعة بالقاهرة ، وهو متركب من الأستاذين المحترمين السيد محمد بن هودم والسيد محمد القاسي ، وقد احتفلت به مصر احتفالاً شائناً وأبدت الصحافة العربية به اهتماماً لا مزيد عليه ، كما تشرف بمقابلة جلالة ملك مصر الذي أضاف عليه من

عطفه الملكي ما يدل على اهتمام جلالتهم بتقديم المغرب العربي وتحريره ، وقد قدم الوفد مذكرات وتقارير عن الحالة في المغرب إلى مؤتمر ملوك العرب ورؤسائهم بأشخاص ومؤتمر الحردان وإلى مجلس الجامعة .

وحينما أطلق صراح الزعماء بالمنطقة السلطانية اهتزت للنقطة الخليفية أيضاً لمراحهم ، وقامت مظاهرات وحفلات كثيرة في نوادي (حزب الإصلاح) ودار (الوحدة المغربية) ، وقدمت وفود منها تهنئة لإخوانهم وتجديد الروابط القديمة التي تجمعهم .

وقد استأنف (حزب الإصلاح) نشاطه بتوزيع بيانات وإذاعة نشرات يطالب فيها بتوقيف الهجرة السياسية والكف عن زرع ملكية الأراضي وإلغاء التاميمات المالية للكنيسة الكاثوليكية من للبرازيلية المراكشية ، وإقرار الحريات العامة وتكوين حكومة قوية مؤقتة تعد البلاد للاستقلال .

وفي يوم ٢٨ أغسطس نظم الإصلاحيون مظاهرات سلمية في جميع الشمال المغربي لتأييد مطالبهم المستعجلة ، فتدخلت السلطات العسكرية ووقع اصطدام حليف بينها وبين المتظاهرين ، وقد احتجبت حكومة الخليفة على تصرف الجيش الأسباني ، وأنذرت الحماية بما يؤدي إليه استعمال القوة من عواقب غير محمودة .

وفي سبتمبر سنة ١٩٤٦ وجه (حزب الإصلاح) وفداً برئاسة أمينة العام الأستاذ الطيب بنونة لرياض ، وبعد ما قابل جلالة مولانا الملك عقد معه المجلس الأعلى لحزب الاستقلال اجتماعاً تقرر فيه استئناف عمل الحزبين وتوحيد خطتهما للمطالبة باستقلال البلاد ووحدةها تحت التاج العلوي الشريف ، والدول في المنطقة الجزائرية أيضاً عن سياسة المراحل والاغترار بما يلوح به المستعمرون من إصلاحات مشووعة ، وعلى إثر رجوع الوفد ألقى الأستاذ الطريس خطاباً بتطوان جاء فيه : « إن حزب الإصلاح في الشمال وحزب الاستقلال في الجنوب قد عقدا المزم وعاهدا الله والوطن على أن يعملوا لتحقيق هذه الغاية ، وألا يرضيا باستقلال البلاد ووحدةها بديلاً » ثم لخص رئيس حزب الإصلاح فكرة التضامن

قائلا : « وكما أنه لا يصح أن يكون هنالك فرق بين شمال المغرب وجنوبه ، ولا بين جلالة مولانا الملك وسمو خليفته ، كذلك يجب أن تتحدد اتجاهات حزب الإصلاح مع حزب الاستقلال » .

الغزبانة ضد إصلاحات فاسيو :

وصلى إثر هذا النشاط الجديد للحركة الوطنية بالمنطقة الحمايفية وبمناسبة بعض الأعياد الإسلامية خطيب الجنرال هاريل أثناء استقبال سمو الخليفة لأعيان المسلمين معلناً أنه سيقدم لمصادقة سمو الخليفة مشروع إصلاح يقضى بإحداث بعض الوزارات الجديدة ، وقد أصدر (حزب الإصلاح) بياناً أكد فيه عدم اعتماد الإصلاحيين للدخول في الحكومة ، وأن وقت التلويح بالورارات قد انتهى ، وأن المغاربة مقتنعون بأن إصلاحات الحماية لا تصدر إلا مشوهة ولا يقصد منها إلا استعادة السياسة الاستعمارية ، وأصدر (حزب الاستقلال) في الوقت نفسه بياناً بنفس المعنى أكد فيه تضامن الوطنية المغربية في الشمال والجنوب في مطالبها ووسائل العمل لتحقيقها ، وحذر المواطنين من الاغترار بالكلمات المسولة التي يجهود بها المستعمرون وهم يفعلون ورائها كل مظاهر الكيد لسيادتنا واتحاد لقادتنا .

وقد حاولت الحجة الأسبانية أن تقابل هذه الحركة بالقوة ، كما أنها شددت الرقابة على الصحف بعدما كانت أوقفت جريدة (الوحدة المغربية) عن الصدور ، وإزاء هذا كله رفع (حزب الإصلاح) مذكرة للأمانة العامة للأمم المتحدة ، كما بعث نسخاً منها للأمانة العامة للجامعة العربية وللدول الأعضاء فيها ، وهي تطالب بإلغاء الحماية وإعلان الاستقلال ، وعلى إثر ذلك أصدرت الإقامة العامة الأسبانية أوامرها بالاعتصام على الوطنيين وتفتيش منازلهم وتوقيف جريدة (الحريية) لسان حال حزب الإصلاح وفرض غرامة كبيرة على الحزب ، ولم تزل آثار التوتر قائمة حتى أدت إلى حوادث يذابر الأخير على ما نمود لتوضيحه .

مؤتمر المغرب العربي بالقاهرة

استمرت (رابطة الدفاع عن مراكش) في بذل مجهوداتها لخدمة البلاد ، وحصل ممثلو (حزب الاستقلال) بها على وكالة (حزب الإصلاح) بعد استئناف العمل المنسق بين الحزبين الذي أومأنا إليه ، وتقوى نشاطهم بمجهودات الوفد الخليلي لدى رجال الجامعة الذي سهل عليهم بمقتضى رسمية سائر الاتصالات والدوائر المأذونة كلها ، واددوا شعوراً بضرورة العمل على تنسيق الجهود لا بين هيئات المغرب الأقصى فقط بل حتى مع سائر أحزاب الشمال الأفريقي ، وهم يعرفون أن (حزب الاستقلال) خطا في هذا المعنى خطوات في المأجل ، كما حظتها من قبله كتلة العمل الوطني ، ولذلك فقد اتفقوا مع ممثل حزب الشعب في القاهرة الأيتاذ الشاذلي لكي ومع ممثل حزب الدستور التوفيقى على أن يعقدوا مؤتمراً عاماً لدراسة شؤون المغرب العربي والبحث عن أجمع الوسائل لتسيق الأعمال وتوحيد المسالك في الخارج ، وإظهار التضامن المغربي بالمظاهر اللاتق به لخدمة القضية التحريرية وتبيين أهدافها .

وقد استمر المؤتمر في أعماله من يوم ١٥ فبراير سنة ١٩٤٧ إلى يوم ٢٣ من الشهر نفسه درس خلالها مختلف المشاكل القائمة واتخذ قرارات في غاية الخطورة . وقد روعى في المؤتمرين أن يتكونوا ممثلين لحركة من الحركات القائمة في شمال أفريقيا حتى تم للمؤتمر صيغته الإجماعية التي تعطي لقراراته قوة تأييد الأحزاب برمتها ، فمثلت تونس بوساطة مكاتب الدستور في القاهرة ودمشق ، والجزائر بوساطة مكتب حزب الشعب في القاهرة ، أما مراكش فقد مثلتها (رابطة الدفاع عن مراكش) ومعهما (الوفد المراكشي) لدى رجال الجامعة .

افتتح المؤتمر جلساته بحفلة عامة أقامها مساء يوم السبت ١٥ فبراير سنة ١٩٤٧

بالمركز العام لجمعية الشبان المسلمين تحت الرئاسة الفخرية لعماد الدين عبد الرحمن عزام باشا، وحضرها جمع كبير من رجال العرب وزعماء الشرق، وخطب فيها عزام باشا خطبة مهمة تلاها بعدها مسكوني المؤتمر الأستاذ أحمد السكريم غلاب وغيره من الحاضرين :

وقد كانت أهم موضوع عرض له المؤتمر هو قضية الاستعمار الفرنسي والأسباني في المغرب العربي وأخذ فيه القرارات الآتية :

١ — بطلان معاهدة الحماية المفروضة على تونس وسرا كس وعدم الاعتراف بأي حق لفرنسا في الجزائر :

٢ — مطالبة الحكومات الفرنسية والمهتات الوطنية بإعلان استقلال البلاد.

٣ — المطالبة بإجلاء القوات الأجنبية عن بلاد المغرب كلها .

٤ — رفض الانضمام للاتحاد الفرنسي في أي شكل من أشكاله .

٥ — اعتبار أيام احتلال الجزائر (٥ مايو) ومرض الحماية على تونس

(١٢ مايو) وفرض الحماية على سرا كس (٣٠ مارس) أيام حداد في جميع أقطار المغرب .

٦ — تعزيز الكفاح في الداخل والخارج لتحقيق الاستقلال والإجلاء .

• • •

ثم عرض المؤتمر بعد ذلك لموضوع تنسيق الحركات الوطنية في بلاد المغرب وقررت ما يأتي :

١ — ضرورة الاتفاق بين الأحزاب الوطنية داخل كل قطر .

٢ — إحكام الروابط بين الحركات الوطنية في الأقطار الثلاثة .

ويوصى للمؤتمر لتحقيق ذلك بما يأتي :

(أ) الاتفاق على غاية واحدة هي الاستقلال التام والإجلاء .

(ب) تكوين لجنة دائمة من رجال الحركات الوطنية تهتم بتوحيد الخطط

وتنسيق العمل لكفاح مشترك .

- (ج) العمل على توحيد المنظمات المالية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية في الأنظار الثلاثة وتوجيهها توجيهاً قومياً .
- (د) ضرورة وقوف الأنظار الثلاثة حبهة واحدة عند حدوث الأزمات في أي قطار منها .

وبعد ذلك تناول المؤتمر موضوع (المغرب العربي والجامعة العربية) واتخذ القرارات الآتية :

١ — مطالبة الجامعة العربية :

(أ) بإعلان بطلان معاهدتي الحماية المفروضتين على تونس ومراكش ، وإعلان عدم شرعية احتلال الجزائر ، وتقرير استقلال هذه الأنظار مع تعيين ممثلين عنها في مجلس الجامعة .

(ب) عرض القضية المغربية على الهيئات الدولية واستعمال كل ما لدى الجامعة من وسائل لمساعدة الأنظار المغربية على تحقيق استقلالها الكامل .

(ج) بإرسال لجان تحقيق إلى أنظار المغرب .

(د) بتعيين ممثلين في أنظار المغرب العربي للدول العربية المتشركين

في الجامعة .

٢ — عرض اللجنة الثقافية بالمغرب العربي على الجامعة العربية مطالبتها بالعمل على نشر الثقافة العربية في كامل بلاد المغرب العربي ، وتبذل كافة الوسائل للمساعدة على ذلك ، وإعطاء الأولوية في الدراسات والبحوث في الجهاد العربية وتبذل القدرات التي يملكونها .

٣ — شكر جامعة الدول العربية على كل ما بذلته وتبذله في سبيل المغرب

من جهود .

وفي الجلسة الرابعة تناول المؤتمر موضوع عرض القضية المغربية على الهيئات

الدولية ، وقد اتخذ فيه القرارات التالية :

١ - رفع مذكرة لإحدى الدول العربية يوضح فيها بالمستندات الصحيحة كيف أن فرنسا واسبانيا خالفتا سياستهما الاستعمارية كل قرارات الأمم المتحدة من مقاصد ومثل عليا وحقوق للأمم والشعوب ، ويطالب منها رفع القضية إلى هيئة الأمم المتحدة .

٢ - أن ترفع الهيئات السياسية العربية مذكرة إلى الأمم المتحدة تشرح فيها اعتداء فرنسا واسبانيا على حقوق الشعب العربي وحرياته .

٣ - إرسال مذكرات من الهيئات السياسية العربية إلى المجلس الاقتصادي والاجتماعي وحقوق الإنسان تشرح فيها كيف اعتدت فرنسا واسبانيا على كيان المغرب الاقتصادي والاجتماعي .

وكان آخر لاضوعات التي تناولها المؤتمر ، هو ما يرجع لتنسيق الأعمال التي تقوم بها مختلف الكاتبات العربية في مصر ، وفي ذلك اتخذ المؤتمر القرار الآتي :
تكون رابطة الدفاع عن مرا كاش في مصر والوفد المراكشي لدى لجان الجامعة العربية ومكتب حزب الشعب الجزائري ومكتب الحزب الحر الدستوري التونسي مكتباً متحداً يسمى « مكتب المغرب العربي » .

ثم عقد المؤتمر جلسة تناول فيها لاضوعات العامة وقرر فيها :

١ - شكر جلالة ملك مصر العظيم على ما يسديه لقضية المغرب والعروبة خصوصاً من أباد يفضاء لا تحصى .

٢ - شكر جلالة ملك مرا كاش على مواقفه الوطنية العظيمة وإعلان المؤتمر وفاءه لجلالته وشكر سمر الخليفة السلطاني بالمدطقة الشمالية على ما يسديه من عطف على الحركة العربية .

٣ - تأييد عطمة للنصف باي تونس والاحتجاج على اعتقاله وإحباره على التعازل من العرش .

- ٤ — تأييد القضية المصرية واعتبار أن مصر والسودان وطن واحد .
- ٥ — تأييد فلسطين العربية والمطالبة بتحريرها .
- ٦ — تأييد ليبيا في المطالبة بوحدةها واستقلالها .
- ٧ — تأييد الهند الصينية في جهادها ضد الاستعمار القائم .
- ٨ — توجيه تحية المؤتمر لجميع زعماء الأحزاب العربية .

وبعد انتهاء أعمال المؤتمر أقام حفلة ختامية مساء يوم ٢٤ فبراير بفندق شبرد حضرها رجال الصحافة وحماية القوم ، وألقى فيها سكرتير المؤتمر خطاباً نوه فيه بنجاح المؤتمر ، وشكر رجال العروبة عنايتهم وللصحافة اهتمامها ، وحثها بالدعاء لمصر بنيل حقوقها كاملة في ظل صاحب الجلالة فاروق الأول حفظه الله .

وقد تلقى المؤتمر بركات التشجيع من مختلف جهات الشرق العربي ، كما تلقى رسائل التأييد وبرقيات التضامن من كل الزعماء والهيئات في المغرب العربي الأمر الذي يدل على أنه قد جاء في إلهته وسد مراحاً كان من الضروري الاهتمام بسببه .

مكتب المغرب العربي :

بمجرد ما انتهى المؤتمر قام ممثلو أحزاب الاستقلال والشعب والديمقراطية بتشجيع دار لتوحيد مكاتبهم في القاهرة طبقاً لتوصية المؤتمر ، وأطلقوا عليها مكتب المغرب العربي . وقد اشتمل نظام المكتب على ثلاثة أقسام : القسم الأول ويشرف عليه حزب المستور الجديد ، وقسم الجزائر مخصص لحزب الشعب . والمكتب مدير عام ينتخبه ممثلو الأحزاب المذكورة في جمعية عمومية لمدة سنة ، وله جهاز فنية متعددة .

وقد أصدر المكتب عدة نشرات مهمة عن البلاد المغربية ، ويذيع نشرة دورية عن الأنباء التي ترد من البلاد والتعليق عليها .

وتشتمل مكتبة المكتب على مجموعة تقسم يومياً من المؤلفات والنشرات المعاصرة بالشمال الأمريقي ، وتحفظ التصاصات العربية والأفريقية المتمثلة بالمغرب ضمن دفاتر ذات جداول وفهارس منظمة ، ويقوم المكتب بإحصاء سنوي لسكل ما كتبه الصحف العربية من المغرب ، ويضع لذلك أهميات خاصة تبين مقياس الارتفاع والانخفاض في عدد المكتوب وأسبابها ، ويقوم المكتب باستقبالات وحفلات باهرة بمختلف المناسبات ، كما يظلم ندوات صحافية كلما اقتضى الحال ذلك .

وقد أصبح مكتب المغرب العربي في القاهرة مطمح أنظار الذين يهتمون بالشئون المغربية ويمسكون لها ، ويحج الوافدين من شمال أفريقيا خصوصاً بعد أن اجتمع فيه زعماء هذه البلاد ونزل به لأول مرة بطال المغرب الأمير عبد الكريم وصنوه المهام .

ولقد صرحت مجلة (فرانس) في عدد مختار عن المغرب بأن مكتب المغرب العربي أصبح نوعياً امتداداً من امتدادات الجامعة العربية أوقما سكملاها ، وأحق أنه لولا هذا المكتب لما كل تمثيل المغرب العربي في القاهرة التي هي ملتقى سماء كثر الأشماع العربي .

في الغرب المستقبل :

- ما هي سياستكم وبرامجكم في مغرب الهند ؟
- إننا سننظم الحكومة والشعب في الغرب للمستقل على غرار الديمقراطية الغربية مع احترام تراثنا الروحي والمعنوي ، إننا نؤمن بالمساواة والإخاء بين جميع المواطنين الثاربة ، وبضرورة القضاء على الطبقات وترشيدهم الرأفة وتشريكها في جميع مجهودات البلاد ، ونناصر التوجيه الاقتصادي لكن في إطار قوى مضاد للاحتكار ، ولكنه مضاد أيضاً لمركلة المجهود الفردي .
- هل لكم برنامج اجتماعي ؟

— إننا نواجه معاودة تنظيم الثروة القومية ، ونأسيب الموارد الوطنية (القرض ، المادون الخ) ، والقيام بإصلاح فلاحى ، والزراعة العميقة في جميع أوساط الشعب ، والعمل على تطوير الدهنية للفريية لتجمل من الثاربة مواطنين عصريين شاعرين بواجباتهم وحقوقهم ، والعمل على ازدهار المنظمات الاجتماعية (النقابات ، الإسعاف الاجتماعى ، الضمان الاجتماعى ، حماية الطفولة ، تنظيم الرياضة ووسائل التسلية) .

— ما هي علاقتكم بجمالة السلطان ؟

— إنه عاهلنا المحبوب ، ونحن جميعاً من ورائه ، ونعتقد أن الغرب سيعيش بفضل في عهد سعيد ومزدهر ؛ لأن جلالاته لا يعمل إلا لشعبه ، وقد سرح خير ما صرنا خصوصاً في طنجة بأن مجهوداته كلها لا ترى إلا لإعطاء شعبه نظاماً ديمقراطياً حراً .

— ما هي علاقتكم بالجامعة العربية في الحاضر والمستقبل ؟

— أما في الوقت الحاضر فتتابع بكثير من الاهتمام مجهودات الجامعة العربية لإحياء العالم العربي ، إن عملها يجب أن يؤيد من جميع شعوب البحر الأبيض المتوسط ؛ لأن الحضارة العربية مادة عظيمة لتكوين الحضارة للتوسطية ، ونحن نعتقد بيقين أن العالم العربي سيلعب دوراً مهماً في تنظيم تعاون متين مع أمم هذا

البحر المهم ، ونعتقد أيضاً أن للغرب المستقل سبب من جديد دوره التاريخي
كصلة وصل وعامل تنسيق بين هنمري المتوسط الكبيرين .

— كيف تصورون علاقةكم بفرنسا في الحاضر والمستقبل وعلاقاتكم

بالدول الأخرى ؟

— إذا عرض عقد الحماية بمساعدة تحالف مع فرنسا فإن المغرب سيحترم
تعهداته ، وحيث ترى فرنسا أن الماربة الذين كانوا يجانبها في أخرج الأوقات
التي صرت عليها خلال الحرب والثلاثين عاماً الماضية لا يتغيرون في معاملتهم
لحليفهم فرنسا .

أما فيما يخص الحاضر فكل مجروداتنا موجهة لإقناع حكومة فرنسا بضرورة
اهتمامها جدياً بالاستياء الخيم على المغرب منذ ثلاث قرن ، والذي لا يزداد إلا خطورة
في كل يوم . إننا نعتقد أنه ليست هنالك صعوبة لا يمكن التغلب عليها ؛ لكن
يلزم مواجهة الأمر بحزم لوضع حل يرضى الأمان القومية المغربية ، ويحفظ ما هو
مشروع من مصالح الفرنسيين ، إن الحساب الجليل هو الذي يمنع أحسن الأصدقاء .
ونحن لا ننسى أن مما يجب القيام به حل مشكلة شمال المغرب الذي أعطت
فرنسا بمضه كإكرام ثان لأسبانيا ، ووضع الباقي منه تحت نظام دولي ، وتحقيق
وحدة للناطق المغربية تعتمد على تأييد فرنسا ، ومن للعلوم أن هذه الوحدة
لا يمكن أن تتحقق من غير استقلال المناطق المغربية كلها ؛ فالعمل الكبير
الذي نريد من فرنسا أن تمله لفائدة الشعب المغربي هو أن تتقدم أولاً بالاعتراف
باستقلال المنطقة التي تحتها .

— والأم الأخرى ، كالولايات المتحدة الأمريكية مثلاً ؟

— أما الأم الأجنبية الأخرى فسيكون علاقتنا بها وفقاً لما تقتضيه

مصالح المغرب .

ثم أقامت لي جلالية المغربية استقبالا فخما فندق كلاريدج استدعت له

كثيراً من الشخصيات الفرنسية والعربية ، وخطب فيه ممثلون من البلاد العربية ، ثم أقيمت فيه خطاباً باللغة الفرنسية وأعقبته بارتجال كلمة بالعربية ، وكان الحديث كله يدور على فكرة واحدة هي ضرورة استقلال المغرب وتمسكه برويته .

كما أقامت لي (دار الفكر الفرنسي) استقبالاً حضره عديد من كتاب المقاومة الفرنسية وأدباؤها ، وأقيمت فيه خطاباً من مدينة البحر الأبيض المتوسط واشترك شمويه في تكوين القهصبة الحاضرة التي تبحث للتوسطيين على مقاومة الطغيان والمطالبة بالعدل ، وقد خطب عديد من الحاضرين الفرنسيين مؤكدين ضرورة اهتمام فرنسا بمناصرة الحرية في المغرب ، وتكلم الأستاذ ماسينيون ففوه بحسب العدل الذي يملأ نفوس المغاربة جميعاً ، وقال إن على فرنسا أن تقتبس من الشعب المغربي هذا الخلق الكريم ، فتقيم العدل وترد الحقوق لأصحابها .

كانت تمر يماني وكلماني في فرنسا كلها تدور على إقناع الفرنسيين بضرورة استقلال المغرب وتحريره ، مذكراً لهم بمبادئ حقوق الإنسان التي أعلنتها الثورة الفرنسية ، ومبيناً لهم أن خير امبراطورية هي التي تقوم في الأذهان وفي الأرواح لا في الامتدادات الزمنية أو السكانية ، ومعلنين لهم أن تحرير المغرب في الحقيقة هو تحرير لفرنسا من حطية الاستعمار العاشم الذي لا ينتج إلا محو حب الحرية ومناصرتها من نفوس الفرنسيين في فرنسا نفسها .

ولم أقصر على حل الاتصال بالفرنسيين ، بل واصلت ما قام به إخواني من تنظيم للمعارضة ، فوجد اجتماع كلاريدج نظم العملة المغربية بمجون فيلى اجتماعاً حضره زهاء الخمسة عشر ألفاً من العملة الجزائريين والمراكشيين ، وأقيمت فيه خطاباً يدعو لتنظيم العملة وتحريرهم وضرورة إعطاء المراكشيين والمغاربة عمومًا حرية التجارة ، كما سافرت إلى مدينة ليون وغيرها حيث اجتمعت بتجارها للمعارضة .

وفي باريس واليت اجتماعاً بالطلبة الأفارقة وبنادي الطلبة المغاربة ،

تجوز
مقرها

طبعة
الكتاب
١٩٣٥

وأقيمت فيها خطبة وأحاديث متواليّة ، وعلاوة على مركز وفد الحزب النازي ،
تحدّثت مع الإخوان على تأسيس مكتب لفرع الحزب بباريس ينتخبه
المختارون في الحزب من تجار وطلبة وعملّة ، وقد صار هذا الفرع وغيره من
الفروع الموجودة بفرنسا على أحسن ما يرام في توحيد الصفوف وتنظيم المعارضة
والمدّابة لقميئتهم والتعاون مع التونسيين والجزائريين وسائر العرب المقيمين
بفرنسا على ما يفيد القضية العربية عموماً ، وقد أسست لجنة تسيق تشتمل على
ممثلين لحزب الاستقلال وآخرين لحزب المستعمر التونسي وآخرين لحزب الشعب
الجزائري ، مهمتها تسيق أعمال الأحزاب الثلاثة الكبرى المغربية بفرنسا .

لم يجب وزير الخارجية طلب المقابلة الذي قدمته له ، وإنما اتصل بي من
طرفه بعض الفرنسيين الذين يطمحون على القضية المغربية ، مؤكداً أن الخارجية
ممتوحة لاقتبالي وحلّ للشكل المغربي ، ولكن الأمر يتوقف على تصفية بعض
النقط الناعضة قبل الدخول في عمل إيجابي ، وتناقص استنتاجاتي من مروضات
هذه الشخصية وغيرها من الشبهين بالرحيمين الذين غابتهم في :
١ - أن فرنسا غير مستعدة لإعطاء العرب الاستقلال خارج الوحدة
الفرنسية .

٢ - أنها مستعدة للإبقاء على الحماية وتمتع العرب بحكم ذاتي في دائرة
الوحدة الفرنسية .

٣ - أن كل حلّ للمشكلة المغربية يجب أن يتضمن ما يسمونه (بالتضامن
الديبلوماسي والعسكري) بين فرنسا والعرب الأقصى .

٤ - أن فرنسا مستعدة لأن تعتبر مراكش الدولة الأولى من بين الدول
الشاركة إذا قبلت الانخراط في الاتحاد الفرنسي .

٥ - أن اعتبار الجالية الفرنسية بالمغرب كواحد من مقاربة ضروري لفرنسا .

٦ - أن اللجنة الفرنسية يجب أن تغال بجانب اللجنة العربية في الإدارة

والتجارة والدراسة . ويرى الفرنسيون موقفهم بأن المغرب الأقصى بلاد غنية وذات موقع عسكري لا يمكن الاستغناء عنه في البحر الأبيض المتوسط ، ولذلك فإن ترك فرنسا له يعرضه حتما للاستيلاء الأمريكي أو الروسي ، وكلاهما خطر عليه وعلى فرنسا ، ولقد بذلت مجهوداً كبيراً لاقناع المسؤولين بضرورة الدول من هذا التفكير وبأن المغرب إذا حصل على استقلاله فسيضمه لا إزاء روسيا وأمريكا وغيرها من الدول الكبرى بل حتى إزاء الدول العربية والإسلامية نفسها ؛ لأن الاستقلال الذي نطلبه لا يعني استقلالاً من فرنسا وحدها ، بل من كل دولة أخرى في الأرض ، والحق أن كثيراً من أدكياة الفرنسيين مقتنعون بأن المغرب يريد الاستقلال الحقيقي ، وأنه لا ينبغي تهديد سيطرة بأخرى ، وأن المسألة لا يمكن أن تحل إلا بطريق وضع فرنسا نفقها في المغرب وفي التعهدات التي يلتزمها متى اعترف باستقلاله ، ولقد كان صديقنا مسير دو ميريتي أحد الذين شرحوا هذه الفكرة ودافعوا عنها أمام الرأي العام الفرنسي خصوصاً في مقالته القيم المستفهم الذي نشرته مجلة (الاسبوري) الكاثوليكية .

ولقد اجتمعت بصدّة شخصيات من المسؤولين في أهم الأحزاب الفرنسية ومن سائر أجهزتها فوجدت أفكارهم جميعاً متحدة في استنكار السياسة الاستعمارية للعبة في شتار أفريقيا ، ولكن — والحق يقال — ليس من بينهم من يقبل الكلام في الاستقلال الخارج عن نطاق الوحدة الفرنسية ، وحيث إن أفكارنا تتناقض مبدئياً مع كل خوض في الدخول ضمن الاتحاد الفرنسي فقد كانت مجهوداتي كلها لإقناع الذين أقابلهم بضرورة البحث عن حل خارج إطار هذا الاتحاد ، وطبعاً أن يصبح النقاش في الموضوع مكرراً ؛ لأن من الممكن في اختلاف مبدئي ما أن يظل كل واحد محسباً بفكره ومبدأ من الجميع أو من أساليب إقناع خصمه ما لا ينتهي بالزمان أو المكان ، ومن المعروف في المبادئ المنطقية الأولى أن للتجادلين يجب أن ينتفا أولاً على أساس مبدئي لكي يمكنهما الخلاف فيما بعده من نتائج ، وأنهما ما لم ينتهيا لوضع هذا الأساس المنطقي عليه فكل مناقشة

تصبح يرنطية لا جدوى لها ، وإنما تؤدي إلى الدور في الكلام والتسلل في الموضوعات ، وذلك ما يفسر بوضوح الموقف الذي اتخذناه من عدم الدخول في مفاوضات قبل إعلان الاستقلال ؛ لأن الخطوة الأولى لا يمكن أن تقع إلا من طرف الذين يملكون السيطرة في البلاد ، وما دامت فرنسا لم تعلن هذا الاستقلال وما دامت لم تعترف به فستجتاح معها المفاوضات ونجتمع ونخرج دون نتيجة ، بعد أن نكون كررنا الكلام الذي قنناه وأعدناه .

كانت السياسة الداخلية في فرنسا وقت زيارتي تامة الارتباك ، وكان الشيوعيون يهددون بالإضرابات والانسحاب من الحكومة ، وكان الجنرال دي جول قد استأنف نشاطه في معارضة النظام الحاضر داعياً إلى التجمع لتجديد الشعب الفرنسي في دائرة النظام الجمهوري الديمقراطي ، ومقاومة الشيوعيين الذين يرى في وجودهم خطراً على مستقبل العظمة الفرنسية ، وعملت حكومة المسير راماديه ذراعاً بنشاط دي جول وعمله ، واعتقدت أنه مؤيد من طرف الأميركيين الذين لا يقبلون أن تقتصر روسيا في نشر سلطانها المعنوي على شعوب أوروبا الغربية ، وإلى جانب هذا كانت حملات الصحف الأوروبية والأمريكية والشرقية على السياسة الفرنسية في شمال أفريقية عظيمة منذ رحلة جولالة الملك اطنجة ، وكان صدها شديداً في الصحافة الفرنسية على اختلاف تياراتها ، وأصبح ميسور راماديه مقتنعاً بحق أو يباطل بأن أمريكا لا تقصد إلا الضغط على فرنسا ، ولذلك فإن مصلحة هذه في أن تعدل خطتها بأن تمد يدها كاملة لأمريكا ، وتفتح لها مجال الترويج الاقتصادي ابضائها في فرنسا ومستعمراتها ، وتقصي الشيوعيين من الحكومة ، وبذلك تتمكن بعد أن تكون أرضت أمريكا من التحرر للعمل كما تشاء في مراكش وسائر الشمال الإفريقي ، ووافق ميسور يبدو على هذه الخطة ، وقررت الحكومة الاشتراكية إقصاء الشيوعيين عنها ، كما قررت إعفاء ميسور لابون من مراكز المهتم العام بالمغرب ، وترضيده بإعطائه وظيفة مستشار لرئيس الجمهورية

السياسة

فيما يرجع لتنظيم شئون الاتحاد الفرنسي .

لم يكن مسيولابون مرضياً عنه من طرف الرأسماليين الفرنسيين ؛ لأنه اشتراكي ومن أنصار التأمين لصالح الحكومة الفرنسية ، وقد انتهر خصومه فرصة الزيارة الملكية لاتهامه بالضعف وريييه بنقص في درجة الصرامة التي يجب أن يتبعها المقيم الفرنسي في مراكش ، أما مسيولابون نفسه فكان يدعي دائماً أن الخارجية الفرنسية هي التي كانت تعوق عمله وتحول دونه ودون تحقيق ما يريد من خير أو شر ، والحقيقة أن المسيو يبدو لم يكن راضياً عن توليته لخط ، وأنه كان يفصل أن يكون مكانه شخص من رجال الحركة البلطورية الشعبية (M. R. P.) ، وحينما رأى من رادييه ميلاً لسياسة الصرامة وافقه عليها على شرط أن لا يبقى المسيو لابون هناك .

ولقد وصل مسيولابون لفرنسا ونشرت الصحف أنه دعي للاسترشاد برأيه في الحالة الحاضرة ، ولكنه بقي أكثر من خسة شريوماً دون أن يسمح مسيو يبدو بمقابلته ودون أن يسمح أيضاً بمقابلة أحد من أخص أصدقائه الفرنسيين ، ولم يكن يوازي هذب الخارجية عليه إلا غضبه هو من أعمال جلالة الملك ، زاعماً أن صاحب الجلالة خانه بحزب الجبهة المتعلقة بالتعاون المنحرف الفرنسي من خطاب طليعة .

وقد علمت أن الخارجية الفرنسية عرضت وظيفته المقيم العام على كثير من الشخصيات من بينهم مسيو بونسو والمسيو دي جوفونيل وغيرهما ، فاعتفروا بأن الدبلوماسية الفرنسية قد فشلت في مراكش ، وأنهم غير مستعدين لصوغ حلقة من حلقات هذا الفشل ما دامت الحكومة غير مستعدة لوضع حل نهائي للمسألة المغربية .

وهكذا تقرر تعيين الجنرال جوان بصفته أكبر جنرال فرنسي من جهة ، وبصفته زلم في شمال أفريقيا وتتمتع بروحها الاستعمارية من جهة أخرى ، ولأنه أيضاً لم يكن من أنصار الجنرال دي جول ؛ فمن الممكن أن يقف معارضاً لكل

كما يمكن أن يقوم به الجنرال اسكندر الذي كانت الحكومة الفرنسية تخشى وجوده كفتش عام للجهوش الفرنسية في المغرب العربي .

ولقد قبل تعيين الجنرال جوان من أغليد الميثاق الفرنسية بالتعبير والتصديق ؛ إذا عتبرت ذلك خطوة لاتخاذ سياسة جديدة من شأنها أن تقضي على الحركة الوطنية بالمغرب ، وقد رفضت له كثير من النواب السياسيين الفرنسيين في شمال أفريقيا بحجة التهنئة والإعجاب ، وقدمت له جمعية المولودين في المغرب عربون ودعا وتقديرها له كأول مقيم عام من مولديها في الجزائر ، ولكن الأحزاب اليسارية اعتبرت تعيينه فاعلة سياسية من شأنها أن تثير المشكلة موضع حلها ، ولقد قرر المجلس الإداري للحزب الاشتراكي في الجزائر الاعتراض على عمل الحكومة التي يرأسها الاشتراكي المسير واماديه متطوعاً بذلك مع المسير لابون .

ولقد كتبت (البو نويز) لسان حال الحزب الاشتراكي تقول : « إننا لا نتفق أن تعيين جنرال وخصوصاً بهذا الجنرال سميتل من طرف الشعب المغربي وسبلة التهذؤ والتوفيق » .

وكتبت (الإنسانية) لسان حال الحزب الشيوعي تقول : « إن تعيين الجنرال جوان سميتل من طرف المعارضة تهديداً يجر بالإقامة العامة للوقوف في قبضة اليدين الفرنسي » .

وضربت على هذا الوتر كل الصحف اليسارية التي رأت في هذا التعيين تمكيناً للرأسماليين الفرنسيين من التحكم في تراث مراكش وأبدانها .

ولكن الصحف الاستعمارية والحكومية كلها ضربت على وتر حبيب للاستعماريين ، وهو أن الشعب المغربي لا يمكن أن يحكم إلا بطريق القوة ، ولقد وصل بها الخاس إلى أن أخذت تهدد الشعب المغربي وجمالة ملكه ، وتقول إن المعارضة شعب بدائي لا يمكنه أن يتأثر إلا باللسان الذي يراه على بدلة جنرال ، ولقد ذكر على جهة المثال ما نشرته جريدة (الأبيوك) التي أكذبت

أن الحكومة الفرنسية ستبدي كامل الصرامة فيما يتعلق بالسلطان ، قالت الجريدة (إنه ليس خفياً على أحد أنه « تعنى السلطان » سيوضع من الآن في حوال النوم ، إذ سيطلب منه بأدب ولكن صرامة ألا يعود لمرقلة أعمالنا ، وأن يوقع على جميع الظواهر التي رفض للصادقة عليها منذ ١٠ أبريل ، تلك الظواهر التي سيقدمها له الجنرال جوان لتنظيم للغرب سياسياً واقتصادياً ، وفي حالة ما إذا لم يتبع ذلك سياسة أكثر مرونة فإننا لا نتأخر عن تعويضه بخيره) .

أما في المغرب فقد أثار الحديث عن تعيين الجنرال جوان فكرة المعارضة جميعاً ، ولقد همت جلالة الملك برقية لوزير الخارجية بحثه فيها على عدم تعيين عسكري في الإقامة العامة احتفاظاً بالصداقة الفرنسية المغربية ، ومع ذلك فقد أبت حكومة باريس إلا أن تتحدى جلالة الملك وشعبه الكريم والمعارضة الفرنسية نفسها وتعين الجنرال جوان ليقوم — في نظرها — بالقضاء على حاسة الوطنيين المغاربة ، وبرغم السلطان على توقيع ما لا يرضاه ، وسوف ترى أن الجنرال جوان لم يستطع إلا أن يزيد لكثرة المشكلة المغربية تعقيداً ، وإلا أن يجعل الوطنية المغربية على تسيير أسلوبها ومقابلة التحدي بمثله .

السياسة
حزب

الوطنية المغربية: تقرير الصرامة

وإذن فتعيين الجنرال جوارن مقبلاً على ما كشف لم يكن مبرراً لا أكثر من تهديد للشارية ، والجو الذي حاكته الدبلوماسية الفرنسية من قبول تعيينه لم يكن إلا جو تهديد وهناد ، وعليه فلم يبق هناك مجال للجملة ولا لبذل كل أنواع التضحيات لإقناع المسؤولين في فرنسا بحسن نية الوطنية المغربية نحو بلادهم ، وما داموا هم لم يحترموا المغربى الأول ولم يتأخروا عن الحديث عنه في صفهم الشبهة بالرمية كوظف ماذى يمكن ترويضه بخبره متى امتنع عن تنفيذ أوامر الجنرال جوارن أو غيره من رجال الإقامة العامة ، فكيف يمكننا نحن أن نؤمل منهم فيما لحاملاتنا أو اقتنأنا بحسن نوايانا ؟ ١٩ .

انقد كانت خطتنا مبنية على أن يبقى جلاله مولانا الملك صلة الوصل بين الشعب المغربى وبين ممثل فرنسا ؛ لأننا نحن ككالحين شعبيين لابد من أن نقف المواقف الشديدة أو الرحمة التى يقتضيها المقام ، وممثل فرنسا لابد أن يتخذوا ما يرونه صالحاً ضدنا أو فى مصلحتنا حسب الظروف والاعتبارات ، ولكن جلاله الملك فوق الأحزاب والمنازعات ، وله من صفته الرسمية وشخصيته التقليدية ما يخلو أنه يكون العامل على التقريب بين وجهتى الدفار المغربية والفرنسية ، والتدرج فى استخلاص الحق وتحقيق الأمنى الشبهة فى الاستقلال وفى الإصلاح ، ولكن الدبلوماسية الفرنسية لم تفهم هذه الخطوة البديلة ، أو لم ترد أن تقبلها ، فسدت إلى مما كسة الملك وتركيز أفكارها فى غاصته والذيل من مقامه الشريف لا شئ إلا لأن جلالته يريد أن يحتضن بنفسه قضية شعبه ومملكته ، ويسل على تحريرها مع الاحتفاظ الكامل بالصدقة الفرنسية المغربية ، مع أن هذا الاحتضان الكريم هو خير وسادة للحيلولة دون وقوع

اضطرابات خطيرة ، وأحداث شديدة ، وهو في الوقت نفسه خير ضمان لحفظ ما يسوونه بكرامة فرنسا لأن تحقيقها لرغبات الأمة المغربية بواسطة هذا الملك الذي احتفظ بعلاقاتها في أخرج أوقات تاريخها الحديث لا يمد من طرفها خضوعاً لخط ما أو تقهراً عن موقف من مواقفها بطريق القوة أو الإكراه . فإذا أضفنا لهذا ما أيقنته من تصميم الفرنسيين على الاستمرار في سياسة الشدة والقمع وعدم الاعتراف مطلقاً باستقلال المغرب بل ولا حتى بالحريات الديمقراطية التي تمكن المغاربة من الإعراب عن رأيهم والمطالبة الحرة بحقوقهم أدركنا جيداً السر الذي جعلنا نستعمل ما غزوا إياه المجلس الأعلى للمغرب من السفر للقاهرة دعماً بذلك الاتجاه للصوم في حركتنا ، وهو لا مفاوضة قبل إعلان الاستقلال ، وكما ظهر من مظاهر هذه الخطة قلبنا مركز الوفد العام بإيريس إلى مكتب للاستخبارات والحماية ، وعينت اللجنة التنفيذية مندوباً عاماً للإشراف على توجيه الحركة الاستقلالية في فرنسا هو الأستاذ عبد الرحيم ابن أبي عبيد .

وصلت القاهرة يوم ٢٥ مايو سنة ١٩٤٧ ودخلت مكتب المغرب العربي على حين غفلة من إخواني الذين لم أخبرهم ولو بطريق البرق ، وكان اليوم يوماً لمقد ندوة صحافية يقيمها المكتب كعادته ، ويبقى بها الأستاذ عبد الخالق الطريس حديثاً عن السياسة الأسبانية في المنطقة الخليجية ، وقد انعقد الاجتماع وشهد عدد كبير من الصحفيين العرب والأجانب ، وألقى به مدير المكتب السابق الدكتور ناهير خطاباً رحب فيه بي وبالأخ الطريس ، ثم ألقى الطريس تصريحه ، وبعد مراغه طلب من الصحفيين أن أحدثهم عن حقيقة الحال في مراکش بعد سفر جلا الملك لطنجة ، فارتجلت حديثاً تناولت فيه الظروف التي جعلتني أختار السفر لعمري ، وطلبت من الصحفيين أن يدقروا العالم العربي بأن فرنسا قد احتارت أن تكون ذبلاً لأمريكا في سياستها الخارجية ، وأنها في سبيل الاحتفاظ بمستعمراتها منسح لأمریکا بحقوق اقتصادية وعسكرية

سكت
مخبر العرب

في أفريقيا وفي فرنسا نفسها .

ولقد كان عمل في القاهرة مدة هذه السنة التي أفتتها فيها يشبه أوله آخره ، كما يسهل الحاج عمر ، فهو لا يخرج عن اتصالات بأهم الشخصيات وإلقاء محاضرات في مختلف الأندية وكتابة مقالات أو الإدلاء بأحاديث لمختلف الصحف والمشاركة في عديد المؤتمرات والمهرجانات الشعبية والاتصال بالجامعة العربية وبالوفود التي ترد عليها وتقديم للذكرات التي تقضى الحاجة بتقديمها والمشاركة في الأعمال التي ينظمها المكتب أو لجنة التحرير وتنسيق الأعمال مع الحركات التحريرية المغربية في الشرق .

ومن لا يمكننا أن نفصل هنا جميع الجهود التي بذلناها أفراداً أو اشتراكاً مع إخواننا أبناء الشمال الإفريقي ، ولكننا سنتناول بعض الأحداث المهمة التي كان لها أثر في الخطوط المحركة للشمال الإفريقي من جهة التفكير ومن جهة التعبير ويجب أن أتوه فيما يخص الحركة الناهية لحزبنا بالجهود التي كان إخواننا أعضاء الرابطة قد بذلوها من قبل ، والتي مهدت السبيل لي ولكل من يأتي بعدهم من إخوانهم لكي يشاركوا في التقدم بها إلى الأمام وتقوية روحها ومعنوياتها .

توطيد العلاقات بين مراکش ومصر :

ولعل من أهم هذه الأعمال توطيد أركان العلاقات المتينة بين بلادنا العزيزة وبين مصر والعالم العربي ، وإذا كانت الروبة والدين والروابط التاريخية واشتراك الآلام والآمال قد وجدت بيننا ، وإذا كان تأسيس الجامعة العربية قد أظهر آثار هذا التوحيد إلى حد بعيد . فإن مراکش ظلت مع ذلك بعيدة عن أن تدمج حضوراً فعلياً في الأوساط العربية أو تمثيلاً رسمياً في هيئاتها الحكومية ؛ بل لقد ظل الرسمىون من رجال الجامعة العربية نفسها يشكون في المدى الذي وصلت إليه الحركة المغربية ومقدار الاهتمام الذي يمكنهم أن يمتدوه عليها ، ولقد صرح الأمين العام للجامعة بشئ من هذا لوفد حزب

الاستقلال في باريس ليس فيما يخص سرا كش وحدها بل فيما يرجع كذلك
لنفوس والجزائر ، ولسكن زيارة جلالة الملك لطنجة أولا ونصريجاته الشريفة
في الاعتماد الدائم على الجامعة العربية ثانياً ، كل ذلك يمث في نفوس إخواننا ثقة
بإكتمال الوعي القومي في بلادنا ، وحياتهم للاهتمام التام بالقضية العربية وما يليق
إليهم فيها ، ولقد كان من معنى الأولى أن أعرف العرب بحقيقة الحال في
سرا كش ومقدار الصراع القائم بها ، وللوقف العظيم الذي وقفه بجلالة الملك في
الدفاع عن أمته والنضال منها ، والاعتماد على نصريجات جلالته ونصريجات
مهمولي العهد والأميرة عائشة في الإعراب عن مواطنه الكريمة فهو مصر
وملكها العظيم فاروق الأول ، ونحو بقية العالم العربي ورؤسائه وملوكه ، وأفضح
برنامج السياسة الفرنسية إزاء جلالة الملك ، ومحاولتها للناس بشخصه العالي
وحقوقه الشرعية ، وقد وجدت والحق يقال آذاناً صاغية في هذا الباب ؛
فأصبح إعجاب المصريين خصوصاً والعرب عمومًا بجلالة سيدي محمد بالنفأ منتفها
وغدا عطائهم عليه بل محبتهم له ضماناً أساسياً لما نؤمله في المستقبل من ارتباط
تضامني وثيق .

ولقد قام عزام باشا وهو في أمريكا بمجرد ما علم من القاهرة تليفونيا
الظروف التي يجتازها المغرب وملكه الهام بدفع نشيط من جلالته وودته
الصعف الأمريكية والأوربية كلها ، وفي غير مرة من جلسات الجامعة العربية
ذكر اسم مولانا الشريف بكامل التقدير والاحترام ، وفي البرقيات التي تبودلت
بين صاحبي الجلالة ملك مصر وملك سرا كش ما يدل على مقدار المحبة المتبادلة
بين العاهلين العرايين الكريمين .

وفي حفلة عيد العرش من سنة ١٩٤٧ نظمت أعظم مظاهرة ممكنة
للإعراب عن صفات المصريين على إخوانهم المغاربة وملكهم ، وأذن جلالة
القاروق لرئيس ديوانه الخاص بالحضور في الحفلة وقبول الوسام الذي أهداه له
سمو الخليفة السلطاني بهذه المناسبة الكريمة ، كما حضر معاً كامل عبد الرحيم

المصري
المعزى

لك وكيل وزارة الخارجية بالنيابة عن دولة القرائى باشا .

ولقد سمت الخارجية المصرية ليتمثّل لها في مدينة طنجة ، ولكن الدبلوماسية الفرنسية رفضت لها هذا الحق على ما روتّه الصحف ، وبعد أن ثبتت الحكومة المصرية في موقفها أخذت فرنسا باعتبار قسطنطينة مصر في مرسياها مكلفاً بمصالح مصر في شمال أفريقيا ، واعتبر ذلك خطوة أولى لربط علائق رسمية مع المغرب العربي .

وأما من الوجهة الثقافية فلقد قررت وزارة المعارف العمومية قبول الشهادات الثانوية المغربية (من القرويين والزيتونة) في دار العلوم وقسم اللغة العربية من الجامعة .

وظهر في الميدان الثقافي بمصر اهتمام كبير بالمغرب والمغاربة ، فكثرت عندهم منهم أبحاثاً عن وضعية مراكش والجزائر وتونس ، من أهمها بحث الأستاذ أحمد رمزي في مجلة الرسالة ، وعبد الجبار جومردا الكاتب العراقي في مجلة الثقافة ، ونشرت مئات المقالات من كبار الكتاب والشخصيات في ضرورة اعتبار المغرب العربي جزء لا يتجزأ من العالم العربي .

ولو أن بصيصاً من الحرية يسمح لمواطنينا الكرام بتوسيع نشاطهم الداخلي في هذا الميدان وتعريف إخوانهم العرب ببلادهم وأحوالها لوجدوا لأعمالهم صدق كبيراً في الأوساط العربية ، ولانفتحت آفاق عظيمة للتعاون بين شطلي العالم العربي يكون لها الأثر الفعال في توحيد دعائم الوحدة العربية وجامعتها الكبرى .

استقبال البطل عبد الكريم

ليست هذه أول مرة تهتم فيها الحركة الوطنية للرا كشية بالعمل على تخصيص البطل عبد الكريم من الأسر ، بل لقد قامت غير ما مرة بهذا الجهد جدارة لإنقاذ الحكومة الفرنسية بضرورة إطلاق سراح البطل المسكوب وعشرته بالظلمة ، وقد دعت (كتلة العمل الوطني) لهذا العمل سنة ١٩٣٦ وساعدها في ذلك

عطوفة الأمير شكيب أرسلان رحمه الله ، فكتب عدة مقالات في صحف الشرق والغرب ، ووجه أناس كثيرون لفرنسا نداء ودياً يدعوها فيه لتحرير جزلاء المصوم الشرفاء ، وجرت بيني وبين المرحوم صاحب السمر الأمير عمر طوسون مكالمة في هذا المعنى ، وكان سموم من أشد الناس عطفاً على البطل المغربي ، وقد أبدى استعداداً السكامل لرعاية كل حركة ترمي لتحرير أسد الريف .

وفي سنة ١٩٣٧ بذل الحزب الوطني وسائل عديدة لتحقيق هذه الغاية ، ووات الصحف الوطنية في مواكبة مقالاتها في الموضوع حتى اقتنع بعض الشيوع الفرنسيين بتقديم طلب التحرير للجنة الشؤون الخارجية بمجلس الشيوخ ، وقررت اللجنة تصانها مع الاقتراح ، ولكن الخارجية الفرنسية أجايت بأن الوقت لم يحن بعد .

وأثناء اتصالى برجال فرنسا الحرة الذي تحدثت عنه في فصل سابق بذلت جهوداً حثيماً لإقناع ممثليها بضرورة إطلاق الأمير ، وأكدت لهم كذب ما تروييه الصحف الفيشية من تأييد زعيم الريف للدارشال بيتان ؛ لأن البطل المغربي لا يسبح لنفسه بالتدخل في مسائل فرنسية محض ،

وفي سنة ١٩٤٧ بذل ممثلو الحركة الاستقلالية المغربية بمهر جهوداً لدى الجامعة العربية فقدم أمينها العام رسالة للخارجية الفرنسية يطلب منها تسريح الأمير عبد الكريم والسباح له بالرجوع للغرب .

وحينما كان جلالة السلطان يطلب بتحرير الزعماء كان يذكر في مقلمتهم بطل الريف الذي يعلم جلالة إحلامه لعرشه وللهبلاد .

وأخيراً قررت الحكومة الفرنسية نقل بطل المغرب ورفقائه إلى فرنسا حيث يستمرون في الإقامة الإجبارية والرقابة الاستعمارية ، وفي الوقت نفسه نشرت الصحف الفرنسية ما يدل على أن فرنسا كانت تريد من وراء ذلك تهديد جلالة سلطان المغرب علناً بأنها أن في إمكانها استغلال الأمر أو أخيه في إرغام جلالة الملك على قبول الانضمام للاتحاد الفرنسي ، ومع أن هذا الظن لا ينبغي على أساس

إسماعيل
سراج الكرم
المخطاط

مصحح من جهة الأمير فانت التجاء البطل المغربي إلى مصر وضع حدا لطمع
الفرنسيين فيه ، وخلص صكرامته ومجده من أن تتطلع إليهما مطامع الاستعمار
الديثة ، وقلب الآية كلها ؛ إذ سمح للأمير أن يكون مرة أخرى وحرراً لحركة
التحرير في المغرب العربي بأجمعه .

ولقد تحدثت الصحف الفرنسية والأجنبية من نزول عبد الكريم بمصر ،
وروت في ذلك من الروايات المتناقضة ما يدل على مقدار الخطورة التي رأتها في
الأمر ، مع أنه ليس ألتقى بالطبيعة من أن تقبل مصر الكريمة لأجنا سياسيا
وضع نفسه بين أحضان ملكها الجيد ؛ لا سيما إذا كان هذا اللجوء بطلا عالميا
مثل الأمير عبد الكريم ، ومن الحق والإصاف أن نسجل أن نزول الأمير
كان بمقتضى رغبته هو ، وأنه لا جلالة الفاروق طلب منه ذلك ، ولا الوطنيون
النازبة ألحوا عليه فيه ، وكل ما هنالك أننا مهدنا له سبيل التحقيق لما أعرب
منه من رغبة في البقاء بمصر من تلقاء نفسه وبمقتضى مشيئته الخاصة .

أقد نزل الأمير بطن واستغل به العرب المقيمون هناك ، وبعثوا وفق طلبه
هو برقيات لكثير من المجاهدين بمصر من بينهم الأستاذ محمد علي الطاهر صاحب
سريدة الشورى وفضيلة الشيخ الحضير بن الحسين رئيس جمعية الهداية الإسلامية
ومجل المجاهد الفلسطيني الكبير محمد علي الطاهر المعروف بمطافه القوي على
البلاد للفرية وروائه لأبطال العرب كاهم بإطلاعنا على نص البرقية ، كما جعل
بإطلاع خبرنا ، والبرقية تنحصر بحلول الأمور في عدن وموعد خروجه منها والموانئ
التي سيمر بها وتاريخ وصول الباخرة التي تقله قسويس وبور سعيد .

وقد اجتمعت أما وأعضاء حزب الاستقلال وحزب الإصلاح بالقاهرة وقرروا
أن تيمت وقدأ يتركب من الأستاذ أحمد ابن المايح نيابة عن حزب الاستقلال
ومن الأستاذ محمد ابن أعبود بالنيابة عن حزب الإصلاح إتهلمخ الأمير عبد الكريم
ومعه الأمير عبد السلام وأخيه الأمير محمد نحياتنا باسم سرا كش كلها ، ورضع

الوفد نفسه تحت تصرف الأمير ، وقد سافر الوفد إلى السويس واستطاع الصعود
للباخرة والاتصال بالطل الذي أدلى للصحافيين بتصريحات كثيرة كان من بينها
أنه لو حير لاحتار البقاء في مصر ، ثم بلغ الوفد تحياتنا وسرور المئاربة كلهم
بمخروجه من المنفى القصى ، وقد أعرب لهم الأمير وأخوه عن رغبتهما في زيارة
مصر وتحيية مملكتها ، ثم كتب سمو الأمير رسالة حملها الوفد لمعالى رئيس الديوان
الملكي هذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب المعالي رئيس ديوان حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق
الاعظم حفظه الله ، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، وبعد فإني أرجو من
معاليكم أن تتكرموا برفع مايلي إلى مقام جلالة الملك حامى العروبة والإسلام ،
مولاي صاحب الجلالة ملك مصر والسودان فاروق العظيم .

اغتنم الفرصة للسيدة بوجودي في البقاء المصرية في شاطئ مصر زعيمة
العروبة والإسلام فأرفع إلى مقام جلالتهكم أجل التحيات وخالص الشكر على
ما تبذلونه في سبيل مجد العروبة ومستقبلها العظيم ، وأعرب بجلالتكم من سروري
العميق بوجودي في هذا البلد العربي بعد غيابي في المنفى عشرين سنة من وطني
الذي هو جزء لا يتجزأ من العالم العربي ، وقد شعرت وأنا هنا أنني حقاً في
وطني ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الامضاء : محمد بن عبد الكريم الخطابي

ومن اللند سافرت أنا والاخ الطريس والأستاذ الطيب أبو رقية ووفد من
مكتب الثرب النربي يضم الأستاذ عبد الجيد ابن جلون والأستاذ محمد ابن أعبود
للسلام على الأمير حين وصوله لبور سعيد ، وقد صمد معنا على ظهر الباخرة مثلوا
السلطة المصرية والأحزاب السياسية وكثير من الصحافيين وأعيان المدينة ، وقد
تحدث الأمير وأخوه لزارتين له في جو من الإخاء ، عرباً عن إعجابهم بمصر
ومجهودها في سبيل القضية العربية عموماً ، وأثنى على جلالة الملك فاروق ، كما صرح

طريقة خالصة
سيرة الكرم المحمدي

بولائه اثناء قديماً وحديثاً للعرش النوبى والمائلة للمالكة بمراكش وبلالة
السلطان سيدى محمد ، وقال إن كعابه لم يكن ثورة ، وإنما هو حرب دفاع عن
الوطن ضدًا على المستعمرين الأجانب ، وقد تنهى الأمير محمد معًا جابًا ،
وأخبرنا برغبة الأمير فى لبقاء عصره ، وكان قد طلب النزول لتجول قليلا فى
البر ، فذهب تروا إلى محافظة أسيوط حيث بنه سعادته المحافظ نجيب جلاله الملك
فاروق وشكره للأمير على الرسالة الرقيقة التى بعثها إليه بمعية جوده باليه
المصرية ، وحينئذ أعرب الأمير لمثل الفاروق بالمدينة من الصلابة والجرى
جلالته فرارا من الاستمرار فى الأمر الفرنسى ، وليتمكن من تعليم أولاده
المربية ، فوعده المحافظ بتبنيغ طلبه لجلالة الملك والحكومة المصرية ، ونهنا
لجول الأمير وأخوه وعه وأفراد أسرته فى المدينة عاد الكل لباخرة حيث قصور
لملتهم فى انتظار الصباح .

وفى الساعة العاشرة من ثاى يونيو نزل الأمير مرة أخرى للبر ، وتوجه تروا
للمحافظة قبلته المحافظ باسم جلالة الفاروق قبول التجهاته ، وقبله مؤاد شيرين باشا
باسم ملك النيل العظيم ، طالبًا منه أن يعتبر نفسه وأسرته فى ضيافة عاهل مصر
المجيد ، ثم قدم سموه لمذوب القصر السالى محمد حلى بك القدى أوفده جلالة
الفاروق نهاية بنمو الأمر وأضرجه .

ولا يمكننا أن نمر هنا عن مقدار الفرح والمرح الذى أصابنا حين علمنا
بتحقيق الفاروق أيدى الله لرحبة بطلنا العظيم ورفقائه المجاهدين الكرام ؛ ذلك
الفرح الذى لا ينساه إلا ما أظهره الشعب المصرى بأكله من أرطبة كريمة
وحذل عظيم .

رجسنا نحن للقاهرة قبل زوال اليوم ، وفى المساء وصل سمو الأمير وأخوه
وبعض أفراد العائلة فى سيارة ملكية ماسحة المصرية ، وقد أعرب الأمير عن
رغبته فى الذهاب تروا للقصر الملكى للعاصم حيث سجل فى دفتر التشرينات
شكره العميق وتحيته الرسمية لجلالة ملك النيل ، وقد وجد فى استقباله الأستاذ

كريم ثابت بك منشار جلالة الملك السعدي ، ومحمد حلمي بك ورئيس
التشريعات سيف النصر بك ، وبعد ذلك رجع سموه إلى مكتب المغرب العربي
حيث وجد في انتظاره ممثلي الحركات الاستقلالية بشمال أفريقيا ويمثل الصحف
ومئات الشخصيات ، وقد أقيمت خطب وقصائد في الترحيب به ، كما ألقى هو
كلمة قصيرة عبر فيها عن امتنانه لمصر وملكها وشكره للجامعة العربية ولجهاذي
المغرب العربي ، ثم توجه بعد ذلك إلى قصر أنشاص ضيفاً على جلالة الملك ،
يثابقي الأمير محمد وصحة السيد عبد السلام وأفراد الأسرة بمنازل الزعماء المغاربة
ريثاً تهنئاً لهم السكينة الخاصة .

وفي يوم الجمعة ٥ يونيو تفضل جلالة الفاروق باستقبال الأمير في مقر ضيافته
بأنشاص ، ودعاه لتناول الغذاء مع على المائدة المالكية ، وقد حضر هذه المائدة
الأستاذ كريم ثابت بك وحلمي بك والسيد محمد ابن أهود الذي انتدبته الحركة
المغربية لمراقبة الأمير والعناية به ، وقد استمع جلالة الفاروق ملياً لحديث الأمير ،
وتفضل باستفهامه عن أنباء الحرب الريفية ، وقد صرح جلالاته بأنه لا يقصد من
استضافة الأمير والعناية به أي غرض سياسي ، وكل ما هناك أنه يستند أن
الواجب يقتضي عليه حماية مجاهد عربي ضحى في سبيل بلاده ، كما صرح جلالاته
بأنه يحمل كامل المطلق والتقدير لجلالة سلطان المغرب سيدي محمد ، وأنه سر
كثيراً لبرقية التهينة التي كان جلالة سلطان المغرب قد بعثها لأخيه الفاروق ،
وأجابه عنها بمناسبة ذكرى العرش المصري راجياً من الله سبحانه أن يزيل موانع
الاتصال بين المغرب العربي والمشرق العربي .

ثم لاحظ جلالة الفاروق أن حصة الأمير متبعة قليلاً ، فأبى مراحمه العلية
إلا أن تعرض على ضيفها الكريم الإقامة بمسكني فؤاد الأول بالاسكندرية
بضمة أساميع تحت عناية الأطباء ودرية الفاروق ، كما بلغه جلالاته أن الحكومة
ستعفي تهمة مقر الإقامة الأمير وأسرة ، فشكر البطل المغربي لجلالة ملك النيل
اكتفاهم الحيد ، وطلب من الله أن يديمه ذخراً للمروبة وملاذاً للأحرار .

وبعد تناول الغذاء ذهب جلالة الملك وضيافته للديوان الملكي حيث شرع في
القهوة ، ثم عاد جلالة المعاهل المصري لتعصر القبة العمار بالقاهرة تكللاً
عناية الله .

أما الأمير محمد وبقية أفراد الأسرة فقد ظلوا بمكتب المغرب العربي حيث
أخذ مثاق المهنيين والزائرين والموود من الوزراء والسفراء والرؤساء وكبار
الشخصيات يترددون عليهم ، وكان حديث الكل من الإعجاب بمجهود الأبطال
المعاربة من أجل التحرر منوهين بهمة القاروق وعظيم فضله .

أما الصحافة المصرية والعربية فقد ظلت شهرين كامدين نجبر للفتالات
الضافية والنصول البليغة من القضية المغربية وجهاد رجالها ، ولا تترك فرصة تمر
إلا وتنشر للأمير الأحاديث الطيبة ، وتعلق عليها بما يفيد قضية بلادنا ويرفع
من شأن رجالنا ، وإذا كان لنا أن نعبّر عن لسان المعارضة في هذه المناسبة
السعيدة ، فمن الواجب علينا أن نسجل امتناننا بالجميل الذي طوّلنا به جلالة
القاروق وحكومة النقراشي باشا ورجال الصحافة المصرية والعربية وسائر رجال
الجامعة العربية بما أبدوه من عظيم الاهتمام بقضيتنا وتحرير أحمد أمير أسر من
أحل بلادنا والصباح لحركتنا بالاستفادة من مجده ونجربته وشهرته العالمية الكبرى .

مصرى تقول الأمير في مراکش :

أما صدي تحرر الأمير ورقاقته في مراکش وبقية أقطاب المغرب العربي
فقد كان عظيمًا جدًا ، ولقد نالت برقيات التهنئة على مركز حزب الاستقلال
بالرباط ، وبمست إلينا الأمن العام معبراً عن كامل ارتياح الشعب المغربي لهذه
المناسبة السعيدة ، وأنها كانت خير معالج للصدمة التي واجه بها الاستعمار حين
عين الجنرال جوان مقيا عاماً في المغرب في ظروف الزيارة الملكية لطنجة .
كما يست مملو الحركات الوطنية بتونس والجزائر ومراكش تهنئهم للأمير
وشكرهم الجزيل لجلالة القاروق وإعجابهم بمجتهودات ممثلي المغرب العربي في مصر .

وليس من الممكن أن نبر عن الأثر الجيد الذي أحدثته صنيع القاروق في نفوس المغاربة عموماً والراكشين خصوصاً ، وقد سر جلالة سلطان المغرب لهذه المأثرة المصرية العظيمة ، واعتبرها من أغيب الأيادي التي أسست الأسرة المالكة المصرية للعرش المغربي وعاهله العظيم .

ولم يكن الأثر في نفوس المسلمين بالهند والعين ومهاجري أمريكا وإفريقيا للسوداء واستراليا ، أقل من الأثر في نفوسنا نحن ، ولقد وصلت رقيات التهانى والشكر من جميع أنحاء المسورة ، وكما تضامن مع المغاربة في جهادهم ، واستبشار بإطلاق سراح البطل الريني وبناء على همة ملك وادى النيل وشعبه النبيل .

رد الفعل لدى الحكومة الفرنسية :

أما أثر الحادث في نفس الحكومة الفرنسية فقد كان هنيئاً ، وقد صرح المتحدث بلسان خارجية فرنسا على ما روت دوتز في برقيات يوم ٣١ مارس أن نزول عبد الكريم ببور سعيد أحدث اندهاشاً عظيماً في الأوساط الحكومية الفرنسية ، وصرح هذا المتحدث بأن المباحشة فيما يمكن عمله من الوجهة الدبلوماسية لا يمكن أن تقع إلا بعد أن تكون الوزارة قد اتصلت بالمعلومات الكافية في الموضوع .

أما بما يخص منهج الحكومة الفرنسية في معاملة عبد الكريم فقد قال الناطق بلسان الخارجية : « إن عبد الكريم استسلم لفرنسا سنة ١٩٢٦ ، والنزوم بالبقاء تحت الحكم الفرنسي ، وكان سلوكه دائماً حسناً ، وقد قبلنا واحترمنا دائماً كلامه المؤكد بشرفه . والعمل الذي قام به اليوم بسد سلوكه النبيل منذ النزوم لفرنسا أحدث في نفوسنا دهشة عظيمة » . ثم أضاف المتحدث الرسمي قائلاً : « حينما استسلم عبد الكريم لفرنسا سنة ١٩٢٦ اتفقنا مع الحكومة الأسبانية على حراسته مخافة القيام بثورة أخرى في إفريقيا الشمالية » . وحينما سئل هذا المتحدث هل من المنتظر أن يحدث عمل عبد الكريم رد فعل رسمي لدى الحكومة

الأسبانية أجاب بأنه من أقوى الممكّنات أن تبيث الحكومة الأسبانية احتجاجاً لمصر ، وتطلب من الحكومة الفرنسية توضيحات عن نزول زعيم الريف في بور سعيد .

ولكن الواقع أن الحكومة الأسبانية لزمّت الصمت ، ولم ترفع أدنى احتجاج للحكومة المصرية ولا طالبت فرنسا بإيضاح ما .

أما في فرنسا نفسها فقد طالب أحد أعضاء البرلمان الفرنسي من أعضاء الحركة الجمهورية الشعبية من حكومة بلاده توضيحاً في الموضوع ، فصرحت الخارجية الفرنسية بأنها استقدمت سفيرها في مصر وحاكم جزيرة لارينيون حفر نفي الزعيم عبد الكريم للاستشارة معها قبل أن تقرر ما يلزم اتخاذه من التدابير ، واجتمع مجلس الوزراء في اليوم نفسه ، واستمع لبيانات وزير الخارجية ووزير للمستعمرات ، وقد أكد الاثنان أن نزول عبد الكريم بمصر ثم بإغراء من طرف الحكومة المصرية ، ولما سئل وزير الاستخبارات عن مصير العلاقات الفرنسية المصرية بسبب هذا الحادث قال إنه ليس هناك تفكير لحد الآن في قطع هذه العلاقات ، وأن البت في هذا الموضوع يتوقف على إتمام الاستعلامات التي تجمعها الحكومة الفرنسية ، ثم قال إن احتياطات عديدة متخذ في إفريقيا الشمالية ، ولكنه لم يبين نوع هذه الاحتياطات .

وفي ثاني يونيو روت برقيات روتر أن وزير الخارجية الفرنسية ميسو يبدو حالم لسفير مصر بباريس احتجاجاً شديداً للتهمة على ما ساء ميسو جورج يبدو بتأمر الحكومة المصرية على تهريب عبد الكريم ، وأكد روتر أن ميسو يبدو حارح لسفير مصر بأن تحت يده وثائق قوية تدل على مسؤولية مصر في القضية أما السفير المصري فلم يزد على أن أكد وجهة نظر حكومته ، وهو أن مصر لم تقم إلا بما هو من حقها في قبول لاجئ سياسي النجاء إليها .

وأذاع السفير المصري تفليداً رسمياً لما نشرته الصحف الفرنسية من أن الأمير عبد الكريم نزل في بور سعيد قلبية لاستدعاء الملك فاروق أو الحكومة

المصرية ، كما صرح دولة رئيس الوزارة المصرية محمود فهمى النقراشى باشا بأن عبد الكريم هو الذى طالب من محافظ بورسعيد أن يبلغ طلب التجاهل للحكومة المصرية ، وأن رئيس الحكومة رأى من واجبه طبقاً للتقاليد المصرية أن يقبل ضيافة البطل المغربى بعد أن طلب منه عدم الاشتغال بالسياسة .

أما الصحافة الفرنسية فقد أخذ الموضوع منها اهتمام الصفحات الأولى بصفة أساييع ، وقد كتبت جريدة (البلاد الفرنسية) ما معناه : إن الجامعة العربية التى ترى الآن مستقبل عبد الكريم تقصر همها الأول على معاداة فرنسا ، أما إنجلترا فقد أرغمتها فيها على فلسطين ؛ إذ اتفقت مع العراق وشرق الأردن والمملكة العربية السعودية ، وقد لحص مسيو روجيه ماسيى فى (الفيغارو) الرأى العام الفرنسى الذى يحس بضم تقدير الدول الكبيرة له فى موقفه من هذه القضية فيما يلى :

(إن الرأى العام الفرنسى يشعر جداً بخجل من الإهانة التى لحقت فرنسا ، ويبدو له أن بلاداً قبلت مثل تصحياته فى سبيل النصر المشترك ولو أصيبت بمرض وضمف يل لأنها أصيبت بمرض وضمف تستحق معاملة أجود من طرف الأمة الكبيرة — معنى انكساراً — التى كانت فرنسا دائماً صديقتها عظيمة الإخلاص والتجرد) وأكدت جريدة القجر لسان الحركة الجمهورية الشعبية أن مصر أرادت أن تستعمل قوتها خيداً على فرنسا .

وأما الصحف الإنجليزية والأمريكية فقد اهتمت كثيراً بالحادثه ووصفت تفاصيله وأشادت ببطل الريف وجهاده وجهته فى الشرق والمغرب ، وكان الحديث عنه فرصة عظيمة لنشر الحالة فى مرا كش ومقدار الاستياء الذى يعمها ، وقد استغله عزام باشا حينما كان فى أمريكا للتنديد بالعمل الفرنسى فى الشمال الإفريقى ، كما استفاد منه مبعوث الحركات الاستقلالية الأستاذ المهدي بنونة فى المدة التى أقامها بأمريكا .

وأما الصحف الإسلامية فى الهند والصين وتركيا فقد تضامنت مع مصر فى

موقفها ، وأبدت نقطة الصحف الموجودة في السياسة الفرنسية ، وقد كتبت جريدة (وقت) تقول : هل اتخذ عبد الكريم هذا الموقف ليحيا حياة هنيئة في ظل الجامعة العربية ، أو أن عمله هذا جزء من برنامج يهدف من خلاله زعماء المغرب الموجودون في مصر إلى الذي لا شك فيه أن الفرنسيين الذين هم منشأ مشاكل التفرقات الفرنسية ، لكن موقف فرنسا من الوحدة القانونية صعب جداً ، هل يوجد قانون فرنسي يلزم عبد الكريم أن يقيم بفرنسا بملء الحرية في تحريرها ، وإننا نرى أن من مصلحة فرنسا أن لا تترك أمصاها تتوتر ، بل أن تبحث عن حل لمشاكلها في صيغة من شأنها الدوام . وفي حالة ما إذا لم تعمل بهذه الصيغة فإنها ستجد نفسها أمام عديد من المشاكل ، في حين أن عندها من هذه الحالة كل ما يمكن)

وطبعاً أن هذه الموجة الشديدة التي غمرت الصحف الفرنسية والأوساط الحكومية لم تلبث أن أخذت تنفث : إذ أدركت الحكومة الفرنسية ضعف موقفها ، فلم يزد وزير الخارجية على أن صرح في البرلمان الفرنسي باعتبار عبد الكريم خائناً لوعده الذي نلزمه التقاليد والأوامر الإسلامية باحترامه ، ولكن البطل الريف صرح غير مرة بأنه لم يرتبط قط بوعده ما نحو الحكومة الفرنسية ؛ لأن اعتقاله لم يكن باختياره .

والحق أنه لم يكن من اللائق بفرنسا أن تقف مرقفاً العنيف ضد الحكومة المصرية التي لم تقم إلا بما يجب عليها عقلاً وديناً وعرفاً فهو مظلوم عربي التبعاً إليها واحتسب بمحتقن منكمه ، ولم يترك رؤساء الدول في القديم والحديث يتنافسون في ذلك الأسرى ومساعدة المفسكين وإيواء اللاجئين ، ولعبت التقاليد المسيحية في هذا المعنى بأقل من التقاليد الإسلامية .

والذي ينظر للماضى القريب يجد أن فرنسا نفسها مفتحة الأبواب قديماً وحديثاً لكثير من اللاجئين السياسيين من روسيين وألمانيين وإيطاليين وغيرهم ، وأن الفرنسيين يفتخرون بذلك في كل المناسبات ، وينص دستورهم

على احترام حق الالتجاء في المناطق التي يرفرف عليها العلم الفرنسي ، وإذا كانت الروح الاستعمارية والرغبة في كبت أبناء المستعمرات ومنعهم من كل وسائل التعرُّد قد أثرت على كثير من رجال فرنسا حتى أصبحوا يعملون على مخالفة قوانين بلادهم وتقاليدها فليس مما يحمي الكرامة الفرنسية أن تقرر الحكومة والبرلمان الفرنسيان رسمياً في موقف ينسحب على مصر قيامها بعمل تعتبره القوانين والمبادئ الفرنسية واجباً نبيلاً ، وإذا كان أبطال فرنسا مثل دي جول وجيرو وغيرهما من رجال المقاومة يفتخرون بأنهم استطاعوا الانتصارات من قفص المعتقل الألماني فكيف يعتبرون عبد الكريم ذاتاً لا شيء إلا لأنه رفض أن يستمر في الاعتقال بعد أن أُرغم عليه ٢١ عاماً.

ولو أن المسيو بيدو فكر قليلاً في الظروف التي استسلم فيها عبد الكريم لاصترف بأن الولاة الاستعماريين الفرنسيين هم الذين لم يفوا لبطل انقرب ، فإنه لم يستلم إلا بعد مخاضات بينه وبين ممثلي فرنسا العسكريين والمدنيين انتهت بأن أعطته الحكومة الفرنسية الأمان التام على نفسه وعلى أهله ، وفرنسا في موقفها ذاك لم تكن تدعي غير تنفيذ رغبة سلطان المغرب الذي حاربت عبد الكريم بدعوى أنه ثار عليه وخرج عن طاعته ، وإذن فقد كان واجباً عليها أن تحترم العرف المغربي والتقليد العسكري للبلاد فيما يخص الأمان ، وذلك يقضى بعدم اعتقال المؤمن بحال ، بل بإطلاق سراحه وتركه حراً بمجرد إنقائه السلاح ؛ لأن تقاليدنا تقضى بأن الذي تنزل على شرط الأمان لا تملك الدولة عليه حكماً ، أما الذي استسلم من غير قيد ولا شرط فهو الذي يمكن أن يعاقب أو يعفى عنه بمقتضى ما يراه ملك البلاد صالحاً ، والدليل على هذا قول ابن هانيء متنبئ للغرب :

وما من أمان يوم ذاك تنزلوا ولكن أمان الفو أدركهم بعد
فبعد الكريم تنزل يوم استسلم عن أمان كما تعرف بذلك الوثائق التي
سجلها الفرنسيون أنفسهم ، ولهذا خال يشتكى دائماً من عدم وفاء فرنسا معه

وإخلاصها له ، وهما يكن الأمر فإنه ليس من الإنسانية أبدا أن تلوم أحدا
 يبحث من الخلاص من السجن ، والتحرر من القيد ، ونحن نعلم أن المصفر
 لا يبقى في القيد إذا انفتحت أمامه الأبواب .

تأسيس لجنة تحرير المغرب العربي :

لم يكن اعتقال ٣١ عاما في جو البلاد الحارة وفي دائرة الضغط الاستعماري
 العظيم بالذي يضغط من عنيزة بطل المغرب وصنوه الكريم ؛ بل لقد خرجا من
 هذا المني وهما أشدهما يكونان عنيزة واستعدادا للعمل ، ولقد وجدا من تجمع
 ممثلي الحركات الاستقلالية في المغرب العربي مشجعا على العمل على توحيد
 الصفوف وتنظيم الجهود ، ولقد ظلت الحركات المغربية تتعاون في أطوار التنسيق
 والتوحيد المختلفة حتى تكون مكتب المغرب العربي الذي يعتبر من أكبر
 المظاهر لرغبة أبناء المغرب في التعاون على تحرير أوطانهم الثلاثة التي توحد بينها
 اللغة والدين والجنس والتاريخ والجغرافيا ووحدة المستعمر والأمال في التحرر منه
 ولقد وصى مؤتمر المغرب العربي المنعقد بالقاهرة في فترة (ب) من المدة الثانية
 من فصل تنسيق الحركات الوطنية هي (تكوين لجنة دائمة من رجال الحركات
 الوطنية مهمتها توحيد الخطط وتنسيق العمل لكفاح مشترك) ، ولقد خطرت في
 تنفيذ هذه التوصية خطوة أولى أثناء وجودي بباريس حيث كونا لجنة اتصال
 بين الاستقلال والجمهور وحزب الشعب ، فلما نزل البطل الريفي بالقاهرة انجبت
 أنظارنا جميعا لتحقيق هذه التوصية بكيفية أوسع تحت رئاسة زعيم المغرب العربي
 وبجاءه الأول ، وقد كان في الدعوة التي وجهها البطل نفسه للأحزاب المغربية
 ميسرا لتحقيق هذا الأمل ، ولم يكن هنالك مخلص إلا وأبدى استعداده لهذا
 النداء الصادق والرغبة النبيلة .

ولكن الأمر احتاج إلى جهودات لتوحيد وجهة النظر فيها يرجع للخطط
 التي ينبغي أن تسير عليها أحزابنا في الداخل والخارج ، وقد كان الحزب الاستقلال

أن يتعمك بالفكرة التي انتهى إليها وهي ضرورة الاتفاق من أجل الاستقلال قبل كل شيء ، وبعد مدارلات ومناقشات عديدة انتهينا لنأية موافقة هي تأسيس (لجنة تحرير المغرب العربي) من كل الأحزاب التي تقبل مبادئنا وتعمل وفق حطتنا .

وفي يوم التاسع من ديسمبر سنة ١٩٤٧ تم إقرار القانون الأساسي للجنة ، وتكون مكتبها للوقت على ما يأتي :

الرئيس محمد بن عبد الكريم الخطابي
وكيل الرئيس محمد بن عبد الكريم الخطابي
الأمين العام الحبيب أبو رقيبة (المستور)
أمين الصندوق محمد ابن أعهود (حزب الإصلاح)

وقد انتخب الأمير رئيساً بصفة دائمة ، وأخوه وكيلاً لرئاسة بصفة دائمة أيضاً ، أما الأمين العام وأمين الصندوق فقد انتخبا لمدة ثلاثة أشهر ، وقد بث رئيس اللجنة للأحزاب المغربية كتاباً يشرح فيه بالتأسيس ، ويطلب مصادقتهم الرسمية وتعيين ممثلهم ، وتقرر لإعلان اللجنة يوم ٥ يناير سنة ١٩٤٨ .
وفي اليوم المحدد وزع البطل الريني وثيقة التحرير على الصحافة العربية والأجنبية التي خصصت لها مكاناً ممتازاً ، وأبدت بها ترحوباً كبيراً ، كما وزعت الأمانة العامة لحزب الاستقلال في الوقت نفسه بياناً بتأسيس اللجنة وأعضائها أذاعته صحف الأحزاب المغربية في الشمال الأفريقي كله ، وهذا نص البيان الذي أذاعه الأمير عبد الكريم :

« منذ أن من الله علينا بإطلاق سراحنا والتجأنا إلى مساحة الفاروق العظيم ، ونحن نواصل السعى لجمع كلمة الزعماء وتحقيق الائتلاف بين الأحزاب الاستثنائية في كل من سراكش والحزائر وتونس بقصد مواصلة الكفاح في جهة واحدة لتخليص البلاد من ربة الاستعمار .

وفي هذا الوقت الذي تعمل فيه الشعوب على تعالين مستقبلها وتنطع فيه

أقطار المغرب العربي إلى استرجاع استقلالها المنصوب وخربتها للصامة يتحتم
 هل جميع زعماء المغرب أن يتحدوا ، وعلى كافة الأحزاب الاستقلالية أن تتآلف
 وتتساند ؛ إذ أن هذا هو الطريق الوحيد الذي سيوصلنا إلى تحقيق غاياتنا
 وإدراك أماننا .

وإذا كانت الدول الاستعمارية على باطلها تحتاج إلى التساند والتعاقد لتثبيت
 سيطرتها الاستعمارية فنحن أحوج إلى الاتحاد وأحق به من أجل إحقاق الحق
 وتقرير أركان الاستعمار الفاسم الذي كان مكبة علينا ، تفرق كلمتنا ، وحزاً
 بلادياً ، وابتز خيراتنا ، واستحوذ على مقاليد أمورنا ، ووقف حبر عثرة في سبيل
 تقدمنا ورقينا ، ثم حاول بكل الوسائل أن يقضى على جميع مقوماتنا كأمة
 عربية مسلمة .

ويسرني أن أعان أن جميع الذين خابرتهم في هذا الموضوع من رؤساء
 الأحزاب المغربية ومددو بيها بالقاهرة قد أظهروا اقتناعهم بهذه الدعوة واستجابتهم
 لتحقيقها وإيمانهم بهائمتها في تقوية الجهود ، وتحقيق الاستقلال المنشود .

واقده كانت الفترة التي قطعتها في الدعوة للائتلاف حيراً وبركة على البلاد
 فاتفقت مع الرؤساء ومددو بي الأحزاب الذين خابرتهم على تكوين (لجنة تحرير
 المغرب العربي) من سائر الأحزاب الاستقلالية في كل من تونس والجزائر
 وسراکش على أساس مبادئ الميثاق التالي :

(أ) المغرب العربي بالإسلام كاث ، وللإسلام عرش ، وعلى الإسلام
 ميسير في حياته المستقبلية .

(ب) المغرب جزء لا يتجزأ من بلاد العروبة ، وتساووه في دائرة الجامعة
 العربية على قدم المساواة مع بقية الأقطار العربية أسراً طبعياً ولازم .

(ج) الاستقلال المأمول للمغرب العربي هو الاستقلال التام لكافة
 أقطاره الثلاثة (تونس والجزائر وسراکش) .

(د) لا غاية يسعى إليها قبل الاستقلال .

(هـ) لا مفاوضة مع المستعمر في الجزئيات ضمن النظام الحاضر .

(و) لا مفاوضة إلا بعد إعلان الاستقلال .

(ز) للأحزاب الأعضاء في (لجنة تحرير المغرب العربي) أن تدخل في محادثات مع ممثلي الحكومة الفرنسية والأجنبية على شرط أن تطلع اللجنة على سير مراحل هذه المحادثات أولاً بأول .

(حـ) حصول قطار من الأقطار الثلاثة على استقلاله التام لا يقطع عن اللجنة واجبها في مواصلة الكفاح لتحرير البقية .

هذا هو الميثاق الذي قطعنا على أنفسنا للمهد بالسير على ضوئه ، والعمل بمقتضى مبادئه ، وقد وافقت عليه أنا وشقيقي محمد ، كما وافق عليه رؤساء الأحزاب للثلاثية ومندوبوها :

الحزب الحر المستعمرى التونسى القديم .

» » » » » الجديد

حزب الشعب الجزائرى .

» الوحدة المغربية .

» الإصلاح الوطنى .

» الشورى والاستقلال .

» الاستقلال .

وقد كتبنا لبقية الأحزاب الأخرى نطلب موافقتها النهائية على تكوين اللجنة والمصادقة على ميثاقها وتعيين مندوبيها في اللجنة بصيغة رسمية ، ومنذ الآن ستدخل قضيتنا في طور حاسم من تاريخها ، وسواجه المتصمين ونحن قوة متكاملة تتكون من خمسة وعشرين مليوناً كلها مجمعة على كلمة واحدة ، ونسعى لغاية واحدة ، هي الاستقلال التام لكافة أقطار المغرب العربى .

وسنعمل على تحقيق هذه الغاية بكل الوسائل الممكنة فى الداخل وفى الخارج كلما استطعنا إلى ذلك سبيلاً ، وإن يجد المستعمر بعد اليوم منعزلاً لتقييد

عرائعنا وإيقاع الفتنة بيننا واستئلال تعدد الأحزاب وتفرق الكامة لاستعبادنا وتثبيت أقدامه في بلادنا .

فنحن في أقطارنا الثلاثة نعتبر قضيتنا قضية واحدة ، وواجه الاستعمار متحدين متساوين ، ولن يرضينا أى حل لا يحقق استقلالنا التام وسيادتنا التامة ، على أننا نأمل أن يعمل الفرنسيون والإسبانيون على إصافنا دون أن يجثروا على إراقة الدماء ، وأن يكونوا قد تيقنوا من تجاربهم السابقة من أن استخدام القوة والبشر للاحتفاظ باستعمار أوطاننا وإسكات صوتنا عن المطالبة بالحرية والاستقلال أصبح لا يمدى شيئا ، وأن من الخير لم أن يسارعوا إلى فك أغلالهم الاستعمارية بطريق التضام بين الجانبين ، وتقدير مصالح الطرفين .

أما إذا تكبروا هذا الطريق فسيكونون المسؤولين عن تغيير خططنا ؛ لأننا لن نتأخر — إذا نحن نئسنا من استرجاع استقلالنا بطريق التضام والإقناع — عن استرجاعه بطريق التضحية وبذل النفوس .

واننى إذ أعلن عن تكوين (لجنة تحرير المغرب العربى) أتوجه إلى الشعوب المغربية بتحتى راجيا من الله العلى التقدير أن يوفقها فى كفاحها ويقوى لباتها ويلهم اتحاد كلمتها .

كما أتوجه إلى الشعوب والدول العربية بالتضحية والشكر على مناصرتها نصية للمغرب العربى ، ولا يخالجنى شك فى أنها مستقبل تكوين هذه اللجنة بالمؤازرة والتأييد والترحيب .

ويسرنى فى الختام أن أحيى إخواننا مجاهدى فلسطين الشقيقة ، داعيا لهم بالنصر والنصر ، ومؤكدا لم تضامن الأقطار المغربية معهم ، وحرصا على اتخاذ جميع الوسائل الممكنة للاشتراك فى إنقاذ بلادهم والمحافظة على عروبتهم ووحدةها .

واند قامت اللجنة فى أشهرها الأولى بتنظيم نفسها ووضع لائحتها الداخلية

وتأسس اللجان الفنية ، كما قامت باحتضان لجنة الدفاع عن شمال أفريقيا بدمشق
وجمعية الدفاع عن المغرب العربي ببيروت ، وواحد أعمالها بتقديم مذكرات
للجامعة العربية التي أخذت تتبادل وإياها رسائل الأخذ والرد في المسائل
العربية ، ومذكرات وعرائض الأمم المتحدة ، وبذلك جهوداً في خدمة
القضية الفلسطينية .

وفي ١٠ مايو سنة ١٩٤٨ عقدت جميعها الصامه ، وبعد أن استمعت
للمسؤولين في المكتب الوقت عن أعمالهم قامت بالانتخاب العادي للسنة الحالية ،
فأسفر التصويت عن النتيجة الآتية :

عزالقاسي الأمين العام للجنة

الحبيب ثامر أمين الصندوق

هذا مع العلم بأن البطاين بنيا في مركزهما طبقاً للقانون التأسيسي الذي يمين
الأمير محمد رئيساً دائماً للجنة وشقيقه وكيلاً دائماً له .

الجنرال جوان وسياسته

لقد كانت الأحداث التي واجهت نعيمين الجنرال جوان في المغرب ، وبالأخص نزول البطل عبد الكريم بالقاهرة ، مشوشاً على الخطة التي كان يريد تنفيذها بالمغرب ؛ فقد كان حديث الصحف عن عبد الكريم فرصة لتوجيه الأنظار في العالم كله إلى مراکش ، ولقد كتب لي بعض الإخوان من باريس يقول إن توالي الحوادث أفقد رجال السياسة المغربية من الفرنسيين بدايتهم ، وهذا صحيح إلى حد ما ؛ فقد دخل الجنرال جوان المغرب وهو مضطرب لتريث قبيلاريتا يتجلى الموقف الذي جعلته أعمال القاهرة كثير الإيهام ، ولم يكن في نزوله بالدار البيضاء وزيارته لجلالة السلطان شيئاً غير صادم إلا من جهة بعض المراسقات الرمزية التي تبادلتها الماهل للتربوي ومثل الجمهورية الفرنسية ، خصوصاً فيما يرجع لمشروعية الأمل أو عدم مشروعيتها طبق ما لذ لمقيم الجديد أن يؤكده بحزم ، ولقد وقف الشعب للتربوي من الجنرال موقف المتحفظ ، ولم يعاير له الوطنيون أدنى رغبة في الاتصال أو للمقابلة على الرغم مما حاوله بعض أصدقائنا الفرنسيين الذين قدموا من باريس — مما يظهر — خصيصاً لإقناع اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال بضرورة الاتصال بالجنرال جوان والإطاحة على حسن نواياه .

وقد كان الأسلوب الذي اتبعه الجنرال في خطبه وتصريحاته أسلوب تهديد عالى لم يلبث أن أظهرت قيمته للجمهور الذي لم يجد فيه أكثر من كلام شديد اللهجة ، ولكنه عديم الثبوت ، وإذا نحن أردنا أن نحلل النية التي دس إليها المقيم العام من مجموع كلامه وأعماله وجدنا أنه أراد العمل :
أولاً : على تثبيت قيمة عقد الحباية الفرنسية وتأكيده مشروعيتها .

ثانياً : تثبيت دعائم السلطة واحترام نفوذها .

ثالثاً : فصل مراكز عن الشرق العربي وتوجيهها الوجهة الغربية أى الفرنسية إجابة عن تصريحات طليحة .

رابعاً : مقاومة الوطنية للفرنسية والعمل على استغلال الضعف الإنساني بهكرين فئة تتعاون معه .

خامساً : التاويل بانقلاب في نظام الغرب والترويج به بعض إصلاحات سطحية .
وقد كانت التقطعات الأوليان في مقدمة ما اهتم به الجنرال جوان ، ويظهر رأيه الصريح فيها في الخطاب الذي ألقاه يوم ٣٠ يونيو سنة ١٩٤٨ حين قال :
(إن هالك معاهدة أمضيت هنا بين البلدين ، وهذه المعاهدة يجب أن تحترم ؛ لأنها ما زالت قائمة ، وهي تكلفنا بالقيام في هذا البلد بمهمة الإصلاح والسير بالغرب نحو التقدم الاجتماعي والمادى بصفة تستجيب النهاية السعيدة لتطوره ، والحماية كما قلناه وكررت ولا أخشى أن أردده هي شكل قانوني يجب أن يتطور في تطور هادى ، حذر وحكيم ومنجز في دائرة النظام) .

(إن للغرب ليس في ملتقى الطرق ، حقاً إنه إزاء مجموعة من الأفكار والآراء ، ولكنه في طريق واحدة ؛ الطريق التي وضعه فيها ليوطى أستاذي المحترم منذ خمس وثلاثين سنة ، وليس هنالك بيننا إلا خلاف يسير ؛ فقد حث المصير سيرة بنا تأخر الثاني ؛ فيجب أن يجمع قوتنا ونذهب معاً ، الحماية ليست إلا شكلاً قانونياً ملحق على الغرب في وقت كان مليشاً بالقوضى ، لكن يلزم أن تتحول شيئاً فشيئاً إلى عمل اجتماعي وإنساني ، وإلى عمل سب وتقارب بين الشعبين) .

(والوصول لهذه الغاية يجب تصديق الإصلاح الذي تختص باقتراحه ، ولكن لا ينفذ إلا بموافقة جلالة السلطان ، وهذا ما يسير بنا سيراً طليحياً نحو شكل عقد ثان ، ولكن بعد تطور حذر وحكيم ومنجز دائماً في دائرة النظام) .

وإذن فالحماية بالنسبة للجنرال جوان شيء قائم الذات شرعى ولكنه غير

دائم ، ولتنبيهه بمقد جديد يلزم الاستمرار فيه حتى نصل من طريق الإصلاح الذي يقترحه هو ويصادق عليه لك إلى أعلى درجات التطور ، وحينئذ يتبدل بمقد جديد ، لكن ما هو هذا المقد الجديد الذي نسير إليه ؟ ذلك ما لم يقبله الجنرال جيران الآن ، ولكن بما فسر غير ما مرة باعتبار المغرب دولة مشتركة في دائرة الاتحاد الفرنسي . وهكذا نجد أن الطريق الذي يشاهد الجنرال فيها المغرب ليست على ملتي طرق عديدة قطعاً ، ولكنها ليست هي طريقا نحن المضاربة ، فسيبيله هي طريق ليوطي ؛ طريق إدماج الشعبين أو توحيدهما ضمن الطائفة الفرنسية ، وطريقا نحن هي سبيل التحرر الكامل والاستقلال التام . ولكن هل الحماية وخطتها ليست في السبيل التي تسلكها الدولة لشريفة أيضاً ؟ لأن هذه الحكومة احتضنت الحركة الاستقلالية بنفسها ، ولأن ملكها الذي يجب أن يصادق على مقترحات الإصلاح الفرنسي أصبح يهتم بتوجيه هذا الإصلاح الوجهة التي يسير فيها الوطنيون ، وهي لا تؤدي إلى روما وباريس قطعاً ، وهي تؤدي لمكة والقاهرة ، وهذا ما يشتكي منه الجنرال جيران في خطابته الذي ألقاه في يوليو سنة ١٩٤٧ : (في البلدان السامية بعد الحاج الذي أحدثته عدة مظاهرات سياسية (يعني مظاهرات طنجة) يجب أن نزيل كل إهمام ، ونؤكد استمرار شرعية عقد الحماية الذي هو الأساس لكل علاقة فرنسية مغربية ، ولكن من التريب أن الحكومة الشريفة لكي تظهر بشخصية أقوى أمام بعض الماقيين اكتشفت على نفسها ، وأدى بها الحال إلى إظهار أشياء معينة ، والسلوك في طريق معوجة ؛ أشياء معينة فيما يرجع لمعنى المهمة التي تحملها فرنسا في هذه البلاد ، مبتعدة عن النظرة الصحيحة للواقع التي في العالم الغربي الذي يتحكم في تطور المغرب وحتى في وجوده .

إن المغرب قد وجد الطريق الذي وضعه فيه المارشال إيهو ، وسيسير بغير تأخر وحول العرش للأزيد نحو مصيره الجيد ومستقبله العاظم الذي وعد به ، (وهنا يجد الجنرال الشجاعة الكافية للترويج بمقد للشاركة دون أن يستطيع

التصريح بالدعوة للاتحاد القرائي : (لكن يجب أن يعلم أنه في نهاية تطوره الذي أرجو أن يكون سريعاً ولكن حذراً حكماً سيبقى مرتبطاً بفرنسا التي تعطيه أحسن ما عندها بتقد مشاركة راسخة لا تتجاهل المصالح المشتركة والفوائد التي لا تنفصل من أجل طائفة مشتركة أيضاً) .

ولكن المحلات الوطنية تتوالى على خطب الجنرال وتصريحاته ، ومواقف الاستقلال تؤيد ثبات الملك في رفضه لكل إصلاح لا يتفق مع النية التحريرية التي يعمل لها الناربة ، ويحس المقيم العام بأن الوطنية المغربية شيء ثابت ، وأن الوطنيين ليسوا حملة صخرة كما كان يظنها ، وليس القضاء عليهم بالشيء البسيط الذي لا يكلف أكثر من التزوي بالكلمات المسولة وإلقاء القبض على مئات من الأسرار وإطلاق النار على الأبرياء ، والرأي العام الفرنسي نفسه غير قابل لاستمراء حطة كل ما فيها تأليب الجمهور للفرج بالحديد والنار حول جلالة ملك يطالب بالتحرر ومن ورائه حزب ينادى بالاستقلال ، ولقد حذر الملك من موقفه في الخطاب السابق إيضاحه في الطريق للمستقيمة حسبها خيل 4 ، فمن الواجب تحذير الوطنيين من موقفهم أيضاً والتلويح لهم بإمكان خلق وطنية معتدلة تناوئهم من بين إخوانهم ، فلنسمع إذن إلى الجنرال يتحدث عن الوطنية وقسبها المتعارف والمعتدل في فاتح يوليو سنة ١٩٤٧ (إنهم يتكلمون عن الوطنية المغربية ، إنني غير خضم لهذا الاتجاه ؛ لكن هناك وطنية ووطنية ، هناك وطنية معقولة تراوح المستقبل عن طريق التطور الذي هو مهمة فرنسا في المغرب بمقتضى عقد ما يزال قائماً ؛ تلك المهمة التي ينبغي تأكيدها ، لكن لهذا العقد حداً ، ومن الحفاقة الاعتقاد بأن الحفاة لا تنقضي ، وفي اليوم الذي يكون المغرب قد كون رجاله القديين والإداريين سيحل عقد جديد محل معاهدة سنة ١٩١٢ في شكل عقد مشاركة ، أعني معاهدة مبنية على المصالح ، ولن تكون هناك فائدة إذا افترقنا قبل أن يبلغ التطور مداه ، وإلا فإن البلاد تعبر للفوضى التي وجدناها بها) .

وهكذا فالوطنية التي يمكن أن تعطي بسط الجبرال ليست هي التي تطالب بالاستقلال الناجز ، وترفض كل تعاون على غير أسامه ، ولكنها الوطنية المعتدلة التي تتصرف بهمة فرنسا التمديدية في البلاد ، وتسير رويداً في الطريق التي عبرها المارشال ليوطي لتصل بنا إلى يوم تمتع فيه بالمشاركة في مائدة الاتحاد الفرنسي لناخذ من فرنسا أحسن ما عندها ، وهو المئوية الفرنسية والشعور بروح المواطن الفرنسي ، وحينئذ نكون قد خسرنا أحسن ما عندنا ، وهو الشعور بالمئوية المغربية والاعتزاز بروح المواطن المغربي .



وإذا نحن نظرنا لسياسة الجبرال من الناحية الواقعية وجدنا أول ما يلاحظه لتحقيق النقط التي أشرنا إليها هو محاولة الضغط على الملك وعلى الشيوخ المشروعات التي كانت موقوفة من جلالة السلطان ، والتي رأى الفرنسيون تريت جلالة في إتمامها أو إمضاء ملاحظات خاصة عليها نوع إغتياب من إصدار القهاتر التي تعودوا أن يستصروها بكامل السهولة قبل وصولها إلى القوم لمداها الحالي .

ولقد كان في مقدمة الأشياء الموقوفة مشروع البرانية العامة لموسم ١٩١٤ ، فقد كانت المادة أن يعادق عليها المصدر الأعظم ، ثم يطلع البعثات المرسلة على عمله فيمنضيه جلالة ، ولكن مولانا رأى هذه المرة أن يلجأ إلى التذكير لعدم الإمضاء قبل اطلاع جلالة على مشروع البرانية وتشاوره ، وقد كانت الإقامة العامة في رفض الوزير القوي لهذا الإمضاء شيئاً مدعته لم يندبر منه منذ ابتداء الحياة إلى اليوم ، وقد وقع سيدنا نصره الله على ملف البرانية بضرورة تشكيل لجنة مغربية لدراستها قبل المصادقة عليها ، وهذا في الحقيقة عدم اعتراف من جلالة بلجنة البرانية التي تشكل عادة بالإقامة العامة .

ولذلك فإن للسيو لا يون لم يبت في الأمر ، وبقيت للبرانية معلقة والحكومة تسير بميزانية مؤقتة ؛ فلما وصل الجبرال فرباط كان أول عمل قام به هو عرض

مشروع الليزانية من جديد على القصر ، قرر جلالة الملك أن لا يتعذر موازنة الإقامة الملمة على تعيين اللجنة المغربية ، بل حينها جلالاته ورأس اجتماعها بنفسه في قصره المامر ، وقد تأكدت اللجنة أن ليس في الليزانية شيء غير مادي خاصا فيما يرجع للشركات التي كان أسسها مسيو لاجون ولم يوافق عليها الملك ، وتتحوف جلالاته من أن يكون في الميزانية ما يشعر باعتراف ضمني بها ، ومع ذلك فقد صادق جلالاته على مشروع الميزانية ، وأصبح المصادقة برسالة تحفظ فيما يخص ثروة البلاد المادية .

وقد عرض على جلالاته المشروعات الأخرى المتعلقة بالمجالس البلدية ومجلس الشورى ، فوقف جلالاته عند موقفه الأول الذي سنعود للحديث عنه من بعد ، وهكذا فشل الجنرال جوان ولم يكتم فشله المعنوي في خطابه الذي ألقاه في مدينة مراكش في شهر يونيو نفسه ، فقد قال : (إنني إذا لم أتبع في سياستي فأساقول) .

وطبى أن يتبعه رجال الحماية بمد التبات الذي أظهره جلالة الملك إلى مقاومة شخصه الكريم ؛ فقد حاولوا المس من كرامته أمام الشعب ومعاكسته في إصلاحاته العظيمة الدينية والاجتماعية ، وعجلوا بزل خمسة من القواد الخلفيين الذين كان جلالاته راضيا عنهم كامل الرضي ، كما أخذوا يسيئون بعض الأفراد الذين لا قيمة لهم في المراكز المغربية برغم معارضة جلالاته ورفض رعائيه ، وسرعان ما أدى هذا التحدي إلى اصطدام حاد بين الحماية والشعب نذكر منه على وجه المثال حوادث زاوية سيدي الشيخ :

حوادث زاوية سيدي الشيخ :

حيث السلطة الفرنسية على قبائل زاوية سيدي الشيخ قائدا حديم القيمة اختارته من (جواشي) الإدارة الأهلية الذين اعتادوا الخضوع لرؤسائهم الفرنسيين ، وقد اجتهدت الناحية كلها على هذا التمييز فلم تكن المراقبة تجود

عليهم بأكثر من الوعد بإبلاغ شكائهم للمركز العليا ، ولكنها في الوقت نفسه شجعت القائد على نهج المشتكين والمصادمة معهم والاستيلاء على المواد التي اشتروها لبناء مسجد ومدرسة بالقرية واستعمالها في بناء مقر لسكانه لتخاص كما أجبرت القبيلة على الشغل لقائده وفائدة المراقبة في خدمة إجبارية من غير أجر .

حينئذ يمت رجال الداحية وقدأ يرفع شكائهم للمراجع العليا بالرباط ، وفي يونيو سنة ١٩٤٧ استدعت المراقبة مجلس الجامعة بقصد المذاكرة في الموضوع وبعد انتظار طويل من هؤلاء المدعويين وجدوا أنفسهم أمام مجلس من الضباط الفرنسيين من بينهم الكولونيل دارسيمول حاكم دائرة حنيفة ، وقد استدعت المراقبة أيضا شيوخ القبيلة الأربعة و لجنة بناء المسجد والمدرسة فوجه إليهم أحد الضباط كلاما معناه أنه وصله إذن في بناء للمسجد ، ولكن الجامعة أجهته بأن مسألة المسجد لم تعد تهمها الآن ، وإنما يهملها ذهاب القائد الذي لا ترضى في وجوده ما دام لم يصادق عليه ذلك ، ولم يكن من ذوي الكفاءة والمروءة ، ثم أمرت بتفصيل عن الاستقياا الحاصل في الناحية عن السياسة التي اتبعتها معهم إدارة الحماية ، فطلب الضباط الفرنسيون من المدعويين اختيار خمسة نواب عن كل شياخة للمفاوضة معهم في هذا الشأن ، فبين ممثلون أمربروا بأغليتهم الساجدة من معارستهم في تعيين القائد ، فرضت عليهم الإدارة قبول جلوس لمراقبة مكان القائد المذكور حتى يتخذ الحل النهائي ، فأجاب المثلون بأنهم لا يريدون تغيير جاش بمثله ، وحينئذ أمر بافتراق الاجتماع .

ولما خرج المثلون من المراقبة اتجهوا نحو الجمهور الذي كان محتشداً أمام الإدارة للتدخل مع مندوبيه ، وبينما هم يتحدثون في الموضوع إذ وصلت فرقة « قوم آيت إسحق وطابروا التصيية للانضمام للقوم المحليين » ، وقد اعتقلت السلطة خمسة من المثلين ووضعهم في سيارة نقالة ، فحاول الجمهور معاكسة السيارة والمطالبة باعتقالهم جميعاً مع ممثلهم ما داموا يصلون لاية واحدة ، فأطلق

أخوان الإدارة البار على المظاهرين الذين قتل منهم أربعة ، وجرح عشرة جرحاً خطيراً .

حينئذ أصدر الكولونيل الأمر « القوم » بالدخول في الحركة ، ولكن « القوم » رفضوا تنفيذ الأمر وإطلاق النار على إخوانهم ، وقد استمرت المناوشات في الناحية بصمة أسابيع أسفرت عن عديد من القتل والجرحى ، وتبين للجنرال أن فرق « القوم » التي كانت تطوعه في جهال إيطاليا غير مستعدة للمغامرة معه في محاربة إخوانهم ومقاومة الوطنية غير الحكيمة في نظر الجنرال جوان .

محاولة تخریب كلمة الشعب

وعند الجنرال جوان إلى محاولة إحياء (الطرق الصوفية) التي قضت عليها حركة الإصلاح الديني أو كادت ، فحرب إليه الشيخ عبد الحى الكتاني الذي كانت شخصيته الكبيرة لأخته وولاده ودينه وملكه من الأسباب الكبرى لفشل الدعوات الطرقية كلها ، وبما أن جلالة الملك كان أخصر ظهيراً يحرم فيه تأسيس طرق جديدة ، أو قبول بعض المشايخ القدماء بنير إذنه الخاص ، كما يعطى لجلالته الحق في حل الطرق التي يثبت عليها التمسك عند الدين ومصلحته وبما أن الإظمة العامة كانت قد مانعت في المصادقة على هذا الظهور ولم تسمح بصدوره في الجريدة الرسمية ، وإعازة رزاه جلالة وأسا وكتب للقواد بأسرهم بالعمل بمقتضاه ، فقد أراد الجنرال أن يما كس جلالاته ، فاستقدم إليه الكتاني ومن على شاكلته وعرضهم رسمياً بأن الهدية لا تمنعهم من التجول أين يشاءون ، لينشروا الدعوة لعارهم ، لأن فرنسا نصيرة لحرية الاعتقاد والتفكير ، وضلا ذهب هؤلاء المسخرون يتجولون من غير استئذان ملكي ، وكانوا يحدون من المراقبات الفرنسية كل تنشيط وتشجيع ، ولكن جلالاته احتج رسمياً على تصرف التقيم العام بلهجة شديدة ، وتضامن الشعب مع ملكه فلم يخضع لإهراء

المراقبات ، بل قام هذه مظاهرات تذكر منها على جهة المثال ما جرى للشيخ
الكتاني في قبيلة زمور التي كانت تعتبر إحدى المراكز الكبرى للطريقة
الكتانية ، جمت المراقبة أشيع الطريقة الندماء ، وقدمت إليهم الكتاني
الذي وزع عليهم سبطاً جديدة مقابل خيرية خاصة ، ثم افترقوا ونال الشيخ
في سرادقه الرسمي محاطاً بحرس المراقبة ، وبعض أشيائها ، ولكن ماراه
وقد احتفظ في الصباح إلا عشرات من الكلاب في أعناقهم السبع وهم يذهبون
وكانت تلك كسر حلقة لرحلته هذه التي رجع فيها مندحراً مهزوماً كفاً ،
ثم فر لتونس والجزائر حيث لم تقتصر السلفية بعد انتصارها في المغرب الأقصى .
وربع الجبال جوان من إجماع الأمة المغربية على مقاطعته والإعراض
عن سياسته ، وأخذت إدارة الشؤون الأهلية تدبر مكائدها ، وتوزع منشورات
ادعت أنها من حزب جديد يسمى بحزب الوحدة الإسلامية تحذر فيها الشعب
من (حزب الاستقلال) ومن السياسة التي يتبناها جلالة الملك نحو فرنسا ، تلك
السياسة التي تعد من قبيل نكران الجليل ، ولقد كنت كمتبت عن هذه المحاولة
مقالاً في جريدة (الكتلة) الفراء التي تصدر في القاهرة مثلت فيها على الإقامة
العامة بما يحكي من حجام سباط الذي فقد الزبائن فأخذ يحجم كل يوم لأمهسني
قتلها ، والحقيقة أنه لا يوجد هناك حزب للوحدة الإسلامية ولا غيره له مخ يتقبلون
على هذه الخزعبلات أو يدعون للوحدة الفرنسية وأضربها ، وقد تطورت أساليب
الشؤون الأهلية إلى أن أصدرت نشرات منتحلة تمس فيها الملك والأسرة بالملك ،
كما ستحدث عنه فيما بعد .

ويظهر أن الإقامة العامة اقتنعت بأن محاولة التفرقة عن طريق السلفية
والرجعية الدينية لم يبد لها محل بعد انتصار روح السلفية وانتشارها في أنحاء
البلاط ، وبعد أن سقط المشايخ الأدعياء بحياتهم مقطوعاً لا قيام بعده ؛ لأن الشعب
أدرك أن الوطنية المغربية هي التي تدافع عن الدين وتؤيده ، وأن هؤلاء التثمينين
لبسوا من التصوف ولا من الدين في شيء ، وإنما هم أداة مسخرة للمستمر

يستمدون منه قوتهم التي يستعملونها في استغلال الشعب وإبزاز أمواله واستعباده الاستعباد الروحي والمادي ، ولو كان هندهم بصيص من إيمان لما وقفوا موقف الحمايد أو للنفذ للسياسة البربرية التي أقبلت الحاكم الشرعية وحاولت القضاء على الإسلام في قسم كبير من تراب المغرب ، ولهذا فقد اتخذت الإقامة منهمجا جديدا هو محاولة الاتصال ببعض الوطنيين للمتدلين وتشجيعهم على اتباع خطة جديدة في السياسة تتنافى مع ما سبق أن اتفقوا عليه مع (حزب الاستقلال) ، وسعوا إلى إيلام ببعض ما وصل إليه اللقيم في هذا الصدد دون أن يتعرض للأشخاص أو لئال من الهيئات .

معارضة الوحدة الفرنسية :

وعلى الرغم من كل المحاولات فقد وقف المغرب بجمعه وقفة رجل واحد يعلن تضامنه التام في معارضة انخراط سراكش في الوحدة الفرنسية ، وقد صرح جلالة الملك في أحاديثه الخاصة والعامة بأن مصير المملكة الشريفة هو مصير الأم العربية الحرة ، وأن مستقبلها في دائرة الجامعة العربية وشعوبها ، وصرحت الأحزاب المغربية كلها مؤكدة معارضتها الشديدة لكل ما من شأنه أن يمس بالسيادة المغربية ، والمصير الحر للمغرب كدولة عربية مستقلة في دائرة الجامعة العربية ، ولقد كان في تصريح المصدر الأعظم الحاج محمد القري الصحافيين الفرنسيين أثناء زيارته لباريس في شهر يوليو سنة ١٩٤٧ الحجة القاطعة على أنه لا يوجد في سراكش أحد يفكر في قبول الوحدة الفرنسية ؛ لأن القري معروف من طرف الفرنسيين كصديق حميم ، وكأحد صنّاع الحماية الأولين ، والقى تحمل مسؤولية كل ما أقرته الحماية من نظام وتشريع خلال ٣٥ عاما ، ولقد أجاب للقري الصحافيين الذين سألوه من رأيه في الاتحاد الفرنسي : (ما هو هذا الاتحاد الفرنسي الذي يتحدث عنه كثيرون عنه دون أن يعرفوه ؟ رأيي أنه من المستحيل أن تشترك فيه سراكش لأنها دولة مميزة ذات كيان خاص ومقومات شخصية

ولذلك فليس من الممكن مطلقاً أن ننضم إلى مثل هذا الاتحاد النامض) . وما
 قاله المقرئ : (إنني لا أذكر — وقد توليت الوزارة طوال عهد الحياة الفرنسية
 في المغرب — أنه قامت أزمة بين الراكشين والفرنسيين ، بلقت مبلغ
 الأزمة الحالية) .

وهكذا سجل الجنرال جوان فشل الدبلوماسية العسكرية الفرنسية في محاربة
 إقناع الشعب المغربي بالانضمام للاتحاد الفرنسي .

معارضة إصلاحات الجنرال جوان

وأخيراً وبعد أن ملأ الجنرال جوان الدنيا خطباً وكلاماً ، وأشبع البلاد تهديداً وإيماداً قدم لجلالة السلطان مشروع الحكومة الجديدة ، أو ما سماه بإصلاح (الخزن) ، وقد استمرت المذاكرات والمراجعات بين الإقامة والتصرف زمناً غير قصير انتهت بتوقيع جلالة سيدي محمد لثلاثة مراسيم تتضمن تجديد نظام الحكومة ، وإدماج تمديدات في أعمال الإدارة المحلية العليا ، وتعيين خمسة مندوبين لرئيس الوزارة بدرجة وكلاء ودرجات للإشراف على أهم الإدارات أي المالية والزراعة والتجارة والأشغال العامة والإنتاج الصناعي والمناجم والبريد والتلفونات والتليفونات والشئون الإجتماعية والصحة العمومية ، وإنشاء منصب قضائي ليقوم بمبحث النصوص الخاصة بالقوانين واللوائح قبل عرضها على جلالة السلطان للموافقة عليها .

وينص هذا النظام على عقد مجلس الوزراء برئاسة جلالة الملك بكل رأي جلالة ضرورة ذلك ، بينما يجتمع أعضاء الوزارة بالمديرين الفرنسيين مرة في كل شهر تحت رئاسة رئيس مجلس الوزراء لمبحث المسائل ذات الأهمية العامة . وقال مراسل الاسيوشيتد برس : إن هذا القرار هو أول الإصلاحات الهامة التي ستحدث في المستقبل ، وإن الوزارة ستشمل عشرة من المراكشيين وعشرة من الفرنسيين ، وإن فرنسا ستحتفظ بمسؤولية الشئون الخارجية والدفاع ، وقال المتحدث بلسان الخارجية الفرنسية : إنه لا يضمن أن بركان سيؤسّس في المغرب الأقصى عاجلاً ، ولكن ذلك قد يحدث يوماً ما وإن فرنسا تريد أن تحول مراكش إلى دولة ديمقراطية حديثة ، وأن تزيد من مسؤولية المراكشيين وسلطتهم . وقد أذاعت وكالات الأنباء الفرنسية والأجنبية هذا الخبر ، وعافت عليه

صحف فرنسا بما يصوره إصلاحاً حقيقياً يتدرج بالمغرب نحو حكم ذاتي سريع ،
ولذلك تسجلت وضع المسألة عند نصابها فأدليت للصحف العربية ووكالات الأنباء
بالتصريح الآتي بعد يوم واحد من صدور المراسم المذكورة :

« في الوقت الذي تموج فيه مراکش بالجنود المتعددة ، وفي الوقت الذي يهزل فيه
القراد ويمتقل العاملون في مختلف الجهات ، وتطابق النار على سكان القبائل
المتبعة — يكثر الجنرال جوان من التعذرت عن تشريك الأهالي في الحكم ،
ومن الأتجاه الديموقراطي الذي يجب أن تسير فيه سياسة الحماية الفرنسية
في مراکش ، والسكى يثبت إخلاصه في هذا لتشريك يستصدر أمراً بعميين
بعض الشبان من قدماء الموظفين في مصالح كانت ولا زالت من اختصاص الصدر
الأعظم يعمل فيها بمعاونة كتابه المديدين ، أى إن كل ما هنالك هو إطلاق اسم
اللقب أو نائب الصدر الأعظم في هذه المصالح الجديدة على هؤلاء الشبان .

والذين يدركون حقيقة الإدارة الراكشية يعرفون أن للمصالح الإدارية
كلها تابعة للإقامة العامة ، وأن جميع الشؤون تدرس وتنفذ بواسطة الرؤساء
والمديرين الفرنسيين ، ثم ترسل إلى الإدارة الراكشية حيث تفرج للمشروعات
وتعرض على كاتب الصدر المختص ، وهذا ما لم يتغير إلى الآن .

وللعرف أيضاً أن جميع الملفات والوثائق الإدارية ليست في دار (الخزن) ،
ولكن في الإقامة العامة ، وفي الإدارة الشريفة التي يرأسها فرنسي ، وتعتبر
في نظام الحماية صلة الوصل بين المقيم العام والخزن ، فليس في تعيين خمسة موظفين
في مناصب جديدة غير ذر الرماد في السيون ، خصوصاً وأن مراسل الأسوشيتيد برن
قال إن هذه مقدمة لتكوين حكومة فرنسية عربية تتألف من عشرة من المراكشيين
وعشرة من الفرنسيين ، وهذا ما أعلن (حرب الاستقلال) رفضه مراراً نظراً
لكونه لا يتنافى فقط مع السيادة الراكشية بل حتى مع نظام الحماية الذي يعترف
لمراكش بشخصيتها وكيانها الخاص .

ومن اللازم أن نذكر أن هذا المشروع وما يلحقه من تأليف وزارة مشتركة

قد سبق أن عرضناه علينا مسيو لافون المقيم العام السابق وأعلمنا رفضنا له في ذلك الحين ؛ لأنه في الحقيقة شكل من أشكال الحكم المباشر الذي نسير عليه السياسة الاستثمارية في مراكش ، وما برح حزب الاستقلال متمسكاً بموقفه ، ويمتدح أن الاتجاه الجديد إنما هو خطوة في تنفيذ ما يسميه الجنرال جوان بالإصلاح الديمقراطي ، وهو تكوين مجلس شوري مشترك نصفه من المراكشيين ونصفه من الفرنسيين ، ومجالس بلدية وإقليمية كذلك ، وقد صرحت للمقيم السابق بمحضر أعضاء اللجنة التنفيذية للحزب وكاتب الحياة العام بأننا لا نقبل أبداً أن يصبح للجمالية الفرنسية أي حق في الإدارة ولا في الاستشارة ؛ لأنهم أجانب في بلادنا ولا يمكن أن نسمح لهم بأي حق من حقوق المواطن المراكشي ما داموا متمسكين بجنسيتهم الفرنسية .

فحماسة المقيم الجديد تريد أن تفتصب البقية الباقية من مظاهر وجودنا كأمة ذات سلطان ، وشعب ذي سيادة ، ولذلك فلا يمكن أن نحظى منا بنير المعارضة والمقاومة الناعنين ، أما التلويح لنا بالديمقراطية ، فلن يخذلنا نحن ولا أي مخلص من أفراد الشعب المراكشي من الحقائق الملموسة .

حزب الاستقلال لا يقبل أي حل لا يقوم على أساس الاعتراف بالاستقلال الكامل وتحرير الأمة من الحجز الأجنبي .

وفي الوقت الذي أدليت فيه بهذا البيان في القاهرة كانت اللجنة التنفيذية للحزب توزع بياناً في نفس المعنى ختمته بقولها : (وجعل القول أن كل عمل ينبغي في دائرة الحياة لن يحقق التطور المنشود ، وأن أول إصلاح حقيقي هو إلغاء الجمية وتأسيس حكومة مؤقتة تنظم انتخاباً حراً علماً لمجلس وطني يضع دستوراً للبلاد) .

وقد استدعت اللجنة التنفيذية بعد ذلك مجلس الحزب الأعلى لانهقد بالرباط في دورة استثنائية ، وبعد دراسة الحالة السياسية الحاضرة والاطلاع على البلاغ الذي أذاعته بواسطة الصحف وزارة الخارجية الفرنسية بتاريخ ٥ يوليو

سنة ١٩٤٧ وعلى خطب وتصريحات المقيم العام الجنرال جوان بمجلس شورى الحكومة ، وبمختلف المذنب المغربي تأكد لديه أن الحكومة الفرنسية تريد أن تدع سياسة الحكم المباشر التي خرقت بها نظام الحماية منذ تأسيسه وأن تعطى صيغة قانونية ؛ فإذا كانت الظواهر التي صدرت في الجريدة الرسمية بتاريخ ٤ يوليو تنص على مجرد تعبيرات بسيطة في نظام الحزن ، وعلى تعيين مندوبين تقتصر مهمتهم على الربط ، ولا سلطة لهم ولا نفوذ ، ولا تعطى للاجتماع الذي يعتقد شهوريا بين الوزراء والمديرين الفرنسيين صحيفة مجلس وزاري ، فإن بلاغ وزارة الخارجية يعتبر هذه الهيئة مجلسا وزاريا نصف أعضائه مغاربة ، والنصف الآخر فرنسيون ، ولا يشك أحد في أن الفرنسيين كانوا وسيبقون داخل هذه الهيئة الجديدة أصحاب الحل والنفذ .

كما تبين للمجلس الأعلى أن ما ترمى إليه الحكومة الفرنسية وإقامتها القائمة بالرباط هو التدرج بالمغرب نحو الاتحاد الفرنسي لإخفاقه بفرنسا والقضاء على شخصيته والحيولة بينه وبين تحقيق مطالبه واسترجاع استقلاله .
لذلك قرر المجلس الأعلى للحزب .

١ — أن ينبه الرأي العام المغربي إلى أن الإصلاح الذي يحقق التطور للنشود لا يتيسر إلا على يد حكومة مغربية حرة تتمتع برضى الملك وثقته ، وتستمد قوتها من الشعب بواسطة مجلس يمثل حق التمثيل ، وأن يوجه النظر إلى ما في السياسة الفرنسية الحالية من مناورات وتضليل يقصد به صد المغرب عن البحر في الطريق الرشيدة التي سنها صاحب الجلالة لشعبه الوفي في خطبه وتصريحاته في كل مناسبة ، ولا يفتي أن الانخداع بهذه السياسة يعتبر بمثابة انتحار وقضاء بجرم على وجودنا كأمة .

٢ — كما استنكر المجلس ما تدير عليه الإدارة الفرنسية من خنق للحريات العامة وعدم الاعتراف بالحقوق القابضة للعملة المغاربة والتضييق بهم وتشديد الرقابة على الصحف المغربية ، ووضع هرائيل جديدة للتجول والسفر داخل

للغرب وخارجه ، والتحرير من المستعمر بإظهار القوة في كل مناسبة ، واستقرار
المواطف بتصریحات عنيفة لا موجب لها إزاء شعب أعزل يدافع عن حقه
في الحياة بالطرق المشروعة .

٣ - كما قرر المجلس أن يحتاج الحزب بشدة على ملوك الحكومة الفرنسية
سياسة تتجاهل إرادة الشعب المغربي ومطامحه ، ولا تسير التطور العالي ، ولا
تتقرب للمواثيق الدولية التي شاركت فرنسا في وضعها والتزمت بتطبيقها ، ويعتبر
أن تلك السياسة التي تناقض وضعية المغرب الدولية مخالفة حتى نظام الحماية
المتلاشى الذي تدعى الحكومة الفرنسية التمسك به ، وعلى أنه لا يسمع لهذه
الحكومة أن تسعى - بدعوى إدخال إصلاحات على المغرب - إلى إغتيال
النضال على جوهريه السيد المغربي وكيان الدولة الشريفة بعد أن التزمت بحماية
وقد احتج المجلس لأعلى على ما في تصريحات ممثل الحكومة الفرنسية
بمغرب من مس بكرامة جلالة الملك المهابوب واحتقار الشعب المغربي ،
وأعلن المجلس الأسمى باسم الحزب بهذه المناسبة أمام الرأي العام الدولي
أن المغرب قطر عربي إسلامي ، صمم عزمه الأكيدة على نيل كامل حقوقه
واستقلاله واسترجاع مكانته بين الدول .

• • •

ومن جهة أخرى فإن تصريح وزير الخارجية الفرنسية ، وحديث وزير
وزارة فرنسا أحدثا في الرأي العام المغربي قلقا كبيرا ؛ إذ أصبح - وفق
ما يقتضيه كلام الوزيرين الفرنسيين - للديرون الفرنسيون في صفوف وزراء
الحكومة المغربية ، لذلك توجه وفد من ممثلي الصحف الوطنية للنصر العام
وقدموا لسكاتب مولانا الخاص يوم ٢٨ يوليو سنة ١٩٤٧ الرسالة الآتية طالبين
منه رفعها لجلالة الملك :

(بعد ما أذيعت عليها ٢١ يونيو سنة ١٩٤٧ المتعلقة بتعديل الحزب
الشریف نشر وزير الخارجية الفرنسية بلاغا في الموضوع بتاريخ ٥ يوليو سنة

١٩٤٧ ، وكذلك رئيس الحكومة الفرنسية ميسيو راماديه أدلى بتصريح يتعلق بالتنظيم الجديد ، وكل من البلاغ والتصريح لا يفتق مع مقتضيات الظواهر المذكورة في نصوصها الرسمية ؛ إذ تقضى هذه النصوص التشريعية بأن المندوبين هم ممثلون لسعادة الصدر الأعظم ، كما أنه لا يفهم منها أبداً أن المديرين الفرنسيين ارتفعوا المراتب الوزراء ، بينما يقضى بلاغ الخارجية الفرنسية وتصريحات ميسيو راماديه على حسب ما نشرته الصحف أن المديرين يعتبرون وزراء حقيقيين ، وأما المندوبون فهم مساعدون لهم .

وبما أن هذا التأويل أحدث اهتماماً كبيراً في الرأي العام الفرنسي ، وتأثيراً عظيماً في نفوس النخبة ، فإننا نرجو من جلااستكم أن تتفعلوا بتوضيح الحقيقة حتى تهدأ الخواطر وتطمئن الأفكار .

والجواب على هذا الطلب أصدرت الكتابة الخاصة بجمالة الملك ، بلاجا مؤرخاً في ٣١ من يوليو سنة ١٩٤٧ جاء فيه :

(في مثل هذه الأشياء لا ينبغي الاعتماد إلا بالنصوص التشريعية ، وعليه فإن منطوق ومفهوم الظواهر المتعلقة بالتعديل الحكومي كاملاً الواضح ، وقد اندهشنا نحن أيضاً كما اندهش الرأي العام الفرنسي لشكل التأويل الفرنسي ، خصوصاً ونحن نعلم أن الواضح والتسك بالمعاني من سمات الفرنسيين .

والظواهر الثلاثة لا تترك مجالاً لأي تأويل ، وأحسن تدقيق تعطيه هو تعليقها فنصوصها تقضى :

- ١ - بأنه قد زيد في عدد مندوبي وزيرنا الصدر الأعظم .
 - ٢ - بأننا نظمنا اجتماع وزرائنا تحت رئاسة جنابنا كلاً رأينا ذلك ضرورياً .
 - ٣ - بأننا نظمنا كذلك اجتماعاً شهرياً لوزرائنا بالمديرين الفعليين الفرنسيين لصلاحتنا الشريفة تحت رئاسة وزيرنا الصدر الأعظم .
- وعليه فالمديرون الفرنسيون بقوا كما كانوا في الماضي ، موظفين فنيين

الحكومة الشريفة ، ومن تحصيل الحاصل أن تؤكد كون للتدوين إغما م
يمثلون لوزيرنا الصدر الأعظم ، وإيسوا بمعاونين للمديرين الفنيين .
فليطمئن شعبنا المختص وليظل هادئاً ؛ فمن متيقظون بمون الله في حراسة
مصالحه ، ولن نجد راحة إلا في اليوم الذي يحل فيه شعبنا للسكان اللائق به بين
الأم ، والله الهادي إلى سواء السبيل .

مصطفى افران في ١٢ رمضان سنة ١٣٦٦ الموافق ٣١ يوليو سنة ١٩٤٧
وهكذا وضع صاحب الجلالة حداً للتناورات التي أرادت الديبلوماسية
المصرية الفرنسية أن تجربها البلاد نحو الداية التي فشل فيها مسير لابون من
قبل ، وهي تكوين حكومة مشتركة ، مع أن الأمر لا يزيد على إعدادات
مناصب جديدة ، وتحديد للاجتماع الذي كان ألقى لمجلس الوزراء أمام جلالة
الملك ، واجتماع الوزراء بالمديرين الفنيين للاستشارة بأرائهم فيما يرضى داخل
الشهر من مشروعات .

على أن هذا الإصلاح البسيط المزيل نفسه ظل حبراً على ورق ؛ فلم يشترك
هؤلاء للتدوين في أي عمل حقيقي ، بل ظلوا كما كانوا من قبل — وكما تنبأ به
بلاغ حزب الاستقلال — كليات مهله ، وظلت السلطة كلها في يد الولاة
الفرنسيين يصرفونها كيف يشاءون . ولقد شهد هذا واحد من هؤلاء للتدوين
هو الأستاذ الكبير السيد عبد السلام القاسي نائب الصدر الأعظم في المعارف
السومية ؛ فقد صرح لمراسل الفيغارو بما يأتي : إنه لا قيمة للمنصب الذي أشغله
الآن ؛ فقد صدرت للرئيس الجديدة بشأن الإصلاح الوزاري ، ولكن لم يتخذ
مقتضاها أي إجراء ، فليتنا أن ننتظر ما سوف يحدث في المستقبل .

ونقول نحن بعد أن مضت سنة كاملة على هذا الإصلاح المزعوم إن (تدار
لتمان) ما تزال على حالها ، وإن الحكومة للفرية ما تزال حيازة من هيئة
لا اعتراف لقرراتها ولا نفوذ لرجالها ، فإن المدارس التي تأذن مندوبية للمارف
بفتحها وتعين لها الأساتذة الأكفاء تكون محل تدابير زجرية تؤدي إلى إتمامها

من طرف المراقبة الفرنسية ، والوظائف الذين تعزلم الصدارة العظمى تعود الإقامة العامة فتوايهم بالرغم منها ، ومع ذلك يزعمون أن الجنرال جوان حل بالمغرب ليجدد الحكومة الشريفة أو يسير بها نحو تطور عمري يحفظها من الحكومات الديمقراطية الكبرى .



أما الإصلاح الثاني الذي عرضة الجنرال جوان لمصادقة جلالة الملك فهو تكوين مجلس شعوري مختلط ، نصفه من المناربة ونصفه من الفرنسيين ، مع إعطاء الفرنسيين حق الانتخاب الحر المباشر ، وإعطاء المناربة حق الانتخاب من فوجتين .

ومن المعلوم أن ما يسمونه بمجلس شعوري الحكومة لم تصادق على تأسيده الحكومة الشريفة قط ، وأنه كان يشمل على ثلاثة أقسام : قسم فرنسي يتركب من مندوبي المصالح العامة ومندوبي الغرف التجارية والفلاحية والصناعية الفرنسية ، وقسم ثالث انتخباني يختار من الجالية الفرنسية ، وقسم مغربي وكان كله معينا من طرف الحكومة ، فالمشروع الأخير يرمي إلى تكوين مجلس مشترك نصفه من المناربة الذين يمثلون من طرف الحكومة ومن طرف الغرف التجارية والمختلطة ، ونصف من الفرنسيين يمثلون بانتخاب مباشر من طرف السكان الفرنسيين بالمغرب الأقصى ، وهذا هو المشروع الذي سبق أن رفضناه للمقيم العام لابون ، كما سبق أن رفض المصادقة عليه مولانا أيده الله ، فلم يكن من المقبول أن ينتج الجنرال جوان فيما فشل فيه من قبله ، ولذلك فإن سيدنا نصره الله رفض إعطاء الفرنسيين حق الانتخاب ، وطالب بأن يعطى هذا الحق للمناربة ، كما رفض المصادقة على مجلس مختلط يجمع منفردا أو مجتمعاً ، لأنه لا محل لتدخل الجالية الفرنسية في شؤون المغرب الداخلية .

وقد أرادت الأوساط الفرنسية استقلال معارضة جهلته لمشروع الإقامة العامة كي تهمة بعدم رغبة جلالته في السير بالبلاد نحو الاتجاه الديمقراطي ،

فأدانت المصنف الفرنسية أن جلالته يعارض في إعطاء للمعارضة حق الانتخاب ، وإزاء ذلك أدانت الكتابة الخاصة بجلالته البلاغ الآتي :

(إن بجلالة الملك ادهش كثيراً حينما قرأ في صحيفة (لا فيجي ما روكان) المادرة يوم ٢٤ سبتمبر التعليق الذي علق به هذه الجريدة على بالإعطاء للإقامة العامة ، فقد مرع للطلق بأن جلالة الملك يعارض في إعطاء حق الانتخاب للمعارضة ، وذلك ما يخالف الحقيقة . إن بجلالة الملك بعيد عن أن يرفض حق التصويت لرجيته الخلسة ، بل إن جلالته بما فقه يطالب بإعطاء شبيه هذا الحق ، ولكن في الدائرة التي تضمن كامل المساواة بينهم .

وجلالته يعلق أهمية كبيرة على أن تكون درجة الانتخاب عند المعارضة مماثلة بكل معنى الكلمة للانتخابات التي تقع عند الشعوب الحرة) .

وإذن بجلالته إيعا يعارض في أن يبقى للمعارضة غير متمتعين بالانتخاب في كامل درجاته ، والإقامة العامة هي التي تأتي أن يحصل للمعارضة على هذا الحق لدى يجعلهم يسيطرون بأنفسهم على مراقبة أعمال الدولة وشؤونها .

وقد رفضت مصلحة الرقابة التابعة للإقامة العامة أن تترك البلاغ لللكي السابق بنشر أو يذاع ، فتولى مكتب الاستعلامات والدعاية التابع لحزب الاستقلال بباريس إذاعة البلاغ الشريف وتوزيعه على سائر الوكالات الأجنبية .

وكل ما وقع بعد هذا الصراع أن مشروع الإقامة العامة قد طوي أو أوجيـهـ على الأقل ، بينما صدر ظهير الشريف بتظيم غرف مغربية تجارية وصناعية وفلاحية مستقلة عن الغرف الفرنسية يكون أعضاؤها منتخبين .

وقد حلت السلطات الفرنسية بعد صدور هذا الظهير على (حزب الاستقلال) وسلطت عليه الإذاعة الرهاطية التي هي تحت الرقابة الفرنسية ، ولكن ذلك لم يثن الحزب عن طريقه ، وكان موقفه حكيمًا جدًا وذكيا جدًا ، فقد أعرض عن الاعتداد بكل إصلاح للقيمين ، وأبى أن يدخل رسمياً في انتخابات الغرف المغربية الجديدة ، ولكنه سمح لأنصاره بأن يرشحوا أنفسهم على مبادئه ،

وعلى الرغم من أن الإدارة الفرنسية حرمت بتدخلها من حق الانتخاب أغلبية
التجار والصناع والفلاحين واستعملت وسائل الضغط والإغراء وسائر أنواع الحيل
والتدليس لإبعاد من لا يتفق وأنظارها ، فإن ثمانية وتسعين في المائة من المصوتين
أعطوا صوتهم للمرشحين على مبادئ الحزب وحقيده ، وهكذا انذهل الفرنسيون
من تأييد الأمة كلها لهذا الحزب المعتمد .

ولقد بدأت العرف الثرية الجديدة نشاطها بالمطالبة برفع الحيز التجاري
وحرية الإرادة والإصدار ، وافتتحت مكاتبها في كل الجهات ، وشجعت
للتصديق الأهالي بمكويين للراض ، وكان موقف ممثلها فيما يسميه الفرنسيون
بمجلس شورى الحكومة موقفا مشرقا أحرب من قيمة النخبة من أنصار
الاستقلال ورجاله الذين يعرفون كيف يواجهون المسائل ويحلون المشاكل ،
وقد كانت التقارير التي قدسها الأستاذ محمد الزغاري وأحمد البزدي ومحمد المراق
وهو السبتي ومحمد الأغوازي وغيرهم مثالا يحتذى في الدقة وحسن التقدير للأشياء
وقد صرح الملاحظون بأن ممثلينا لم يكونوا يهتمون بنقد الجزئيات أو اقتراحها ،
وإنما كانوا يهتمون بتعميد قواعد ومبادئ الإدارة الثرية وسياساتها المالية
والاقتصادية والثغاية فختلف كامل الاختلاف مع قواعد السياسة الأهلية التي
تتبعها الحاية الفرنسية .

ولقد أخبرني مندوب الحزب المحلى بفرنسا الأستاذ عبد الرحيم بن أبي حبيب
أن صديقنا المسمى دويديتي بأنه رسميا تمويه رئيس الجمهورية الفرنسية ،
وإعجابه بالمقررين المطاربة وتهنئته لحزب الاستقلال ورجاله ، ومن المعلوم أن
رئيس الجمهورية الفرنسية المسمى فانسان أوريول من رجال فرنسا الأحرار الذين
يقدرون الجهود الإنسانية قدرها ، ولذلك فإنا لا نرى في تهنئته إلا دليلا على
حاسة العدل واحترامها في نفسه .



ومن الإصلاحات التي عرضها الجنرال حوان على جلالة الملك ، تنظيم

المجالس البلدية المغربية على أساس البلديات المختلطة ، وقد أمر سيدنا بفشكل لجنة مغربية لدراسة المشروع ، وقد علمنا من بعض الجهات المطلعة أن هذه اللجنة رفضت مبدأ الاختلاط بل حتى مبدأ إعطاء الفرنسيين حق تأسيس مجالس بلدية بمراكش ، أو الأنحراط بمغمة ما في المجالس البلدية المغربية ، كما أنها وضعت الأسس الصالحة للبلديات المغربية على غرار البلديات ومجالسها في الأم الديمقراطية .

وأما فكرة اللامركزية الإدارية التي أرادها المسؤولون وأشدادها الجنرال جوان في خطبه ، والتي كتبنا في معارضتها عدة مقالات في الصحف المغربية بمصر ، ورأينا فيها شكل إقطاعية جديدة يريد يمثل فرنسا تدشينها ، فوظهر أنها دخلت في خبر كان ؛ إذ أصبحت نصريحات الجنرال حولها تضاف صرة بعد أخرى .

والخلاصة أن الجزئيات التي تعرض اليوم من طرف الإقامة العامة لا تواجهها الحكومة الشريفة ولجانها الفنية ، ولا ينتظر إليها التسبب المغربي ورجال حركته إلا من جهة صلتها بالتححرر القومي ، أي أن المقياس الذي تقاس به هو مقدار ما تؤديه للاستقلال المغربي من خدمة ، ومقدار ما تستخلصه من يد الأجنبي من حق ، ثم هي بعد ذلك شيء لا يرضي المغاربة ما دام لم يسبقه اعتراف باستقلال المغرب الأقصى وحرية أبنائه .

فشل الجنرال جوان أمام جلالة الملك

لم يفتأ الجنرال جوان منذ قدومه المغرب ينذرو في خطبه وتصريحاته بإهلاك الدنيا إذا لم يصل لتحقيق مشروعاته ، ولكن الشعب أثبت له تضامته في مقاومة الطغيان ، و بجلالة الملك استمر في ممارسة ما لا يتفق ومصلحة البلاد من اقتراحاته ، وطبعي أن يزداد غضباً كلما ازداد فشلاً ، وأن يحاول استمال القوة كلما لم يجد قبولاً ولا إذعاناً ، وقد هاجمه ما رآه من الضفاف الأمة حول جلالة الملك وولى عهد الكريم ، وراعه ما ألقى به الأسرة الكريمة من استقبال الشعب وتمجيده كلما برزت للبيات ، وأغصبه ما يدور به الفضاء في كل المناسبات من هتاف للاستقلال ونداء للحرية ، ورأى في كل ذلك مساساً بكرامته وبكرامة الدولة الحامية ، وإن كان في الحقيقة لا يرى لأكثر من التعبير عن شعور الشعب وعواطف الجمهور ، ولقد عجز الجنرال على جلالة الملك توقيع ظهير أعدته الإقامة العامة يحظر على الشعب أن يهتف بالحرية والاستقلال أمام جلالة الملك أو في الحفلات التي يشرعها ولي العهد ، وكان هذا للعرض بمناسبة مزيم سيدنا عليّ تدشين مجموعة مدارس بمدينة مراكش ، وافتتاح مجموعة مدارس محمد الخامس بالرباط ، وقد كان جواب صاحب الجلالة بالطبع الرفض البات للاقتراح ، والتأكيد لحق المراكشيين في أن يهتفوا بالحرية وينادوا بالاستقلال ، ولما حاول الجنرال جوان مراجعة جلالة في الموضوع تركه جلالة منفرداً في ردة الاستقبال ، فاعتد للقيم العام وأمر بمنع ولي العهد من المشاركة في الحفلات العامة .

وكانت هذه للشادة قبل عيد العرش للساكن بأيام ، (أي في أرائل نوفمبر سنة ١٩٤٧) ، ولما حل عيد العرش ألقى مولانا أيده الله خطابه التقليدي فأكد

فيه تصريحاته السابقة بمدينة طنجة ، وكان من ضمن قرائنه ما يأتي : (ولم ننذر
 الخطة التي اصطنعناها لأتينا في خدمة بلادنا ، والسعي وراء مصلحة شعبنا ،
 والإخلاص لمبدأ الإسلام الديمقراطي ، وبذل كل مواهبنا حتى ينال رعايانا
 المخلصون ما يحق لهم جميعاً من أن يكونوا أمة حرة تتمتع بكل حقوقها الشرعية
 وتحظى كأمة عربية مسلمة في وحدتها وسيادتها بتقريع مكانها الذي تستحقه
 بين كل الدول الحرة المدمجة بكل ما يجب لها من حقوق) فاعترض الجنرال جوان
 هذه الفقرات عامة بحق فرنسا في مراكش ، وهي في الحقيقة جواب
 لتأكيدات الجنرال جوان في خطبه : أن مستقبل المغرب الأقصى هو في دائرة
 الدول القريبة ، فبعث المقيم العام بجلالة الملك رسالة احتجاج وتعرض أجابه
 عنها بجلالته بما حال الجنرال وأيقن منه أن سياسته الإرهابية لم تجد شيئاً

ولسكن هذا اللش المتوالى لم يمنع الجنرال جوان من الاستمرار في تنفيذ
 خطته المبنية على التحدي ، وتناسى سلطات الملك الشرعية ، فأخذ يهين بعض
 الحكام من غير رجوع بجلالته ، ثم أحدث مناصب سماها (خلفاء القمع) وهي
 عبارة عن وكلاء لحكام المدن في كل من الدار البيضاء ومراكش وفاس والرباط
 يعينون من بعض أذناب الفرنسيين ، وبمجانب كل واحد منهم ضابط فرنسي
 للقيام بقمع الحركة الوطنية والتجسس على أفراد الشعب .

وبما أن إحداث مناصب في الإدارة للتربية لا يمكن أن يقع إلا بمقتضى
 تشريع رسمي يقدمه رئيس الوزراء (الصدر الأعظم) بعفته وزيراً للداخلية ،
 ويصادق عليه بجلالة الملك ، وبما أن المقيم العام تجاوز حدود وظيفته حتى في
 دائرة الحماية فقد أبت وزارة الداخلية الاعتراف بهذه المناصب ، وأبى بجلالته
 قبول الأمر الواقع ، فبعث رئيس الوزراء رسالة احتجاج واستنكار للمقيم العام .
 وحيث إن الإقامة العامة تجاهلت هذا الاحتجاج فقد بعث بجلالته رسالة
 شديدة اللهجة إلى رئيس الجمهورية الفرنسية باعتبارها لاطلون فقط دبلوماسية
 استعرض فيها بجلالته جميع تصرفات الجنرال جوان التي لا تتفق حتى مع

مقتضيات الحياة ونصوصها ، وقد تعرض جلالته فيها لحق مرا كشي في استقلالها
وحق الشعب المراكشي في المطالبة به كسائر شعوب الدنيا .

وقد حاولت وزارة الخارجية الفرنسية أن تكتم نبأ اشتداد الأزمة بين القصر
للملك والإقامة العامة ، وهدت إلى خلق جو الخديث عن التفاوض بين فرنسا
ومراكش ، وإذاعة شؤون تتعلق بمسجد باريس والمستشفى المتصل به ، وإذاعة
ذلك فضح مكتب الدعاية والنشر لحزب الاستقلال بباريس خبر الأزمة والرسالة
للملكية ، فأذاعته لأول مرة (باري برس) و (فران تيرور) ووكالة الأنباء
الفرنسية ، ونقلته عنها سائر الصحف الفرنسية والبلجيكية والسويسرية
والإنجليزية ، فاضطرت وزارة الخارجية الفرنسية للاعتراف بالرسالة ومحاولة
التقليل من أهمية الحوادث .

وقد استطاع مراسل (باري برس) أن يأخذ من الجنرال جوان نصريما
يصرف فيه بأنه « إزاء المظاهرات الشعبية التي يقوم بها الوطنيون المراكشيون
هائتين بالحرية والاستقلال ، وإزاء رفض الملك المصادقة على اقتراح جمع هذه
المظاهرات اضطر المقيم أن يمنع الملك والأمراء من الظهور في الحفلات حتى
لا يبعد الشعب سبيلا لإظهار مواطنه العدائية نحو الحياة .

وقد اعتبرت وزارة الخارجية الفرنسية هذا التصريح بخبر يطمأ من المقيم العام
لحافى سياسة عدائية نحو المغرب الأقصى ؛ لأنه يصرف بارشكالب بما يعتبر تجرؤا
على مقام العرش وعاهله الكبير ، فكلفت المقيم العام بكذيب استاذش ، وقد
صدر التكذيب ونقلته صحف فرنسا في شيء من الهزء والسخرية .

وبينا الحكومة الفرنسية تبحث في وسائل حل هذه الأزمة إذا بالإقامة
العامة تواصل أساليبها العدائية نحو جلالة الملك ، ولسكتها في هذه المرة تنقمت
بضاع الخائف المهزوم فأخذت توزع منشورات ممحاة بحزب الله أو حزب الإخوان
المسلمين تهاجم فيها الملك وأسرتة وولي العهد والأميرة عائشة ، قتارت ثائرة
الجمهور وأخذ يهدف بسقوط الجنرال جوان والحياة الفرنسية ، وكادت القضية

تتمطور إلى مفاوضات عسكرية لولا دعوة جلالة الملك الشعب إلى الهدوء .
وقد استطاع أحد كبار الموظفين بالحكومة المغربية أن يهتدي لمعرفة الخط
الذي كتبت به المنشورات حيث تبين له أنه خط شخص يسمى محمد فرور .
وهو موظف قديم بالإقامة العامة الفرنسية ، وسبق أن كان كاتباً للماريشال إيوطي ،
وهو اليوم ملحق بالسكرتارية السياسية للمقيم العام — وقد عرض مكتشف الخط
الأمر على المحكمة العليا المغربية ، فاستدعى رئيسها للثهم وتولى استنطاقه بنفسه
(لأن النيابة في هذه الشرطة المغربية) ، وبعد أن أسكر للثهم ما دافعت به بأنه
هو الذي تولى نسخ المنشورات ، كما اعترف بأن الذي كتب النص الأصلي
هو الضابط الفرنسي فوساز أحد موظفي الشؤون السياسية ، وقد اعترف فرور
بأن سدارة من الإقامة العامة كانت تتولى نقله ليلاً لإدارة الشؤون السياسية حيث
ينسخ المنشورات مقابل مبلغ مالي هام ، وبعد أن اعترف أمام رئيس المحكمة
العليا عرض أمام قاض شرعي وشاهدين رسميين فأكد اعترافه السابق وصرح
بأنه يدلي بذلك اختياراً ودون أن يكون عليه أي ضغط .

وبمجرد ما علم المستشار الفرنسي بهذه التصريحات التي تعتبر حجة على
الإقامة العامة تدخل في الموضوع ، وطلب أن تحال القضية على المحكمة الابتدائية
بدعوى الرقعة في أن تجري القضية مجراها العادي ، فأحيلت بناء على ذلك إلى
محكمة مدينة الرباط حيث أعيد استنطاق للثهم بحضور قاض جديد وشاهدين
رسميين والمدوب الحكومي الفرنسي ، فكرر للثهم نفس الاعترافات وسجل
كلامه وأمضاه ، كما أمضاه منه كل الحاضرين ومن ضمنهم المدوب الفرنسي .
وإزاء الحقيقة التي لم يجد المدوب الفرنسي من إحصائها محيداً ثارت أعصابه
وأخذ يدافع عن التهم بأنه مصاب بالجنون ، مما لا يملك إخراجه من السجن
الذي زجته فيه المحكمة المراكشية بدعوى عرضه على الأطباء ، ولكن رئيس
المحكمة العليا أمر بإفمال السجن واحتفظ بالمفتاح ، فذهب للمدوب الفرنسي
وكسر باب السجن وأخرج للثهم ، وعندما بلغ الخبر جلالة الملك بحث في الحين

طليبه الخاص ليتولى هو وطبيب المحكمة فحص المتهم ، وبعد فحصه شهد الطبيبان
بتمتعه بكامل قواه العقلية فأعيد إلى السجن ، ثم ادعت الإقامة العامة أن أمره
يجب أن يرحل برجع للمحاكمة الفرنسية ، وأخيراً أطلقت سراحه بعد ما عزلت
الكولونيل لوكونت السكرتير العام للشؤون السياسية الذي كان المدير الأول لحركة
هذه المنشور ، ولا يزال القصر متمسكاً برأيه في الموضوع .

وأياً ما كانت النتيجة فإن الفشل الذي صاحب سياسة الجنرال جوان في جميع
مغامراتها لم يتقدم له مثيل في تاريخ الحماية الفرنسية بالمغرب .

فشل آخر للجنرال جوان

أشرنا سابقاً إلى المحاولات العديدة التي قام بها الجنرال جوان لبحث رؤوس الفعنة من رجال الطرق من أوكارهم ، وأوضحنا فشله في هذا الباب ، ثم عرجد على بعض المنشورات التي كانت تذيبها السكرتورية السياسية للحياة باسم (حزب الوحدة الإسلامية) الذي لا وجود له ، وقد كان ذلك بمثابة مراحل يبحث فيها الجنرال عن فئة من الفاربة تتعاون معه أو يموه بالانصال بها على الحكومة الفرنسية والرأى العام الأجنبي موعها أن هنالك تسماً من الفاربة لا يوافق (حزب الاستقلال) على خطته ، ولا يساير جلالة الملك في سياسته .

وقد كانت سياسة حزبنا هي عدم الانصال بالجنرال برغم ما حاوله مع اللجنة التنفيذية صديقه مسيو دو بيريق ، وذلك لأن إخواننا يرفضون الانصال من أصله ، وليسكن لأن الجو الذي خلفته سياسة الجنرال جوان ليس من شأنه أن يساعد على التواصل ، وأحرى التظام في أى موضوع يعود بالنفع على البلاد .

لذلك وجه الجنرال وجهته نحو بعض من ظن فيهم الاعتدال إن سقاوون باطلا ، فأتصل في الصفوف لماضى الكولونيل لوكونت (الذى تولى كبر المنشير الأئمة وهزئته الإقامة لذلك) بممثل المعتدلين ، وعلى مائدة الشاي جرت محادثة بين الفريقين أدت إلى مقابلة ثانية بمكتب الشؤون السياسية (هذه الإدارة التي فاطمها الوطنيون منذ حوادث مكناس عام ١٩٤٧) ، وكانت المقابلة الثانية تضم زعماء هذه الكتلة المعتدلة ، واتفقت المباحثات إلى تحديد المبادئ ، ويقول الجنرال في بعض تصريحاته بباريس إن القوم قدموا له مذكرة فطلب منهم أن يرضوها أولاً على جلالة الملك لأنه هو الذى يمكنه أن يقول للجنرال أريد

كذا وكذا ، مبرضة على الحكومة الفرنسية ، وهي التي تتحمل مسؤولية
القبول أو الرفض .

وقد ظلت هذه المذكرة سرّاً مكتوماً بدعها الرسمي إلى اليوم ، ولكن
نشرت منها فقرات بالقاهرة لم تنشر بالمغرب ، ونشر بالمغرب ما لم ينشر بالقاهرة
ولذلك ظلت لحد الساعة غيباً لا يستطيع الحكم عليه بإطلاق .

وقد قرر المجلس الأعلى للحزب عدم التعرض لهذه المذكرة ، ولا مقابلة
الشتائم التي يذيعها أصحابها في الحزب بالمثل ، ولكن متى نشر شيء منها يحكم
الحزب بما يراه موافقاً للمصالح العام .

والتي يستخلص مما نشرته صحيفة البلاغ المصرية الفراء هو أن الصورة التي
وافق عليها (فيما يزعم الكاتب) للنجم العام وظفرت بتأييد الملك تخلص في
كلمة الآتية :

١ - استرجاع السيادة المغربية وتطبيقها تطبيقاً تاماً ، وتحقيق استقلال
الوطن ضمن نطاق وحدته الترابية والسياسية وفي دائرة ملكية دستورية .

٢ - الانجاء بالمغرب في مرحلة انتقالية تسمح له بأن ينظم شؤونه تنظيمًا
حرّاً وأسرع الطرق نحو مستقبله ومصيره الحر ، أي نحو سيادته التامة واستقلاله
المصون بمعاهدة تحالف وصداقة تبرم طرْحاً واختياراً .

وينص المشروع على ضرورة تهيئة جو سالم من التوتر في مرحلة الانتقال
يتيح للمغاربة تقدماً حقيقياً في الميادين السياسية والمادية والمعنوية ليقبضه المغرب
بحزم وفي أقرب وقت ممكن نحو رشده السياسي وحرية تقرير مصيره ، ولتحقيق
هذا الجو يؤخذ بالوسائل الآتية :

١ - تمكين فرنسا رسمياً حق الشعب المغربي في تدبير شؤونه في أقرب وقت .
وتعتبر مصالح المغاربة ذات أسبقية في بلادم مع الصيانة التامة لسيادة البلاد
واستقلالها الحقيقي .

٢ - تلغى جميع التدابير الخائرة والتشريعات الاستثنائية .

٣ - إصدار عفو عام على المفارقة الذين بالتهم اضطهادات سياسية في الماضي ويكون النظام الأساسي في مرحلة الانتقال على الوجه الآتي :

١ - تتألف حكومة مغربية ذات صفة مؤقتة ومسؤولية مقبولة وتصرف حر ، وتستمد سلطتها من ثقة الشعب وتأييد الملك لتضطلع بقيادة البلاد عن طريق الدستور فهو معيره باليد كوطن حر مستقل مع العناية بإصلاح الكيانات الاجتماعية وتنظيم التعليم وتسيب نظام التعاون المصري بين المال والفلاحين ، كما تمنى بإعداد الرجال الفديين المفارقة للاضطلاع بمراقق البلاد العليا في المستقبل .

٢ - يلغى نظام الحماية المقروض على البلاد في مارس سنة ١٩٤٢ ويستعاض عنه باتفاق مؤقت محدود الأجل على ما روى البلاغ ، وإلى أمد غير محدد على ما رواه مراسل الأسيرفر ، تهرم ببدء معاهدة بين فرنسا والمغرب ، ويمكن إبرام تلك المعاهدة إلى أن تستوفي الشروط السابقة بإعداد وتنصيب الهيئات الشرعية المشرقة على تدبير الشؤون العامة للأمة (كذا) . ويشير المشروع إلى أن الاتفاق المؤقت المشار إليه في الفقرة السابقة يجب أن يحتوي على بنود تكفل تنسيق العلاقات الفرنسية المغربية ريثما يتم إبرام المعاهدة المرتقبة .

٣ - يهد إلى مجلس وطني يمثل الرأي العام المغربي بوضع دستور يصبح في دائرة ملكية ديمقراطية القانون الأساسي للمغرب المتمتع بحريته واستقلاله . ويتولى الدستور المغربي الجديد تنظيم السلطات وفصل بعضها من بعض وتحقيق المساواة بين المغاربة والحريات .

٤ - يلغى نظام المناطق العسكرية المعروفة بالمناطق غير الآمنة .

٥ - تنظيم الجيش الوطني والشرطة المغربية على أساس استقلالهما .

ذلك هو ما نشر عن المشروع الذي قدمه المتدلون للجنرال جوان . والذي بلغنا من جهات متعددة أنه يشتمل على أشياء أقبح مما نشر ، خصوصاً في مقدمته

التي تعترف لفرنسا بمهمتها التمدينية ، وبأن المغرب لم يصل إلى الدرجة التي
تفوقه حق الاستقلال الناجز .

وقد تواتر الدعاية الفرنسية الترويج لهذا المشروع في القاهرة في الوقت الذي
رفع فيه سيدنا نصره الله رسالة للشكوى بالجنرال لقنادة رئيس الجمهورية الفرنسية
وفي الوقت الذي أسفرت فيه انتخابات الغرف المغربية عن إعطاء ثمانية وتسعين
في المائة من المصوتين أصواتهم للمرشحين على ميادى حزب الاستقلال ،
فاضطربنا لوضع الشئ في نصايه ، وكذبنا عدة مقالات يتخلص معناها فيما
يحتوى عليه هذا التصريح الذي أدليت به لمراسل مكتب المغرب العربي بالقاهرة
وأذاعته نشرته الخاصة .

« إن ما تلوح به الدبلوماسية الفرنسية من عزمها على إعلان استقلال
مراكش وسائر أقطار المغرب العربي إنما هو من باب ذر الرماد في العيون ، ولا
يمثل أن تكون فرنسا في الوقت الذي تعطل المجلس الكبير بتونس مجرد
احتجاج يرجع لمهابة الموثقين ، وتفرض على الصحافة المراكشية هذه الرقابة
الخائفة ، وتقوم في سائر المغرب العربي بالاعتقالات المتعددة لأسباب بسيطة
عازمة على شئ غير الاضطهاد ونحق الحريات .

أما المشروع الذي يقال إنه نتج عن مفاوضات جرت بين الجنرال جبران
وبعض الوطنيين المراكشيين فإنه لم يعلن إلى الآن بصفة رسمية ، كما لم يعلن
أحد من هؤلاء الوطنيين أنه راض بما نشرته عنه بعض الصحف ، وقد نصينا
السنة الماضية كلها في مداولات مع الإقامة العامة انتهت منها إلى الاعتناع بأن
المشروعات الفرنسية لا ترمى أبداً للاستقلال الذي نشده ، وإنما تريد الاستمساكة
من الحماية بما هو أعمق منها في الاستعمار وقد الذاتية . وقد تعودنا من الفرنسيين
أن يسموا الأشياء بغير أسمائها ، وذلك ما جعلني أنقل فجأة من باريس لمصر
حيث دخلت بذلك حركة الحزب في عهد للتقاومة التي لا تعرف هراوة ولا
تدخل في مفاوضة قبل إعلان الاستقلال .

ويدعى للرجوع لهذا المشروع أنه اتفق عليه بين الجنرال جوان و جلالة الملك ، وقد سار الجنرال جوان على نفس السياسة التي أتبعها السيو لايون سلفه على ما بينهما من فرق ، وكان أسلوب السيو لايون أنت يعلن في فرنسا وفي مختلف الجهات أنه على كامل الاتفاق مع جلالة الملك ، وهو يقصد من ذلك إقناع الرأي العام الفرنسي والسلمى بنجاحه في مهمته وكان من جملة أعمال الوفد الأول لحزب الاستقلال في فرنسا فضح الحقيقة وإظهار مدى الخلاف للوجود بين العرش ودار الإقامة ، الأمر الذي أدى لإقالة السيو لايون ، ومن الطبعي أن الجنرال جوان لا يمكن أن يدعى مواثقة ملك البلاد على ما يقوم به من اضطهاد ، فكان لزاماً أن يخلق لذلك جواً جديداً يتصل فيه ببعض الوطنيين ، ثم يدعى مواثقة جلالة على نتائج اتصالاته ، والتي نلته بصفة أكيدة هو أن الخلاف على أشده بين جلالة الملك وبين الجنرال جوان ، حتى إن جلالة اضطر إلى إرسال احتجاج قوى على تصرفات الجنرال جوان التي لا تمثل إلا الجور والظلم .

أما رأينا في المشروع نفسه فإن ما نشر عنه في الصحف يكن الحكم برفضه إذ أنه يخرج بالقضية الراكضة (فيما يسونه بفترة الانتقال) من الوضعية الدولية إلى وضعية ثنائية تجعلنا في دائرة النزود القرنى شكلاً وموضوعاً ، ووجود نوع من الحكم الذاتي في هذه الفترة لا قيمة له مع استمرار الحبر على سيادتنا الخارجية ، ومع منع فرنسا المقام الأول فيما يرجع للشئون الداخلية ، هذا حلالة على أنه لن يكون هناك ضمان لاستقلالنا بصفة دولية ؛ لأن الوقت وقت انتقال وانهم برضى منا واتفاق بيننا وبين فرنسا ، ومعنى هذا أنت الفرنسيين يريدون أن يتصرفوا عما ترضه عليهم وضعية سراكش الدولية ، فيخرجوا بالبلاد من حظيرة الاتفاقات الدولية إلى حظيرة العلاقات الإقليمية .

إن هناك نادراً قديمة ، ولكنها لم تنل بعد ؛ فقد كان للسفير جايار والوزير ابن غبريط يتفاوضان مع المولى عبد الحفيظ في شأن مجاهدة الحاية ، ولما رأى

١٤٤٨
«لقد أحرار جلالته على الرفض وقوفه من الاحتلال قال له السفير الفرنسي :
«لقد أحرار جلالته أن وجود الجيوش الفرنسية في المغرب لن يقع إلا لأمد مؤقت»
فاهتمس المولى عبد الحفيظ وقال له : « إن الله سبحانه وتعالى خلق هذه الدنيا
كلها بصفة مؤقتة ، ومع ذلك فهي ما تزال قائمة » وقد بقاء قال بلزلك إن المؤقت
عند الفرنسيين دائم أبدي !

والحقيقة بعد هذا هي أن بلادنا ما تزال تروح تحت نير الاستعمار الفرنسي
والأسباني والدولي ، وأن الضغط الاستعماري فيها قد بلغ مداه في هذه الأيام ؛
فقد اعتقل بمناسبة عيد العرش مئات من الوطنيين الأحرار ، واشتدت الرقابة
على الصحف ، حتى أدت إلى احتجاج جريئة (رأى الشعب) لسان حال
(حزب الاستقلال) ، ونجحوا بالجنرال جوان على أن يصدر قرارات مقيمية
ويبلغها دون أن يرجع إلى رئيس الدولة الأعلى ، وهو جلالة الملك ، كما تقضى
بذلك قواعد التشريع في جميعها كشيء ، وقد أوقعت السلطة كل الأحكام المخاربة
الذين امتثلوا أوامرهم ، وأعطت كل المدارس الحرة حتى أقفل بعضها
لا شيء غير أن حكامها لم يفتقلوا للجمعية الجنرال جوان أثناء سروره بالمدينة .
ونعمل الإلزام العامة فوق هذا وذاك كل ما في جهدها لمثل المشعوذين
وأدعياء العارق من سر قديم ، وهي لا ترى بذلك ولا بانسالاتها ببعض الوطنيين
إلا لأن تحدث في الأمة جفراً متضاربة تمسيد منها كما استعادت أمدا طويلا
بما أحدثته من متاورات في البلاد السورية .

ولذلك فإن تحرير الوسائل هو الاعتصام بالصبر في ميدان الكفاح والدمعة
للاتحاد السكامل ورفض كل ما من شأنه أن يمس بكرامة الحركة القومية أو ينال
من قوة المقاومة ، وأخيراً فليس لنا الحق في ألا نكون حذراً ، ونرضى بالاستقلال
السكامل التاجز بديلا .

و بعد إذاعة هذا البيان على الصحف أذاع مكتب الحزب بباريس نبأ
الرسالة الملكية التي كتبها الخارجية الفرنسية ، فخبير بها مدى الخلف الجارى

بين مولانا المؤيد بالله وبين الجنرال جوان ، وتم في الوقت نفسه تأسيس (لجنة تحرير المثرب العربي) على أساس ألا مفاوضة قبل إعلان الاستقلال ، وقد كتب كثير من رجال الفكر المصري بمحذرون المثربة من الانخداع بالأساليب الاستعمارية ونشر صديقنا الأستاذ الكبير محمود محمد شاكر مقالا اضافيا في مجلة الرسالة الغراء بعنوان (لا تموا) كله نصح وإرشاد في الموضوع .

ولم نريد أن نعرض للأشخاص ولا للأحزاب في موضوع شأنك مثل هذا ، وإعنا همت التاريخية تقضي علينا بأن لا نقفل هذا اللون من الصراع الذي قام به الحزب وانتهى بفشل الجنرال جوان في محاولته تكوين قوة مقاومة لمبادئنا وخططنا ، ولذلك فمن نجد مندوحة عن أن نقسم هذا الفصل بنقل الرسالة التي وجهها المجلس الأعلى للحزب إلى سائر فروع الحزب في أوائل يناير سنة ١٩٤٨ لتوضيح ما في المشروع من نقص ، وهي وثيقة تاريخية تدل على مقدار تمسك حزبنا بمبادئه وكفاحه من أجلها :

« كنا كتبنا لكم بتاريخ ١٥ ديسمبر سنة ١٩٤٧ بشأن مذكرة المعتدلين التي قدموها في ذلك التاريخ ولبنهاكم :

١ - إلى ما بلغ علينا من مضمونها وفصولها .

٢ - إلى رأى الحزب فيها .

٣ - إلى موقف الحزب منها .

وكنا وعدناكم بأنا عند ما تتصل بخصايل أخرى عنها نخبركم بها .
والآن وقد نشرنا نفاها في صحف الشرق وفي جريدتهم نفسها ، وأقاموا حول ذلك دعاية واسعة النطاق ووجب أن نعود للموضوع مرة ثانية بقصد التذكير والتنبيه .

فأما موقف الحزب منها فهو موقفه السابق الذي كان قرره المجلس الأعلى ، وهو عدم الدخول مع أصحابها في جدال صحافي ، وأن لا ندخل معهم في السلب والشتائم بحال ، ولكن عند ما ينشرون مذكرتهم يضطر الحزب إلى إعلان

موقفه منها رسمياً ، وسيث إن المذكرة لم تنشر لحد الآن فالحزب لا يزال عند قراره الأول ولا يرى موجبا لاتخاذ موقف ، لأن ما نشر إنما هو نص أو مقتضيات من هنا وهناك ، والحزب كما تعلمون من عادته يعدم التسرع في الأحكام واتخاذ المواقف .

وأما ما بلغنا من مضمون المذكرة فإن ما نشر الآن عنها يؤكد ذلك ويؤكد على خلاف قليل بين ما نشر وبين ما سمعناه ، وكلامنا الآن حوله ما نشر عنها ، فإنه ولا شك أصبح ، وإن كان في المنشور منها اختلاف واضح بين ما جاء في جريدة الرأي العام وبين ما جاء في جريدة البلاغ المصرية ، وأما رأى الحزب فيها فما هو ذا بجانب كل فصل منشور من فصولها .

وسلخص ذلك أنهم يقترحون :

١ - خلق جو سالم من التوتر بأن يعلن رسمياً حق الشعب للفرنسي في تدبير شؤونه بنفسه ، واعتبار مصالح اللغاربة ذات أهمية في بلادهم والصيانة العامة لسيادة البلاد واستقلالها الخ .

ورأينا في هذه النقطة هو أن إعلان حق الشعب للفرنسي في تدبير شؤونه الخ . ليس له كبير جدوى في تهيئة الجو وتدبير السياسة بالعرب ، كما أنه ليس شيئاً جديداً تقترحه للمذكرة على فرنسا التي تلتزم به ، وذلك :

(أ) لأن هذا الإعلان منصوص عليه في ميثاق جمعية الأمم الذي وافقت عليه فرنسا والتزمت العمل به .

(ب) ولأنه قد صرح به وأعلنه للقيم العام في خطابه وتعرض بحاجته غير ما مرة ، وخصوصاً في مدينة القنيطرة ، وليكن أين هي نتائج هذا الإعلان ؟ إن الحالة ما تزال هي هي ، أو أشد رغم هذا التصريح المذكور .

(ج) وأيضاً فإن إعلان حق الشعب في الاستقلال ليس هو الاعتراف بالاستقلال للنشود ، واليون بينهما شاسع .

٢ - يقترحون فتح مرحلة انتقالية تمكن للفرنسي من الخروج من طور

الحماية إلى طور الاستقلال ، وذلك بتأليف حكومة وطنية مغربية ذات صبغة مؤقتة ومسؤولية متدرة تكون مالكة لمطرية التصرف بحيث تستطيع أن تؤدي مهمتها عن طريق الدستور الخ ..

ورأيانا أن في بقاء السلطة التشريعية بيد جلالة الملك ضمانا لحقوق المغرب حتى لا يستطيع أحد أن يعبث بها ، خصوصا وهو حفظه الله يدافع ما أمسه الدفاع ، أما استلام السلطة من يد جلالة ففيه خطر عظيم على البلاد ؛ لأن شأن السلطان عظيم ، ومقامه مكين ، لا يمكن التهميم عليه ، ولا يسهل الوصول إليه بأذى ، بخلاف الحكومة فلو بلغت من الوطنية ما بلغت فمن اليسهل على الإدارة الفرنسية استبدالها في كل حين بحكومة غيرها ، وقد تكون هذه الحكومة الثانية ضعيفة أروخانة .

ولا فرق بين هذا الفصل وبين ما كان أشيع من أن الجنرال جوان طلب من جلالة الملك التنازل عن حق التشريع لدولة الصدر الأعظم ، وأما الاستعاضة من معاهدة الحماية باتفاق مؤقت بمحدود الأجل ريثما يتم إبرام معاهدة نهائية تقوم على التحالف والمودة — فقبل أن نجيب عنه يجب أن تؤكد فشل معاهدة الحماية وعجزها عن تطور للمغرب وإسعادها والسير به في طريق الرشد والخير ، وأن نعلن مرة أخرى عما أصاب الوطن بسببها من ويلات ومحن بسط الحزب القول فيها في كل مناسبة ، ثم نقول إن معاهدة الحماية على علاتها مبنية على أساس الاعتراف والتسليم بالمعاهدات الدولية بين المغرب والمغرب ، وخصوصا معاهدة الجزيرة التي تعترف المغرب بكيانه واستقلاله وسيادته ووجدة تراثه ، فهي وإن حدثت من استقلاله وحجرت عليه في بعض التصرفات تعترف بكيانه وسيادته واستقلاله بالناس ، ولها صبغة دولية أيضا ، أما المعاهدة المؤقتة التي يقترحونها فإنما تخرج بالقضية المغربية من تلك الرضمية الدولية إلى وضعية ثنائية بينه وبين فرنسا ، فيصور في دائرة النفوذ الفرنسي شكلا وموضوعا ، ووجود نوع من الحكم الذاتي في هذه الفترة الانتقالية لا قيمة له مع استمرار الحجر

على سيادتنا الخارجية ، ومع منح فرنسا المقام الأول في شئوننا الداخلية ، وهذا
 حلاوة على أن لن يكون هناك ضمان لاستقلالنا بصفة دولية ؛ لأن الوقت وقت
 انتقال واقع مرضى منا واتفاق بيننا وبين فرنسا ، ومعنى هذا أن الفرنسيين
 يريدون أن يحدروا عما تفرضه عليهم وضعية سها كسب الحماية أو يخرجوا بالحدود
 من حظيرة الاتفاقات الدولية إلى حظيرة العلاقات الثنائية ، ولذلك يستحيل
 الحرب أن كل فترة انتقال لا يسبقها إعلان الاستقلال ، وبما لا يمكن أن
 تعتبر إلا أسوأ من نظام الحماية المتأخر .

أما إرغام معاهدة التحالف النهائية التي يشيرون بها والتي ستكون في
 نظرم خاتمة هذه المرحلة الانتقالية فإن مذكرتهم تقول : طرف في شأنها :
 (ويتم إبرام هذه المعاهدة بتوفر الشروط السابقة الذكر التي تمكن المغرب
 من إعداد وتنصيب الهيئات الشرعية المشرفة على : بر المكون العامة) ،
 ومعنى ذلك أنها لا تبصر هذه المعاهدة النهائية والتي يعترف لها فقط باستقلال
 المغرب إلا بعد توفر الشروط السابقة الذكر . وما هي هذه الشروط السابقة ؟
 لم يسيق (للرأي العام) بيانها ، ولكنها ذكرت في جريدة (البلاغ) المصرية
 عند الكلام على تأسيس الحكومة الوطنية فذكر في يومتها : العناية باصلاح
 السكان الاحتياجي وتنظيم التعليم وتعميم نظام التعاون العصري بين البهال
 والفلاحين ، كما تعنى بإعداد البنين المغاربة للاضطلاع بمرافق البلاد العليا
 في المستقبل .

ولا شك أن هذه الشروط هي المشار إليها إذ لم يتقدم غيرها ، ولكن هل
 هذه الشروط فقط هي المذكورة في المذكرة ؟ أم هناك شروط أخرى أغفلت
 حتى في جريدة (البلاغ) ؟ ويفهم مما يأتي أن هذه الشروط صنفها تدريجياً ،
 ولا شك أن المهمة التي متصطلح بها الحكومة الوطنية في المرحلة الانتقالية وفق
 المعاهدة المؤقتة هي المهمة التي قصدت أول الأمر من معاهدة الحماية بالضبط ،
 ومعاهدة الحماية لم تنفذ ولم تحقق للمغرب في ظرف ٣٦ سنة كاملة شيئاً من

أهدافها ، فمن الذى يضمن لنا أنه فى هذه المرحلة الثانية وضمن الماهدة المؤقتة ستدفع فرنسا شيئاً مما تحدثت عنه المذكرة ؟ الحق أن هذا توريط ومجازفة بمصير البلاد فى غير مقابل ، فلى المغرب الثرم ، وفرنسا الغم .

٣ - العهد إلى مجلس وطنى بوضع الدستور ، وتشرح المذكرة أو (الرأى العام) بعض المسائل الأساسية التى يتكفلها الدستور ، وقد أغفلت هذه المسائل جريدة (البلاغ) المصرية ، لذلك لم ندر هل هى من صلب المذكرة أو من تعليق (الرأى العام) ، وعلى كل فرأى الحزب فى الدستور واضح بين .

أما الدستور فى حد ذاته فهو من مطالب (حزب الاستقلال) ومطالبه الأساسية التى تقدم بها إلى جلالة الملك فى وثيقته التاريخية يوم ١١ يناير سنة ١٩٤٤ ولكن الدستور فى نظر الحزب تابع للاستقلال يأتى بعده لا قبله ، لأن الدستور مظهر من مظاهر سلطة الأمة وورقايتها على حكومتها ، وهذا يقضى مع الاحتلال الأجنبى ولا يتفق مع طبيعته ، ومن المعلوم أن هذه المرحلة الانتقالية التى يفصلون برنامج العمل بها بما ذكره متسكون فى دائرة الاحتلال الفرنسى توقفت سلطته ، ومن جهة أخرى فإن عماد الدستور هو الانتخاب والحرية ، ويمكن ما شاهدته الجميع فى هذه الانتخابات التجريبية والفلاحية الأخيرة من تلاعب فى الإدارة وضغط وتدنيس وخروج عن كل قانون ، وق كل جهة من جهات المغرب مثال أو أمثلة من ذلك لا ينبغي أن تنسى ، أما الحرية فلانكفى فى هذا الباب بما يراه ويعرفه كل واحد منا من إرهاب الشعب والضغط على حرياته ، ولكننا نذكر حديثاً للجنرال جوان مع مندوب جريدة (باريس برس) الباريسية بتاريخ ١٣ يناير سنة ١٩٤٨ ومما جاء فيه من كلام المقيم : (حيث إن اجتماعات جريدة كالحفلات المدرسية كانت تستغل لإقامة مهرجانات وطنية بمجرد مشاركة أحد أعضاء عائلة السلطان ، توجهت لهذا الأخير لأطلب منه وضع حد لهذه المظاهرات المدائية لفرنسا ، فكان جواب سيدى محمد بن يوسف أنه لا يستطيع منع المخاربة من التعبير عن آرائهم .

ولذلك قررت بحدف البامث هذه الاخطرابات ومنع العائلة الشريفة من الظهور بالجمهور ، وعلى هذا القرار احتج الملك في رسالته لرئيس الدولة الفرنسية مبينا أن ذلك يمس بسمعته ، ويطلب بإلغاء هذا القرار في أقرب وقت .
وقد سبقتنا حركات تحريرية في بلاد العالم ، فما كان هم أصحابها الأول إلا الاستقلال ، أما الدستور لمكان في نظرهم محلا داحيا يأتي من بعد الاستقلال وهذه مصر في مراحل جهادها كانت تطالب بالاستقلال فقط ؛ فمصطفى كامل هو صاحب فكرة لا مفاوضة إلا من بعد الجلاء ، وكان يطالب لمصر بالدستور ولكن بعد الاستقلال ، وسعد زغلول ورفقاؤه طالبوا بالاستقلال فقط ، وعندما أرادت إنجلترا أن تصدرهم من فكرة الاستقلال إلى فكرة الدستور والإصلاحات وأرسلت إلى مصر لجنة منظر المشهورة فاطمها المصريون ورجعت على أعقابها نحيي حينئذ ، فاضطرت إنجلترا لإزاء إجماع المصريين على المطالبة بالاستقلال ، ومقاطعة كل إصلاح مما كان إلا في دأثره إلى الاعتراف بهذا الاستقلال ، وتأسست بعده الحكومة التي عهد إليها بتأسيس الجمعية الوطنية لوضع الدستور وقانون الانتخاب ، وبعد سنة ونيف أعلن الدستور .

على أن طلب الدستور في هذه المذكرة قضاء على فكرة الاستقلال ؛ إذ كيف نطلب من الدولة المحتلة وضع دستور تطابقه نحن في زمن الاستقلال ؟
هذا مدعى لا يستقيم !

وتشكلم المذكرة في النقطة الرابعة على وضع تشريع مغربة لإداة البلاء بالتدريج ونقل المسؤوليات من يد الفرنسيين إلى المغاربة كلما تمها التنبؤات والأكفاء المغاربة ، لكن كم هي المدة التي سيستطاعها المغرب في هذه المرحلة على هذه الصورة ليصل إلى الاستقلال ؟ يكفي أن نعرف أن مصر قضت في قطع هذه المرحلة زهاء الثلاثين عاما ، واستقلالها معترف به ، فكيف بالمغرب الذي يريدون له قطما وهو غير مستقل ؟

أما المنطقة الخامسة — وهي تقترح إلغاء المناطق العسكرية — فلا يجب

فيها إلا أنها كتبت بروح لا تؤمن بالاستقلال ، لأنها تطالب بذلك في هذه المرحلة الانتقالية ، مع أن الواجب كان يقضى اقتراحها في باب الجوانب السياسي ، وهي به أنسب ، وقد طُلبت (كتلة العمل الوطني) بذلك في دفتر المطالب منذ ثلاث عشرة سنة خلت .

والنقطة السادسة تشير إلى تنظيم الجيش الوطني والشرطة المغربية بمساعدة الخبراء الفرنسيين الذين يكونون بعثات خاصة يكون من اختصاصها أيضا تنفيذ الدفاع المشترك . ويخشى أن يكون أصحاب المذكرة قد غفلوا عما ينطوي عليه تنسيق الدفاع المشترك من خطر على بلادهم ، كما غفلوا عن نشوة في بريدة (الهلالي) المصرية ؛ إذ سيحصل المغرب بسببه إلى الدخول بجانب فرنسا في الحرب كما دخلت هي فيها ، وقد تكونت هذه الحرب مع إحدى الدول العربية أو الإسلامية ، مع أن معاهدة الحماية لا تلزم المغرب بالدخول في الحرب إلى جانب فرنسا .

ومن الغريب أن تعبر المذكرة بقبول مبدأ الدفاع المشترك ، وتتمثل التعرض لتظيم الاقتصاد المغربي ووضعها القبلية ، وللتشويل الخارجي ، وكل هذا وذلك ربما يشعر بقبول الدخول في الوحدة الفرنسية .

هذا ما نشر من المذكرة في الجرائد ، وكله مطول أو غير مقبول ، أما ما لم ينشر فهو مخاف أن يكون ضرا مما نشر ، خصوصا وقد رأينا فيما نشر تحريفا كبيرا ؛ إذ أذيع في شهر قد بعض النقط ما أدخل نشره في المغرب ، ونشر في المغرب ما سكت عنه في مصر ، وذلك فيما يظهر لأسباب لا مجرد اتفاق .

ونحنم بملاحظات عامة على المذكرة ونظف تقديمها وما أحاط بها من دعاية وتبشير :
١ - الحرب كما رأيتم لا يزيد هذه المذكرة لا شكلا ولا موضوعا ، فأما

من ناحية موضوعها فقد عرّفتم وجه النقد وأسباب الخطأ في نقطها الرئيسية التي نشرتم ، وأما من ناحية الشكل فالوقت الذي قدمت فيه ، والشخص الذي قدمت له ، والأشخاص الذين يعذركم في شأنها - كل أولئك غير مناسب

ولا ملائم لمصلحة البلاد ؛ فواقف فرنسا من المغرب الآن أسوأ مما كان عليه في كل وقت مضى ، إذ الرقابة على الصحف وخنق الحسريات والتضييق على الوطنيين أشد وأتموى مما كان عليه في زمن الحرب .

٢ — إن هذه الذاكرة على علاتها ليست إلا من عمل المعتدلين ورأيهم في حل المشكلة ، ولكن ما هو رأي الجانب الفرنسي ؟ وما هو موقفه منها ؟ إنهم يقولون في دعائهم إن للقيم العام الجنرال جوان موانق على ما في هذه الذاكرة جملة وتفصيلاً ، ويقولون أيضاً : « إن المبادئ الأساسية في الذاكرة لا تلي في دوائر الحكومة الفرنسية في باريس معارضة ذات شأن » ، ولكن استمع الآن إلى مبدوب جريدة (أري برس) إذ يروي عن الجنرال جوان حديثاً جاء فيه : (أما عمل فرنسا حسداً على انتشار الوطنية الذي لا مناص منه فهو يجعلني ثلاثة ميادين :

١ — التمتع ، ويقضى انقاء الثروات ورقابة الصحف الوطنية واعتقال المتمردين .

٢ — الاقتصاد ، وهو يرمى بتحسين الحياة الاشتراكية والزيادة في تصدير القوارك والحبوب والقمهفات .

٣ — السياسة ، وتشتمل على إصلاحات إدارية وعملية تمكن النازية من مشاركة أوسع في تدبير شؤون بلادهم) .

فهذا هو البرنامج الذي وضعت الإدارة الفرنسية لليبيا بالمغرب إلى هدف كما يقول الجنرال جوان في هذا الحديث ، ويقول أيضاً : (إننا نلزمون على جعل المغرب قادراً على تدبير شؤونته بنفسه ، وإن آراءنا في هذا الباب تنحى أبداً من آراء الوطنيين) ، وقد رأينا تصرفه منطبقاً تمام الانطباق على برنامجيه هولا على مذكرة المعتدلين ؛ فالجوي زداد توتراً ، والضغط والقمع يستفعل لا في وسط الشعب ، بل حتى في معاملة جلالة الملك وعمره السيد ، وإلى يوم الناس هذا يوقف الموظفون امتثالاً على رئيس الدولة ويغير مواثيقه ، ويولي آخرون في الوظائف بغير إراداته ، فالحكم المباشر قد بلغ الآن صفواته وأوج كماله .

٣ - يذكرون شفاعياً وينشرون في الصحافة الخارجية تأييد السلطان لهم ، ولكن عدد نشرهم في الرأي للعلم مقال جريدة (البلاغ) اى كان طبعاً من صميمهم لم يجرؤوا على نشر ما يتعلق بتأييد جلالة لهم ، بل حذفوه وانتقلوا منه إلى أشياء أخرى ، ولو كان جلالة مؤيداً لهم لنشروا ذلك في الداخل أيضاً ، وهذا يؤكد ما استنتجناه من عدم تأييد جلالة مذكرتهم ؛ لأنه عمل حزبي ، وجلالته فوق الأحزاب ، وإذا كان هناك مفوضات أو مخبرات تحظى بتأييده فلن تكون إلا على يد مسؤولين وبصفة رسمية .

ومن المضحك في هذا الباب أن جريدة (الأهرام) الفراء نشرت من الجيرال جوان في المؤتمر الصحافي الذي عقده بباريس أنه قال عن المعتدلين : إنهم وضعوا مشروعا للمستور البلاد وقدموه إلى فئسختهم بأن يقدموه للسلطان لأنه رئيس الدولة واستشارته واجبة ، وهو يقول أريد هذا أو ذاك فأنتقل إرادته للحكومة الفرنسية .

وأخيراً يجب التنبيه إلى نقطة أساسية ، وهي أن الحزب يقول دائماً لمفاوضة إلا بعد الاستقلال ، وقد جاءت هذه العبارة في قانون لجنة التحرير التي برأسها بطنا العظيم الزعيم محمد عبد الكريم ، ومعنى هذه العبارة في نظر الحزب (لأنها ذكرت في موضوع معين ولا تكون إلا رسمية مع حكومة البلاد أو مع وعدا الرسمي لا مع حزب من الأحزاب) - مساهما أن المفاوضة في تنظيم العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والثقافية والحربية ، إن كانت مع فرنسا ، لا تكون إلا بعد الاستقلال ليكون للحزب حراً في اختيار الطريق التي يختارها والحلول التي يرضيها ، أما إذا كان مجبوراً عليه وفي ظروف الحاية أو غيرها لا يمكنه حق التعبير عن رأيه الصحيح ، وسيكون مضطراً عليه ليعطى أكثر مما يأخذ ، وليقبل ما يعرض عليه مسافراً دليلاً ، وأي اتفاق يتم بين عبد وحر وسيد ومسود !

أما مجرد المخبرات والمحدثات وتبيين وجهة النظر وإسماع الصوت وسماعه

من الغير ، فذلك حمل الحزب الذي ما انفك يوال السعى له إلى الآن وما الرشد الرسمي الذي تعاقب على باريس منذ عام ١٩٤٦ ، وما مندوب الحزب الدائم اليوم بباريس إلا لهذه الناية ، ولكن هذا شيء ، وما نذكره شيء آخر ، وقد اتصل الحزب ولا يزال يحصل بشخصيات ذات بال لمباداة الرأي ، ولكنه ما زهم ولا ادعى أنه دخل بذلك في مفاوضات .



هذه هي الرسالة التي شرح فيها المجلس الأعلى للحزب وجهة نظره في مذكرة للمعتدلين ، وهي كما ترى تدل على تحفظ كبير في الموقف ، ونحرف في الحكم على الأشياء دون الوقوف عليها والإلمام بها ، وقد حملنا نحن في القاهرة جهودا كبيرا لنحل أصحاب المذكرة على إطلاعنا في لجنة التحرير على نصها الرسمي ، وإعلامنا بمقتضى ما يجري من مذاكرات بينهم وبين الإقامة العامة طبقا لما تدعو عليه القوانين التأسيسية للجنة ، ولكن محاولتنا لم تؤد إلى نتيجة ، إذ رفض القوم الإدلاء بأي شيء يوضح المسألة أو يهدي لمعرفة حقيقةها .

ولقد روى لي الدكتور (ع) أن الجنرال جوان صرح له أثناء مقابلته بإيه بباريس بأن مذكرة للمعتدلين صالحة لأن تكون نواة للاتفاق بين الإقامة العامة وبين الوطنيين ، كما صرح له الجنرال بأنه مصمم على انتزاع السلطة من يد الملك ووضعها في يد الوزراء والنواب الجدد ، وزاد الجنرال قائلا : هذا وإن كنت أعلم أن معارضة سيدي محمد لمشروعاتي كلها شديدة جدا .

وروى لي الأستاذ (ع) — وهو خير الأول — أن الجنرال صرح له بأن مشروع للمعتدلين شيء صيغاني لا يندى الاهتمام به ، وإنما قصد من الاستماع إليه دراسة الأسس ، ثم قال له : إن عدم اتصال رجال الاستقلال بي هو الذي اضطرني للبحث عن يتعاون معي ، فأجابه الأستاذ المذكور بأن (حزب الاستقلال) لا يمكنه أن يتصل بأحد ما دام الجولان الإرهابي قائما ، وهما يمكن فإن تأسيس (لجنة تحرير المغرب) وتقريرها عدم المفاوضات قبل الاستقلال أعاد

الصفوف الوطنية لوحدها ، ولا أعلن أن هناك اليوم أحداً يفكر في سياسة
 المراحل التي قضت التجربة بفشلها ، ولذلك يمكننا أن نؤكد أن محاولة الجنرال
 جبران لإحداث خلاف عميق بين المعتدلين والمتطرفين من الوطنيين قد باء هو
 الآخر بالفشل ، وأن الكل ملتف حول جلالة الملك الذي ما يزال دائماً على
 السبل لإيقاد الموقف وتحرير البلاد .

فصل ثالث مشترك بين الجنرالين

كان وجود الأستاذ عهد الخالقي الطريس بالقاهرة في الوقت الذي كنت فيها أيضاً فرصة لتقيام بعدة أعمال مشتركة لتقريب الأعمال الأسبانية وميادهم وتوجيه الرأي العام العربي نحو الخطة المتبعة من طرف الأسبان الذين ظالمنا استغلوا الظروف ليظهروا عظمهم على عرب المشرق في الوقت الذي يعملون فيه ضدنا على عرب المغرب .

والحق أن مجهودات الوند الخالقي سبق أن كشفت كثيراً من الحقائق للعرب في مصر وغيرها ، كما أن الاتجاه الجديد الذي نحاه (حزب الإصلاح) بالاتفاق مع (حزب الاستقلال) خطا بالحركة في المنطقة الحليبية خطوة المعارضة التي كان لا بد منها لسير الحركة المغربية في طريق معبدة واحدة . ولم يأل وقد (حزب الاستقلال) بالشرق الذي كان يمثل في الوقت نفسه (حزب الإصلاح) جهداً للعمل في خيمة قضية المغرب برمتها ، وطبعاً أن يكون مجهودنا المشترك في هذه المدة التي وجدنا بها في مصر متقرباً لمجهودات إخواننا في الداخل والخارج ، وهكذا أصبحت المقاومة للسياسة الأسبانية ليست أقل من المقاومة للسياسة الفرنسية .

وقد بنيت حركتنا المتحدة عملاً لما إلى أمريكا ، فكان في جملة ما قام به من الأعمال الموقفة الدعاية لوحدة المغرب والتضديد بقضائهم الاستعمار الأسباني ، وقد قدم باسم حركتنا الاستقلالية مذكرة للسيد مرجيني في تناول فيها قضية الحماية الأسبانية بالمغرب ، وكان ذلك في الوقت الذي أذاعت فيه الدعاية الأسبانية أنها تقوم بمفاوضات رحمة مع الجامعة العربية في شأن المنطقة الحليبية وقد طالب مبعوث الأحزاب الاستقلالية في أمريكا السماح لحزب الإصلاح

والحزب الاستقلال بالإدلاء برأيها أمام اللجنة السياسية عند بحثها للعلاقات بين أسبانيا والدول الأعضاء في الأمم المتحدة وهو البحث الذي كان مقرراً الخوض فيه في أغسطس سنة ١٩٤٧ وقال : (إن الحق والعدل يقضيان بمنح الشعب الحق في المشاركة في بحث هذه المسألة الهامة التي يكون لها آثارها في مستقبله) .

وقد استدعى السنيور مازويل أزانار سفيرا اسبانيا في واشنطن الأستاذ المهدي بنونة بعد أن قدم مذكرة حزب الاستقلال للرا كشي عن المنطقة الفرنسية ، لأن السفير توقع تقديم مذكرة مثلاً عن المنطقة الأسبانية ، وذلك ما يضر بالمصالح الأسبانية عند ظهور المسألة الأسبانية أمام هيئة الأمم المتحدة من جديد وطلب منه إرجاء تقديم هذه المذكرة حتى يتصل بمريد ، فأجابته الأستاذ بنونة بأنه لا يملك حق الإرجاء ، ولكنه هو الآخر يتصل برؤسائه في القاهرة والمغرب . وقد وصل الرد للأستاذ المهدي في برقية لغواها : إذا فكرت اسبانيا في اتخاذ خطوة فليكن ذلك منها علانية وعلى مشهد من الجميع ؛ لأنهم لن يلقوا بالالأمى حركة تقوم بها اسبانيا من وراء الستار .

وقد قدم الأستاذ المهدي للسنيور أزانار المطالب الهامة التالية كشرط لقبول من تقديم المذكرة وهي :

١ - أن تصرح اسبانيا بأنها تؤيد قيام دولة مغربية مستقلة تضم مراكش الفرنسية وطلجة والمنطقة الأسبانية ، وأن تعلن كخطوة أول في سبيل ذلك الاستقلال العاجل للمنطقة الخليفية .

٢ - أن تعان الفخو العام من جميع المنفيين والسجناء السياسيين .

٣ - أن تدخل في محادثات مباشرة لتحقيق هذا النرض مع خليفة السلطان .

وقد أرسل السنيور أزانار المطالب لأسبانيا ، بلقاء الرد منها أخيراً ، وفيه سؤال من مطالب الوطنيين الخاصة بوجوه التقدم التقافي والاجتماعي واستفهام عن المقصود بالسجناء السياسيين .

وقد أول الأستاذ بنونة ذلك على أنه رفض تام لمطالب الوطنية ، فقدم
المذكرة التي تشرح حالة السياسة الأهلية المتبعة في المنطقة الخليفية ، وقد التزم
مدوب الباكستان بتأييد قضية الاستقلال المغربي ، وكذلك مدورو بولندا
والفلبين وسائر الدول العربية ، ولكن سياسة أمريكا أدت إلى إرجاء النظر
في قضية أسبانيا ، فأرجئت الفرصة التي كانت متاحة لعرض قضية مراكش
والغرب العربي برمته .

ولكن نجاح الدعاية الوطنية وظهور البراعة المغربية في تبين وجوه العرض
التي يمكن أن تعرض بها قضية ما حاج الأسبانيين فزادوا حنقا على الحركة ،
وأخذوا يثيرون جواسيسهم في أوساط الوطنيين ، ويستغلون كل من يتصل
بالقاهرة وبالزعماء المقيمين بها .

وأخيراً أصدروا قراراً تصبح الحكومة المغربية بتقتضاه مهدة من شؤون
الأمن العام ، متجاهلين المعاهدات التي تقيدهم إزاء هذه الحكومة ، وذلك لأهم
فقدوا ثقتهم في للوطنيين للشاربة الذين أصبحوا يعرضون عن تنفيذ ما يصدر
إليهم من أوامر ترى لكبح جراح الوطنية ورجالها ، ويقضي القانون الجديد
بأن المحاكم الأسبانية هي التي تفصل وبعدها في كل ما يرجع للأمن العام .
وقد تنبه (حزب الإصلاح) في الوقت المناسب لهذه المحاولة ، وأصدر بياناً
يتلخص فيما يلي :

« لقد كانت هذه الخطوة التي أقدم عليها الأسبان خطورة جداً ، وسوف
تؤدي حتماً للاضطراب بيننا وبينهم ، فقد ألغت السلطة الأسبانية الحكومة
للمراكشية إن شاء الله ، إذ ألغت مهمة الأمن العام بسلطة المراقبة الأسبانية .
« ذلك أن المادة الثانية من القرار تلغي الشرطة المغربية ، وتسد مهمتها
للبوليس الأسباني ، وتنص المادة الثالثة على إعطاء البوليس الأسباني حق تفتيش
المنازل دون قيد ولا شرط ، وإذا كان هذا مخالفاً لجميع القوانين فإنه مخالف
كذلك لتعاليدنا الإسلامية ، وسوف تفعل المحاكم الأسبانية في سائر القضايا

مستمدة على محاضر البوليس الأسباني وملاحظاته ، وسوف يتعلق البوليس الأسباني
بمقتضى المادة السادسة الأوامر من دار الإقامة العامة مباشرة ، وبذلك يحكم
المنازعة حكماً مباشراً من قبل دار الإقامة ، وهذا اعتداء صريح حتى على معاهدة
الحماية التي لا تعطى لأسبانيا سوى حق المراقبة ، وتعطى المادة الثامنة البوليس
الأسباني صفة عسكرية ، وبذلك ينتقل حق الفصل في قضايا الأمن إلى القضاء
المسرى الأسباني ، وهكذا تنتدى أسبانيا على القضاء الإسلامى وتضع الممارضة
تحت رحمة المحاكم العسكرية الفاشية ، وهذا مناه إعلان الأحكام العرفية
الدائمة في المنطقة : وهذا وقد أُلغيت جميع التشريعات التي تتعارض مع
هذا القرار .

وما علم الشعب حقيقة القرار الجديد حتى هاج واجتمع بالمسجد الأعظم ،
حيث انتخب ونداً عنه يرأسه الشيخ أحمد بن عبد القادر القاسم لمقاومة صمو الخليفة
وتقديم الاحتجاج على المرحوم الجديد ، كما أمرت المدينة العتوانية تضامناً
مع الوفد ، وقد اعتبر صمو الخليفة احتجاج الشعب وضم صوته إليهم ، وطالب
بمنع القرار ، وبعد مخاضات بين الحكومة الخليفية وبين الإقامة العامة وقع
تعيين في القرار رجوع نصيباً من الحق لأربابه ، ولا تزال الجهود الخليفية
مهذولة لاسترجاع الباقي .

لكن هذه المعارضة الشديدة التي ظهر بها الشعب وأيدها تضامن المغاربة
والماملين منهم في الداخل والخارج أشعرت الأسبانيين مرة أخرى بخاطر تنسيق
الحركات المغربية ، كما أشعرت الفرنسيين بمخاطر السياسة التي اتبعوها مع فرانكو .
ولذلك فقد اتجه كل من الجنرال فاريلا والجنرال جوان المقيمين العاملين
بالغرب إلى العمل على توحيد خطتهما في صرا كش دون مراعاة للفروق السياسية
التي بين فرنسا الجمهورية وبين أسبانيا الفرنسية .

وهكذا اجتمع الجنرالان مع أركان حروبهما ونخبة من رجال الحل والمقد
الفرنسيين والأسبانيين في مدينة طنجة ضمن مؤتمر خاص ، وبعد أن درسوا حالة

المغرب وشأن الحركة الوطنية والتفسيق الحاصل بين حركات الشئيل الإفريقي ،
قرروا هم أيضاً توحيد الحملة بينهما ، والسير في النقطتين على أساس المقاومة
للوطنيين والاضطهاد للشعب ، وللمعارضة للقصر ، والتأييد بمعنى الإصلاحات
السطحية ، وتوجيه البلاد صوب الوجهة الغربية المحض ، وقد انتمت هذه الاتفاق
في أوائل فبراير سنة ١٩٤٨ .

وفي هذه الأثناء كان موعد رجوع الأستاذ المهدي بنونة من أمريكا
والأستاذ عبد الحائق الطريس والأستاذ محمد ابن عبود إلى مسقط رأسهم ، فما
راعهم إلا والإقامة الأسبانية تقرر منهم من المدخول لمصلحة قعودها ، ولكن
ذلك أحدث موجة استياء عظيمة في الأوساط الوطنية والشعبية انصح منها
لجميع صحة ما كان شائعا من أن المقيم العام الأسباني اتفق مع الجنرال جران
على القيام بسياسة قم عام للحركة الوطنية ورجالها .

لذلك لم يتأخر الشعب عن إظهار تضامنه مع المضطهدين من أبنائه ، فأضربت
عاصمة تطوان يومين كاملين ، وسارت الجماهير الثيرة في مظاهرة كبيرة نحو
قصر سمو الخليفة للاحتجاج على تصرفات السلطة الأسبانية .

وفي اليوم الثامن من فبراير صحت المظاهرات سائر المنطقة الخليفة حيث
هاحت الجماهير في المدن المختلفة هاتفة بحياة المغرب المستقل وحياة جلالة الملك
وسقوط الاستعمار الفرنسي والأسباني ، وكان يترجم هذه المظاهرات زهاء حزب
الإصلاح بالمنطقة ونخبة من رجال الشعب المتأزمين ، وقد اضطرت السلطة
الأسبانية لاستخدام الجند المنظم ، فاصطدم بالوطنيين الذين اقتحموا الميدان ،
وأطلق الجند الأسباني النار على المتظاهرين ، فقتل أربعة وجرح كثيرين ، ثم
ألقى القبض على أعضاء اللجنة التنفيذية لحزب الإصلاح الوطني ، كما ألقى القبض
على الكثير من أنصار الحركة والقائمين بها ، وألزم عديداً من أهالي المدينة
بالمكث في منازلهم ، وفرضت عليهم غرامات ضخمة ، ومن بين هؤلاء الأبطال
الشيخ أحمد بن عبد القادر القاسمي الذي أُلقي في الحوكة بلاه . حسب جرحهم

شيخوخته وتقدم سنه .

ثم وقعت اصطدامات أخرى أدت إلى موت ستة من رجال الشرطة ،
واستشهاد زهاء العشرين من الوطنيين ، وقد أعلن (حزب الاستقلال) اعتناكه
لهذه الاضطرابات ، وبحث الأمين العام للحزب الحاج أحمد بلافريج برقية
احتجاج للجامعة العربية ولسكرتارية الأمم المتحدة ، كما قامت مكاتب الحزب
بفرنسا بنشر الأحبار المتعلقة بالحوادث والشهيد بفظائع الأسبانيين فيها .
وأما في مصر فقد أعلنت الأحزاب الاستقلالية المثلثة في (لجنة التحرير)
تضامنها مع المغرب في محنته ، وأذاع رئيس اللجنة البطل الكبير محمد بن عبد الكريم
الخطابي البيان التالي :

« بينما تسمى جميع الدول في تحسين أحوالها على أثر انتهاء الحرب العالمية
الأخيرة لا تتطور الحوادث في أقطار المغرب العربي إلا من سوء لأسوأ ،
كما لو كان هناك سباق عنيف بين فرنسا وأسبانيا في سبيل إزلال أفدح
الكوارث بهذه البلاد البريئة ، ولا نكاد نخرج من الحديث عن التضحيات
الجسيمة التي حملتنا إياها فرنسا حتى تسرع أسبانيا إلى تحميلنا مثاها ، وتقع الآن
في تطوان حوادث دامية ذهب نعيمها كثير من أبناء هذه المدينة الباسلة لا شيء .
سوى أنها احتجعت على منع ثلاثة من أبنائها البررة من الدخول إليها ، وإذا
كانت هذه الحوادث تدل على شيء فهو بسالة الشعب المغربي وجبن الأسبانيين
القاسيين ؛ لأنهم طعنوا بالسلاح من الخلف شعباً أعزل ، أما عندما كان لهذا
الشعب جيش مسلح فقد كانت الجيوش الأسبانية تندحر أمامه فرقة تلو فرقة
من أول اللقاء .

« إن أسبانيا وفرنسا على اختلاف سياستيهما متفقتان ضداً على أقطار
المغرب العربي وهما قائمتان بتدبير خططهما ومواصلة العمل لاقضاء على العروبة
في هذه الأقطار ، وإذا كنا نهيب بإخواننا عرب المشرق للانتباه إلى الدسائس
الأسبانية التي ما تزال أسبانيا القاشية تحاول بها بث دعايتها الكاذبة في الوقت

الذي تسفك فيه دماءنا ، فإنني أعلن في نفس الوقت أن الشعب العربي في تونس والجزائر وسواكش ممدوم على أن يواصل الكفاح إلى أن يحقق حريته الكاملة واستقلاله الناجز أو يغنى عن آخر رجل ولو بقي وحده في الميدان ، لأن هذه البلاد تهملت من المستعمرين فوق كل ما يمكن أن تفعله بلاد أخرى حتى تلك التي ابتليت بالاحتلال النازي .

« وإلى لأولئك أننا سوف ننتصر في النهاية ، وأن يوم انتصارنا يقترب عندنا ما تكثر النضجيات التي نبذلها لمناهضة الاستعمار ؛ لأن اضطهاد أسبانيا الفاشية لنا يرجع إلى الضعف والبلين ؛ أما مقاومتنا فصدرها الشجاعة والإيمان »
وعند (مكتب للغرب العربي) اجتماعاً للمصالحيين وزع عليهم فيه بيان رئيس لجنة التحرير ، وألقى فيه كل من علال الفاسي والحبيب أبو رقية والدكتور سليمان ابن سليمان خطاباً في محنة الشمال الأفريقي .

كما دعا مكتب اتحاد الجمعيات الإسلامية بالقاهرة لاجتماع عام بالمركز العام للشباب المسلمين خطاب فيه رئيس الاتحاد محمد طلحة باشا ورئيس الشباب المسلمين محمد صالح حرب باشا والمرشد العام للاخوان المسلمين لشبغ حسن البنا ورئيس قسم الاتصال التابع للهيئة العربية العليا الشيخ صبري طابدين وعلال الفاسي باسم الأحراب العربية الاستقلالية ، وكان في جبهة الحاضرين الأمير عبد الكريم وحسنه وثلة من رجال العرب المسلمين .

وقد وجه المجتمعون احتجاجاتهم على تصرف اسبانيا وأعمالها .
وبمناسبة انعقاد اللجنة السياسية للجامعة العربية دعت (لجنة تحرير العرب العربي) الوفود العربية لاستقبال أقامته بمكتب للغرب العربي ألقى فيه الأمين العام للجنة خطاب رئيسها الأمير عبد الكريم ، فأجاب الأمين العام للجامعة العربية بكلمة قال فيها : (لقد قلت مراراً وأكرر الآن إن هذا الطائر العربي الذي يريد أن يطير مودف لا يستطيع ذلك بجناح واحد ، وجناحه الآخر مريض في بلاد الغرب ، ولن تحتل الأمة العربية للسكينة الثلاثة بها تحت الشمس

ما، هابت بلاد الغرب محنة ، وإن هذه النهضة المباركة التي تمت جميع أطراف
 العالم العربي لا يمكن أن تؤني ثمارها إلا إذا استقلت أقطار بالغرب العربي
 استقلالاً تاماً ، فإذا كان أهل للشرق يكافحون في سبيل استقلال الغرب فأنتم
 يكافحون لأجل استقلالهم الخاص ، ولأجل رفيع لواء الرحمة والمساواة والإخاء ،
 ولقد تبادلنا نحن والأوربيين على شاطئ البحر الأبيض المتوسط زيارات مختلفة
 واستقروا عندها واستقرنا عندهم ، ولسكننا تركنا لغيرهم آثار الحضارة وال عمران ،
 ولم يتركوا لدينا في كل زيارتهم سوى أعمال وحشية ، ولقد كانت بلادنا مدينا
 للحضارة والرحمة والإخاء ، فلهذا العالم الزخامة والصداقة والكتابة ، كما كانت
 بلادنا مديناً لديانات حملنا ذلك كله في زيارتنا لشواطئ البحر الأبيض الشمالية .
 وقد استطاع المشارقة أن يحقنوا أهدافهم إلى حد ما ، وسوف يستطيع
 للثاربة كذلك أن يحقنوا الأهداف التي يكافحون في سبيلها ، ولقد كنت أكره
 مثلكم في سبيل قضية كنت أصحبها بسيلة المال ، ولم تكن عندي بلاد عربية
 أتجني إليها ، أما أنتم فأنتم فأنتم فأنتم فأنتم فأنتم فأنتم فأنتم فأنتم فأنتم
 واشتدتم أن تنجأوا إلى الشرق ، فأنتم في وطنكم تواصلون كفاحكم ، واست
 أشك في أنه سبب في اليوم الذي نذهب فيه جميعاً لبلاد الغرب ، إن كثيراً من
 الناس لا يعرفون جيداً بلاد الغرب ، وإن أقول لهؤلاء إن الثاربة أشد الناس
 صبراً على تحمل مصائب المكفاح ، وأصدق الناس عزماً على الموت في سبيل
 استقلالهم ، وهم قوم أشد إذا خربوا توكأوا ، وإذا توكأوا حقنوا أهدافهم رغم
 جميع المصائب ،

وبإتيا الفرصة سيدة هذه التي جمعت في هذه الدار القديما من مجاهدي
 العراق وسوريا ولبنان والمملكة العربية السعودية واليمن وشرق الأردن ومصر
 وهؤلاء يضرعون لكم المثال على أن الله لا يخون الناس عملهم ، وقتل أعمالوا
 فيرى الله عملكم ويرى مولدوا المؤمنين .

وعندما انتهى سعادة عزام باشا من كلمته تفضل دولة رياض الصلح بك ،

وأعلن الحاضرين أن الوفود العربية على أنهم الاتفاق مع حزام باشا في كل ما قاله وقال : لقد اتفقا على أن تنهب عنا جزائنا في الكلام ، وسوف نروب منا المجاهدين في سبيل قضية المغرب ، كما رأيت منا المجاهدين في قضية المشرق سواء بسواء .



هذا ولما علمنا نبأ منع السلطات الإسبانية للأئمة من إلقاء خطب الجمعة ، وأن الناس حلوا إحدى الجمع من غير خطبة رفعت احتجاجا شديدا للجهات المختصة ، وقابلت سمادة سفير الفاتيكان في مصر اللونسور هيوز ، وقدمت إليه باسم (حزب الاستقلال) احتجاجا على الأعمال التي تقوم بها السلطة الأسبانية في المغرب ، وعلى استمرار الحجة الفرنسية في تنفيذ السياسة البربرية ، وقد وعد برفع الاحتجاج لنداسة البابا .

وكان في عزم جلالة الملك العربي عبد الله بن الحسين ملك المملكة الهاشمية في شرق الأردن التهام زيارة لاسبانيا وللنطقة الخليفية بالمغرب ، وكانت الصحف قد نشرت هذا النبأ منذ سنتين ، وأرادت الدجاية الأسبانية أن تجهض من حوله إشاعات علم الناس كلهم بطلائها . والباية التي كان يرمي إليها جلالاته من هذه الزارة هي أولا ربط أوضاع المصادقة مع البلاد الأسبانية ، ثانيا إغالة موسكو التي صممت على المقاومة لاستقلال شرق الأردن ، ورفض منحوش في الأمم المتحدة قبول الدولة الهاشمية عضواً في هذه المنظمة المالية ، وإلى جانب هذا وذلك فإن اهتمام جلالة الملك عبد الله بالحالة في المغرب العربي ليست أقل من اهتمامه بالحالة في بلاده وما يجاورها من أقطار المشرق العربي ، ولقد سبق أن اتصل جلالاته بممثلي فرنسا واسبانيا في عمان وتحدث إليهما في ضرورة تفسير السياسة المتبعة مع العرب في شمال أفريقيا ، ولقد ظن جلالاته على ما اعتقد أن السفر إلى اسبانيا يفسح له مجال الدخول للمنطقة الخليفية ، وربما إلى المنطقة السلطانية أيضا حيث يتمكن من الاتصال بأبن عمه ملك البلاد المغربية ، وتجهيد

أوامر الصداقة والقرب بين المداكتين الهاشميتين ، ولكن ظروف جلالة لم
تسمح له بتحقيق هذه الزيارة التي كان مشغولاً عنها بإقرار شؤون مملكته في
أوائل عهدا بالاستقلال .

فلما وقعت حوادث المنطقة الخليجية وظهر صداها العظيم في العالم العربي ،
وتوجهت الاحتجاجات لاسبانيا من أمين الجاسرة وممثل الرأي العام العربي ،
فلت الدبلوماسية الأسبانية أن العودة المشرقة لزيارة المملكة لاسبانيا من
شأنه أن ينطلي على صدى الاستياء العربي ، وأن يوم الغاربية — على الأقل —
أن من بين العرب أهلاً كبيراً من سلامة النبي عليه السلام يستمر في صداقة
اسبانيا دون اهتمام منه بما تفعله مع الغاربية .

وسدا لسبيل هذه الدعاية الاستعمارية وفست مذكرة للحكومة الأردنية
بواسطة وزيرها المفوض في القاهرة شرحت فيها ما يرجوه الغاربية من جدالة
للك الهاشمي الذي لا تشك في أن عطفه على بلادنا ومحبه للمكنا واهتمامه
بندجاق قضيتنا إسبانيا من الدالة على جلالة ما يخلو لنا الحق في أن نرفع إليه
رغبنا في تأخير هذه الرحلة إلى ظروف لائقة .

وقد وجدت من استقبال سعادة الوزير المفوض للملكة الأردنية وحسن
تقديره للموضوع ومن توجيهه للتقيد ما سهل نجاحنا في الأمور التي أردناها ،
ثم توجهت مصحوباً بالأستاذ أحمد المليح إلى عمان حيث وصلنا ، واتصلنا
توياً بمسالي الملقى باشا وزير الخارجية الأردنية إذ ذاك ، وقد سبق أن تعرفنا به في
القاهرة وقد رنا لعنه وعنايته وحظيم وعيه العربي ، فاستقبلنا سعاده بمجزلة الصامر
وأكد لنا أن جلالة الملك قد حقق رغبنا إذ كانه بقبايغ الفير الأسباني أن
جلالته أخر الرحلة إلى موعد آخر .

ومن الغد شرفنا بمقابلة جلالة الملك عبد الله بقصر الشويكات حيث يقضي
جلالته فصل الشتاء . واستمرت المناظرة المسكية زهاء الثلاث ساعات بحضور
الملقى باشا تناولنا أثناءها مختلف الموضوعات الخرجية والسياسية ، وقد رأينا من

جلالته معرفة كهيرة قضيتنا وتقديراً للحالة التي آتت إليها بلادنا ، واهم علينا
جلالته بعض الجهود الكريمة التي بذلها لخدمة القضية المغربية نفسها وبلادنا
على أنه سمعنا توجيهااته المالية لندوب المملكة الهاشمية في مجلس الجامعة العربية
حتى يكونوا لسان المغرب الناطق بالذهب عنه وعن حقوقه ، وحمل الجامعة
العربية على مضاعفة اهتمامها بشؤوننا ، ثم تفضل جلالته باستدعائنا لتناول المشاء
على مائدته الكريمة ، وأبت الطاقة الهاشمية إلا أن يكون (الكسكس)
المغربى من ألوان الأطعمة المقدمة لنا ، ولما قلت لجلالته إننا قد وجدنا عند دولانا
كل خير حتى (الكسكس) المغربى ، قال لى جلالته لقد أحبيت أن تشعروا
بأنكم فى بلادكم .

ومن المند تفضل جلالته باستقبلنا مرة أخرى بقصر الرخدان بالعاصمة ،
أمام ثلاثة من وزرائه وكبار دولته ، واستفهمنا جلالته بمحضرهم من ميزانية
سراكش ، وكيف تمها ، وأين تصرف ، وعن الجيش الموجود بالبلاد ، ومسير
الجيش المغربى العظيم ، ولما أخبرناه ببعض ما نعلمه من الحقائق تأثر جلالته وتأثر
الحاضرون معه تأثراً كبيراً ، وأبدوا استيائهم العظيم من الحالة التي وضع فيها
حرب المغرب بسبب الاستعمار الفرنسى والأسباني ، ثم شرفنا جلالته باستدعائنا
للمشاء معه مرة أخرى .



وبعد هذا وذلك فإذا كنا ذكرنا أمثلة لفشل الجنرال جوان فى المغرب فإننا
لا قصد من ذلك التعرض لشخصه ولا التقييم من قيمته كما كبر جنرال
فرنسى له موقفه فى تحرير أمته والفضال عن استقلالها ، ولكننا نريد أن نثبت
ضعف النظام للفروض على بلادنا ، ولأن التقييم العام للحالي من كبار الشخصيات
الفرنسية فإنها فشله للمهان خير دليل على أن الفشل هو من ذات النظام ،
لا من الأشخاص الناعمين به ، ونحن نعتقد أن تعاقب التقييمين عسكريين ومدنيين
لا يغير شيئاً من الواقع ، لأن ممثل فرنسا فى بلاد الحماية سرغم على أن يسير فى

دائرة التوجهات الاستعمارية التي تتعارض وسائر الأمن القومي ، وليس في إمكانه كشخص بشري أن يقاوم إرادة الأمة القوية أو يحول دون انتصار الأفكار الحرة في البلاد ، وإذن فواجب فرنسا أن لا تضع الوقت في محاولات محكوم عليها بالفشل سلفاً ، لأن ذلك سيكون جريمة لا نحو المغرب فقط بل نحو فرنسا نفسها ، والخير لنا ولنا أن نتعرف بالحقيقة كما هي ، ونؤمن لما يقضي به الإنصاف فتعلن استقلال المغرب ، وحينئذ تبعث لنا ممثليها لتدشن عهد الصداقة الفرنسية المغربية على أساس الرغبة المخلصة وتبادل المصالح العادلين .

رعاية جلالة الملك لحركة الإصلاح

ليس اهتمام جلالة الملك بشؤون الإصلاح في بلاده شيئاً غريباً ولا متجديداً ،
فقد ارتقى جلالاته على مرش أسلافه الكرام هو ينشط وسائل التقدم ومظاهر
التطور ، ولكن جلالاته ضاعف مجهوداته في هذا الصدد منذ طلبت الأمة من
الملك في ميثاق الاستقلال أن يرض بمصائبه الكريمة حركة الإصلاح في أمته ،
فأصبح الشغل الشاغل لمولانا هو العمل على تحقيق أمنية شعبه وتوجيهه نحو
النور والانصاف .

وجلالته على يقين من أنه لا تقدم للأمة إلا بالمعرفة ، ولا ارتقاء للشعب
إذا لم يحصل أبناءه جميعاً على القسط الضروري من العلم ، لذلك بذل جهده
الشريف في فتح المدارس وتشجيع القائمين عليها ، وقد أنفق حفظه الله في ذلك
من ماله انكاس المبالغ الضخمة ، ففتح لأمته ذلك باب القدوة الحسنة ، حتى
أصبح الأخلاء من أمته ورجال الهيئات في مملكته يتدفقون في التقرب لجلالاته
بتأسيس معاهد علمية والتبرع لها .

وقد أعطى من ذريته الكريمة وعنايته بها مثالا صائفاً للأباء ، وقدوة
للأبناء ، حتى أصبح الأمراء الكرام والأميرات المجيدات يحيط أنظار الشعب
ومضرب مثل الجميع ، وجهود سمو ولي العهد أمير الأطلس حفظه الله السائرة وثق
توجيهه جلالاته في هذا المنع أمر خير خفي على أحد ، والأثر الذي يحدته وجوده
في الأوساط الشعبية كلما ظهر للعيان بمناسبة تدشين مدرسة أو افتتاح معهد خير
دليل على ما للأسرة المالكة من مكانة في القلوب ومستقر في النفوس .

وليست عناية مولانا بالتعليم الديني أقل من عناية جلالاته بالتعليم للدني ،
ولولا رعاية جلالاته وحمايته للفرويين والمعاهد الديلية الأخرى ، واهتمامه برجالها

لما استمرت الثقافة الإسلامية في المغرب بعد الذكبة التي أصابتها من جراء الظلم
البربري والسياسة التبشيرية التي سارت عليها الحياة .

وقد أحى مولانا سنة البعثات العلمية لأوروبا التي منها جده المصلح الكبير
مولاي الحسن ، فوجه على نفقته الخاصة عشرة من الطلبة يشعرون بكرامة ربائب
الجمعة الملكية في الوقت الذي يتمتعون فيه بوسائل إتمام ثقافتهم وتوسيع معارفهم .
ومن الأئدي البيضاء التي أسداها جلالته لأمته اهتمامه بتثقيف البليت المغربية
وإنهاض المرأة وتشجيعها على العمل لتحرير نفسها بنفسها ، ولقد قدم كريمة العزيمة
عليه الأميرة عائشة لتعزم نفسها حركة التمويض بالفتاة المغربية فحضر بذلك على
يد الجامدين وعلى ترهات البطلان ، ووجه الحركة النسائية توجيهها صهجا بعيدا
عن كل ما يمس بالدين أو يتنافى مع الأخلاق الفاضلة ، ولبت المرأة المغربية دعوة
ولي نعمتها فسارت تعمل وتداب لتحقق آمال جلالته فيها ، وهامى هذه اليوم تسير
إلى جانب الرجل لخدمة المجتمع وإصلاح شأن الأمة والعمل على تحرير الوطن
ومد سبيلنا نصره الله يد الدون لحركات الشباب الرياضية والكشفية لها
وذب عنها ، وقدم لها الجوائز ، وحضر بنفسه في أهم مبارياتها ، وفتح ساحات
(مشوره) السيد لسكل من ضاقت به من الفرق الوطنية ساحات اللعب الرسمية
كما نشط الموسيقى والدون الجميلة وشجع أصحابها وأسعف العامين على تطويرها .
ونظر رحمه الله في شأن الإسفاف المظلم ، فاهتم جلالته بالجمعيات الخيرية
وأمددها ، وشارك بنفسه الكريمة وتوجيهاته القوية وإماداته العظيمة في نشاط
المسيرين لها والقائمين عليها .

وإذا كنا سنتحدث في الفصل اللوالى عن بعض الجبهودات التي بذلها
(حزب الاستقلال) في الميدان الثقافي والاجتماعى فيجب أن نؤكد أن روح
مولانا هي التي تهتت في كل الجبهودات الشعبية ، وأن حزب الاستقلال وغيره
ليسوا سوى ملهين لدعوة الملك ومعتدين بسببه ، وأن استجابة مولانا لرغبة
الاستقلال في رعاية حركة الإصلاح كانت فائحة السعد الذي يتلهو اليوم
وسيهو بعد قابل عصر النهضة والتقدم والاعتاق .

نشاط حزب الاستقلال

في الميراث الثقالي :

وإذا كان حزب الاستقلال الوارث العظيم للحزب الوطني والسكتلة الوطنية فإنه قد سار على سنن مورثيه في الاهتمام بالنواحي الثقافية والاجتماعية ، ولم يقف بمجهوده عند النشاط السياسي والاقتصادي الذي سبق أن شرحناه ، ولا في الميدان الدبلوماسي الذي سمدود سره أخرى إليه ، بل تجاوز ذلك إلى الناحية الثقافية ، فكان اللون الأكبر لحركة التثقيف العام السائرة وفق توجيهه مولانا نصره الله ، ومجمله في هذا الميدان متعدد الجوانب ، ولكنه متحد النية والاتجاه ، وللهزب لجنة مركزية للتعليم تابعة للجنة التنفيذية ، وللجنة المركزية فروعها في كل المدن والنواحي ، وهذه اللجان هي التي تشرف على تسيير التعليم التابع للحزب ؛ تؤسس المدارس وتضع البرامج وتؤلف الكتب وتخرج المعلمين وتوجه البعثات ، ولها لجنة فرعية هي الأخرى خاصة بإسفاف الطلبة وقروض الشرف ، وقد بلغ عدد المدارس التابعة للحزب التي يتفق عليها أو يساعدها أو يرعاها زهاء المائة مدرسة يتعلم فيها من الأيتام والبنات أكثر مما يتعلم في المدارس التابعة لإدارة المعارف الصومالية ، ويهيئ الحزب للتلاميذة زيادة على الدراسة وسائل القروض والتهديب بديار الطلبة التي يفتحها في أهم المراكز ، وبالتنظيم الذي يرعاه في كل الأوساط المدرسية ، وبالحفلات العامة التي ينظمها للطلبة ، والفسح الإجماعية التي يهيئها في أوقات الربيع والصوف وغيرها ، ولجان الطلبة الاستقلاليين تقوم من نفسها بأعمال جليلة لبث الفكرة الصالحة ونشر الدعوة النبيلة ، والتدريب على العمل والتعود على حياة التعاون بين التلاميذة لأجل الصالح العام ، وصفحات الشهاب للطلبة في جرائد الحزب هي

المجال لتسكرون ألقى عام بين هؤلاء الشباب الذين يحسون بأن لهم في حركة بلادهم جناحاً يصلون فيه وينتظرون معهم إلى اليوم الذي يمهرون فيه رجالاً قادرين فيشاركون بأنفسهم في القبض على زمام السكفاح في الجبهتين الداخلية والخارجية لتسكرون الأجيال للفرية السعيدة المرة .

واقضى الحزب بمولانا نصره الله فوجه بثبات علمية مختلف الكليات في الجزائر وفرنسا ، وقد بلغ عدد الطلبة الذين يتناولون الدروس العليا في الخارج بمساعدة الحزب وورعايته زهاء التسعين طالباً أسس لهم (حزب للاستقلال) مركزاً خاصاً يشمل كل من علمهم وزاد ومجتمع ، وكون لهم لجنة من تلقاء أنفسهم لتوجيههم في النواحي الصالحة التي هم محتاجون إليها ، وهذه اللجنة التوجيهية هي التي تنبه الطالب المراكشي للناحية العلمية التي ينبغي له أن يخصص فيها وفق ميوله ووفق حاجة البلاد للجنة ، ولها نشرة خاصة يحررها الطلبة أنفسهم ، ويهرون فيها عن رغباتهم ، وفي كل أسبوع يلقى الطلبة محاضرة عن موضوع يرجع للحزب أو للنواحي التربوية القومية التي يجب أن يتلقاها الطلبة فيما يتفقونه من معرفة قبل أن يرجعوا لوطنهم كي يتحملوا مسؤولية العمل بما علموا .

هذا علاوة على الاتصال العام الذي يقع بين عموم طلبة شمال أفريقيا المسلمين في جمعيتهم المجيدة ، وزيادة على للتجارب التي يتقنونها في كل عام لطلبة العرب ومن حسن الحظ أن الاتصال اليوم متين بين مختلف الطلاب الوافدين من البلاد العربية على باريس وفرنسا وعلى أنجلترا وبلجيكا وسويسرا ، والرحلات المتبادلة بين مثل هيئات الطلبة في هذه الأقاليم من أعظم وسائل الصلوة لفكرة العربية التي تملأ نفوس الشباب المغربي اليوم .

وقد وضع الحزب نواة للتعليم الديني الثانوي في الأقسام التحضيرية التي أسسها بذاين والرباط والبيضاء ، وذلك سيراً بطريق التدرج لتسكرون ثقافة ثانوية إسلامية تعاقب في المعاهد الدينية ولا تختلف في برامجها من المدارس الثانوية الرسمية إلا في الاهتمام بالعلوم الإسلامية ، وفي الوقت نفسه وضع نواة

تعليم ثانوى مدنى حر فى مدرسة جوسون ومدرسة سيدى محمد بالبيضاء ، وتنظم دروساً حرة لتكوين معلمي المدارس الابتدائية . وبالجملة فهو يعمل فى حدود الدائرة الممكنة على سد النقص الذى كان يجب أن تملأه إدارة المعارف القنصلية أو تسمح على الأقل بمشقة دون صراحة ولا إحداث صعوبات .

ومع أن الحزب لم يتمكن لحد الآن من تنظيم هيئة قائمة بنفسها فى الشرق على ضرار هيئة الحزب الوطنى ، فقد وضع نواتها ، إذ يوجد طالبان بمصر يدرسان على نفقة الحزب ويمتصون توجيهه ، ومثل لجنة التسييم تهتم بسد هذا الفراغ فتوجه هيئة مهمة من حملة شهادة التعليم الثانوى الإسلامى وحملة شهادة التعليم الثانوى المدرسى لإتمام دروسهم فى الكليات المصرية والسورية حتى يتهيأ للجنة العربية أن تنال حظها من المتخصصين الذين يتمكنون من نشرها فى كل مناطق الحياة العراقية بالغرب .

ولتنشيط الدراسات العربية أسس الحزب مجلة (رسالة المغرب) التى تعتبر أرقى مجلة فى الشمال الإفريقى باللغة العربية ، وقد ألف من حوها عديد من الأدباء والكفأ والشعراء الذين يعملون على تطوير الأدب العربى وإحيائه ، ويشترك (وقد الحرب) فى مصر فى هذه الحركة بمجهود يشكر عليه . وقد قدم المجلس الأعلى للحزب تقريراً خاصاً فى ضرورة الخطو بهذه الحركة إلى مدى أبعد ، وعليه فمن الممكن أن نقول من الآن إن ثقافة قومية ستسكون من مجهود الاستقلاليين الذين يمثلون النخبة الجامعية فى البلاد .

فإذا أضفنا لذلك كله مجهود لجنة الصحافة التى تخرج لصحيفة جريدة (العلم) اليومية كأرق جريدة يومية فى المغرب العربى كله وجريدة (التقدم) الأسبوعية ومجلة (صوت الشباب العربى) ، علمنا مقدار النشاط الذى يشتهه الفكرة الاستقلالية فى نفوس المؤمنين بها والعاملين فى دائرتها .

وإذا كانت هذه الجهود التأسيسية تسير وفق ما تسمح به ظروف القنصل العام الواقع فى البلاد والتى لا تمكن الحزب من تحقيق آماله التثقيفية على الوجه الذى يرضيه — فإن الجهود مستمرة لإقناع السلطات بضرورة تطبيق التعليم

القوى وفق المنهج الوطني الواجب التنفيذ .

ولقد أتاح مولانا نصره الله لبعض إخواننا أن يبدوا عن آرائهم في الموضوع حينما قرر تكوين اللجنة الملكية لوضع مشروع ميثاق التعليم بالمغرب ، فاشترك من إخواننا في القسم المغربي للجنة شباب قادرون مختصون في التعليم ومدرسون عليه ، وقد هيأ القسم المغربي مشروحا ناقشه الأعضاء الفرنسيون والمغاربة ثم أقره الآخرون بإجماع الأصوات ، والأولون بالأغلبية الساحقة .

وينص ميثاق التعليم — بمقتضى هذا المشروع — على المبادئ التالية :

- ١ — التعليم الابتدائي الإلزامي لجميع المغاربة ذكورا وإناثا .
- ٢ — الصفة المغربية للتعليم على أساس اللغة العربية .
- ٣ — مجانية التعليم في جميع المدارس الرسمية .
- ٤ — توحيد برامج التعليم الابتدائي في جميع النواحي المغربية .
- ٥ — حرية التعليم في كل درجاته وبكل أنواعه وفق نظام خاص يوضع لذلك .

٦ — حرية دخول الممارسة لجميع المؤسسات التعليمية الموجودة بمراكش .
وقد حاق الأعضاء للمناقشة على كل مبدأ بما يشرح البواطن التي دفعت بهم لإقراره ، ثم ختموا تقريرهم موجبهين الخطاب لجوهر الأعضاء بما يلي :
« هذا العرض يبقى عديم الفائدة إذا لم يرد به أن يشرح لجمهوركم الورقة آمال الشعب المغربي فيما يتعلق بمستقبل أولاده ، إن الأنظار متجهة إلينا نحن الذين تكلفنا به — بل نبيل هو الاهتمام بمسألة الجسم المغربي وإعطائه الصحة والسلامة » .

« وإن الأعضاء المغاربة لهذه اللجنة ليرجعون بممثلي الثقافة الفرنسية الذين جاءوا لمشاركتنا في وضع ميثاق السير بالأمة في طريق السعادة ، وإن صاحب الجلالة الشريفة قد وضع ثقته فينا فلنسكن أعلاها » .
وقد صوت الأعضاء الفرنسيون القادمون من فرنسا ، وهدم ثلاثة ، مع

الأعضاء المغاربة ، بينما استعني اثنان من الأعضاء الفرنسيين المختارين من الموظفين بإدارة المعارف المغربية من عضوية اللجنة مذهبين أنها تسير في اتجاه عدائي للغة الفرنسية ، وصوت العضو الثالث من الأعضاء للموظفين بالمغرب مع الأعضاء الفرنسيين القادمين من فرنسا ، فكانت أغلبية الفرنسيين مع الأعضاء المغاربة كلهم في جانب المشروع ، وبعد إنجازه وقع باسم اللجنة بالملامح الذي أبدى رضاه الكامل عليه وعلى مقرريه ، ولكن الإقامة القصيرة أثبتت الصداقة عليه لحد الآن ، ولا يزال مولانا يرد إليه كل ما يمرضه عليه مدير المعارف من مشروعات ترجع للتعليم ، ولهذا يمكننا أن نقول إن في تولي صاحب الجلالة الدفاع عن ميثاق التعليم المغربي خير ضمان لتحقيقه في القريب العاجل بإذن الله .

ولا ينبغي أن ننسى التنويه بما قام به ممثلو المعارف المغربية في الدورة الأخيرة لما يسمونه بمجلس شوري الحكومة ؛ فقد تولوا الدفاع عن الأسس السابقة ، وعالجوا على ضوءها سائر الجزئيات المعروضة

ويعمل الحزب بإسائر الوسائل لتوحيد الوجهة الثقافية في المغرب مع الوجهة الثقافية التي تعمل لها الجامعة العربية ، وقد أوفد عنه للحضور في مؤتمر لبنان التاسع للجامعة العربية والمنعقد في صيف سنة ١٩٤٧ الأستاذ عبد الكريم غلاب الذي اشترك مع الأستاذ محمد ابن عبود في تمثيل المغرب الأقصى ، كما شارك ممثلو الحزب بفرنسا في مؤتمر الطلاب العرب الذي انعقد بالعندرا .

في الميدان الاجتماعي :

فأما الميدان الاجتماعي فإنه ذو جوانب كثيرة لم ينفصل الحزب ناحية منها ، ولعل من أهم هذه الجوانب ما يتعلق بالإصلاح الديني والخلق ؛ فإن هيئة العلماء الاستقلاليين الذين يضمون الأغلبية الساحقة من رجال الجامعة الفروية وكلية ابن يوسف والمعهد المسكنسي وغيرها من المأهدين الدينية لا تألوا جهداً في تطوير

الوضع الإسلامي وتوجيهه الوجهة الصالحة التي تنقله إلى قلب المجتمع ، وهي ما
 نلتك تطلق نيرانها لمقاومة البناء الرسمي الذي يرى الحرب ضرورية للفناء ، كما
 تثيره الولاة المحليين لسكل مظاهر البناء غير الرسمي مساعدة لهم على مقاومته ،
 وتبدل جهداً جباراً في القضاء على المسكرات والخمدرات في الوقت الذي تدعو
 فيه إلى الاهتمام بالجوانب البنائية في الأسرة وفي المجتمع ، فتدعو لتعليم المرأة
 ونحس عليه ، وتقارم الذين ينسكرون باسم الدين ، ويجهزها ذلك لمقاومة الجوع
 الذي يتسم به بعض أدهياء العلم ومحاربة بعض المعسوفة الذين يشجرون بالدين
 والوطن في سبيل مصالحهم وأغراضهم ، والحرب يمتد كثير الاعتماد على هذه
 القوة الإسلامية التي تمثل خيرة الجامعيين المسلمين لا مساعدته في النهوض بالشعب
 وتنوير أذهانه فقط ، ولكن لمساعدته على تكوين النظريات المتفقة مع الإسلام
 ومع روح العصر في جميع النواحي التي يتطلبها التطور العربي .

والعلماء الاستقلاليين صفحة خاصة أسبوعية من جريدته (العلم) ينشرون
 فيها أفسارهم ، ويخاطبون من منبرها الأمة الصافية لنصائحهم وإرشادهم .
 وقد سبق أن تحدثنا في فصل الحركة الساقية عن الدور الذي قام به شيخنا
 العلامة محمد بن العربي الديلمي في الدعوة لتطهير العقول الغربية من الخرافات
 والأوهام ، ويمكننا أن نؤكد الآن أن هؤلاء العلماء كلهم من تلامذته أو تلامذة
 تلامذته أو أقرانه الذين قدروا بدعوتهم ومعرفة ، ولذلك يعتبر دائماً سرهم
 الأعلى والمبارة التي يستنبطون بها كل أشكال عليهم أمر أو حزبهم شأن .

ويهتم الحرب اهتماماً لا مزيد عليه بتحسين حالة الأسرة بما يقوم به من
 دعوة شاملة لقضاء على بقايا التبري ، وترك بقية الزوجات ، وتصحيح حالة المرأة
 والدفاع عن حق عائلات الموظفين والمال ، والمطالبة بالسكنى الرخيصة ، ومساعدته
 العملية في هذا المعنى (فدا اللجنة الملكية بمدينة القنيطرة مثلاً) .

وعلى أن الأميرة لا تستقيم إلا بتكوين المرأة الصالحة ، فإن للحزب نشاطه
 الخاص في هذا الباب بما أسسه من مدارس للبنات وما نظمته من هيئات خاصة

من ، والحزب اليوم هيئة عليا لنساء وفتيات الاستقلال تشرف على الحركة النسائية الحزبية ، وتعتبر الأستاذة ملكة القاسى حلة الوصل بينها وبين اللجنة التنفيذية والمجلس الأعلى للحزب ، وقد قامت هذه الهيئة بتنظيم فساتنا وفتياتنا ، وكونت عدة مدارس خاصة للبنات أو مختلطة ، كما رعت في السنة الماضية طلبها الرسمي بجلالة الملك لإحداث تعليم ثانوي للفتاة النسائية ، وإنشاء فرع خاصي للمرأة في جامعة القرويين بقسميها الديني والأدبي ، وقد أبى سيدنا نصره الله الطلب وتأسست للدرسة الثانوية الأولى للبنات ، كما قبل مبدئياً إنشاء الفرع القروي الخاص بهن ، ونرجو أن ينجز عن قريب .

وتشترك المرأة اليوم في كل مظاهر نشاط الحزب ، وخصوصاً ما يتعلق بإسفاف اليقاني والفتيات في المدارس والمؤسسات التعليمية ، وقد أظهرت سيداتنا وفتياتنا في مساء الدار البيضاء رقة وحناناً طالما حرم منهما للتكويون للعارية . ولجريدة (العلم) صمعة أسبوعية خاصة بالمرأة تحررها سيدات الاستقلال وفتياتهن بأقلامهن ، ويبرضن فيها مطالبهن وآمالهن ، ويتبادلن فيها مناقشتهن ، وهي تكون لونا طريفاً من الأدب العربي لم يسبق له مثيل في تاريخنا . ومن أم المنظمات النسائية فرق الرشيدات التي تربي الفتيات تربية جسمية وأخلاقية ، وتثمي بهن روح الجماعة والتعاون بينها .

وتلتقي بمجهودات النساء بمجهودات الشبان في التجمع والتطور عند لجنة الحزب الاجتماعية التي تشرف على التنسيق والتوجيه . وقد نظم الحزب الشباب العربي على حسب ما سمحت له الظروف ضمن فرق رياضية وكشفية تضاهي المنظمات المالية الكبرى .

وتعتبر العصبة الحرة لكرة القدم التي اعترف بها أخيراً والتي تضم أزيد من مائتي فرقة وطنية بها نحو المئتين ألف لاعب أم للمنظمات الرياضية في أفريقيا الشمالية ، ولقد ألقى الأستاذ أحمد البريدى رئيس الفرقة التجارية بالرباط في أثناء اجتماع مايسمونه بمجلس شوري الحكومة تقريراً شافياً عن تنظيم

الشباب الغربي طالب به بضرورة فسح المجال لمنظمات الشباب وإسعادها وإعطائها حرية العمل الكافية .

والذي يثلج الصدر هو أن فرق الكشف التابعة للحزب لا تكفى مجرد التعاون فيما بينها أو الحضور في مسكرات أخوية ، بل تقوم بإجها الكشف لإسعاد للشكوبين وإعانتهم ، ولم أفقد رجالها من أفراد كانوا يريدون الانتحار وسيدات كدن يمتن من سقوط ردم عليهن ، وأطفال مشردين لم يجدوا لهم مأوى . والشباب صفحتهم الأسبوعية أيضاً من جريدة الحزب لتنسيق أعمالهم وعرض آرائهم .

والحزب برنامجنا الخاص في مقاومة المظلة السائدة في الأغلبية الساحقة ، وذلك بما يدعو إليه من تصنيع عام في البلاد يشترك فيه قسم من أغنياء الوطن ورجاله ، وبما يشه في نفوس الشباب من المل الحمر وعدم الاعتماد بالوظائف أو الاستدحاف من بعض الأعمال التي لم تكن معروفة من قبل ، ولقد دمازة أخرى للمظلة الأسبوعية في يوم الجمعة ؛ تلك المظلة التي نعدها الحزب الوطني ثم أرغمت السلطة المخاربة على تركها بعد ثورة أكتوبر سنة ١٩٣٧ ، قلبى دعوته أهل فاس ومكناس وتازة ، وسيلي غيرهم هذا الإصلاح الذي يصير من أكبر العوامل في تشميل العاطلين .

ولقد كان من نتائج الجهود التي بدأها الحزب الوطني ، وواصل العمل لها حروب الاستقلال تحديد الحكومات لساعات الشغل للعامل والمصانع والمناجم ، وتقرير المظلة الأسبوعية بها رسمياً ولا يزال يبذل الجهد لإقرار ذلك في القرية لتحسين حالة الفلاح التي هي أشد بؤساً من العامل والمصانع ، وبفضل إرشادات حركتنا توفق إخواننا رجال الشرف المغربية (التجارية والصناعية والفلاحية والمختلطة) إلى تكوين جامعة عامة بينهم انتخب لرئاستها صديقنا الأستاذ محمد الزغاري عضو المجلس الأعلى للحزب ، ونحن لا نشك في أن هذه الجامعة ستقوم بعمل جليل لتنظيم الجهود الاقتصادية الأهلى في مراكش والعمل على تصنيع كامل البلاد .

وأما الحركة النقابية فقد سبق أن شرحنا الأسس التي يقوم عليها كمباحنا من أجلها ؛ فنحن نعمل فيها في واجهتين ، فبينما نكافح لإعطاء المناربة حق تأسيس النقابة المغربية الحرة إذا بنا نقاوم الاتحاد النقابي الفرنسي الذي يريد الاستيلاء على العمال المعاربة وتسخيرهم لأغراضه .

ولقد كانت سياستنا هي منع العملة من الدخول للمؤسسات النقابية الفرنسية ، ولكنا إزاء تثبيت الإقامة العامة بدمج المناربة من تأسيس النقابات الخاصة بهم أذنا للعملة بالانخراط في (س . ج . ت) الفرنسية بعد ما اشترطنا على الهيئة أن يكون لإخواننا جناح خاص بهم ، وعلى أن يكون لهم التمثيل الكافي في مجلس الاتحاد ، وقد نجحت هذه المحاولة ، فتأسست نقابة (جريدة) (وخريبتة) وغيرها من المراكز ، وقام العملة المناربة بإضرابات مختلفة للدفاع عن حقوقهم والمعادلة بتحسين أحوالهم .

وطبقي أن هذه الخطوة لا تعتبر إلا مرحلة أولى يتعد بها الصنط على الحياة لتعترف بالنقابات المغربية ، ولقد صرحت الإقامة العامة بأنها ستعترف بذلك كله ، ولكن وعدنا نزل سحراً على ورق إلى الآن .

ويظهر الشغالون المناربة نشاطاً كبيراً في الدفاع عن حقوقهم في لوقت الذي يعملون فيه من تلقاء أنفسهم على انتزاع حق التجمع بين نقابات مغربية مستقلة ، وعلى الرغم من المعاملة القاسية الاستثنائية التي يلقونها من حارف ولاية الحماية فإنهم مستمرين في كفاحهم المؤبد من الحركة الوطنية ومن سائر الأحزاب الديمقراطية بفرنسا .

ومن أكبر المظاهر التي وقعت في تاريخ الحركات النقابية المراكشية الإضراب العام الذي استمر زهاء شهر بـغـريـبـة (مدن الفوسفات) سنة ١٩٤٧ ؛ لأن مكتب الفوسفات الحكومي لم يحقق وعده بتنفيذ دفتر مطالب العملة المتعاقبة بتحسين أحوالهم .

وقد استعملت السلطة الفرنسية كل وسائل القمع للقضاء على حركة المقاومة

المالية الأخيرة ، واستكنها لم تصل إلى نتيجة عملية .

وقد حاصر الجيش سراكنز أبي جنديبة وأبي الأوار حتى أصبح سكان القريتين مفصولين عن باقي القرى ووقعت حوادث عديدة حالت الرقابة الفرنسية دون نشرها في الصحف للقرية ، ففرى من الواجب تسجيل بعضها كثال لما يلقيه إخواننا للعملة في سبيل الدفاع عن حقهم في التجمع من أجل المطالبة بالأقل الحيوى .

وفي يوم ٢٩ أبريل أوقف ستة من العملة للراكشين وسيقوا للساحة العمومية بأبي جنديبة ، وأمام السكان تجمعت القوات العسكرية وجارت المعتقلين بالسياط إلى أن أدمتهم .

وفي يوم ٣٠ أبريل توجه قوميسار البوليس الفرنسى في (يول) والمهندس في يده معه قائد القرية وصراقم المدنى الفرنسى ، وهاجم مركز النقابة المحل بأبي جنديبة ، وقبض على المسؤول في النقابة السيد الحسين مع مائة من رفاقه الذين يعملون في المنجم ، ثم سيق المعتقلون جميعاً لأماكن لم تعرف بعد ، وصدر أمر بمنح سكان أبي جنديبة من التوجه للأسواق لشراء حاجياتهم ، وفي يوم ٢ مايو قطع الماء عن أبي جنديبة كلها ، وهكذا عن طريق منع القوات والماء تريد السلطة أن تقضى على مقاومة العملة المدارية .

أما في أبي الأوار فإن رؤساء العملة المحتشدين بمركز النقابة حاصروهم الجيش وبقوا من غير طعام أياماً عديدة ، لأن البوليس لم يسمح لعائلاتهم ولا لإخوانهم أن ينقلوا لهم الطعام إلا إذا أصدروا أوامراً للعملة باستئناف الشغل ، لكنهم لم يخصصوا لهذا الضحايا واستمروا في عنادهم من أجل إنقاذ بلادهم من سيطرة المحتشكين المداليين الفرنسيين .

وقد وقع بغير هذا في جريدة «نواحي وجدة» ، وانتهى باستطدام عنيف أدى لقتل مدير فرنسى وبعض أعوانه من المصهبونيين .

وإذا كنا قد تحدثنا عن الحركة النقابية وبجودها للثحر ، فيجب أن

غلبه إلى أن إءوانا العملة المغاربة لا يحملون أية عقيدة اجتهادية لا تمتنع مع
 جهادنا الاستقلالية ، وأنهم إذر كانوا اضطروا للانضمام للنقابة التي يتمتع بها
 الفرنسيون المقيمون بالمغرب فذلك لأنهم لم يجدوا وسيلة أخرى للاعتراف عن
 مطالبهم ، وهم مؤيدون من حزب الاستقلال الذي يضم أغلبية قادتهم ومسيرهم
 ويجب أن نصرح بأننا جميعاً لا نرى الإضراب إلا وسيلة مؤقتة للحصول
 على الحقوق الضرورية التي تضمن للمغاربة نيل نتائج أشغالهم الطبيعية ، وإلا
 فانهمل في الخلافات التي تقع بين العامل وبين المخدم له يجب أن يكون من
 طريق التحكم والوساطة التي تنظمها الدولة ، ويخصص لها الجميع .
 كما أننا لا نعتبر الكفاح النقابي إلا جزءاً من الكفاح العام الذي يرمى
 لتنظيم الأمة والحكومة المغربية وحشدتها جميعاً لحياة الاستقلال المفرق والاعتزاز
 بالثراث الوطني للمادى والمعنوى وإنما نعتقد أنه ليس لنا كفاح غير الكفاح
 من أجل الاستقلال والحياة الحرة السعيدة في وطننا الذي هو وطن سائر طبقاتنا
 والرابطة الكبرى بين كل مواطنينا .

العمل لتوحيد الصفوف :

لم تأل كتلة العمل الوطني أولاً والحزب الوطني ثانياً جهداً في سبيل توحيد
 الخطة في شمال أفريقيا بين مختلف هيئاتها وأحزابها ، ولقد مضى وقت كانت
 فيه جمعية الطلبة شمال أفريقيا المسلمين بفرنسا ومؤتمراتها رمزاً للمحاولات الكبيرة
 لتحقيق هذه الفكرة ، ثم ظهرت هذه الروح بصفة أوضح بعد أن ظلمت الكتلة
 بمظاهراتها العظيمة على أثر اعتقالنا في الدار البيضاء سنة ١٩٣٦ ، وجاءت
 حوادث أكتوبر سنة ١٩٣٧ فكانت أجلى في الوحدة ، وأوضح في التضامن ،
 ولم يزل يمثلو الهيئات الاستقلالية يبارمون ويتضامنون وإن لم يقع بينهم
 تنسيق رسمي ولا تنظيم عملي ، ولقد كان من أول ما فكر فيه حزب الاستقلال
 على أثر تأسيسه أن يخطو هذه العلاقات القلبية بين حركات الأقطار الثلاثة إلى

مدياً أوسع ومجال أوفى ، وقد انتهت المناقشات إلى عقد ميثاق بين (حزب الاستقلال) و (حزب الشعب الجزائري) و (الحزب الحر الدستوري التونسي) وقع عليه مندوبو الأحزاب الثلاثة في نوفمبر سنة ١٩٤٥ ، وقد جاء في مقدمة هذا الميثاق ما يلي :

« لما كانت شعوب شمال أفريقيا متجهة نحو وحدة واحدة لخارطة الاستعمار بجميع أنواعه والسير نحو الاستقلال ، وتثبيت السيادة الوطنية ، والعمل على وحدة الشمال الأفريقي في دائرة جامعة الدول العربية رأى ممثلو الهيئات السياسية الموقعة على هذا الميثاق أن يخرجوا هذه الوجهة للوحدة من حيز النظر والمطالبة إلى حيز العمل راجعين من المولى تعالى أن يسدد خطاهم ويبلغ مقام الخ » .

وقد قيد هذا الميثاق موقعه بعدم تغيير الخطة السياسية الموحدة إلا بعد استشارة الآخرين والرجوع إلى رأيهم .

وترك الميثاق الباب مفتوحاً كي تنضم إليه جميع الأحزاب المغربية متى شئت .

وبمجرد ما أعاد انتهاء الحرب إمكانية الاتصال بين شطري مراكش جدد الحزب اتصالاته بحزب الإصلاح ، وأعاد ما كان ينداد من علاقات التضامن المتين والتآخي المسكين .

وحينما أطلق صراح الأستاذ الوزاني وأسس حزب الشورى والاستقلال ، ولم تستكن من مزج الحزبين بذلك محاولات عالية برئاسة شيخنا العلامة محمد بن العربي الملوحي انتهت بمثل الجانبين إلى الاتفاق على برنامج العمل مع احتفاظ كل منهما بشخصيته ، وقد وضع ذلك البرنامج في شكل الميثاق الآتي :

١ - إقرار كل حزب على الكيفية التي هو عليها الآن لئلا يتعطل السعي وراء الغرض المنشود وريثاً يقع الفصل في كيفية توحيد السعي المشترك .

٢ - إن كيفية توحيد السعي المشترك أن يوحد الحزبان ضمن حزب واحد يتفق فيما بعد على اسمه وتنظيمه وحرله .

٣ - لا قبل الانخراط في الوحدة الفرنسية ، وإنما تقوم العلاقات بين المغرب

المستقل وفرنسا على أساس معاهدة جديدة .

- ٤ - لا تعاون مع إدارة الحماية ، وإنما يلي أفراد الحزب نداء جلاء حلاله للكل للمشاركة الفنية مع إسماع اللجنة التنفيذية بذلك ، أما أعضاء اللجنة التنفيذية فيرجع النظر في مشاركتهم للمجلس الأعلى ، وذلك لما يتحملونه من المسؤولية السياسية في الحزب ، ولما يجب عليهم من حفظ مبدأ الاستقلال .
- ٥ - الوظائف الرسمية لا يدخلها أعضاء اللجنة التنفيذية أو المجلس الأعلى .
- أما بقية الأعضاء فيستشيرون اللجنة التنفيذية .

٦ - المخاطبة مع الرسميين الفرنسيين ثبت فيها اللجنة التنفيذية ما لم يقرر المجلس الأعلى خلاف ذلك ، ويجب ألا تخل المخاطبة مبدأ عدم التعاون مع إدارة الحماية .

٧ - عدم الدخول مع الشيوعيين في جبهة ، ولا يجوز الاتصال بهم إلا على يد اللجنة التنفيذية .

٨ - اليهود الذين لا يحملون جنسية أجنبية ولا ينتمون للصهيوليين يعتبرون مغاربة من رعايا جلاء للكل .

٩ - الأحزاب المغربية الأخرى يتصل بها لاسي وراء توحيدها وتنسيق العمل معها .

١٠ - وسائل العمل - السلمية للشروعة .

١١ - شمال أفريقيا - تعاون وتضامن وتنسيق .

١٢ - الجامعة العربية - الاستعانة بها لتحقيق استقلال المغرب والسمي لتجديد الدخول في حظيرتها .

١٣ - القضية المغربية في الخارج - تتخذ الوسائل بعد أن أقيمت اللجنة على فرنسا لمرض القضية على هيئة الأمم المتحدة عند سبوح الفرصة لذلك .

وهكذا وضعت الحركة الاستقلالية المراكشية أسس الاتفاق العام في المبادئ .

وبما يتم التنسيق في الوسائل .

وإذا كان مشروع الميثاقين الذي سبق أن أوامنا إليه قد خرق مواد هذا
 الميثاق فإن تأسيس (لجنة تحرير المغرب العربي) تحت رئاسة البطل العظيم
 عبد الكريم قد أعاد الأمر إلى نصابه ، ووجد الأحزاب المغربية كلها ضمن
 مبدأ واحد ، هو لا معارضة إلا بعد الاستقلال .

وإما لتتبع أن يأتي ذلك اليوم الذي تتوحد فيه أحزاب كل إقليم من أقاليم
 المغرب العربي ضمن حرب واحد يقوم على التوصيات السابقة ، فإن مصلحة الأمة
 في التمسك على كل ما من شأنه أن يوحّد الأجنبي وجود فرقة في الصفوف أو خرق
 في بيان الحركة النسق .

تضامن الحزب مع الحركات التحريرية العربية وغيرها

وبذا كانت هذه الجهود المبذولة لتوحيد الموقف قد رمت لغاية واحدة هي تكوين تضامن قوى بين الهيئات العاملة في الشمال الإفريقي فإن تضامن حزبنا وسائر حركات الغرب العربي مع الشعوب والهيئات المسكخة في بلاد العرب وغيرها أمر واقع ومستمر ، ولقد دعوت في حطى بالقاهرة لعقد مؤتمر عام يضم الشعوب المستعمنة لتوحيد صفوفها وتنسيق جهوده لمقاومة الاستعمار والقضاء عليه ، ويقوم الحزب الآن بدعوة عامة لعقد مؤتمر للشعوب القاصرة لنفس الغاية التي أشرت إليها ، ومضى ثم ذلك فستتم الخطوة المباركة لتحرير الإنسانية نفسها بنفسها وإن أبي الظالمون .

أما مظاهر التضامن للمعنى في مراكش فقد وجهها الحزب التوجيه الحسن في كل المناسبات التي عرضت له ، ولعل من أبرزها مرقته في قضية فلسطين العربية ؛ هذه القضية التي وجدت صفوف العرب وجمعت كلمتهم ، وعلقتهم الشهور بها لم من قوة معنوية وتفوذ روحي ، ولقد وإلى الحزب حشد انشعب للاحتجاج على السياسة الصهيونية قبل التفسير وبعده ، وطالب مع الشمال الأفريقي بجمية الأمم المتحدة بالاستماع لرأيه في الموضوع ، وما أعلن العرب دخولهم فلسطين لتأديب المصالحات الصهيونية حتى قام الحزب للتكامل والتضامن ومناطعة الصهيونيين في داخل البلاد ، كما حصص مساعدات بحث منها الدفعة الأولى للجامعة العربية ، كما بحث قسماً منها للقرية عن الجيوش العربية المتحالفة .

على أن مجهوده ليس إلا جزءاً من الجهود الوطنية العام الذي قامت به الأمة من تلقائها بالثورة على الصهيونيين ورافقتهم والحروب من خلف السندود الحديدية للانخراط في صفوف المسكخين العرب ، ولقد بلغ متطوعو الشمال الإفريقي زهاء

الحسنة آلاف شخص قبل بعضها واضطر البعض للرجوع من حيث أتى بسبب الرقابة الفرنسية والأصبانية وغيرها . ولقد كتب الصدر الأعظم لدولة سراكش الحاج محمد المقرئ رسالة لمرام باشا يعلن فيها باسم جلالة الملك تضامن الحكومة الشريفة مع ملوك العرب ورؤسائهم ، وكان لهذه الرسالة أثرها في نفوس العرب ، كما اعتبرت من طرف الفرنسيين خرقاً لمعاهدة الحماية لأنها اتصال من المغرب بدول أجنبية من غير وساطة فرنسا ، واسكن مولاي الملك لا يعتبر الحدود القائمة بين المغرب والبلاد العربية إلا حدوداً اصطلاحية ، ولا يمكنه ذلك ، مسلم أن يقف مكتوف اليد إزاء العدوان الصهيوني على البلاد المقدسة .

ولما قدمت مصر قسيتها للأمم المتحدة بادر الحزب بإعلان تضامنه معها بواسطة البرقية التي وجهها الأمين العام الحاج أحمد بلال فرج لدولة النفاشي باشا وبواسطة البرقية التي بعثها من القاهرة لسكان الأمم المتحدة العام ، وكان موقف الأحزاب المغربية كلها متحداً معاً في هذا التضامن المتين .

و بمجرد ما قامت في أندونيسيا ثورة التحرر من الهولانديين بادر الحزب في مناسبات عديدة لإعلان تضامنه مع المجاهدين الأحرار .

كما نظم الحزب حفلات عظيمة بمناسبة استئصال الهند والباكستان اعتقل بأثرها بعض أعضاء حزبنا في مختلف الجهات .

وقد احتج الحزب على تجسيد المخاربة في حرب الفيتنام ووجه البطل عبد الكريم رئيس (لجنة تحرير المغرب الأقصى) نداء للمخاربة يحثهم فيه على الانضمام للقائدين الأهالي لأنه لا يصح أن يؤيدوا الاستعمار وهم يطالبون بالتحرر في بلادهم ، ولا تفرصة دون أن يتنهزها إخواننا بباريس ويقتدوا بهرجانات مشتركة مع أحزاب إفريقيا وآسيا للتنديد بالاستعمار والمطالبة بالمدل للجميع .

على أن هذه المظاهر ليست إلا إرهاباً للتضامن الأكبر الذي سنعمل له حتى يتمكن المستضعفون في سائر أنحاء الأرض من انتزاع حقوقهم من يد الناصبين ، وذلك ما يجعل حركتنا حركة إنسانية تريد الخير للبشر والذين لا يرطفنا معهم إلا روابط الإحساس الإنساني المجروح .

توجيه البلاد نحو الجامعة العربية

لقد أصبحت الوحدة العربية التي ظلت في نظر الكثيرين أملاً بعيد التحقيق حقيقة وقمة ، وتظفر المواطنون العرب الذين قصوا أجيالاً عديدة في بذل الجهود من أجل هذه الوحدة بتحقيق وحدتهم ، واضمحلت جميع الصعوبات والعقبات والمعارضات التي لاقتها الفكرة منذ نشأتها أمام المادى الظاهرة في جو الحرب الأخيرة ، وقد انتهت المفاوضات التي استمرت منذ سنة ١٩٤٢ — كما هو معلوم — إلى اتفاق عام ، وأمضى ميثاق الأمم العربية يوم ٢٢ مارس سنة ١٩٤٥ من طرف الحكومات العربية المستقلة وهي : مصر ، العراق ، والمملكة العربية السعودية ، وسوريا ولبنان ، واليمن ، وشرق الأردن ، ويحتوى الميثاق على النواحي السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية .

ولقد أُملي الميثاق رغبة الدول العربية في تهيئة الروابط التي توحد بينها ، وتأكيد حلائقها على أسس الاحترام التام لاستقلال كل منها ، وتثبيت دعائم سيادتها ، وتوجيه مجهوداتها لصالح مآثر البلاد العربية العام من أجل تحسين حالتها ، وضمان مستقبلها ، وتحقيق أمانها ، فيمكن أن يعتبر الميثاق إذن عهداً دبلوماسياً وهدفاً اعتقادياً .

والرأى العام العربي الذي اتبع باهتمام خارق سير المفاوضات التي جرت بين ملوك العرب ورؤسائهم أعلن اطمئنانه التام للنتائج الحاصلة ، وتيقن مستقبل عظيم الازدهار ، إذ أن الخطوة العظيمة قد تمت ، وأصبح من الممكن أن يتكلم عن كتلة عربية تستطيع أن تساعد — بالتعاون مع المنظمات الاجتماعية الأخرى — على هامة العالم وأمنه .

ومن جهة أخرى فإن القبول الذي لاقتة الوحدة العربية في أوساط الحنماء

إبان الحرب هيأ لها سبيل الاشتراك الفعلي في تأسيس قواعد السلام العالمى ،
فقد اشترك العرب في بناء الأمم المتحدة ، وبذوا جهداً لا يسى في محادثات
سان فرانسكو حيث عبروا عن وجهات نظرهم في ثقة واحتمسان .

ولكن إذا كانت الدول العربية السبع قد منفتت علاقاتها نظراً لفتحها
وسائل السيادة فمن الإنصاف أن نعترف بأن الوحدة العربية لا زالت في حاجة
إلى إنجاز ، وستبقى ناقصة وفاقة قيمتها إذا هي حصرت عمداً على البلاد التى
تجدها العراق في الشرق ومصر في الغرب .

والواقع أن الوحدة العربية تشتمل - حسب لليثاق العربى نفسه -
على كل البلاد الواقعة ما بين الخليج الفارسى في الشرق وبين المحيط الأطلسمى
في الغرب الأقصى ، فإذا لم يصبح للغرب العربى حصواً في الجامعة العربية فذلك
لأن وضعيته السياسية وظروفه الخاصة معاً من التمتع بحريته الدبلوماسية ، ولكن
سبيله قد عثرت ، وقد صرح من أول اليوم بأن مصيره مع الشعوب العربية
التي تربطه وإياها روابط كثيرة .

وفي هذا العالم الخارج عن الحرب العالمية الثانية نبحث جميع الأمم الصغيرة
في كيفية وضع اتصالاتها على أسس المصالح المشتركة ، ولذلك فإن مرا كش ترى
حكاتها الطبعى في دائرة الجامعة العربية ومنها في ذلك الجزائر وتونس ، وقد عبر
عن هذه الرغبة (حزب الاستقلال) في المذكرة التي رفضها رئيس مؤتمر الوحدة
العربية المعقد بالقاهرة والمؤرخة بثامن مارس سنة ١٩٤٥ ، وقد جاء في هذه
المذكرة ما يلى :

« لو كانت الظروف السياسية التي لا نجهلها سعادتك تسمح لمراكش
بالمشاركة في أشغالكم مثلها في مؤتمركم وقد رسمى يتمم برضى جلالة الملك وثقة
الشعب المراكشى ، وقد أعلن المغرب في مائتات الماسيات تعلقه بوحدة الشعوب
العربية . وهو يرى فيها أحد أعمدة السلام العالمى الذى تعمل الأمم المتحدة على
نشره ، لكن سياسة القمع انترعت منه وسائل الاشتراك في جميع الأعمال التي

يقوم بها إخراجه في المشرق ، كما ملعته من أن يرفع صوته خارج حدوده الضيقة .
وأيضاً فإن (رابطة الدفاع عن مراكش في مصر) أبانت رؤساء العرب
عدة نقط في هذا المعنى .

وإن انخراط مراكش في الجامعة العربية ليستند إلى أدلة تاريخية
والتربية وعاطفية .

وهذا ما حاول الحزب إثباته للعالم الغربي في عدة مقالات ومذكرات

تتلخص فيما يلي :

تاريخ مراكش منذ الفتح العربي هو جزء من تاريخ الحضارة العربية
ولا يمكن أن يدرس بعضه دون التعرض للآخر ، والعرب الذين اندسوا
بروح العقيدة الإسلامية فتحو بلاد البربر لينشروا فيها دعوتهم الإسلامية ،
وقد نجحوا في غرس روح العروبة في هذه البلاد ، ولم تزل منذ ذلك الوقت
في الازدهار ، وقد ساعد الدين الجديد العرب على نشر نفوذهم في الغرب حتى
أصبح من ملاحج العروبة والإسلام الكبيرة ، وقد ساعد العرب بفضل
تسامحهم على تقوية روح الاستقلال وتشجيعهم في نفوس الأهالي وهكذا عبدوا
الطريق للمائلات العربية المالكة في الغرب الأقصى .

ومع أن مراكش احتفظت دائماً باستقلالها منذ ثورة المملوك البيرملية
فإن تاريخها بقي دائماً مرتبطاً بتاريخ العرب ، ونحن لا ندلي بحجة أعظم مما قام
به للمعاربة من إنشاءات في سائر البلاد العربية . واحتلال أسبانيا بالجيش
المراكشي، وقيادة طارق بن زياد فتح ثبات المدينة العربية في تسود في
رياض الأندلس أثناء المصور الوسطى الأوربية كلها ، والأسماء المراكشية
اللامعة ملأت صفحاتها سائر أوقات التاريخ ، وليس من الممكن تعدادها ، ويمكن
أن تستحضر منها أمثال الإدريسي الجغرافي الكبير وابن رشد الفيلسوف
المغربي الخطير وابن بطوطة الرحالة الشهير .

ولم تبق في البلاد حركة مما فيها الحركة الوطنية القديمة إلا وكانت مرتبطة

كل الارتباط بالانتماءات الكبيرة في العالم العربي .
وهكذا يرى سراكش مسترة الارتباط في الماضي والحاضر بمصير البلاد
العربية .

وإذا قطعنا النظر عن هذه العلاقات التاريخية وجدنا رابطة اللغة ؛ فاللسان
العربي لسان العقيدة الإسلامية انتشر في سراكش انتشار العقيدة الجديدة ،
ولقد قام علماء الإسلام بتربية الذوق العربي في نفوس المغاربة حتى أصبح جزءاً
من الحاسة الدينية في أصفاءهم ، واللسان الواحد المنقول في سراكش هو اللسان
العربي الذي بمجده الساحر ، والذي كان القناة الوحيدة لاتصال المغرب بالشرق
العربي وما سمع فيه من تيارات مختلفة ؛

أما الرابطة العاطفية التي تجمع بينا وبين عرب الشرق فهي بالطبع ناشئة
عن هذه الروابط اللغوية والتاريخية ، ولعل من المناسب أن نلاحظ ما شعر به
الشعب المغربي من تأثرت بمحنة أحداث الخبز والشر التي وقعت في البلاد
العربية ، فهناك يبدو الاتصال الروحي بين هذه الشعوب الشقيقة التي تشترك
في جميع الآلام وتتحد في كل آمال ، وهل نسي تلك المسرة التي وحدها
الشعب المغربي وهو يحتفل باستقلال معرسة ١٩٣٦ حيث نظمت عدة مهرجانات
وحفلات في سائر جهات المملكة الشريفة ؛ وبهتت الحكومة المصرية عدة
برقيات ورسائل للتهنئة ، وهكذا في سائر المناسبات التي تقع على شاطئ النيل ،
ومثل ذلك وقع حينما قررت حكومة الجمهورية الشعبية الفرنسية إعطاء سوريا استقلالها
وكم كانت حية المراكشيين عظيمة حينما رفض المجلس الفرنسي المصادقة على
المعاهدة السورية الفرنسية ، ولما وقعت حوادث الهجوم الفرنسي على سوريا
ولثمان بعد أن كان الجنرال ديغول أعلن استقلالها هاج ذلك نفوس المغاربة الذين
تابعوا سير الأمر باهتمام زائد .

وقد تأسع المغاربة كذلك بتطلع كبير سير المفاوضات التي سبقت إعلان
ميثاق الجامعة العربية ، وكانت أدق التفاصيل موضوع اشرح والتعليق من

الجميع ، ولا أعلن الميثاق العربي قابله الكل بسرور لا مزيد عليه واعتداه الرأي العام العربي من أكبر الحوادث التي جرت في هذه الحرب .
وأيضاً فإن المغرب الذي يكافح في الوقت الحاضر من أجل حريته ينتظر من الدول العربية عوناً نافعا على ما يهذله من جهد في سبيل الرشد ، وقد قرر ميثاق الجامعة العربية في ملحقه بذل هذه المساعدة في شكل تعاون وثيق بين الدول العربية الموقعة على الميثاق وبين الدول العربية الأخرى التي ما تزال تحت سيطرة الأجنبي ، وعليه فيمكننا القول بأن الحكومات العربية بالشرق تحس بضرورة إدخال سرايا كش وغيرها من بلاد المغرب العربي في حظيرة الجامعة العربية ، وأنها موقفة بالدور الذي يمكن أن تقوم به بلادنا في المستقبل العربي لما لها من المركز الجغرافي الممتاز وبما تملكه من إمكانيات في ميدان التعاون الاقتصادي الذي سينظم بين الأمم العربية .

ولم تقل مختلف الهيئات العربية ترمع صوتها بضرورة تكوين جامعة تمتد إلى الطرف العربي عمرا كش ، ومن بينها نداء وحيته جمعية الرابطة العربية في سبتمبر سنة ١٩٤٤ جاء فيه ما ملخصه :

« إن من المؤسف أن يظل المغرب العربي الذي هو جزء لا يتجزأ من ميراثنا العربي والذي يحسوى على ما يقرب من نصف الأراضي العربية بيدا عن الوحدة العربية مع أن شعوبه ظلت مغلصة للعروبة ورغم الضغط الاستعماري ومحاولات الخنثين محو كل الروابط التي تربطهم بالشرق العربي ، ولقد صرح غير مرة رؤساء هذه الشعوب ومواطنوها بجهتهم الطبعية في الانضمام للجامعة العربية ، والحقيقة أن كل كتلة عربية كيانا كان شكلها يجب أن تضم إليها القسم المغربي من البلاد العربية لكي تؤتي الوحدة ثمرتها وتتحقق آمالنا فيها .

ولقد قامت شخصيات مهمة بشرح هذه الفكرة في مختلف المناسبات التي أتت في بلاد الشرق ، نذكر من بينهم اسم الأديب الكبير الدكتور طه حسين بك

المؤلفون العرب
المؤيدون العرب

فقد ألقى محاضرة عنوانها (العلاقات الثقافية بين مصر والدول العربية) بمدرج الجامعة الأمريكية في سنة ١٩٤٤ ، ومن جملة ما صرح به الأستاذ الكبير ما يأتي : —

« لقد التفتت مصر إلى المشرق وجيرانها الشرقيين ، لكن لا يمكنها في الوقت الحاضر أن تقصر في شأن الحرب حيث يعيش شعب تربطنا به روابط عديدة ، وأعلى بذلك إفريقيا الشمالية التي كانت مدة العصور الوسطى صلة بينها وبين الأندلس ، والتي أعطتنا شخصيات عظيمة مثل ابن خلدون

» هل ينبغي أن نقف الوحدة العربية عند الحدود العربية المصرية ؟ إن وحدة مثل هذه لوحدة عرجاء ؛ لأنها مبتورة من نصف الأمة العربية ، فعل الذين يعملون لتعظيم تعاون وثيق بين البلدان العربية أن يستحضروا دائماً أن هناك مفرناً عربياً » .

وهكذا فإن للحرب الذي يعتبر امتداداً طبعياً للبلاد العربية الحق في أن يطالب مكانه في حقيرة الجامعة العربية لتحقيق استقلاله والتعاون معها على ما يجرى سلامة الكل وعلى أيدى الجميع ، خصوصاً وقد أثبتت هذه الحرب أن الدول المتحررة لا يقرأ لها حساب في عالم الندى ، فلكي يستطيع المغرب الحياة والازدهار يجب أن ينضم طائفة من الشعوب ، وقد عرض أمامه للاختيار اتحادان : الاتحاد الفرنسي الذي لم يتجاوز شككه بعد ، والاتحاد العربي الذي أصبح حقيقة واقعة .

في الاتحاد الفرنسي المزمع يحد المغرب اسمه — قياساً على تجاربه الماضية — في معنى المصير ؛ لأن يسهل وبين مرسا تعارض المصالح وتناقض العقائد ، وإنه لم يحسن بأنه لم يكن إلا موطن استغلال منذ امتلكت فرنسا ناصية أعماله ، فقد سحرت ثروته كلها لعائدة ثلة من المستعمرين الذين يعيشون حالة على السكان الحقيقيين ، وأصابت شعبه سياسة الإدماج والتجهيل والإفقار والتحقير والتقسيم ، وبالجملة هو مقتنع بأنه ان يحصل على السيادة في ضمن هذه الوحدة الاستعمارية ،

بل سيظل عتبة مخزن المواد الأولية ومولد لإعطاء الجنود والمقاتلين .
وعلى العكس من ذلك ، فينتج له انضمامه للاتحاد العربي فرصاً جديدة
يصبح معها عسواً من هذه العائلة الشرقية التي انتسب إليها منذ قرون عشرة ،
والتي أسد عنها لأسباب خارجية عن إرادته ، وسيكون متعمداً بكامل الحرية في
الاستفادة من تجارب أشقائه الرثداء لتجديد أنظمتهم ، ثم المشاركة في إحياء
هذه الحضارة التي بنيناها معاً والتي سبق أن أشرقت أنوارها على المتوسط جميعه .
، فاختيار سراكش إذن قد وقع .

وكل ما ترجوه البلاء للمغربية هو أن تصح الدول ثقتها في هذه العائلة العربية
السعيدة بتجميع أعضائها لكي تعيش في إحاء مع الجامعات الأخرى في ظل المحبة
المشاركة للحرية والسلام .

تلك هي الروح العامة التي ملكت كتابات رجال حزب الاستقلال ودعائه
الأمر لترجييه الشعب المغربي نحو الجامعة العربية ، ولإقناع الرأي العام المغربي
والأجنبي بأن سراكش وسائر المغرب ليس إلا جزءاً لا يتجزأ من بلاد العرب .
ولم تكن هذه الدعوة في الحقيقة إلا تعبيراً عما يشعر به الشعب المغربي
وتكثيفاً لما يحس بالحاجة إليه ، ولقد أصبح الوعي العربي قوياً في موس للتأريفة
وأصبح الكفاح من أجل الجامعة العربية جزءاً لا يتجزأ من الكفاح الوطني العام .
وقد توج هذا الجهود وباركه موقف مولانا صاحب الجلالة سيدي محمد
نصره الله من الجامعة العربية ، خصوصاً بعد لتصريح الذي أدلى به جلالاته في
خطابه التاريخي بطلمجة المغربية .

ولقد حظت القضية المغربية في مدرج الجامعة وأوساطها حظاً نسيجه ،
وأصبح شعور العرب بضرورة الاهتمام بالمغرب العربي يقوى يوماً ف يوماً ، بل لقد
أصبح الرأي العام العربي يضبط على المسؤولين في الجامعة العربية ، ويبيهم
على الاهتمام بالجناس المغربي من أرض العرب ، وكل ذلك بفضل مظاهر التعلق
الذي ما أنفك الشعب المغربي يعلن عنها في كل المناسبات نحو العرب وأمنهم المشتركة .

مواجهة الراى العالمى

لقد استعد (حرب الاستقلال) فى أثناء الحرب الاستعدادات الداخلية الضرورية ، وهىأ نفسه لمواجهة الند الدولى أو عالم ما بعد الحرب ؛ لأنه يعتقد أن الخطوة التالية التى يلزم أن تخطوها القضية المراكشيه هى خطوة العناية فى أوساط لم تطرقها من قبل ، خصوصاً بعد أن أعذر للحكومة الفرنسية مختلف الإهذارات وبعد أن ينس من كون الدبلوماسية الفرنسية تعدل من تلقاء نفسها عن سياستها الاستعمارية التى دأبت عليها منذ عهد فير قريب .

ولقد انتهت الحرب العالمية مسفرة عن سلسلة من الاتفاقات الدولية التى تطل على حق تقرير المصير وتؤكد حقوق الدول فى أن تحكم نفسها بنفسها ، وكانت فرنسا إحدى الدول التى وقعت بإمضاء الشرف والكرامة وثيقة الأطلس وميثاق سان فرانسكو وغيرها ، فانفتح أفق جديد لتصبح الاستعمار ورفع الصوت طالياً ضدأعلى لأساليب الجائرة.

واتجه رآى الجميع إلى ضرورة تدوير الراى العام العالمى أولاً ، ثم عرض القضية المغربية على الأمم المتحدة بصفة رسمية لترى رأيها فى هذه الأساليب الجائرة التى لا تنفع فرنسا وأسبانيا سائرتين بمقتضاها فى بلاد المغرب العربى . ولقد تحدثنا عن أعمال وفود الحزب ومبعوثيه فى فرنسا وإنجلترا وأمريكا وفى الشرق العربى ، وهانحن أولاء الآن نعرض لبعض ما ظم به الحرب فى أوقات مختلفة من دعاية أمام سفراء الدول وأمام الأمانة العامة للأمم المتحدة ، وفى مقدمة ذلك المذكرة التى رفعها لجسته التنفيذية يوم ٨ مارس سنة ١٩٤٥ على أثر انعقاد مؤتمر سان فرانسكو لسفراء الدول المتحالفة ، وهى ترمى إلى التذكير بالجهد الحربى الذى قامت به صراكش فى سبيل قضية الحلفاء وتطالب

بحق الدولة الشريفة في أن تسمع صوتها أمام مؤتمرات الصلح . وما هي
فه المذكرة :

« إن حرب الأمم المتحدة ضد قوات الظلم قد دخلت في طورها الخامس ،
وأخذت ألمانيا المتكربة تتلقى الصدمة الأخيرة التي ستحق الفاشية ونحوها مادة
النزاع العالمي .

« واتد تلقى الشعب المغربي عميد الأرياح جو المقاد المؤتمر الدولي لسان
فرنسكو في ٢٥ إبريل ، وأكبر آماله أن يحظى بمكانة بين الأمم المتحدة رعيًا
لمساهمة في المجهود الحربي وما تحمله في سبيل ذلك من تضحيات جسيمة .

« مع كان انضمام المغرب إلى جانب الأمم الديمقراطية من أول وهلة صادقاً
صريحاً ، فانخرط في حزب المتأثرين لدول المحور إثر تصريح ماركسي بتاريخ
١٨ سبتمبر سنة ١٩٣٨ فحواه : أن سلطان المغرب ورعاياه مستعدون في حالة
نشوب حرب لاوقوف كرجل واحد بجانب فرنسا ، وأصبح هذا الاستعداد
أسراً واقعاً من بعد خطاب جلالة الذي تلقى في جميع مساحد المغرب يوم ٣ سبتمبر
سنة ١٩٣٩ وبما جاء فيه :

(فن هذا اليوم الذي انتقدت فيه بيان الحرب والعدوان إلى اليوم الذي
يرجع فيه أعداؤنا بالسل والخسران ، يطمئن عينا أن يبذل لها (فرنسا) الإغاة
السكاملة ونصدها بكل ما لدينا من الوسائل غير محاسبين ولا باذنين)

وهكذا أصبح المغرب في حالة حرب مع المحور لا بمجرد التسمية حسب ،
بل مع صريح أراد عاهل البلاد أن يبين فيه بجلاء موقفه إزاء هذه المسألة
الكبرى للدفاع عن الحرية .

أما الشعب المغربي فقد لبى بحماس قوى ملكه المحبوب : الأمر الذي حدا
بمخامة رئيس الجمهورية الفرنسية الميسر ألبير لوبران أن يقول في رقيقة إلى
صاحب الجلالة « إن المغرب يمكنه أن يعتمد من جهته على مساعدة فرنسا النامية »
كما حدا بسيادة المقيم أن يصرح بتاريخ ٢١ سبتمبر سنة ١٩٣٩ « إن فرنسا

لن تقوى أبد ذلك الجاس الذي أهداه ملك المغرب وشعبه في الوقوف إلى جانبها للدفاع عن الحق والمداة .

ومن ذلك الحين أصبحت البلاد رمتها في حالة حرب ، فأعلنت الأحكام العرفية ، وحشرت حالاً أموال الأعداء ، واعتقل رعايا دول المحور ، بينما كانت تسحر جميع موارد البلاد لحاجات الجيوش الحاربة ، وأخذ المتطوعة من القارية يتوجهون إلى مختلف ميادين القتال ، وأضحت أرضاً معرضة للغارات الجوية . وبعد انتهاء معركة مرسا كانت حائلنا فادحة ، ولا يزال الأسرى القارية وراء الأسلاك الشائكة ينتظرون حتى الآن جيوش التحرير ، ثم جاءت هدنة شهر يونيو سنة ١٩٤٠ لحافظ القارية على موقف مشرف كله عرلة محوّلان المراقبة بحيث لم يثبت عليهم تعاون مع العدو .

« وكان موقفهم يعكس ذلك إزاء قوات الحرية التي اقتبست بمقاومة عظيمة يوم نزول بالمغرب في ٨ نوفمبر سنة ١٩٤٣ . وهما كان أيضاً الذي رسم لنا النخلة التي يجب أن نملكها هو جلالة الملك برفقة رفصاً ياناً — باتفاق مع مجلس ودرائه — أن يبقن الحكومة (المغربية) إلى داخل البلاد لمواصلة مقاومة التي كان يرغب فيها الجبرال نوجيس .

« وإن وجود قوات حبيبة بين أظهرنا بمعسكراتها وأسطولها وما يستقدم كل ذلك من حقوق خاصة حملت البلاد تفحصل تكاليف شديدة ، إذ ساهم المغرب بحط وافر — بفصل التقديرات التي فرضها على نفسه — في مون الجيوش الحليفة المستقرة بالشمال الإفريقي وصقلية وإيطاليا ، وفي مون سكان فرنسا الحرة كما سحرر زيادة على ذلك يداً عاملة لا يستهان بها للعمل في الموانئ والقيام ببناء المطارات وإصلاح الطرق ، وكانت هذه الطرق التي تخترق الجبال في معظم الأحيان معرضة للإبلاف الحلي ، خصوصاً في وقت كانت فيه شمال إفريقيا مسرحاً لدعاية راديوفونية محورية واسعة النظم ، وكان يستير الوأي الإسلامي لا يزال تحت تأثير انتصارات أوائل الحرب .

« ومع ذلك كله لم يقع حلال الممارك التونسية — كما نص عليه الميثاق
إدوارد ستيفنسون في كتابه (الإعارة والتأجير صلاح الانتصار) — لم يقع أى
حادثة مهم يمكن عزوه مباشرة إلى عمل إنلاني في جميع طرق مواصلة
بالغرب والجزائر .

ونحن في غنى عن ذكر العبء المالى الثقيل الناشئ عن مصارف الحرب
والذى يمد بالملايين عند تقدير التضرعات المادية التى تحملها المغرب في سبيل
انتصار قضية الأمم المتحدة .

« أما مساهمة المغرب فلم أبق محال للاشادة بها بعد جميع
التضحيات الفرنسية الرسمية والأجنبية والأمريكىة التى بوحت غير ماهرة
مطولة وشهامة الرماة والصبايحىة ورجال القوم المشاربة ، ذاك أكثر عدد رجال
المغرب بين صفوف الفرق التى حررت تونس وإيطاليا وكورسيكا وجنوب فرنسا
والأزاس ، وهم يستعدون الآن لاجتياز نهر الرين .

« فإذا كانت قيمة الأمم تقاس بمزاياها لا بمجملها ، وإذا كان لكل أمة — كبيرة
أو صغيرة — مساهمة في الحماة يسيبها في هذه الوحدة الدوائية — طبقاً لميثاق
الأمم المتحدة — صار إذن من الواجب على حزب الحرية أن يحفظ لأمتنا
بعضها في الانتصار .

لهذا كله فإن (حزب الاستقلال) الذى يعبر بأمانة ووفاء عن رغبات
الشعب المغربى يرى من العدل أن يُعترف للمغرب بمثل ما للأمم المتحدة من
الحقوق ، ويطلب أن توجه الدعوة إلى ممثلى الأمة الأكفاء للمشاركة مباشرة في
المؤتمرات الدولية للدفاع عن قضيته وإثبات حقوقه ، وهو يطلب ذلك باسم
آلاف المنارة الذين ذهبوا ضحية في سبيل الحرية خلال الحرب الماضية ،
وباسم جميع الآلام المتوقعة التى تسكبها الشعب المغربى ، وباسم مبادئ الحق
والعدالة التى هى العاية السامية للديمقراطية الحاربة .

واستمر الحزب يوالى مجهوداته لإقناع الأمم المتحدة بضرورة الاستماع إليه

في الشؤون المروضة والتي لها علاقة بالمغرب من قريب أو بعيد ، وهكذا طالب رسمياً بأن يتاح له الإدلاء بصوته في قضية فلسطين وفي قضية ليبيا نظراً لما لهذه الأقطار من مصالح مشتركة مع الدولة المراكشية التي خاضت غمار الحرب وضحت فيها بصفة مستقلة لا بصفة تابعة .

وقد سبق أن أوامدا الوثيقة التي قدمها مندوب الأحزاب الاستقلالية عن المنطقة الحلفية بمناسبة حوض الأمم المتحدة في قضية فرانكو والأملات التي يعنى أن يسير عليها أعضاء المنطقة الدولية مع حكومته ، وقبل ذلك بقليل أى في ١٥ سبتمبر سنة ١٩٤٧ رفعت الخارجية الفرنسية تقريراً عن أعمال في مراكش للجنة الوصاية اثناسا للهيئة حاولت أن تستر فيه مضامح الاستعمار الفرنسي في بلادنا ، ولكن (جرب الاستقلال) الحارس الأمين على مصالح البلاد أجاب عن هذا الفعل بمذكرة رن صداها في أرجاء العالم وضح فيها أنواع السيطرة السياسية والتضافية والقضائية وأنواع اسبر المصبرى القائم عليها نظام الحماية الفرنسية في المغرب ، وقد جاء في الرسالة التي قدم بها الأمين العام للحرب هذه المذكرة للأمين العام للمنظمة الدولية ما يأتى :

« لقد كان تأسيس هيئة الأمم المتحدة باعثاً لآمال عظيمة في نفوس أولئك الذين لا يزالون يترجون تحت سيطرة الدول الكبرى الاستعمارية في ظل أنظمة الاستغلال والاستعباد .

« على أن بعض أعضاء الهيئة الذين يحترمون مصادقتهم على ميثاق هيئة الأمم للشعلة قد أسدوا يحدولون تجديد نزعاتهم العتيقة والإعرااب عن رغباتهم الحسنة في إعطاء الحرية للشعوب الواقعة تحت حكمهم .

« ولكننا نجد مع الأسف أن بلادنا رغم ما بذلته من تصحيات لا تتصار الديمقراطية ما تزال تترجح تحت نظام من أشد الأنظمة ظفياًتا يعنى على جميع الحريات ولا يتفق أبداً مع روح ميثاق هيئة الأمم المتحدة ولا مع نصه
« ونشتم هذه المذكرة التي ينشرف حرسنا بتقديمها إليكم - يا صاحب

السعادة على تحليل موحز لحالتنا الحاضرة ، ولقد خلصنا في آخرها آمالنا التي هي آمال الشعب للتعف حول عاهله سيدى محمد بن يوسف الذى اتهم كل فرصة الاعلان عن رغبته في أن يرى الأمة المراكشية تنموا المسكنة اللاتقة بها في مصاف الدول .

وجاء في قائمة المذكرة تلخيص لأعمال الحوية الفرنسية بعد خمس وثلاثين سنة في مراكش ، وهي تنحصر فيما يلي :

تقسيم أراضي المملكة إلى مناطق مختلفة النموذ ، وتقسيم مملكة الفود الفرنسي نفسها إلى كتلتين مصطنعتين لغرض إهداها بالأخرى ، وذلك تطبيق السياسة البربرية .

وإنظمة حكومة إقليمية مسبوقة من كل قدرة ، وذلك لمصلحة الإدارة الفرنسية للمستقبله والتي تنصرف مباشرة في شؤون البلاد ، ونطبق سياسة الضعية المنصرية في جميع النواحي .

وهيأولة الخط من ظروف المراكشيين التي محبت عن سياسة التدبير والتجهيل والظلم ، وحق الحريات العامة ، وتمكين الفرنسيين المقيمين في مراكش من الحقوق السياسية بالرغم عن أنظمة البلاد ومن القانون الدولي .

ولم يخضع الشعب المراكشي قط لمثل هذه التصرفات لأنه يثار على ما صبه ويشعر بالدور الذي لعبه ويمكنه أن يلعبه مرة أخرى في تاريخ حضارة البحر الأبيض المتوسط ، وقد انتهى رد الفعل الذي أحدثته الاستعمار الفرنسي إلى القرار المؤدى تصميته وثيقة ١١ يناير سنة ١٩٤٤ التي أصدرها حزب الاستقلال ، فقد قررت بعد أن أكدت بطلان النظام الذي فرض سنة ١٩١٢ أن الحل الوحيد للأمة المراكشية هو أن يعلن استقلال البلاد ، ويوضع لها نظام دستوري ملكي تحت رعاية حضرة صاحب الجلالة سيدى محمد .

ويندرج هذا الاستقلال في إطار العالم الجديد الذي خلقه ميثاق الأطلسي وهيئة الأمم المتحدة ، ويجب أن يتحقق هذا الاستقلال لأن مراكش قد بذت

تضحيات كبيرة في سبيل استثمار الحرية والخلق الدول .

أما ما يدعى بالإصلاحات التي أعلنت عقب ١١ يناير سنة ١٩٤٤ والاصطفاءات الدموية التي تلتها ، فيها لا تهدف إلا إلى تعزيز السيطرة الفرنسية اقتصادياً وسياسياً على مراكش ، وإلى أن تقضي بصفة بسيطة نهائية على الشخصية المراكشية ، وليس في استطاعة هذه الإصلاحات أن تتخذوا لأننا مقتنعون بأنه يجب قبل كل شيء وضع نهاية لهذا النظام الشائن وتحرير سيادة الوطنية .

وبنوح أن فرنسا اقسمت إزاء الأمة المراكشية التي امتثلت إلى هذه الدرجة سنة ١٩٤٤ بدافع من الأسباب التي عرصها باحتصار في تقريرنا ، بأنها لا تستطيع أن تحمل الموقف على الرغم من الاضطرابات التي كانت ترجع العالم إلا بواسطة اتباع السياسة الاستعمارية التقليدية القائمة على أساس الإصلاحات التي تهدف إلى مرجع الفرنسيين بالسكان الأصليين ، وإلحاق لأراضي التي تقع تحت السيطرة الفرنسية بفرنسا نفسها ، وقد بررت هذه السياسة بشكل واضح في عهد ممثلي فرنسا الآخرين :

١ - فاعتمدت من وجهة النظر الاقتصادية على انبرامج الذي وضعه السيد إيريك لا يون في الحال عقب تعيينه في مراكش أوائل سنة ١٩٤٦ ، وهو يرمى إلى السيطرة على استغلال عيرات البلاد التي لم تستغل بعد لتحقيق مصالح الرأسماليين الفرنسيين والدولة الفرنسية ، والإصرار بالمصالح المراكشية الثابتة .

٢ - ومن وجهة النظر السياسية أثارت إدارة الجيرال جوان التي تلت إدارة مسير لا يون ضجة عظيمة حول إعادة تنظيم الحكومة للمراكشية ، ولكن ذلك النظام الذي لم يحدث أي تغيير في شكل هذه الحكومة ولا في نفوذها يتلخص في تعيين أربعة مندوبين حدد بمنون «بورير الأكبر» ومهمتهم الربط بين الإدارات والاستعلام محض ، على أن هذه التغييرات لا يمكن أن تطبق

عليها إصلاحات بالرغم من تعديدها؛ لأن معظم هذه المراكز وإلى جانبها مراكز أخرى قصى عليها اليوم كان قد نصمها التغيير الحكومي الذي وضع سنة ١٩١٦ والذي شمل حتى مركز بعض الوزارات كوزارة المالية، ولكن ما حدث سنة ١٩١٢ هو مثل ما حدث سنة ١٩٤٧ فإن تركيب هذه الحكومة لم يعدل إلا بدوافع دولية ولأجل إحناء سيطرة الإدارة الفرنسية على جميع المصالح المراكشية العامة.

ويتبين مبدأ الإدارة المباشرة وهو اللبدا الذي يكمن وراء المشكلة المراكشية كلها - في مشروعات مختلفة ما تزال تحت النورس، وترى هذه المشروعات التي تمس حتى قواعد الحماية السياسية التي يقوم عليها النظام المراكشي لا تفتقد اتفاقات دولية، بل تحقيق مطالب الجالية الفرنسية المتعلقة بأن تمثل سياسيا في الهيئات المراكشية.

ولو قبل الشعب المراكشي هذا الاتجاه السياسي لمن يكون معنى ذلك إلا أنه قصى على نفسه وقبل إلحاق بلاده بفرنسا، ولذا فإنه لم يستدع لهذه السياسة وبات يطالب ببلاده بالحرية والاستقلال وقد قال جلالة الملك أخيراً: « لقد آن أوان الديمقراطية بالنسبة للجميع، وإن الشعوب الكبيرة والصغيرة استطاع إليه ورائدها في ذلك هو حرية الإنسان ».

كان لهذه المذكرة أثر محسوس في الأوساط الرسمية، وأدعت بها الأمانة العامة للأمم المتحدة، وعملت عليها سائر الصحف الانجليزية والأمريكية وقد قالت (يونايتد برس) عن هذه الحركة إنها خطوة أولى في سبيل الاستقلال عن فرنسا، وقال متحدث «سان بعض الدول الكبرى أن هذه المذكرة تعتبر أول انشقاق رسمي بين الشعب المراكشي وبين فرنسا، وعلى أثر ذلك أعلنت بولندا أنها مستعدة لرفع قضية مراكش للأمم المتحدة، وأدعت البرقيات الواردة من إليك سكس أن الدوائر العليا تعتبر مذكرة حزب الاستقلال خطوة أولى لعرض قضية مراكش على الأمم المتحدة، وأنه ليس من بعيد أن

تدرج في جدول أعمال المجلس في إحدى الدورات المقبلة ، وقد أظهرت بعض دول أمريكا اللاتينية استعدادها لتأييد قضيه سرا كمش .

ومد الساعة وحرب الاستقلال يوالى بحث الوثائق والمذكرات للأمم المتحدة ، كما أنه ينشر فرصة انعقاد اللجان التابعة للمنظمة الدولية ليزودها بكل ما يرجع لموضوعاتها فيما يخص المغرب ، وقد بحث وهذا متركبا من الأستاذين عبد الله إبراهيم عضو المجلس الأعلى للحزب والسيد أحمد العلوي المندوب عن لجنة الصحافة الاستقلالية للاتصال بوفود الدول في مؤتمر الأنباء الذي انعقد أخيراً بحيف فقام انود بمحمود كبير تخاص معه به مكتب نقابة الصحفيين الشرقيه برئاسة الأستاذ محمود أبى الفتوح ، وأيده نوبد المصرى ولسورى واسا كيتانى ، وكان للأستاذ الكبير عبد القادر المارنى أثر كبير في ذلك التأييد . كما بحث الحرب وهذا آخر ثلاثين بوفود الدول في اجتماع المجلس الاجتماعى والاقتصادى للأمم المتحدة ، وغير ذلك من أعمال



•

•

جوانب القضية المراكشية

يرى الحزب أن قضية مراكش متعددة الجوانب ، وأن منظمة الأمم المتحدة
 تقتضي لها أن تتناول من تلك الجهات كلها أو بعضها دون أن يستطيع الاستثمار
 القرسى أو الأسباني دفاعاً قوياً ولا اتصالاً مقبولاً ، موضعية مراكش الدولية
 مثلاً هي الاستقلال التام الذى يدل عليه ماضى هذه البلاد الذى لم يعرف
 الاستعمار قط ، كما يدل عليه عديد العقود والمعاهدات التى تربط الدولة الشريفة
 بغيرها من دول الشرق والغرب ، ومن بينها فرنسا وألمانيا . وقد ظلت هذه
 الوصية معترفاً بها ومؤكدة حتى بعد انعقاد مؤتمر الجزيرة الخضراء ، فقد اعترف
 بمئتين وخمس عشرة دولة فى هذا المؤتمر باستقلال مراكش ووجوب احترام
 سيادتها وضماتها ، وليس فى القوانين القديمة والحديثة ما يبيح لدولة أن تخرق
 العقود المذيلة بمصاه الشرف والكرامة ، وليس فى القوانين لدولة أيضاً
 ما يسمح بحكومة ما بالاعتداء على أراضي حكومة أخرى ، ولكن الواقع أن
 فرنسا وألمانيا قسمتا البلاد المراكشية واحتلتاها حرقاً لكل التعهدات وخلاًفاً
 لما التزمنا به ، وغيرهم فى شتى المؤتمرات ، وقد كان هذا الاحتلال امتصاصاً
 ومسبقاً لمعاهدة أمضىته فى ظروف الإكراه الدش من ذلك الاحتلال ، ومن
 طرف ملك لا يخول له ملك يبعته ولا نظام مملكته حق التنازل عن طرفه من
 سيادة الشعب ، وقد نص عقد حقوق الإنسان الفرنسى على أن السيادة للشعب
 كاملة فيه ولا يمكن تفويتها بصفة من الصفات ، وقد اعتبر دائماً كل عمل
 يتنافى مع هذا المبدأ منتهى فى نظر رجال القانون الدولي ، وقد أكد ذلك علماء
 القانون الفرنسيون حينما أبا البرلمان الفرنسى عنه فى مهمته الماريسال ييتان ؛
 فأتوا بأن حل البرلمان لا يعتد به لأن النواب لا يملكون الحق فى أن ينتازوا

عن الحقوق التي وصفتها الشعب في بدم وتمت دعايتهم ، وفيما كتبه البروفسور
 كاسان معوض العدى والتربية الوطنية في لجنة التحرير الفرنسية من هذا الموضوع
 دليل على أن وكلاء الأمة ملوكا أو وزراء أو نوابا لا يستطيعون أن يتصرفوا في
 كيان الأمة ولا في مبادئها التي لا تقبل التغويز ، وإذا كانت التجربة دلت
 على أن الاستمرار بجميع أشكاله هو مجرد انتحار الأمة التي ترمى به فليس من
 الممكن أن تبني القوايس للأمة هذا الانتحار ، وهي تدمر منه الفرد ولو كان في
 أخرج ظروف الآلام .

على أن هذه المساعدة لا يمكن أن تستند من الوجهة الدولية ما دام عقد
 الجزيرة قائما وقد كان من الواجب أن يجتمع ممثلو دول الجزيرة كلهم ليعطروا في
 نصير الوصية الدولية التي فرضوها على البلاد قبل أن يمتدوا بواقع يتنافى مع
 مبادئهم وأصولهم بقبوله ، وإذا كان الإضراب بضرورة الرشوة التي
 وزعتها فرنسا بصفاة قد سمح لهم بنهب الطرف عن اعتداء الفرنسيين والأساسيين
 صيدا فإنا نحن الذين نكلمكم بهذه المؤامرة الدولية الحديثة ما نزال نستمرها
 ونطالب القائمين بها بالرجوع إلى ضميرهم والسبل على التكفير عما ارتكبوه بمحاكمة
 بريئة من حياة اليهود وحرق للالتزامات .

وانقد رفض الشعب الاعتراف بالحماية المفروضة ، وثار عليها ثورته الممثلة التي
 ما تزال تكافح حتى تلمس الحماية من الواقع المغربي ، وتدار السلطان الموقع على
 الحماية معترفاً بأنه قد عجز عن حل للمشكلة يرمى الأمة ويحفظ كرامتها ، وهكذا
 حتى مشروع المعاهدة الذي أمضاه عديم القيمة لأنه أملاه بقنارله عن العرش واعترافه
 بأن إرادة الشعب لم تصادق على عمله .

وسارت الحماية تطبق سياستها فلم تترك جابجا من جواب الاعتداء على كياننا
 وسيادتنا ومقدراتنا إلا ارتكبتها .

ولقد اعترفت معاهدة سنة ١٩١٢ نفسها بضرورة الاحتفاظ للبلاد بوحدةها
 وتقاليدها في العرش وفي السيادة ، ولكن الحماية خرقت في أول ما خرقت هذا

الائتراء ، فرقت البلاد طرائق قديدا ، وتآمرت مع الدول على تقسيم دنى بلادنا
وأصبحت الوحدة المغربية شيئا رجزيا لا حقيقة له من جهة الواقع السياسي ، وهن
يبسح قانون ما في قديم الكون وحديثه لأمة أن تعد إلى أمة أخرى متحدة
فتحصل منها أجزاء ينحصر كل جزء منها لسيطرة أجنبية عنه فردية أو دولية ،
ولو رفضت هذه الأجزاء الانقسام وتمسكت الأمة كلها بوحشتها الترابية
والدكرية ؟ وهذا جانب واحد يكفي لأن يحمل منظمة الأمم المتحدة إذا كانت
حقيقة تريد إقامة العدل والإنصاف على استنكار الاستعمار الفرنسي وخطائه
في المغرب ..

فساب البلاد استقلالها المعترف به والمؤكد بإصاء الشرف والكرامة
وحده جريمة دولية كبرى .

وتقسيم لبلاد إلى مناطق لا يربط بينها نظام موحد هو جريمة نابية لا تقل
عن الأولى فظاظة وقبحا .

وهناك قضية الحماية العميقة التي هي مشكلة المشاكل ، وأعلى بها قضية
الحكم المباشر الذي يمكن وراء اسم الرقابة وعنوان الإرشاد ؛ فقد حرقت السلطات
الفرنسية والأسبانية فقد الحماية المبروص الذي زعمت أنه مجرد عهد لتنظيم التعاون
الفرنسي الأسباني المبرني براد منه تمكين للتوطين الحاميتين من مساعدة الدولة
الشريفة على الانعاش والتجديد والأمة المغربية على اليقظة والحياة والتطور ،
وأصبحت الحماية حكما مباشرا وتحكما مستمرا من طرف ولاية المراقبة الذين يسهبون
البلاد بمحوساسة المحو والإدماج من طريق الإفقار والتجهيل والتخفيف .

وإن الدولة المغربية التي كانت منذ أقدم عصور التاريخ ولم تزل دولة
قادرة على تدبير شؤونها وتنظيم أمورها لغير محتاجة إلى هذا الحجر الأجنبي
الذي يعيدها لسيطرة اجتماعية واقتصادية وسياسية مأكرة تنهض وتحمي .

ولقد كانت مراکش دولة كبيرة يوم لم تكن قرنا وغيرها من الدول
قد خرجت من حيز المحاولة البدئية للتكوين القومي ، فمن سخرية القدر أن

يفرض عليها اليوم حكم الدين كانوا يخطون بالأسس مودتها ويستمدون من
تجربتها ونظامها .

وسد من ميثاق الأمم المتحدة واليهود التي تقدمته في سان فرانسيسكو
والحيط الأطلسي وغيرها على احترام سيادة كل أمة وعلى إعطاء كل شعب الحق
في تقرير مصيره ، ولم يكن هذا المبدأ بالجديد في الحقوق الدولية ، وإنما الجديد
فيه هو أن دولاً محترمة التزمته بالعمل على إقراره وتنفيذه ، ولقد طلت مراراً كش
تدافع عن هذا المبدأ وتجاهد في سبيله ، وهي اليوم تطالب هؤلاء بالتزامين ومن
ضمنهم مرساً باحترام نهجهم الدولية والاعتراف لراكش بحق التحرر من رقة
الحماية والاستعمار الأجنبي .

وهي إذ تطالب بهذا الحق إنما تعرض الأمم المتحدة أمام تجربة عظيمة
يظهر معها مقدار القوة التي تسكن في حواس الدول الكبيرة التي ترمي هذه
المنظمة وتعمل على استمرارها لحير العدل والسلام ، ومنها لتطالب عديداً من
هؤلاء الدول الأعضاء ، وهم المشاركون في مؤتمر الجزيرة ، بضرورة التفكير فيما
رتكبوه نحو العرب الأقصى بعصائهم من الحماية التي لم تحترم استقلال الوطن
الذي أحجموا على احترامه ورعاية حريته ، وتذكركم بأن الفرصة قد أتت لم
اليوم في محال أوسع وأبقى أسمى ليتأكدوا من مدى إحلامهم لاستقلال
مراكش الذي دأبوا عنه ووظفهم لمبادئ التحرير الإنساني التي التزموا بها .

وهذان الجانبان متعلقان بسيادة العرب ووحدته الترابية هما الجانبان اللذان
لا يستطيع قانون قديم أو حديث إلا أن يدعمهما ، ولا يمكن أن يبدل بأى مبرر
إرشاد أو إصلاح يمكن أن تدعمه الدول المستعمرة أو تدل به كحجة على موقفها ؛
د أن شعور الضرر باستقلالهم ووحدتهم حق إنساني لم لا يعوضهم عنه شيء .
مهما كانت قيمته من ضرور لإسعاد أراهم وتأخير المرحوم .

ولكن هناك جانب الواقع المؤلم ، وهو جانب المعاملة السيئة للشعب
وعصب حيراته وتراثه . وهل يبرر نظام الأمم المتحدة حق على أساس الاعتراف

مبدأ الوصية أو الرعاية الدولية الوصي أن يتخذ وجوده في مكان المرشد فرصة
تتيح له أن ينصب الشعب ثروته وينزع منه أراضيهم لفائدة مواطني المستعمر وأبناء
جلدته ؟ هل تبيح القوانين أن يرتكب للمستعمر جرائم مبنية على التمييز العنصري
والاضطهاد الديني ؟ وفي هذا الميدان سيقتصر جلد ممثل الدول إذا اطلعوا على
الملفات التي تتضمن إحصاءات دقيقة لا يمكن مكرانها تثبت كلها مقدار
الاستغلال والاحتكار الاضطهاد والاحتقار والتجهيل والإفقار الذي انبثت عليه
السياسة الأهلية الفرنسية الأسبانية في مراکش وبقيّة المغرب العربي .

ومهما وصلت الإنسانية إلى درجة من الفضة والبلاهة فإنها لن تستطيع أن
تسمى أعمال الفرنسيين والأسبانيين الدوائية بمزاعماتها، وإن يمكن لرجال
الأمم المتحدة أن يسجلوا في تاريخهم خطأ عقلياً وروحياً مثل هذا

قضية نظراً كثرة موضوعيتها لدواية وواقعتها الخجل أجدر قصايا الأمم
بالعرض على هذه المنظمة العامة التي يحول للإنسان أن يجعل منها مرجعاً لصد
العدوان وكبح جلع الطغيان .

وهن لست من الذين يمتدرون أنه ليس في هذا العرض فائدة لأن أعضاء
هذه المؤسسة أو المهيمن عليها منهم كاهن من قوى المصالح الاستعمارية الذين
تعرض عليهم ظروفهم أن يتضاموا في شأنها، والدليل على ذلك موقفهم من قضية
فلسطين وقضية اندونيسيا مثلاً، لأن هذا وإن كان صحيحاً فهو لا ينزع من
العرض فوائد السكينة التي من أهمها للتشهير بفظائع الاستعمار الرسمي الأسباني
في بلادها كما أن التأيد أو التضامن الذي يمكن أن يقوم به المستعمرون لا يمكن
أن يندف على أساس يتفق ومبادئ العصبية وغايتها، ولذلك سيجد الدافعون
عن الحق من رجال الأمم المتحدة ما يدفعون به شبهات المستعمرين وبعضهم به
أغراضهم الدنيئة .

على أن قضية مراکش أبعد من أن تجد من الخصوم الدوايين المتحمسين
ما وجدته القضية الفلسطينية لأن نفوذ اليهود وسيطرتهم عظيمة في الميدان

الدول ، ولكن لأن القضية الفلسطينية لم تنالج في الأوقات المناسبة من طرف العرب وأصدقائهم ، ومن طرف الفلسطينيين أنفسهم بما كان يجب أن تنالج به ، ولقد بقي الكفاح الفلسطيني سلبيا ، وهديت مجهودات العرب من أجل فلسطين سرهوبة بالظروف والتقلبات الدولية غير خاضعة لبرنامج ولا متبعة لخطة معينة ، وحينما عرضت على الأمم المتحدة لم يكن العرب أو أصدقائهم هم الذين عرضوها ؛ بل كانت الدولة التي خلقت الصهيونية هي التي تقدمتها للأمم المتحدة كشكلة مبررت عن حلها وعن إرضاء الطرفين فيها ، ومعنى هذا أنها أخرجت نفسها من القضية وحملتها مسألة خلاف بين عنصرين يمدشان في بلد واحد ، وهذا بالطبع مالا يمكن أن نجد مثله في فرنسا أو إسبانيا مثيلا ، ولقد أثبت العرب بقوة السيف أن المشكلة الفلسطينية لا يمكن أن يحل بطريق التقسيم ، ولكن بطريق التسليم للعرب بحقوقهم الصحيحة ، كما أثبتوا بطريق الحقيقة أنه ليس من حق الأمم المتحدة أن تقسم بلدا ما إلى قسمين ، ولقد اعترفت الدول الكبرى بهذه الحقيقة القانونية ولم تستطع سبيلا للبراج فيها ، وهذا ما يتولى موقفنا ويؤيد وجهة نظرنا .

ومن متيقنون بأن قضية مرا كس ستجد في أوساط الأمم المتحدة مؤيدين كثيرين من العرب والشرقيين أولا ، ومن بعض الدول الأخرى التي سبق أن سكبت بالاستعمار واصطالت بناره كافلين ثانيا ، ومن الممكن أن تجد هذا اللون حتى من بعض الدول التي ترى ضرورة تأمين الأيض المتوسط حوقا من وسط النفوذ الشيوعي عالمه والتي أصبحت تمتد شيئا مشيئا أنه لا يمكن هذا التأمين ما دام أبناء المغرب العربي في بؤس واستعباد .

وموقف فرنسا وألمانيا في الحرب الأخيرة ليس من شأنه في الحقيقة أن يعطين الأمريكيين والآنجليز على مصير هذا الجانب الذي تحت نفوذها بما إذا أدى الأمر إلى حرب قوية بين الديمقراطية وبين الشيوعية ، خصوصا وأنه ليس هناك ما يضمن عدم ثورة المناربة الذين لم يسترف لهم بحقوقهم في النصر بعد حربين عظيمتين ضحوا بهما بدمائهم وأموالهم إلى جانب الديمقراطية ورجالها .

وسيدكر الأسيركيون أن الغرب لأقصى أول دولة اعترفت باستقلال
ببلادهم إذا لم يدكروا أن الرئيس روزفلت أعطى بجلالة ملك مراکش باسم
الشرف الأسيركي وعداً بتأييد قضية الغرب وتحريره .

وسيجس الإنكابر بأن سياستهم مع الجامعة العربية لا تؤتي ثمارها إذا لم
يؤيدوا هذه الجامعة في إتمام تسكويها وتحقيق أهدافها البعيدة ، وسيشعرون بأن
قوة الكتلة الشرقية التي أبدت كلها من غير استثناء موقف العرب في فلسطين
يستطيع أن يرجع الكفة التي تكون هذه الكتلة إحدى مثاقيلها .

وستجد الكتلة السلافية فرصة سانحة لانظاها مقاومة الاستعمار الغربي ،
وسوف لا تستطيع أن تتجاهل قوة المغرب العربي في المستقبل وما سيكون له
من الحق في التمييز بين أصدقائه في وقت الشدة وبين خصومه .

وستستحيي الدبلوماسية الفرنسية نفسها من أن تنافس عن أعمال المستعمرين
وهي التي تمثل الجمهورية الفرنسية ذات التقايد التحريرية الكبرى ، وستصطر
لمحاولة تبرير عملها بدعوة مراکش للانخراط في الاتحاد الفرنسي ، ولذلك يمسك
أن نقباً بأن قضية العرب ستخرج من شكل المناقشة في بطلان النظام الحاضر
وفساده إلى صراع ضيق بين ما يريده العرب من استقلال تام وانضمام للجامعة
العربية ، وما ستحاول فرنسا تلاني الخطر به من استقلال أهرج في دائرة
الوحدة الفرنسية .

ومما يمكن الأسرفان القضية متوقفة إلى حد ما على مقدار الإيمان الذي
يثبته العرب بأنفسهم وعلى ما ستقوم به دول الجامعة العربية لقضية من أمس
قضايا المروية بها وأجدرها بمنايتها ، وإيس في قضية تونس والجزائر إلا صورة
مكررة لقضية مراکش نفسها .

وإذن فالالتوجيه الذي قررته الحزب اليسير بالقضية نحو عرضها على الصير
العالمى سيكون له من النتائج الحسنة ما يخطط على الأقل ببلادنا نحو هدفها الأسمى
الذى هو الحرية والوحدة والاستقلال .

الخاتمة

خلاصة وتوجيه

لقد عرضنا في هذا الكتاب لمراحل المقاومة المغربية ، ونحن لا نقصد منها إلا إثبات حقيقة واحدة ، هي أن المغرب العربي لم يقبل قط الحكم الفرنسي ولا الأسباني ولا الدولي ، وأنه منذ أن اتصل للمستعمرون بهذه البلاد وهم يلاقون فيها من ضروب المقاومة وأصناف الدفاع ما لم يلاقوه في بلد آخر غير المغرب ، ولقد رأينا كيف تكيفت الذهنية المغربية بتكبيد العصر ، وكيف تطورت معها أساليب الجهاد في سبيل الحق المصوب ، وعرضنا على القارئ المظاهر الثقافية لحركة أمة اندمشت من قوة الفاتح الذي تغلب عليها دون أن تخضع له أو تستسلم في سبيل البحث عن طريق الخلاص بأساليب العصر ووسائل العهد الحديث ، وكيف تفاعلت حاجيات التحرر مع حاجات التطور فأدت إلى تكوين مهمة علمية وأدبية وعقيدة حذيرة بالتقدير ، ولكن هذه المهمة اصطدمت بالحواجر التي ينصبها المستعمر للحيلولة بين البلاد وبين غاياتها فأدى ذلك الاصطدام لاشعار الشعب برؤيا الفاتح السيئة والافتقار بأنه لا سبيل للهوض والتقدم بغير الاستقلال الكامل والتحرر من يد الناصبين .

ولقد حاولنا بقدر المستطاع أن نعلم مراحل التطور والتحول في الحركة الواحدة نفسها ، وأن نشرح بواطنه الحقيقية والعوامل النفسية التي أدت إليه ، ولم نحاول قط أن نغني الأسباب الخارجية التي كان لها أثر في تكبيده أو المساعدة على إبراره ، وهكذا رأينا اتصال الحركات المغربية بالحركات الشرقية وتأثير بعضها في الآخر وتوحيد اتجاهها في المبدأ والمآلة والسبيل .

وعلمنا على أن نشرح الخطوط البارزة من سياسة المستعمرين بالمغرب العربي دون أن ندأول في ذلك مالا علاقة له بموضوع كتابنا لتستشف من وراء ذلك الأغلاط الرئيسية التي أدت بالمستعمر إلى فشله الذريع التدريجي المستمر، واستطعنا أن نلمس هذه الأغلاط وهي تتكرر في تونس والجزائر ومراكش على السواء فتتكرر معها ردود الفعل في كل من الأقطار الثلاثة، وننتهي إلى تعقد المشكلة دون أن نحاول السلطة الاستعمارية إصلاح العلط أو تغيير الاتجاه.

وحاررنا أن نبرز الظروف التي كان فيها انتحال للثأر المادي، التحريرية بصمة جديدة اكتشفاً مهم لهذه المبادئ عن طريق العثور على الأغلاط الاستعمارية والبحث عن وسائل التخلص منها، وإنه لمن الغريب في طبيعة الفرد والجماعة أن تناسي أحياناً أبسط الأصول الأخلاقية وأعرافها في تنويع، ثم يعود إليها في بعض الأحيان لاجئين وكأننا اكتشفناها من جديد لنستعين بها على حيازة نصنا وبيتنا من هجوم الماديين القاسدة وأصحابها.

ولقد سارت الحركات العربية في الأقطار الثلاثة في مراحل وحدة، لأنها سكيت تحت عوامل ومؤثرات واحدة، ومن حسن الخط أم انتهت اذابة واحدة، هي هذه العقيدة الاستقلالية التي تسكن من حلقها اليوم.

ولعل تجربة الحركات القومية في المغرب من أحسن التجارب التي قامت بها حركات التحرير في العالم العربي بأسره، لأنها وحده التي استطاعت أن تكون أحراراً بالمعنى الصحيح الذي يقصده الغرب من هذه الأحرار، فهي لا تقوم على زعامة مقدمة يخضع لها الجمهور عن طريق الدعاية الإيجابية والخطابة في العموم، ولكنها تخضع لزعماء شعيين محبوبين مركزهم في أحزابهم هو مركز سائر الأفراد الماملين فيها، ووسائلها في الدعاية وسائل التنظيم والتنشيف وقد يكون هذا الفارق بينها وبين عالمية أحزاب العالم العربي — مع احترامنا الكبير لها وتقديرنا الكبير لزعمائها ورجالها — ناتجاً عن التكوين التدريجي لحركتنا والاصطهاد المستمر لها، إذ هي لم تتكون في ظروف يشور فيها الشعب

ويبحث عن بنظم ثورته أو يمثلها في أمانيه ولا في ظروف الدعاية الانتخابية التي
تفرض بالترشح على فكرة معينة أو برنامج محدود ، ولكنها بدأت تتكون في
أحرج المواقف وأضيق الظروف يوم كان الجمهور المغربي في دهشة الملوك من
قوة الشباب ، ثم هي تكومت من أفراد قلائل نظر الكل إليهم أولا نظرة
الاستغراب ووقف منهم موقف المتحفظ لأن دعوتهم لم تصادف أهواء النفوس
ورغبات القلوب ، ولكن لأن قوة المحتل كانت بارزة إلى حد لا يمكن معه اليقين
والاعتقاد بسهولة في نتائج حركات سلمية يقوم بها شبان لا أسهل من القضاء
عليهم وتشريدهم .

وقد تجلت هذه الحقيقة بأجلى مظاهرها في مراكش بصفة خاصة ، فإن
هذا الثوب الحربي المحافظ على تقاليد الجندية المتوسطة لم يكن ليقتد في فائدة
الحركة السلية أو السياسية ، فهو مستبعد في كل وقت لتلبية دعوة الثورة للسلطة
مقاومة الأجنبي ، ولكنه ظل متحفظا بزاء حركات القول والكتابة لأنه لم
يكن مقتنعا بفائدتها فتناحاه اليوم ، فنحن حينما بدأنا حركتنا المراكشية لم
سكن إلا ثلة لم تتجاوز عدد سن الشباب الأول ، ولم تكن السلطات الفرنسية
نفسها تعتقد أننا نستطيع أن نصل بحركتنا إلى المدى الذي وصلته اليوم والذي
لم يخف الإصجاب به كبار الشخصيات الفرنسية أمثال دي هاميل وأندريه جيد
ولا كبار مستعمرهم أمثال لاون وبوسو . فهداه الظروف التي اكتنفت
حركاتنا جعلتها تتكون تدريجيا وتنمق في أوساط الشعب وطبقاته كحركة
قومية ذات مبادئ وأظمة وحقوق وواجبات .

ومن مميزات حركاتنا التي عملنا على تجليتها هذا الشمول الكامل لدواحي
الحرية المنشودة فهي في الوقت الذي تطالب فيه بالتحور القومي للشعب لا تغفل
الدفاع عن مصالحه والعمل على تثقيفه ورفع مستواه من الناحية المادية والمعنوية
ومساعدته على تنظيم نفسه ضمن هيئات وجمعيات وبنابات ، وهذا العمل لا يكون
شيئا لولا ما اكتسبته من صعوبات عظيمة ومن فقدان كامل لحرية الحركة

وما استلزمته من تضحيات كبيرة وبذل متواصل .

وقد عمدنا إلى شرح ما اتهمنا إليه من روح التضامن بين سائر أحرابنا في الأقطار الثلاثة على الرغم من أنها دول ثلاث كانت ولا تزال ممقزة بحبا لشخصيتها وثقافتها في النمساك بمميزاتا ، وهذه التجربة السعيدة جدية بأن تكون مثلاً صالحاً يحثه إخواننا العرب جميعاً في توحيد قواهم الشعبية وتكتل أحرابهم وتنظيمها ؛ لأن تكتل الحكومات العربية وحده لا يكفي ، بل يجب أن تكتل الهيئات الشعبية لتواحه هي حكوماتها وتحملها على السير قدماً ومخطى حثية للغاية المطلوبة للجميع .

وشرحنا ما وصلت إليه نتائج هذا التكتل من عمل في الخارج لشرح القضايا العربية وتجاهلها أمام الرأي العام الأجنبي والعربي ، ولقد نجح المستمر زماناً طويلاً في عزل الشمال الإفريقي عن بقية الأقطار العربية ، وفي منع أبناء من القسرب لاخازيج من المشاركة ، ولكن العرب اليوم أصبحوا بفضل مجهودات الحركات الاستقلالية على علم بأحوال إخوانهم ومدى الجهود التي يبذلونها للحاق بالقامة العربية في مسيرها ، كما أن الأجانب لم يعودوا في جهل كامل بما يعانيه العرب من ظلم وإرهاق ، وفي مجهودات السكاتب الاستقلالية العربية بأوروبا وأمريكا ما يشرح كثيراً من الحقائق لمن لم يكن لهم سبيل لمعرفة من قبل .

وإذن فالحركات الاستقلالية في المغرب العربي حقيقة شعبية قائمة ، وهي سائرة في حطتها الرشيدة بفضل تضحية رجالها وتضامن أعضائها ، ويمكننا أن نعتبرها اللسان الأمين والرجاء الصادق مما يشعر به كل عربي ومغربي . والاعتماد عليها في معرفة الحقائق المغربية أمر ضروري للذين يودون مواجهة الواقع دون لبس ولا غموض .

وعمل هذه الحركات في ميدان المقاومة وخططها التي تسير عليها ليست إلا مثلاً للحكمة الناشئة عن سنكة وتقدير الأمور ومراعاة لكل الاعتبارات ، خصوصاً وهي لا تصدر في شؤونها إلا عن رأي تقرره أغلبية مجالسها العليا ومقرراتها الحزبية .

ولكن هذا كله لا يعني أنها قد وصلت السكال في تكوينها وتنظيمها ،
من الواجب علينا وقد علمنا أنها قد فشلت في أن تنموا إلى بعض مواطن النقص التي
يجب أن نعمل على إتمامها .

وأول هذه المواطن في نظرنا هو ما يرجع لتكوين النظرية ، وأما به
ما يتعلق بحلق برنامج مفصل للنظام السياسي والاقتصادي الذي يجب أن يكون
عنايه المغرب في وقت استقلاله ، لأننا نعتقد أن العمل للاستقلال ليس إلا وسيلة
لتحقيق أهداف المنظمة في إصلاح حال الأمة وإسمادها

و نحن وإن كنا عارفين بالخطوط العامة والخاصة لما ستقوم به في عهد
الاستقلال ، لا أن ذلك لا يكفي بل يجب أن ننص أمكارنا ضمن برنامج عام
على عرار ما قد به — نحن المرأكتيين — يوم كانت حركتنا إصلاحية محضاً .
يجب أن يدرك المختصون منا على دراسة وافية النشاط الشعبي السياسية
والإدارة والثقافية والمالية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها من كل ما يرجع
لتنظيم الدولة وتنظيم الشعب ، ويجب أن يسير فيه على نظام الاحتصاص الكامل
للجان الفنية بحيث لا تتنازع لها فرصة الحكم الذاتي حتى تكون على أهبة
التنفيذ البرنامج ، فلا نضيع وقتاً آخر في سبيل الإعراد والتحصير .

لقد انهر الجمهوريون الأسبان يوم فرصة وجودهم خارج الحكم وحارح
الوطن فقاموا بتحضيرات عظيمة في جميع مباديهم ، ويتوقع الكثير أنه متى تم
للدعوقراطية الأسبانية انتصارها فإن عملها سيكون عظيماً في داخل أسبانيا لملأه
الفصل الذي أدي بها بلاسيار أمام اضطراب الشعب ورد الفعل الثوري

ولقد قال كارل ماركس إنه لا ثورة خير للذهب ، وهذه حقيقة واقعية لأن
الحركة دائماً فرع الرعة التي هي مدورها فرع التصور والإدراك ، ولم ينجح
الشيوعيون في روسيا وغيرها على رغم ما في مسجهم من غرابة وما يحتوي عليه
من مبادئ هدامة إلا لأنهم استطاعوا أن يتبعوا تحقيق كثير من الإصلاحات
الفلاحية والصناعية في كل مكان احتلوه ، ونحن الذين نريد أن لا ندع مجالاً

لأى مبدأ هدام أو تدميع مسحول ، يجب أن تتوفر فرصة فراغنا من مسؤوليات الحكم وشعورنا بمواطن الصدف في النظام القائم بلاديا ، فمدرس الأنظمة العالمية ونقيس عليها حاجياتنا الخاصة ولكون مذهبنا في أدق معانيه وبأكثر تفاصيله حتى يتاح لنا إرضاء أمتنا بتحقيقه دفعة واحدة ، فنحصل بذلك على إيمان من الشعب بنفسه ونظامه وحكومته في عهد الاستقلال ، ولا يرغمه سد ما بذله وببذله من جهود للتحرر على استئناف جهاد آخر للمحذ عن طريق يصل به لنظام إماري أو احتيالي ربما كان هو الآخر ضرا من الاستعباد الروحي أو المادي في شكل جديد .

وقد أدى هذا الاسهام الغربي إلى احتمال كثير من الوسائل كداحز مؤقتة . ويجب أن لا يخطئ في توجيهاتنا للجمهور حتى لا يصبح المؤقت عنده ديدنا دائما ، يجب أن نتمط في هذا المعنى بما وقع في أوروبا نفسها ؛ فقد ظلت فرنسا وبلجيكا واليونان بالخصوص مد أمد المقاومة للقائح النازي ، وهي في اضطراب شديد ، لأن الشعب الذي قاوم المستعمر تعود أثناء المقاومة على حياة حاسة لم يرد أن يمارسها حتى بعد التحرر . إننا نوجه الدعوة للتكوين النقابي ونسكاخ بهماس من أجل هذا التكوين ، ونحن نحفون في هذا ذلك ومخلصون في القيام به لأن العامل الغربي أحذر الناس بطلنا وكعاشا وأولام مدافع الإنسانية كلها ، ولكن كعاشا النقابي يجب أن لا يرى بالسمل في أحصان هيئات تستمد قوتها العلوية من الخارج وتعودها الروسي من الأجنبي ، ونحن للراكشين مثلا لا نعرف أبدا الاستمرار في اتباع سلطة روحية تتركز خارج بلادنا ، تلك هي عقليتنا ، وذلك هو تاريخنا ، مضيئنا عليه في وقت جاهليتنا كما جريئنا عليه بعد أن استقر الإسلام ديننا ، ويجب أن لا نترك السيطرة الروحية الأجنبية تحمل في بلادنا محل السيطرة الزمنية ؛ بل يجب أن نصدر عن عقائدنا التي نكتشفها بأنفسنا أو نستمدتها من الغير ثم نصهرها ونسكيها على حسب مراحنا وحاجاتنا ، وساء على ذلك فيمنه أن لا نرى في النقاة إلالونا من

ألوان تنظيم الأمة المغربية ، ويجب أن نهتم كثيراً بإيجاد ذلك التنظيم في عمار المدن لأن العقبة لا تؤسس بثقافة إلا في الأوساط التي يجمعها سقف واحد ، أما الفلاحون فيجب أن ننظمهم ضمن نقابات أو جمعيات تعاونية حسب رغبتهم ، ولكن دفاعاً عنهم يجب أن يكون جماعياً لا من جهة تحسين أحوالهم فقط بل من جهة استخلاص الأراضي التي غصبها لهم المستمر لأنه أحدها بطريق الاعتداء ، وإعادة الأرض لصحابها الشرعي جزء من كرامتنا القومية لا يمكن أن نحسب به أبداً . ويجب أن نبدل الجهد حتى يحل التحكيم محل التلاحن والإضراب خصوصاً في الوقت الذي نعمل فيه على تصحيح أمتنا سياسياً قومياً ، ويجب أن يكون مجهودنا الإجتماعي كله منصرفاً لتسجين حالة الشعب بجميع أفراد وبيئاته ، فالرجل في الحقيقة هو النية لكل مجهود ، يجب أن نعمل على تيسير المعاش واستسكى والثقافة والعلاج وراحة ووسائل الشغل للفرد والإسعاد للمجتمع وسعم ذلك في كل حواضر بلادنا وقراها .

ولتحقيق هذه الأشياء يجب أن نستعمل كل الوسائل للشروعة على أنها جزء من كفاحنا للتحرر والتطور ، ويجب أن نجد الأمة كلها للعمل فيه وإنجازها . ولكنك تريد ألا نفعل هذا فقط ، بل تريد أن نقوله ومكتبته ومحاضراته ونفقه في نفوس الناس ونفقه من أجله المؤتمرات ونضع له البرامج ، لأن ذلك القول وتلك الاجتماعات هي التي نعمله عقيدة قائمة في نفوس الأمة كلها تقسمها ونحافظ عليها ونعمل على إنجازها ، كما أننا نريد من وراء ذلك تكوين أدب قومي يبقى تراثاً عقلياً وروحياً للأجيال المقبلة من إخواننا الذين يسرهم أن يتفكروا بمجهوداتنا العقلية والروحية ، ويبتخروا بكفاح الذين سبقهم ، ويشعروا بالمرّة من تفديسهم لأرواح الذين كانوا لمطره الحياة الحبيطة لهم .

ومعنى هذا أنه يجب أن نحطو الخطوة الثقافية بحركتنا ، كما يجب أن نستعمل الأسلوب الثقافي أيضاً في دعاياتنا في الخارج التي ظلت في الحقيقة إلى عهد غير بعيد مجرد شكوى صريحة وأرقام ممدودة ، مع أن ذلك وحده لا يكفي

لأنه لا يعيد إلا طبقة خاصة من المختصين في الشؤون المخرية ، ثم هو لا يعاق
حتى بأذهان هؤلاء المختصين ، ولذلك يجب أن نكون أذبا حاسما في مختلف
النيات يمكننا أن نسميه بأدب المقاومة ، فيه المرض التحليل ، وفيه النص ،
وفيه الاستنتاج بطريق الإيحاء أو الإرشاد ، وبذلك سندفع السكل لقراءة
ما نكتب ، وسيراسم أثر ما نكتب لا بحالة في نفس قرائه ، وسندفع علي
أديمقنا العذبة صبة الإنسانية المنكوبة التي تشد جاب النصارى الإنسانى
لمقاومة المستعمر وخطرسته .

- وفي هذا السبيل يجب أن نعمل بكل مجهوداتنا لتحقيق دعوتنا الإنسانية
التي هي القضاء على الاستعمار بكامل ضروبه وتحرير الإنسانية من ويلاته ،
وانك يلزم أن نمشد القوات الشعبية في الأمم القاصرة ونعمل على عقد مؤتمر
دورى عام للأحزاب الأهلية في البلدان المستعبدة كلها ، يجب أن نذكر أن الأرقاء
لم نحررهم موافق الأمم ولا دعوات الزعماء ، كما يدعيه الأوروبيون والأمريكيون ،
وسكن حررهم كعلاج هؤلاء الأرقاء وتضامنهم في المطالبة بحقوقهم في الحياة ،
ويجب أن نذكر نفورين أن الجمعيات السرية التي أسسها الأرقاء الأمريقيون
في الباهية باليراريل وفي غيرها هي التي نشرت دعوة عظيمة لتضامن الأرقاء في العمل
على تحرير أنفسهم في الوقت الذي كان فيه رجال الكنيسة يفتنون الأمريكيين
بجواز استعباد هؤلاء الأفارقة لأنهم ليسوا إلا رعايا سخط عليهم ملوكهم أو رؤسائهم
الذين باعهم للرجل الأبيض . وقد وصلت دعوتهم للمقول النبوية في الأوساط
النساء فأبدنهم حبا في الإنسانية أحيانا ودفاعا عن النفس أخرى . وقد كنا
نحن للفارقة الذين أوصلنا الإسلام لإفريقيا السوداء وعلنا أهاها دعوة هذا الدين
للحرية وتساوى الناس كاهم أمام الله وعدم فضل الأبيض على الأسود إلا بالتقوى ،
علم لا نكون اليوم حملة هذه الدعوة لتحرير الإنسانى من ريق الاستعباد ؟ ولم
لا ندعو الأمم الضعيفة لتشككل صدا على استعمار شعب لآخر ؟
على أن دعوتنا هذه يجب أن لا تكون موجهة لعداء المستعمرين ولا للعمل

على الانتقام منهم ، بل يجب أن تكون دعوة تحرير لنا من استعبادهم ، ودعوة
تحرير لأنفسهم من صوفية هذا الاستعمار الذي يبذل أرواحهم وأنفسهم امتيعة للشر
وحب الإساءة لشعوب ليست أقل كرامة منهم ولا سيطرة بالحب والإخاء .

ونحن نعتقد أن الاستعمار لم يعد هو طبقة خاصة من أبناء الدول المستعمرة ،
وأن الأغلبية الساحقة من أبناء هذه الدول قد سكنت بهذا الاستعمار كما نكسب به
المستعمرون (بالفتح) أنفسهم ، وذن فالدعوة الصريحة لتضامن لكل في التحرر
ستلاقى أذناً صاغية وتلوهاً واحدة في جميع الأوساط ، وستنتهي بالشرية إلى
اكتشاف وسائل للتعاون الإنساني من أجل الطمأنينة والإخاء .

وكل هذا لا يمكن أن يتحقق إلا إذا عرفنا كيف نهضح أمام لكل نوايا
المستعمرين في بلادنا ، ولقد جربنا ضروباً من المقاومة المغربية التي لم نلق
السلاح قط ، فيجب أن نضحي صبيها ونعمل على كشف الحقائق وتوضيح العاصم
من أسرارها للجميع .

إن الاستعمار في بلادنا لا يقف مكتوف الأيدي ، وإن جهوده في نصلي
الرأي العام في بلادنا وفي الخارج لا تقل عن جهوده في الإضرار بها والاستغلال
تخيراتنا والاستعداد لمواطنينا ، ولذلك ينبغي أن ندرس أساليبه ونعرف آراءه وأنكاره
وتتصل بالمتخصصين من رجاله ونطالع على آثارهم ونواياهم ونقاومها ونهضحها للرأي
العام المغربي والأجنبي .

وإذا كنا قد شرحنا نحن كل أغراضنا ومبادئنا فليس ذلك إلا لعرف مدى
المستعمر نفسه لتحقيق حركتنا كما عرف غيره بها ، وهذه الصراحة وحدها دليل
كاف على أننا محلمون في عمالنا وعلى أننا مصممون على الوصول لأهدافنا ،
واتفون من أن عقيدة الحق التي مكافح من أجلها ستنتصر ، وأن الاستعمار النافس
سيهزم أمام إرادة الأمة المغربية وعزيمة المخلصين من رجالها .



وموضوع الجامعة العربية وبناء صرحها اللتين أصبح جزءاً لا يتجزأ من حركتنا ،

وهو حرء من هذه الحركة ، ويجب أن يكون كذلك سواء في مبادئها العامة أو في عاينها الأساسية التي هي توحيد العرب وضم دولهم ضمن هيئة تقدم لوحدهم الكرمى ، وهذا بالطبع ما يفرض على حركانه واجبات نحو الجامعة وما يؤولها الحصول على حقوق من طرف هيئة الخدمة العربية كشخصية مدنية مستقلة وعلى الدول العربية المستقلة كأعضاء في هذه الجامعة .

ولذلك لا يمكن أن نعمل في هذه الخاتمة الحديث عن محور الشعوب العربية وبقدر آمالهم وما قامت به وما لم تقوم به نحو الغرب من جهة ، ونحو المثل العليا التي أومأنا إليها لفائدة العرب كلهم من جهة أخرى .

ونحن لا نريد أن ننقص من قيمة الجهود الجبارة التي قامت بها الجامعة في عهدنا القمى المملوء بالأخطار والمصاعب ، كما لا نريد أن ننسى في تقدير هذه الأعمال أوفى أطراء القائمين بها ، ذلك لأن المبالاة فيها كانت تعكس من قيمتها كلاً ما تصليل للرأى العام وسر الحقيقة يسعى أن تتجنبه كلما أردنا النظر إلى شؤوننا لتعرف مواقع خطانا وماذا يجب أن نأخذ أو نذر ، ولأن القائمين بهذه الجامعة والمسؤولين فيها أناس من خيرة العرب وأبطالهم همهم أن يشعروا بلذة الخدمة العامة لقرهم أكثر مما يشعرون بملذة لدح أو الإجراء لأشخاصهم أو التقوية بأعمالهم .

وللادنان الأوليان من ميثاق الجامعة التأسيسى ومن بروتوكول الأسكندرية تمصان على أن الجامعة العربية تتركب من الدول العربية المستقلة ، وهذا يعنى بصريح العبارة أن الدول العربية غير المستقلة لا محل لها في عضوية الجامعة ، وسكن المادة الخامسة من بروتوكول الأسكندرية والملحق الخاص بملسطين من الميثاق التأسيسى للجامعة ، اعتباراً دولة فلسطين جزءاً لا يفتراً من البلاد العربية ، ونصاً على أن وضميتها القومية هي الاستقلال الذى سيمتد به إن عاجلاً وإن آجلاً ، ولذلك لا ترى الجامعة مانعاً من أن تختار ممثلاً لفلسطين من بين أبنائها على شرط أن تعينه الجامعة ما دامت فلسطين غير كاملة الاستقلال .

وهذه هي الحقيقة سائفة تدل على أن روح الميثاق يرمى لندعيم استقلال الشعوب العربية بأسرها وتأيدتها تأييداً قوياً ، بل هي أخطر من ذلك لأنها سمحت بتمثيل بلد غير مستقل في دائرة الجامعة العربية بتعيين من الهيئة السياسية لهذه الجامعة .

ولكن موقف الميثاق الأسامي من الشعوب العربية الأحرى غير فلسطين لم يكن من الوضوح بالدرجة التي يمكن الاعتماد عليها ، وكل ما تضمنه الميثاق هو تقرير ملحق خاص بالتعاون مع البلاد العربية غير المشتركة في مجلس الجامعة من المفيد أن ننقل نصه قبل التطبيق عليه :

(نظراً لأن الدول المشتركة في الجامعة سبباشر في مجسها وفي لجائها شؤون يعود خيرها وأثرها على العالم العربي كله ، ولأن أمانى البلاد العربية غير المشتركة في المجلس تدعى له أن يرتاعها وأن يعمل على تحقيقها ، فإن الدول الموقعة على ميثاق الجامعة العربية يعنىها بوجه خاص أن توصي بمجلس الجامعة عند النظر في إشراك تلك البلاد في اللجان المشار إليها في الميثاق بأن يذهب في التعاون معها إلى أمد مدى استطاع ، وبما هذا ذلك بأن لا يدرجهم لتعرف حاجاتها وتقيم أمانىها وآمالها ، وبأن يعمل بعد ذلك على صلاح أحوالها وتأمين مستقبلها بكل ما تهيئه الوسائل السياسية من أسباب) .

وإذن هذا الملحق ينص — بصفة عرضية وغير أساسية — على أن الجامعة ستقوم بأعمال يعود أثرها على العالم العربي كله ، وهذه الجملة تعنى عوداً تبعياً لا أساسياً ، والعلم للعربي كله بل العالم الإنساني سيستفيد من مجهودات الجامعة متى بذلت جهدها الحقيقي للشود ، ولكن هذه الاستفادة يمكن أن تكون بطريق غير طريق الجامعة كالإبحاء أو الاقتداء أو ما يشبه ذلك من الأسباب . ثم نص أيضاً — بنفس الصفة العرضية وبمجرد الانبغاء لا الوجوب — على رعاية أمانى البلاد العربية والعمل على تحقيقها .

ولكن الملحق مع ذلك يوصى الأمانة العامة بالذهاب في التصارت مع

هذه البهتان العربية إلى أمد حد ممكن ، كما يوصيها بالنظر إلى شؤونها
وتفهم حاجاتها .

ومقدمات المدعى لا تحدد العالم العربي ولا تفسر المقصود منه نصيراً رسمياً .
ولقد طل السكتيون يدخرون إلى المغرب العربي كجبره بعيد عن العالم العربي على
الأقل من وجهة التفكير السيامي الشمل ، وظلت ظروف الاستعمار دثبة على
اعتبار الشرق الأوسط المعنى بالبلاد العربية ، واعتبار الشمال الأفريقي جزءاً من
المطابقة الإفريقية أو من الاتحاد الفرنسي ، ولذلك فإن المالحق يظل غامضاً بالنسبة
إليها إذا لم تصدر الجامعة قراراً يقضى باعتبار المغرب العربي جزءاً لا يتجزأ من
البلاد العربية ، ونحن نرى أن هذا القرار يجب أن يكون في مقدمه ما نتخذه
الجامعة في قضيتها لتفسر به هذا الموضوع غير المقصود والذي لا يعنى عليه اهتمام
العرب بالمغرب ولا اهتمامهم بنجاح قضيتهم وأمانهم

ولتأكيد هذا القرار يرى أن الخطوة الثانية يجب أن تكون في تعيين
ممثلين عن البلاد العربية في هيئات الجامعة كلها السياسية وغيرها ؛ فيعبرهم الجامعة
مؤقتاً من طرف الزعماء البارزين أو من الأشخاص الذين تنفق على كفاءتهم
للاصطلاح هذه المهمة لدى صقلهم الجامعة على عاتقهم .

ولعل مجلس الجامعة يستدر بأن دخول هؤلاء في عضوية الجامعة يعطيهم
حق التصويت في مسائلها العامة ، بينما هم لا يؤدون الواجبات المالية وغيرها مما
يقوم به بقية الأعضاء ، ولكننا نقول : إن معالجة هذه المشكلة يمكن أن يقع
إما بتسارل الدول المستقلة لأداء الأقساط التي لا يستطيع القاصرون أداءها للجامعة ،
وإما بعدم تصويت هؤلاء في غير المسائل التي ترجع لشؤون دولهم الخاصة .

ولقد قامت الجامعة العربية باحتضان قضية ليبيا فشجعت تفطيم حركتها
الوطنية وتأسيس هيئة تحرير ليبيا ، وطالبت بالاشتراك في لجان البحث الدولية
وعبرها ، وأصررت في عن أمانى هذا الشعب العربي في الحرية والوحدة والانضمام
للجامعة ، كما توصلت لدى الإنجليز في توفير سبل الهجرة الإيطالية ، وعملت

على التوفيق بين رغبات الوطنيين وطموح زعيم ايبيا الرسمى السيد إدريس السنوسي .
وأما فيما يخص الشمال الإفريقي فليس من الممكن أن يدعى كون الجامعة
عفت قصيته أو لم تمرها التفتا مفيداً ، ولقد أعنت تضامها معنا في جميع
المناسبات القاعة ، ولم يأل رجالها جهداً في تشجيعنا وتنشيط عملنا وترضية
رجالنا في كل ما تسمح به ظروف الجامعة القائمة ، ولقد صرح الأمين العام
للجامعة لوحد حرب الاستقلال الأول بياريس بأن المسألة المغربية في يدينا نحن ،
وأن الجامعة مستعدة لتأييدها في كل ما نريد .

ومن الحق أن نعترف بأن انسجام الحركات المغربية بها يخص مطالبها
ومبادئها قد تم ، ومن الحق أن نعترف بأن هذا العام لم يكن قديم الوضوح ،
ومن الإنصاف أن نقول إن بعض ممثلي المغرب كانوا يقنعون ببعض المطالب
السيطة من الجامعة فكأن هذه ترضيهم بها وتكتفي بذلك عن القيام بعمل
يجابي في شؤون مراكنس والجزائر وتونس .

ولكن من الحق أيضاً أن نعترف بأن الجامعة لم تطبق علينا الحسد الآن
للحق الاسكدراني حتى في فقرته الأخيرة ، وهي لم تنظر لثقلنا ولم تنظم
حاجتنا ، ولم تشكل في إدارة الجامعة هيئة أو لجنة لدراسة قضية المغرب العربي
رغمها ، ولعل العرب عموماً ومن بينهم المختصون في الشؤون الخارجية لا يعلمون
من قصة المغرب العربي التي سيواجهونها إن عاجلاً أو آجلاً إلا بعض المعلومات
السطحية التي لا تكفي لإعطاء كلمة التخصص في شؤون المغرب العربي ، وما دام
هذا التخصص غير موجود في أروقة الجامعة فلا يمكن أن نقول إن هناك عناية
من منظمة الأمم العربية بهذا القسم من العالم العربي فصلاً عن الاستعداد لمساعدته
على ما ينبغي .

ولقد ساعدت الجامعة قضية فلسطين ، ولكن مساعدتها كانت مرتجلة
وغير خاضعة لبرنامج محدود ، ولقد قامت على الرغم من ذلك وفصل تضامن
أعضائها بكل ما يمكن لفلسطين أن تطالب منها ، ولكن لا يمكن للجامعة أن

تدعى أنها قد قامت بعملها من غير صعوبات جمة وعقبات كأداء نتجت عن ارتباطها في العمل وعدم استمدادها له ، أو باصراحة عن اتباعها سياسة الأجواء السياسية وتقاباتها ، ولذلك يجب عليها ألا تقع في مثل هذا فيما يخص المغرب العربي ، بل يجب عليها أن تقاوم قضيتته بالدرس والتحقيق ، وتشر لها من العناية اللازمة في الأوساط العربية والأجنبية ما يكون حولها رأياً عاماً هنا وهناك يعمل على الجامعة مهمتها ويوضح لها خطلة العمل الحاسم الممكنة فيها .

ومن حق الجامعة أن تعرف عن الحركات المغربية حقائقها ومقدار تمثيلها لمرأى العام المغربي ، ومن واجبها أن تعمل على توحيد هذه الحركة بقدر المستطاع ، ولكن ليس لها أن تغفل اعتبار القيمة المشيلية لرجالها ، وليس من المناسب أن يتجسد أمامها ما حدث في شأن فلسطين يتكبرن المكاتب مؤيدة من بعض دول الجامعة وبقاء الهيئة العربية العليا مؤيدة من إدارة الجامعة وحدها ، بل يجب أن يكون عونها موجها للقضية بواسطة رجالها الرسميين إن كان ذلك ممكناً ، وإلا فبواسطة أصدق الناس تمثيلاً للبلاد من الوجهة الشعبية ، وليس من اللائق أن تغفل الحالة على ما هي عليه الآن ، فتفتح الجامعة أبوابها لكل أحد ولو كان مرتزقا باسم القضية المغربية ، وتعامل الزعماء والقادة معاملة أولئك المرتزقين ، بل عليها أن تكون فاعلة للوضع الداخلي معتمدة عليه لأن العبرة في النهاية بإرادة الشعوب وحكمة مسيرتها ، ولأن فوضى الاتصال رجال المغرب العربي يؤدي حتماً إلى فوضى التوجيه في شؤون المغرب العربي .

والجامعة العربية يجب أن تدرس القضية المغربية بصعة مجردة عن كل الاعتبارات ، وتتخذ بانه في مع زعماء العرب وملوكهم إن أمكن ربما مجاً يظل سرياً وتحصل له الجامعة مأساليها ، ويعمل له رجال الحركة المغربية بأساليبهم ، ويتم التشاور بينهما في النواحي مقدمة للتعاون في التنفيذ ، وهكذا تصبح الحركة المغربية امتداداً من الجامعة في مبادئها ووسائل العمل لها ، وتؤكد الشعوب العربية من حبيب الجامعة عليها ، وتيقن الجامعة من أنها تسير في طريق وضعتها هي بنفسها وعبئتها عجزوها لتصل للعناية التي أوصت من أجلها وهي تحرير الأمم العربية وتوحيدها .

لقد أقت في مصر سنة كاملة أبسل فيها من الجهد أضاعاً كثيرة ، وأنصل
 بالجامعة ورجالها ، ولكنى لا يمكننى أن أدعى أن القضية العربية في أروقة
 الجامعة ما يجب أن يكون لها ، إننى أقابل دائماً من رجالها بكل احترام
 وتقدير ، ولكنى لم أحاجر هذا ، ولا من أجله قصدت مصر ، وإنما أتيت لمصر
 لأنسى عملنا القومى بعمل إخواننا العرب من أجلنا ، وهذا والحق يقال ما لم أجد
 له مدركاً من أكبر الناس حظاً عالياً ، إننا لسنا بحاجة للدعاية في الأوساط العربية
 لأن الدعاية ترمى للافتناع ، والعرب مقتنعون قاطبة بضرورة تحرير المغرب ،
 ولكن العرب لا يعرفون من أمرنا إلا قليلاً ، ولذلك هم لا يحسون بما نحن به
 من الحاجة إلى تأييد العرب العاجل لنا ، وحديثهم على قضيتنا ، فواجب الجامعة
 أن تكون أسبق العرب لإدراك هذه الحقيقة ، ومسؤوليتها في أن تساعدنا على
 تعريف الرأى العام العربى بضرورة هذا التأييد ، فإنه ليس لقضية المغرب العربى
 ما لقضية فلسطين من العامل الدينى ، وليس لنا من الوقت ولا من المصلحة
 ما يسمح لنا بأن نواجه الرأى العام العربى حتى يصطط على الدول العربية كما ضغط
 عليها في شأن فلسطين ، بل ذلك كله يجب أن يكون من الجامعة العربية
 وأعضائها ، فقد أصبحت قضية الجامعة العربية جزءاً لا يتجزأ من برنامج الحركة
 للعربية فيجب أن تصبح الحركة العربية والاقتصاد التى تعمل لها جزءاً لا يتجزأ
 من أمان الجامعة العربية وأعمالها .

ويمكننا أن نحصر تفكيرنا حول موضوع مساعدة التى نطلبها المغرب العربى
 من الجامعة العربية في أمرين :

الأول يرجع لدستور الجامعة ، ولثانى يرجع لنظامها الإدارى .

أما الذى يرجع لدستور الجامعة فنحن نرى أنه من الضرورى تعديل الملحق
 الخاص بالتعاون مع البلاد العربية غير المشتركة في الجامعة ، ونقترح لذلك
 الصورة الآتية :

« نظراً إلى أن الغاية الأساسية للجامعة العربية هي تكوين وحدة عربية

منسقة بين الأمم العربية ، ونظراً إلى أن قسمها من البلاد العربية لم يتمتع بعد بالاستقلال الذي يسمح له بمشاركة عملية في تحقيق مقررات مجلس الجامعة ، ونظراً إلى أن مبدأ الجامعة لا يسمح لها بإهمال شؤون هذه البلاد العربية غير المستقلة ، خصوصاً عند الدراسة الشاملة لشؤون العالم العربي فالمجلس يوصي :

(أ) بقبول ممثلين رسميين من هذه الأمم في حالة ما إذا طلبت حكومتها الوطنية الانخراط في مجلس الجامعة شرطين .

١ — التزام الحكومة الوطنية بالعمل على الاستقلال من سيطرة الأجنبي

٢ — أن يكون الأمانة العامة للجامعة حق المصادقة على تعيين من تقده

الحكومة المذكورة لتمثيلها في مجالس الجامعة أو لحاها

(ب) أو قبول مقتردين من الشعب يختارهم الأمانة العامة للجامعة بعد مصادقة مجلسها فيما إذا لم تكن للأمة العربية المقترح قبولها حكومة ، أو لم يكن في استطاعتها أن تعلن عن برنامجها السياسي حوفاً من السيطرة الأجنبية ، ويسمح أن يختارهم الجامعة من رعايا الأحزاب التي تمثل الأغلبية في البلاد . وفي سائر الأحوال يجب أن ترعى الجامعة العربية أمانى البلاد العربية غير المستقلة ، وتعمل على توجيهها نحو النائية السامية التي تحقق أهداف الجامعة وتم وحدة الأمة العربية وانبعاثها ، وذلك بتبني الوسائل الممكنة .

و بما أن غاية الجامعة القيام بإصلاحات عظيمة في العالم العربي ، وبما أن بعض الأمم العربية غير المستقلة لا يتيسر لها الاستفادة العملية من مقررات رجال الجامعة الفنية ولو كانت ممثلة بها ، فمن الواجب على العامة أن تهتم بإيجاد الوسائل التي تجعل المقررات المذكورة عملاً مباشراً بالنسبة للشعوب العربية القاصرة ، وذلك من طريق التشجيع والتوجيه لحركات الإصلاح التي تقوم بها الأحزاب والهيئات الوطنية من جهة ، ومن طريق المطالبة بحق الدول العربية في نشر الثقافة في البلاد العربية ومساعدتها على الانبعاث مقابل ما يوجد في بلاد الجامعة من مؤسسات ثقافية واجتماعية للدول الأجنبية ، وكذلك من طريق تنظيم معونات للطبقة الأهلى

الذين تستندهم الجامعة للدراسة في العالم العربي أو ينجسهم على حسابها للدراسة في أوروبا وغير ذلك من الوسائل التي تراها الأمانة العامة ولجانها الفنية مناسبة ، من جهة أخرى .

ونرى بهذا أننا من الضروري أن يضع مجلس الجامعة التحديد الجغرافي للعالم العربي على الشكل الآتي :

« العالم العربي — هو الذي يشكل لغة الصاد دولياً أو شعبياً ، ويحد جغرافياً شمالاً بالبحر الأبيض المتوسط ، وغرباً بالمحيط الأطلسي ، وشرقاً بإيران والخليج الفارسي وتركيا ، وحمولاً بالمناطق الاستوائية الشرقية » .

وأما فيما يخص المغرب العربي ، فيجب أن نرى ضرورة اتخاذ المجلس لقرار التالي :

« منذ مائة وأربعة عشر عاماً هاجت تدريجياً فرنسا وإسبانيا أقطار المغرب العربي (تونس والجزائر ومراكش) ووزعها بينها ثم جعلتها بمختلف الوسائل الدبلوماسية والعسكرية ، مع أن هذه البلاد كانت كلها ممتلئة بحريتها واستقلالها ، وظاومت وما تزال تقاوم الفتح الأجنبي ميدية رغبته الإجماعية في التحرر منه والتمتع بالاستقلال والانضمام للجامعة العربية .

ولذلك ونظراً للحالة السيئة التي تعيش فيها هذه البلاد من جراء الاستعمار الفرنسي والإسباني وتطبيقاً لمبادئ الميثاق الأطلسي ومن الجامعة العربية :

أولاً — اعتبارها أن المغرب العربي جزء لا يتجزأ من العالم العربي .

ثانياً — تؤيد الجامعة العربية دول المغرب العربي وشعوبه فيما تسعى إليه من استقلال تام عن السلطات الأجنبية .

ثالثاً — لا تعترف الجامعة العربية بالوضع الحاضر في كل من مراكش بما فيها من مناطق الريف وطنجة وموريطانيا ، وفي الجزائر وتونس .

رابعاً — ونظراً لظروف المغرب العربي الخاصة ، وإلى أن تمتع دوله

بالاستقلال الفعلي يتولى مجلس الجامعة أمر اختيار مندوب عربي عن كل من
مراكش وتونس والجزائر للاشتراك في أعماله .

وأما الذي يرحم لنظام الجامعة الإداري فنحن نرى ضرورة تكوين قسم
خاص بالمغرب العربي تابع لإدارة الجامعة يشرف عليه وليس ذو حاسة إدارية
ومعرفة بشئون المغرب العربي ، ويكون اختصاصه العمل على :

١ - دراسة أحوال المغرب العربي ، وجمع الوثائق والمستندات
الضرورية لذلك .

٢ - الاتصال رجال الحركات المغربية وتنسيق أعمالهم مع أعمال الجامعة
ومختلف إداراتها .

٣ - توحيه وتنظيم دعاية واسعة النطاق للمغرب العربي وقضاياها سواء في
بلاد المغرب أو أوروبا وأمريكا باتفاق مع الأحزاب المغربية .

٤ - الإشراف على تحقيق ما يمكن تنفيذه من مقررات الجامعة في
الملاذ المغربية .

٥ - الاهتمام بالجياليات المغربية للوحدة في المشرق والمغرب وغيرها ونحسين
أحوالها لتكون عضواً عاملاً في الملاذ المغربية التي تؤويها .

٦ - البحث والتنظيم والتنسيق لوسائل التبادل الاقتصادي والتجاري
بين بلدان المغرب العربي .

٧ - الدعاء لقضاء أيام الصيف والشتاء في البلاد العربية للمغربية الضية
بالمصايف المختلفة والمشتات للذيدة عوضاً عن صرف الأموال الباهظة في أوروبا ،
وكذلك الاهتمام بربط حركات الرياضة والكشافة المغربية بأخواتها في المشرق
والعمل على تنظيم بعثات متبادلة ، وتنسيق الجهود السبئية العربية وتوحيد
مقاصدها الخ .

وبالجملة فيمكن لهذه الإدارة أن تقوم بكل ما كان يجب أن تقوم به

سفارات المغرب العربي لو كانت دولة مستقلة ، وذلك بالتعاون مع الأحزاب
العربية واستغلال نشاطها .

وهكذا سيقدر الجامعة أن تكون شيئاً إيجابياً بالنسبة للمغرب العربي
من جميع النواحي التي يتناولها نشاطها ، ويستفيد بذلك العالم العربي من
أمنه بجهل عنه كل شيء ، وضروري أن الاتحاد الحقيقي لا يتم بمجرد تبادل
المواطف وإنما يكون بالاشتراك في العمل والتمسك في فهم بعضنا البعض .

والجامعة العربية يجب أن تعظم نفسها أحسن مما هي عليه الآن ، وألا تكثف
بتمعين بعض الموظفين الثانويين في أقسامها ترضية لبعض أعضائها أو استجابة
لوساطة بعض أحبابها ، بل يجب أن تضم إليها أحسن العناصر العربية للاستفادة
منها والإشعاع بأعمالها .

ولقد أخذ الناس جميعاً على الجامعة فقدانها لبرامج موحدة في النواحي الاقتصادية
والاجتماعية ، ولقد قال لي أحد ملوك العرب : إن الذي ينقص الجامعة هو أن
كل رئيس وزارة يقدم برنامجاً يراعى فيه سياسة دولته الخاصة ، أي إن مداورات
الجامعة تنقصها النظرة الشاملة للبلاد العربية أثناء التفكير والتقرير ، فواجبها
إذن أن تعمل على تكوين حاسة عربية تحمل عليها محل الحاسة الإقليمية ليتسنى
ها وضع برنامج عملي للأمة العربية في جميع فروع نشاطها .

ويأخذ المفكرون على الجامعة أنها وقد أسست لتوطيد دعامة الوحدة
العربية فقد كان من الواجب عليها السير نحو هذا الهدف ، وهو توحيد الدول
العربية ضمن دولة واحدة ، أي أن تبذل الجهد لتغيير الوضع الحاضر في البلاد
العربية الذي هو من آثار الاستعمار الغربي ، وقد ظهر هذا النقص بصورة واضحة
على أثر ما جرى في شؤون فلسطين أخيراً .

والحق أن الجامعة العربية بدأت جهوداً حثيثة في هذه المدة السيرة التي
عاشتها ، والحق أن تهامت للمستعمرين على العالم العربي وضغط الدعاية الصهيونية

وتسالك الدول السكار على تأييدها قد صرقت كثيراً من نواحي النشاط التي كان واجباً أن توضع بها المؤسسة العربية الخطيرة ، ولكن ذلك لا يمنع من أن نعترف بأنه وقع تقصير مزد في بعض غروع هذا النشاط ، وأعني به الحاجة الاجتماعية ، فإن الجامعة لحد الآن لم تؤسس حق اللجنة الاجتماعية التي تدعى على وجوب تأسيسها لأعضائها الداخلية ، وهي لم تترأى اهتمام بمستقبل العملة العرب والقلايين العرب ولا مستقبل الأسرة العربية والفرد العربي ، والحال أن الحاجة للوحة في العالم العربي تقضى بضرورة وضع حد لقوضى الحياة الاجتماعية المهددة بالانحلال والوقوع في يد الحركات الهدامة أو الرجعية ، ونحن لا نشك في أن مؤلف الرسالة الثالثة يشير معنا هذه الحقيقة للمرة ويسعى للعمل على إصلاحها ، ولستنا نظن أن الظروف القائمة في بعض الدول العربية التي لم تأخذ بعد بنسب وافر من التطور الفكري من شأنها أن تمنع رجال الجامعة من القيام واجبيهم ووضع ميثاق للرجل العربي وتوصيات من شأنها أن ترفع مستواه للمادى والمعنوى ، ولذا قد نحن نقترح على مجلس الجامعة التعميل بتأسيس اللجنة الاجتماعية وتعيين خبراء لوضع ميثاق عربي على غرار الوثائق التي قامت بها الهيئات الأوروبية والأمريكية في عصر انبعاثها .

ولقد شغلت هذه المسألة فكرى منذ زولى في مصر ، وتناولت فيها الحديث مع مختلف الشخصيات لفكرة التي لم تكتم على قلبها من الإهمال الشنيع الذي يصيب الشؤون الاجتماعية في الشرق العربي ، والذي يهدد إذا دام - لا قدر الله - بتغلب قوى النيات السيئة الدين يعملون لنشر ميادى أجنبية من شأنها أن تضيع على العرب تراثهم الروحي والفكري وتسد لهم لفلسفات ضربية عنهم أجنبية عن ذهنيهم .

وقد أدت هذه المداكرات إلى تكوين لجنة صغيرة تضم بعض كبار العاملين من مصر ومراكش وضمت مشروع ميثاق أرى من المناسب أن أجعله خاتمة هذا الكتاب مع العلم بأنه مشروع ابتدائي في الموضوع لا يريد به أكثر من توجيه النظر واستمارة الالتباه :

الميثاق العربي

أولاً - الكيان السياسي :

- (أ) استقلال تام وسيادة كاملة .
- (ب) تعاون عربي وصداقة مع سائر الدول دون تمييز في سبيل التعاون العالمي .

(ج) الحكم شورى .

١ - الأمة فيه مصدر السلطات والحفوظة عليها .

٣ - والأقليات الدينية والوطنية ذمتها .

ثانياً - الكيان الاقتصادي :

- (أ) تأمين مصادر الثروة لقومية والمرافق العامة .
- (ب) توحيد الإنتاج وتنظيم التداول والتوزيع .
- (ج) تشجيع التعاون .
- (د) معاونة الاستثمار الفردي والملكية الخاصة لمصلحة الجماعة .
- (هـ) للمساعد في الصرايب .

ثالثاً - الكيان الاجتماعي :

ضمان الحريات البشرية

أ - حرمة الوجود بتوفير الدولة الحد الأدنى بالحد في الاعترافات التالية :

(١) الأمومة - الولاية - الحضانة .

(٢) السكن - الأكل - اللبس .

(٣) الصحة والعلاج .

(٤) المعرفة .

ب - حرمة الإنتاج بتوفير الدولة للأفراد الحقوق التالية :

(١) السبل .

(٢) الأحرار .

(٣) الراحة .

(٤) الاستعداد .

(٥) الأمان عن التمييز والتمطيل وعدم القدرة .

ج - حرمة النشاط بإطلاق الدولة :

(١) حرية الرأي والاعتقاد .

(٢) حرية الإعراب بالطرق التالية :

(د) القول والخطابة .

(هـ) الكتابة والطبع والتصوير والتمثيل والصحافة والإذاعة

(ب) الاجتماع وإقامة الشعائر والتظاهرات .

(ج) تأليف الجماعات

د - حرمة الكرامة :

(١) لا إهتار إلا بعد إنذار .

(٢) التبعات على قدر الأوزار .

(٣) المساواة بين الأفراد جميعاً .

(٤) تمكين المرأة من تأدية وظائفها في الجماعة .

رابعاً - وسائل النهوض :

أ - للمعنويات :

- (١) نحو الأمية وإشاعة الملقى العظيم والاعتزاز بالتراث تحقيقاً للرسالة العربية في سبيل نهضة البشرية جميعاً .
- (٢) تسميم التلميذ بالابتدائي والثانوي بالحن واستنادها إلى حيرات التراث القومي ومقومات الحضارة الحديثة .
- (٣) العناية بالدراسات الفنية العالية تحقيقاً لعناصر القيادة العلمية المنتجة في مختلف الحقول .

ب - للجسمانيات :

- (١) القضاء على أسباب المرض والفاقة بتقديم التطبيب والإطعام والإكساء مجاناً للمعوزين والمحتاجين .
- (٢) بناء انقري والأحياء الحديثة وتوفير أسباب الصحة والترفيه فيها .
- (٣) الإكثار من المستشفيات والمستوصفات .

ج - للدفاعيات :

- (١) التجنيد الإجباري .
- (٢) إعداد الضباط والقواد في أرق معاهد العالم .
- (٣) إنشاء مصانع للأسلحة والذخيرة .
- (٤) تنظيم الجيش والبحرية والطيران على أحدث الأسس .

د - للماديات :

- (١) استنباط الثروات من الأرض وجوف الأرض والأنهار والبحار والهواء وماثرها بكثف القرب للقوى من عناصر .
- (٢) السير قدماً في سبيل تصنيع البلاد بأوسع معاني التصنيع .

(٣) نشر شبكات الواصلات بجميع أنواع كل منها .

(٤) تنسيق التبادل بين منتجات البلاد العربية وتقديم التشارك في استثمار أموالها لمصلحة هذه البلاد .

خامساً — الإجراءات العاجلة :

إلى أن تقوم الحكومات باتخاذ وسائل النهوض سميّاً في سبيل تحقيق مبادئ الميثاق يتولى أولو الفكر في مختلف البلاد الدعوة لهذه المبادئ ، وتشكيل الجماعات بإنشاء المدارس الحرة والعمل على محو الأمية وإرسال بعثات التخصص وإغاثة المحرومين وإغاثة المحتاجين وتهيئة منظمات التربية البدنية ، وتأليف الشركات الصناعية والتجارية وتنظيم المؤتمرات وإداعة البيانات والمعلومات وتبادل المعرفة عن تطورات الأمور الداخلية والخارجية . والإعلام عن رسالة العروبة في خدمة الإنسانية وحث الحكومات العربية على السير في طريق ذلك جميعاً .

الفهرس

صفحة	
١	في المغرب الأوسط أو الجزائر
٣	تمهيد
٤	المجاهد أبو مدي
٦	حاكم الرماطشة
٧	ضم الجزائر لفرنسا
٨	رد القمل
٩	قوة المهرابية
١٠	دفاع مراكش
١٠	الحركة الجزائرية
١١	إعلان الحرب الكبرى سنة ١٩١٤
١٢	سقوط وزارة بوانكاريه
١٥	احتجاج جمعية نجم شمال أفريقيا
١٦	ابن باديس وجمعية العلماء
١٨	خليفة لليانو
٢٠	عباس فرحات
٢١	بعد انتصار الجبهة الشعبية للفرنسية
٢١	المؤتمر الإسلامي الجزائري
٢٢	مطالب المؤتمر
٢٥	حزب الشعب الجزائري
٢٥	مصالي في جنيف
٢٦	مشروع بلوم فيوليت
٢٧	حزب أسدقاء البيان
٢٧	تأسيس هيئة «أسدقاء البيان»

ملحة

٢٨	مأساة ٨ مايو سنة ١٩٤٥
٢٩	دفاع الجزائريين عن الديمقراطية
٣٠	الاحتمال بعيد النصر
٣٢	استنكار الإنجليز والأمريكان للمظاتي الفرنسية
٣٣	حلول معروضة
٣٣	تقرير موقف فرنسا في الجزائر
٣٣	الشيوعيون والحكم الذاتي
٣٤	مشروع الحكم الذاتي
٣٥	الاتحاد الديمقراطي لسنس الجزائر
٣٦	الحالة الحاضرة
٣٦	مسئلة مشروع الحكومة
٣٧	جمعية النساء الصليين
٣٩	في تونس أو القرب الأدنى
٤١	احتلال تونس ومراكش
٤١	صمم السياسة الوطنية
٤٢	الإصلاح في تركيا
٤٣	الرأى العام وخير الدين باشا
٤٤	خروج خير الدين من تونس
٤٤	معاودة باردو وإعلان الحماية
٤٥	إدغام للمساى على إفضاء المهادنة
٤٥	غزو فرنسا لتونس
٤٥	احتلال الفرنسيين للبلاد
٤٧	الحركة الوطنية بعد الحماية
٤٧	حركة المسكى ابن عزوز
٤٨	جماعة الحاضرة

ملحة

- ٤٩ محمد بك فريد ومحمد ابن خلدون
- ٤٩ حزب تونس الفتاة
- ٤٩ مرمسوم (كرميو)
- ٥٠ حزب المقاومة أو (حزب تونس الفتاة) على باش حجة
- ٥٠ جريدة (التونسي) بالفرنسية
- ٥١ احتلال طرابلس الغرب عام ١٩١١
- ٥٢ على باش حجة بالاستقامة
- ٥٣ تأسيس هيئة لنزوح شمال أفريقيا بالاتفاق مع تركيا
- ٥٣ ثورة (التوارجة) عام ١٩١٧
- ٥٤ جمع أسارى المناربة في ألمانيا وتركيا
- ٥٤ باش حجة بالاستقامة
- ٥٥ (مجلة الغرب) في جنيف
- ٥٧ الوفد الوطني لوقف السلاح
- ٥٧ الثمالي ومؤتمر الصالح
- ٥٧ (تونس الشهيدة) لثمالي
- ٥٨ الحكم المباشر
- ٥٨ الثمالي والدستور
- ٥٩ حرب حديد المطالبة بنظام دستوري
- ٦٠ القرض - الوقف
- ٦٠ عصبة الجمهور وخاصة المتقنين بالوقف
- ٦٠ الاحتجاج على عمل فلاندان
- ٦٠ ميثاق المستعمرين
- ٦١ اعتقال الثمالي بمارس
- ٦٣ وفد الأرمن وثمانين الهاي
- ٦٣ الدستور
- ٦٣ زيارة رئيس الجمهورية الفرنسية لمرأ كش وتونس

صفحة

٦٣	وعد الخارجية بتحقيق الإصلاحات
٦٤	تقدم لوسيان مان بإصلاحات لسمو الباي
٦٤	رفض الباي المقترحات
٦٤	توتر العلاقات بين القصر والإقامة
٦٤	تصريح فرنسي مدسوس
٦٤	غضب الباي للتصريح
٦٤	إعلان الباي تكذيبه للخبر
٦٤	الباي يريد عزل رئيس الوزارة ووزير التشريعات
٦٤	شهامة محمد الناصر العربية
٦٤	تضامن الشعب مع الملك
٦٤	مظاهرة كبرى
	محاصرة القصر وتقديم لائحة للملك بإبعاد أشخاص
٦٤	عير صوف فيهم
٦٥	وفاة الباي فجأة
٦٧	رحلة الشمالي للشرق
٦٨	غثال الكاردنيل دولا
٦٨	هياج التونسيين
٦٩	منع تمثيل رواية (فتح الأندلس)
٦٩	إبعاد توفيق المدني
٦٩	مهاجرة السلطة للسيادة التونسية
٦٩	المظاهرات
٦٩	الحركة القبلية
٧٠	الشباب المستعبد في لايدان
٧٠	إخفاف جريدة الحزب
	جريدة (العلم التونسي)

محتج

٧٠	إيقاف الجريدة سنة ١٩٢٩
٧١	ظاهرة عربية في الاستثمار المرسى
٧١	تشجيع التبشير بالسيحية
٧١	المؤتمر الانتخابي
٧١	إضراب العمال
٧٢	تمثال في قراطة
٧٣	قضية التجنيس
٧٣	ثورة البلاد
٧٣	الحركة الوطنية وسياسة الإدماج
٧٣	مؤتمر قسم الجبل
٧٣	انتقاد المؤتمر في مايو سنة ٢٣
٧٤	قرار المؤتمر
٧٤	حل الحزب الدستوري
٧٤	إهداء منصورون
٧٤	نسيم يرتون
١٧٥	قضية دفن المتجنسين
٧٥	حادثة المستير
٧٥	الاشفاق في صفوف الدستور
٧٦	حل الدستور القديم
٧٦	تأسيس الدستور الجديد
٧٦	جريدة (العمل)
٧٦	يرتون ولجنة الباحث
٧٦	تعطيل جريدة العمل
٧٦	اعتقال الزعماء
٧٧	إهداء يرتون
٧٧	نسيم أرمال فيون

سنة

٨٦	٠٠٠	اعتقل أعضاء الديوان السياسي
٨٦	أوقفه النصف للرش
٨٦	تأييد النصف لمطالب المستعجلة
٨٦	احتلال الألمان لتونس عام ١٩٤٢
٨٦	الكتور ناسم بقود الحركة
٨٦	تحرير تونس في مايو سنة ١٩٤٣
٨٦	١٩٤٣	إعلان الجبال جيرو طع النصف في مايو عام ١٩٤٣
٨٧	كفاح الشعب في السر
٨٧	مصادرة أبي رقية لتونس
٨٧	تنظيم الديوان السياسي
٨٧	الميثاق الوطني
٨٧	احتلال قاعة الاجتماع
٨٨	اعتقال المؤتمرين
٨٨	ميثاق المؤتمر الوطني التونسي
٩٣	الحالة الحاضرة
٩٣	الاستقلال التام
٩٣	اتفاق الحزبين التونسيين
٩٣	لجنة تحرير المغرب العربي
٩٥	مراكش أو المغرب الأقصى
١٩٧	الجزائر تحت الحكم التركي
٩٧	مراكش وتوكيا
٩٧	الجهاد أبو مزى
٩٧	موقعة أيسلي
٩٨	مدرسة للطبيعية
٩٨	تأسيس معمل للأسكر
٩٨	إنشاء الطهمة المحمدية

مستند

- تغيير نظام الحكومة ٩٩
- الوزارات الراكشية ٩٩
- الامتيازات الأجنبية ٩٩
- تهافت الدول الأجنبية ١٠٠
- التنكيل السياسي ١٠٠
- محي الدين الخزازي ١٠٠
- سوسة مولاي الحسن ١٠١
- القاومة الدبلوماسية ١٠٣
- الاتفاق الودي عام ١٩٠٢ ١٠٤
- تولية مولاي عبد العزيز ١٠٦
- الوزير أبا أحمد ١٠٦
- الشيخ ماء العيين ١٠٦
- مجلس الأعيان ١٠٦
- مؤتمر الحزبة ١٠٧
- مولاي عبد العزيز والتفكير الفرنسي ١٠٨
- نخل المولى عبد العزيز ١٠٨
- مباينة عبد الحفيظ ١٠٨
- البينة الحفيظية ١٠٨
- عقد بين الملك والشم ١٠٨
- جريدة (لسان المغرب) بطانجة ١٠٩
- جماعة لسان المغرب ١١١
- جمعية صرية ١١١
- الانقلاب في تركيا ١١٣
- مشروع الدستور المغربي ١١٤
- تأسيس (منتدى الثوري) ١١٤
- مجموع الجيش الفرنسي على فاس ١١٦

١١٦	إعلان الحماية في ٣٠ مارس سنة ١٩١٢
١١٧	مقاومة العسكرية
١١٩	ثورة الجيش
١١٩	لبرلمان الفرنسي والمارشال ليوطي
١١٩	الحرب الكبرى الأولى
١٢٠	جباله والريف
١٢٠	محمد أمزيان
١٢١	في الأطلس المتوسط
١٢٢	في الأطلس الكبير
١٢٢	تأثيرات وآيت عملا
١٢٢	موجات الدلاي
١٢٢	اعتقال الحملات
١٢٥	الحرب الريفية
١٢٥	عمليات استنفاذ الأمن
١٢٦	والد محمد عبد الكريم
١٢٦	تحرير مراكز (دار أهارا)
١٢٧	هجوم الجنرال مسيلستر
١٢٧	ممر (أنوال)
١٢٧	موقعة عربات
١٢٧	انهزام الأسبان
١٢٧	انتصار الريفيين
١٢٨	استئناف برانجي للهجوم
١٢٨	دعوة الأسبان للهدنة
١٢٨	الأسرى الأسبان
١٢٩	مداودة الريفيين للهجوم

سنة

- اجتماع مجلس الوزراء الأسباني ١٢٩
- عدم نجاح مؤتمر تطوان ١٣٠
- إعلانات الأحكام العرفية ١٣٠
- الحرب مع فرنسا ١٣٣
- موقف عبد الكريم من فرنسا ١٣٣
- المراسيون وروادى ورغة ١٣٤
- قتل أبوطي وتعيين سنيغ ١٣٤
- طولة الشعب المغربي ١٣٥
- إسبانيا وشروط الصلح وعرضها على عبد الكريم ١٣٥
- لقى الأمير إلى (لاربيون) ١٣٦
- دستور الجمهورية الريفية ١٣٩
- الانتصار والمؤتمر الشامي ١٣٩
- الجمعية الوطنية ١٣٩
- الاستقلال والحكومة المستورية ١٤٠
- مواد الدستور ١٤٠
- المقاومة السياسية ١٤٢
- الحركة الوطنية بعد الحماية ١٤٥
- مظاهرات الهال ١٤٦
- شعور المعارضة في حرب الريف ١٤٦
- في المؤتمر الإسلامي بالأسفاة ١٤٧
- المؤتمر الإسلامي باستوكهلم ١٤٨
- السيد الإسباني ١٤٩
- نزع الملكية ١٥٠
- تمسك الراكشي بأرضه ١٥٠
- الخلاف بين مولاي يوسف وسنيغ ١٥١

صفحة

١٥١	رغبة جلالة في عزل ستيف
١٥١	نقل ستيف بعد وفاة الملك
١٥٣	الحركة السلفية
١٥٤	خيانة بعض مشايخ الطرق
١٥٤	دبرماجيم مؤلف (حياة محمد)
١٥٦	الأنحاء الحواسي للسلفية الجديدة
١٥٩	من السلفية للوطنية
١٥٩	مجلة (أم المؤمنين)
١٥٩	جمعية أحياء الطلبة
١٦٠	الاستيلاء على ماء وادي قاس
١٦١	المهيسة البربرية
١٦١	تجنيس المنارية
١٦٣	الدين واللغة العربية في التسليم
١٦٥	الأمة المراكشية تنور
١٦٥	اعتقال الشبان
١٦٥	الكومندان مهمل
١٦٦	اجتماع المجلس للبهدي
١٦٧	وقد قاس برئاسة ابن القرشي
١٦٧	مطاب الوفد
١٦٧	تحدي الحاية لمثل الأمة
١٦٧	املان حالة العاوي
١٦٧	رئيس الجمهورية الفرنسية في المغرب
١٦٧	صدى المسألة في العالم الاسلامي
١٧١	كتلة العمل الوطني والحزب الوطني
١٧٣	مقاطعة المصالح الفرنسية

ملحة	
مجلة مغرب	١٧٦
جريدة (عمل الشعب) نداس	١٧٦
مجلة (السلام) وجريدة (الحياة)	١٧٧
مؤتمرات المطالبة بالصحة	١٨٠
تفويض القيم العام	١٨٠
العودة للبلاد	١٨٠
تكذيب جلالة الملك لاشاعة فرنسية	١٨٢
احتجاج الملك على وزارة فرنسا فيما وراء البحار	١٨٢
عيد المارش للمغرب	١٨٣
زيارة الملك لمدينة طنس	١٨٣
رفض جلالة الملك اعتقال رجال الكتلة	١٨٥
تضامن الكتلة مع جلالة	١٨٥
تمطيل جريدة الكتلة	١٨٦
برنامج الاصلاحات المغربية	١٨٩
فرض الحماية	١٨٩
الحماية مجرد رقابة	١٨٩
برنامج الاصلاحات بحوى ١٥ فصلا	١٩٠
تقرير الإقامة العامة للجنة البحر الأبيض المتوسط	١٩٢
اعلان مطالب الشعب المغربي	١٩٤
الحكومة الفرنسية تدوس الاصلاحات	١٩٤
مسألة المعتقلين الفرنسيين	١٩٧
الحلاف بين المقيم بومصو والحماية للفرنسية	١٩٧
مطالبة الحماية الفرنسية بالحقوق السياسية	١٩٨
احتجاج كتلة العمل الوطنى	١٩٨
اشتداد الخصومة ومجز بونصو	٢٠١
بيروتون	٢٠٢

٢٢٨	الحزب الوطني
٢٣٢	جهداد الحزب الوطني
٢٣٢	التمسك بالإسلام
٢٣٢	التمسك بالنظام الملكي
٢٣٤	جمعية طلبة شمال أفريقيا فرنسا
٢٣٤	جمعية أصدقاء الطائفة
٢٣٥	لجنة الإصلاح الديني
٢٣٦	السلطة الأسبوعية
٢٣٦	الحق النقابي لمتنارية
٢٧٣	حماية الفلاحين
٢٣٨	لجنة التقويم الحانق
٢٤١	جمعية الشبان المحادين والهداية الإسلامية
٢٤١	لجنة حماية فلسطين
٢٤٠	إحياء يوم فلسطين
٢٤٢	المؤتمر الاشتراكي سنة ١٩٣٧
٢٤٣	الدفاع عن الفلاح
٢٤٤	المستعمرون جوادي إغور
٢٤٦	مظاهرات تضامنية
٢٤٧	مقاومة البؤس
٢٤٨	الحزب واستقبال للسير راعادي
٢٤٨	هتاف الشعب بمقوقم الحياة
٢٤٩	الدفاع عن الدين
٢٥٠	مهرجان ١٣ أكتوبر بماس
٢٥٠	الرقابة على الصحف

مقدمة

٢٥٠	احتجاب الصحف
٢٥١	المؤتمر العام للحزب الوطني
٢٥٣	الميثاق الوطني
٢٥٥	سياسة الجبرال فوجيس
٢٥٧	الثورة الوطنية
٢٥٧	إغلاق جميع المساحد
٢٥٩	تصميم المنطقة الخايمية
٢٥٩	فياسم مظاهرات في تطوان
٢٦٠	احتجاج ماسينيون
٢٦١	استمرار الحركة
٢٦٣	في المنطقة الخايمية
٢٦٣	ومضم برنامج الإصلاح الوطني
٢٦٣	مطالب التخص المفرق
٢٦٤	الحاية الأسبانية
٢٦٤	عزل بيلك بيدر
٢٦٤	مديس اسينسيو
٢٦٥	في الحرب العالمية الثانية
٢٦٦	سياسة الحرب
٢٦٧	مجلس شعوري الحكومة
٢٦٧	الحرب الوطني وسياسة العمل
٢٦٨	الهدنة الفيتية
٢٦٨	احتلال أسبانيا لطنجة
٢٦٨	مجلة (رحالة المغرب)
٢٦٩	وقد الحزب الوطني في المشرق
٢٦٩	رابطة الدفاع من صها كشر
٢٧٠	المنسابة اللاجئون إلى القاهرة

محتوى

٢٧١	مجهودات النفي
٢٧٢	احتلال جيش دى جول لمويلا
٢٧٦	المفاوضة مع حلال العاصي
٢٧٨	الجمعية الوطنية برئاسة الجبرال ديجول
٢٨١	حزب الاستقلال
٢٨٣	من الحزب الوطني لحزب الاستقلال
٢٨٤	عقد مؤتمر عام بالرباط سنة ١٩٤٤
٢٨٧	ميثاق ١١ يناير سنة ١٩٤٤ النص الرسمي
٢٨٨	الحللاء واعترافهم بحق الشعوب
٢٨٨	المنطالية بالاستقلال المغرب
٢٨٩	حرب الاستقلال كمنهج وكمنهجية
٢٩٢	حالة البروليتارية الصلاحية
٢٩٢	فرض التعليم الإلزامي
٢٩٣	الدفاع الوطني والأمن الداخلي
٢٩٤	السياسة الاقتصادية والمالية
٢٩٥	الحكومة ومقاومة تصفيم النفد
٢٩٥	السياسة الخارجية
٢٩٧	المنطالية بالاستقلال
٢٩٩	رد الفعل عند الفرنسيين
٣٠١	الحسائر الفرنسية
٣٠٣	الظواهرات بفاس
٣٠٤	معاملة الفترة العمومية
٣٠٤	فرق الكشافة وقتلها جثث الشهداء
٣٠٥	احتلال الجيش لدار البيضاء

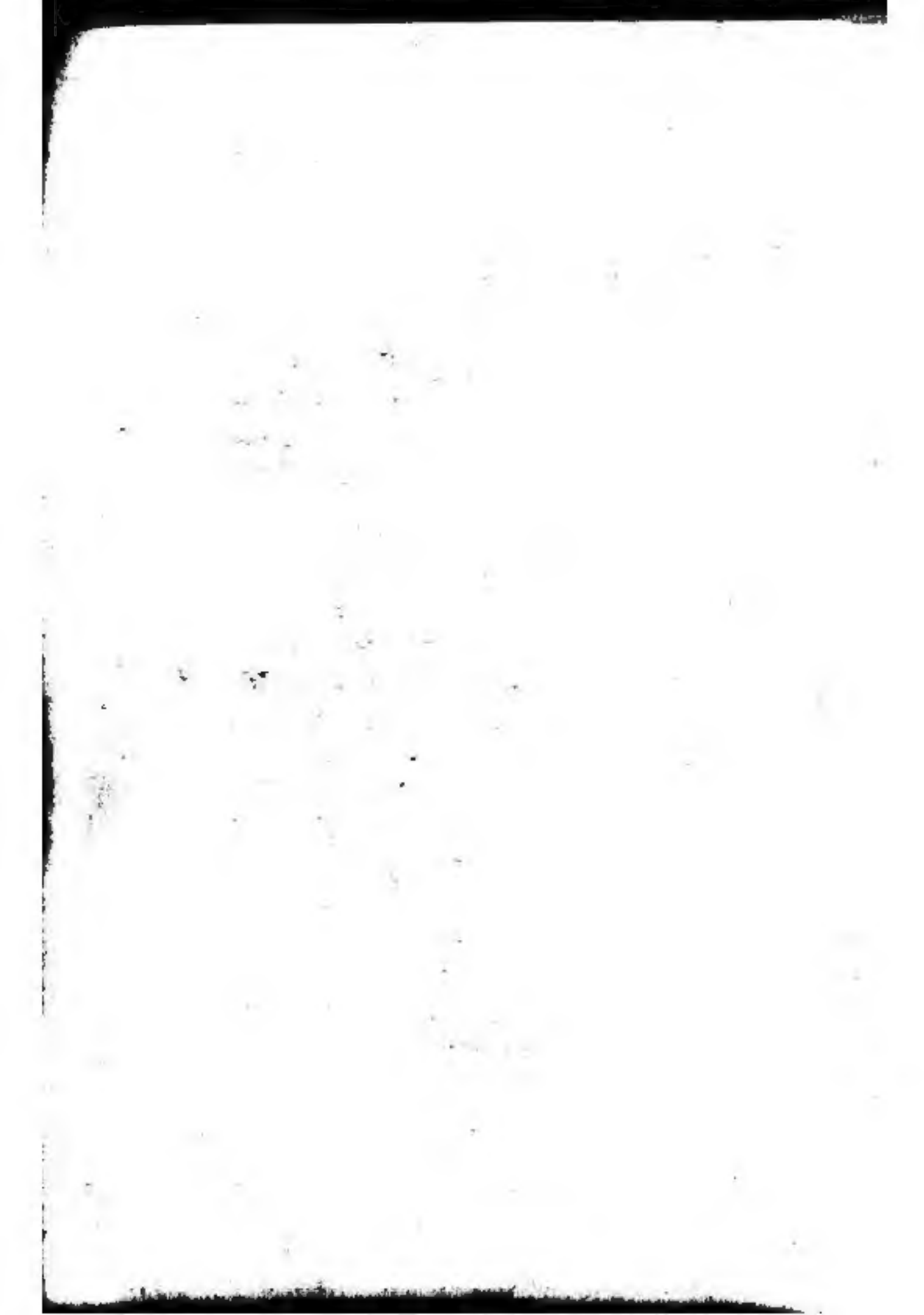
مقدمة	
٣١١	معارضة سياسة الإصلاحات
٣١٢	إصلاحات جابريل بيرو
٣١٣	ماسيحيي وقبول فرنسا لتنفيذ الإصلاحات
٣١٥	حزب الاستقلال يحيب للسيويو
٣١٥	الإقامة العامة وتأسيس اللجان
٣١٨	الإدارة العامة
٣٢٠	تقرير ليوطن
٣٢٣	النظام الملاحى
٣٢٤	الدفاع عن سيادة الشعب
٣٢٥	الاحتجاج على انتخابات البرلمانين
٣٢٧	جلالة الملك واحتجاجه على تصرف الفرنسيين
٣٢٩	سياسة السيويو إريك لابون
٣٢٩	جابريل بيرو وفشل مقترحاته
٣٢٩	تعيين إريك لابون
٣٣٠	إرجاع الزعماء المنفيين
٣٣٤	تكوين إقطاعية جديدة
٣٣٦	تكوين شركة للفحم
٣٣٦	ممارسة سياسة لابون
٣٣٨	تأسيس شركة للطيران
٣٣٨	تضامن المغاربة مع جلالة الملك
٣٣٨	وفد حزب الاستقلال بفرنسا
٣٤٠	عزام باشا واتصاله برجال الحزب
٣٤٠	عيد للمرشح للفرنسي
٣٤٣	مأساة الدار البيضاء (٧ أبريل سنة ١٩٤٧)
٣٤٣	زيارة جلالة الملك لطنجة

ملحة

- ٣٤٦ شهر ٧ أبريل
الرحلة الملكية لطنجة ٣٤٩
جلالة الملك وتأخير الرحلة ٣٥٠
قبول فرنسا وأنجلترا للمكرة ٣٥٠
تقديم لاوس باسم فرنسا بعض الطلاب لجلالة الملك ٣٥١
قبول جلالة الملك بعض الطلاب ورفض بعضها ٣٥١
رفض جلالة الملك دعوة سفيري أمريكا والبرتغال ٣٥٢
عدد خاص من جريدة العلم ٣٥٢
صاحب الجلالة ينسحب الرباط ٣٥٣
ولاء المنطقة الخليلية ٣٥٤
ولاء المغرب الموحد ٣٥٥
الاتصالات ٣٥٦
هدية الكشافة المسيحية — الإمام المجدد بالمسجد ٣٥٧
هدايا الشعب لمليك ٣٥٩
المودة للرباط ٣٦١
خطب طنجة ٣٦١
أهمية الزيارة الملكية ٣٦٥
عودة طنجة لانتظام الدرك ٣٦٥
أثر الزيارة الملكية في المسؤولين الفرنسيين ٣٦٧
صدى الزيارة في الصحف الفرنسية والأجنبية ٣٦٨
النشاط الوطني في المنطقة الخليلية ٣٧١
تقديم مذكرات عن الحالة في المغرب ٣٧٢
نشاط حزب الإصلاح ٣٧٢
الحزبان ضد إصلاحات طريلا ٣٧٣
مؤتمر المغرب العربي بالقاهرة ٣٧٥

٢٧٧	الغرب العربي والجامعة العربية
٢٧٩	انتهاء أعمال المؤتمر وإقامة حفلة ختامية
٢٧٩	مكتب الغرب العربي
٢٨١	في فرنسا
٢٨١	إتهام المناوبة بالهول للاصريكيين
٢٨٦	استفكار السياسة الاستعمارية في شمال أفريقيا
٢٨٧	إعفاء لاجون
٢٩١	الوطنية المغربية تقرر الصرامة
٢٩٣	توطيد العلاقات بين مراکش ومصر
٢٩٤	عزام باشا ودقائه من الغرب
٢٩٥	استقبال البطل عبيد الكريم
٢٩٩	التجاء الأمير إلى جلالة الفاروق
٢٩٩	شكر الأمير على حسن المقابلة
٤٠١	سدى نزول الأمير في مراکش
٤٠٢	رد القمل لدى الحكومة الفرنسية
٤٠٧	تأسيس لجنة تحرير المغرب العربي
٤١٣	الجنرال جوان وسياسته
٤١٨	حوادث زاوية مسيدي الشيخ
٤٢٠	محاولة تفريق كلمة الشعب
٤٢٢	معارضة الوحدة الفرنسية
٤٢٣	فشل الدبلوماسية الفرنسية
٤٢٥	معارضة إسلحات الجنرال جوان
٤٢٧	فشل جوان أمام جلالة الملك
٤٣٧	مقاومة الجنرال جوان
٤٤١	فشل سياسة الجنرال جوان
٤٤٣	فشل آخر للجنرال جوان
٤٤٧	القضية الراكشية وفترة الانتقال

١٥١	السياسة التشريعية بيد جلالة الملك
٢٦١	فشل ثالث مشترك بين الجنرالين
٢٦٥	عودة المهدي بن بوعزة من أسبانيا
٢٦٧	القمب التونسي ومواصلة الكفاح لضميان حريته
٢٧٣	رعاية جلالة الملك لحركة الإصلاح
٢٧٥	نشاط حزب الاستقلال
٢٧٥	في الميدان الثقافي
٢٧٧	تأسيس الحزب بحلة (رسالة المغرب)
٢٧٩	في الميدان الاجتماعي
٢٨٥	المجلد لتوحيد الصفوف
٢٨٩	تضامن الحزب مع الحركات التحررية العربية وغيرها
٢٩١	توجيه البلاد نحو الجامعة العربية
٢٩١	في الأمم العربية
٢٩٥	الملك نور محمد حسين بك وبلاد المغرب
٢٩٩	مواجهة الرأي العام العالمي
٣٠٣	الأمم المتحدة وقضية قرانكو
٣٠٦	بولندا ورفع قضية مرزا كوش للهبة
٣٠٩	جوانب القضية الراكشية
٣١٠	مطالبة سنة ١٩١٢
٣١١	الحماية وخرقها الالتزام
٣١٥	دوريات وقضية المغرب
٣١٧	الجامعة - خلاصة وتوجيه
٣١٨	المغرب العربي وعدم قبوله الحكم الفرنسي
٣٢٦	روتوكول الاسكندرية
٣٣١	المغرب ومحرور المغرب
٣٣٣	الاستعمار الفرنسي والأجنبي
٣٣٧	الميثاق العربي - اقتراح



هَذَا الْكِتَابُ

• انطلق الزعيم علل الفاسي وهو يكتب هذا الكتاب من
مصدرين من مصادر المعرفة: القراءة والممارسة. قرأ عن الكتب
من أصول الحركات الاستقلالية ومبادئها وجوهرها في الجرائد
وتونس والمغرب. وعاد إلى ممارستها منذ بدأ نشاطاً مع
المناضلين في الاقطار الثلاثة حتى أصبح زعيماً بينهم في
قيادة الحركة الاستقلالية في المغرب العربي.
فكان هذا الكتاب خلاصة هذه التجربة الطويلة.

• يكرس الكتاب المنطلق المصوح للمغرب العربي من خلال
التاريخ. الذي كان منذ المثلث فيما كتب. ومن خلال محنة
الحركة الاستقلالية بالاقطار الثلاثة. في المصالح والمخاطر والوسائل
الكتاب يعتبر مرجعاً حياً. ليس فقط للحركات الاستقلالية
كفعل. ولكن كذلك للفكر الاستقلالي في تطوره من مبادئه
فكر يوحّد حتمية بناء المغرب العربي. كما يوحّد ضرورة
تجاوز العثرات والعراقيل التي تقف أو توضع في طريق المغرب
العربي. ويوحّد أيضاً أن التمزيق والتفتيت والفرقة لا تنفع
في شيء مع مسيرة التاريخ وحتمية المستقبل.
• علل الفاسي يضع التجربة بين يدي قراء هذا الجيل. ويضع
مفعولية التجارب على عاتقهم.